

بدائع الزهور في وقائع الدهور

الجزء الرابع

ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بييردى الغورى الأشرفى

وهو السادس والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو ، ٣
المشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد . وقد قلت فى ذلك ابتداء :

أصنى التاريخ حكى بسجعه الشحرورى

٦ فاق التواريخ بما أوردته للغورى

أقول وكان أصله جركسى الجنس من ممالك الأشرف قايتباى وأعتقه فهو

من معاتيقه ، ثم أخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة الممالك الجمدارية ، ثم بقى

خاصكيا ، ثم قرّر فى كشف الوجه القبلى سنة ست وثمانين وثمانمائة بواسطة ٩

الأمير قانصوه خمسمائة ، ثم أنعم عليه الأشرف قايتباى بأمره عشرة فى سنة

تسع وثمانين وثمانمائة وخرج فى بعض التجاريد إلى البلاد الحلبية ، (١١٧ ب)

ثم قرّر فى نيابة طرسوس ، ثم إنه عاد إلى حلب وقرر فى حجوبيتها عوضا عن ١٢

ياكبر بن صالح الكردي وذلك فى سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، ثم بقى نائب

ملطية بعد حجوبية الحجاب بحلب ، وكل ذلك فى دولة الأشرف الملك الناصر

محمد بن قايتباى ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب فى دولة الملك ١٥

الظاهر قانصوه خال الملك الناصر وذلك فى ثالث ذى القعدة سنة خمس وتسعمائة ،

وسافر إلى الشام صحبة الأمير طومان باى لما خرج إلى محاربة قصره نائب

الشام لما أظهر العصيان على الأشرف جان بلاط ، فلما تسلطن طومان باى بالشام ١٨

ورجع إلى القاهرة وهو سلطان أخلع عليه وقرره فى الدوادارية الكبرى والوزارة

والأستادارية عوضا عن نفسه ، فاستمر على ذلك حتى وثب العسكر على العادل

فى سلخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة واختفى فى ليلة عيد الفطر بعد العشاء ، ٢١

فلما أصبح ذلك اليوم وأشيع هروب العادل ركب الأمير قيت الرجبى أمير
 سلاح وقانصوه الغورى أمير دودار كبير وطراباى وقانى باى قرا أمير آخور
 كبير ومصر باى وأصطمر وأنسباى ويبردى الفهلوان وطقطباى ومامى ٢
 جوشن وخاير بك أخو قانصوه الرجبى وآخرون من الأمراء المقدمين ، ثم ظهر
 خشكلدى اليسقى وكان مخفيا من العادل لما أراد القبض عليه ، فلما تكاملوا
 اجتمعوا ببيت قانصوه خمسمائة الذى بقناطر السباع ، فحضر إليهم الأتابكى تانى بك ٦
 الجمالى وكان مخفيا من حين كسر الأشرف جانبلاط وتسلمن العادل ، فلما
 حضر وقع الاتفاق على سلطته أولا فركب من هناك وعلى رأسه الصنجق
 السلطانى وقد ترشح أمره إلى السلطنة ، فلما طلع إلى باب السلسلة ليلى السلطنة ٩
 فاشيع فى ذلك اليوم أن الأشرف قانصوه خمسمائة باق فى قيد الحياة ، فأشهبوا
 النداء فى القاهرة بأن قانصوه خمسمائة إن كان موجودا فليظهر وله الأمان وإن ١٢
 لم يظهر بعد ستة أيام فلا أمان له ، فلما طال المجلس (١١٨٠) انفض العسكر
 من الرملة ونزل غالب الأمراء الذين كانوا قد اجتمعوا فى الحراقة بباب السلسلة ،
 وكان يوم عيد الفطر يوم الإثنين فاختر كل أحد عوده إلى داره حتى يقع اختيار ١٥
 الأمراء على من يولونه السلطنة ، فأعرض غالب العسكر عن الأتابكى تانى بك
 الجمالى ولم يرض به أحد منهم ، وكان الأتابكى تانى بك الجمالى أرشل معكوس
 الحركات فى أفعاله وطاش لما ذكر للسلطنة ، ثم آل أمره بعد ذلك إلى كل سوء
 فلم تقم له السلطنة وكانت منه نصيب قانصوه الغورى كما سيأتى الكلام على ذلك ، ١٨
 فكان كما يقال :

تنافس الناس فى الدنيا وقد عظمت فصفوها لك ممزوج بتكدير
 لم يُرزقوها بسمى عند ما قُسمت لكنما رزقوها بالمقادير ٢١
 لو كان عن طلب بالسعى نلركها طار البزاة بأرزاق العصافير

فلما رأوا المجلس مانع ، تعصب الأمير قيت الرجبى أمير سلاح والأمير

مصر باى إلى قانصوه الغورى وقالوا ما نسلطن إلاّ هذا فسحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك ويكى وربما كلمه مصر باى ومرق طوق ملوطته وهو يمتنع غاية الامتناع ، فحضر الخليفة المستمك بالله يعقوب وقاضى القضاة عبد الغنى ٢ ابن تقي المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى ، وتأخر قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا والبرهان الدين بن الكركى الحنفى حتى يقع رأى الأمراء فيمن يولونه السلطنة ، فكتب القاضى الحنبلى صورة محضر فى خلع العادل من ٦ السلطنة وشهد فيه جماعة كثيرة من الناس بأنه سفاك للدماء ، ثم حضر القاضى الشافعى والقاضى الحنفى وعقدت البيعة لقانصوه الغورى وبايعه الخليفة ، وكانت سلطنته فى يوم الاثنين مستهل شوال سنة ست وتسعمائة ، ثم أحضر إليه شعار ٩ السلطنة وهى الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك ، كل هذا وهو يمتنع ويكى ، فلقبوه بالملك الأشرف ، وسما فى علوه وأشرف ، وكنوه بأبى النصر قانصوه الغورى ، وبه صارت مصر مشرفة (١١٨ ب) بالنورى ، وقيل : ١٢

ألا إنما الأقسام تحرم ساهر وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ثم قدمت إليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش فركب من على سلم الحراقة التى بباب السلسلة ، فتقدم قيت الرجبي وحمل القبة والطير على ١٥ رأسه وقد ترشح أمره إلى الأتابكية ، فركب الخليفة عن يمين السلطان ، ومشى بين يديه الأمراء وهم بالشاش والقماش ، حتى طلع من باب سرّ القصر الكبير وجلس على سرير الملك ، والباقي للزوال نحو من خمس وعشرين درجة ، وكان ١٨ الطالع بالسرطان ، فأول من قبل له الأرض قيت الرجبي ثم بقية الأمراء شيئا فشيئا ، ثم أخلع على الخليفة ونزل إلى داره ، وأخلع على مصر باى وقرره فى النوادرية الكبرى والوزارة والأستادارية عوضا عن نفسه فنزل إلى داره ٢١ فى موكب حافل . ثم دقت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالأدعية الفاخرة ، وزال ما كان من الشكوك والظنون ، وأقرت من

الناس بسلطنته العيون ، فكانت سلطنته على غير القياس ، وأشيع بأن بنيانه على غير أساس ، فصار منه بعد ذلك الهزل جدًّا ، ومكث في السلطنة مكثًا جاوز الحد ، فزال عنه الأضرار والبأس ، وامتثلت منه أعين الناس ، فتولى الملك وله من العمر نحوًا من ستين سنة ولم يظهر بلحيته الشيب حتى عُدد ذلك من جملة سعدته .
ومن العجائب أن أرباب الملاحم قالت للعادل طومان باي ما يأخذ الملك منك إلاّ حرف القاف فظن أنه قصره فقتله ظلما ولم يكن يحسب لقانصوه الغورى حسابا ، فكان كما قال :

الرزق لم يزل للمرء ملتزم
ما المن سميّ إلا لمن قسم

ومن الحوادث في يوم سلطنته أن طائفة من الممالك الجلبان توجهوا إلى بيت فخر الدين كاتب الممالك الذي في الأزبكية فأحرقوه ونهبوا ما فيه ، ثم توجهوا إلى بيت شمس الدين أبي المنصور مباشر العادل فنهبوا ما فيه ، ثم توجهوا إلى بيت قرقاس المقرئ المحتسب وبيت أربك النصراني وإلى القاهرة فنهبوا (١١٩٩) ما فيهما ، ثم توجهوا إلى بيت عبد العظيم الصيرفي فنهبوا ما فيه ، وكذلك بيت يونس نقيب الجيش ، وحصل في ذلك اليوم غاية الاضطراب ولا سيما في مثل يوم العيد . — ثم إن السلطان أخلع على شخص من الأتراك يسمى طومان باي الجلب وقرره في ولاية القاهرة عوضا عن أربك النصراني ، فركب ونادى في القاهرة بالأمان والاطمان وأن الممالك تكف عن النهب ، فسكن الاضطراب قليلا .

وفي ذلك اليوم اختفى جماعة من الأمراء ممن كان من عصبة العادل ، وجاني بك شاد الشرايخ خاناه ومسايد ناظر الجوالى ومصر باي الصغير وأربك النصراني وآخرين من الأمراء ممن كان من حلفه . — وفي ذلك اليوم ظهر الشيخ جلال

(٩) ما المن سميّ : ما هو المن سميّ .

الدين الأسيوطى وكان محتفيا من العادل فى مدة سلطته ، وكان يقصد الإخراق به فكفاه الله موته ، وذكر أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وبشره بزوال العادل عن قريب . - وفيه كتبت المراسيم السلطانية بحضور الأمير قانصوه ٢
المحمدى البرجى ، وكتبت المراسيم أيضا بالإفراج عن سجنه العادل بقلعة دمشق وهم قرقاس وأزدمر وقانصوه بن اللوقا وسودون النوادارى وآخرين من الأمراء ممن كان سجنهم العادل بقلعة دمشق وقد تقدم ذكرهم . ٦

وفى يوم الخميس رابعه عمل السلطان الموكب بالحوش وهو أول مواكبه ، فأخلع على جماعة من الأمراء خلع العيد ونزلوا من القلعة فى موكب حافل ، وكذلك أرباب الوظائف من المباشرين . ٩

وفى يوم السبت فى السادس من شوال أخلع السلطان على جان بردى الغزالى وقرره فى الحسبة عوضا عن قرقاس المقرى ، وقرر تانى بك أخو مامأى فى الخازندارية الكبرى عوضا عن تمر باى خازندار العادل ، وأخلع على أقبأى ١٢ الطويل وقرره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن جاني بك المشد ، وقرر تمر باى أمير مشوى فى نظر الجوالى ، وقرر مغلبأى الشرىفى فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن تمر الحسنى بحكم انتقاله إلى التقدمة . - ثم إن السلطان قبض (١١٩ ب) ١٥ على الأتابكى تانى بك الجمالى ووكل به بالقلعة وأمره بالخروج إلى مكة صحبة الحاج . - وفيه أنعم السلطان على قانصوه الفاجر بتقدمة ألف ، وكذلك قرقاس التمنى ، وأنعم أيضا على دولات باى قرموط بتقدمة ألف ، وكذلك ١٨ طقطبأى من ولى الدين . - وفيه هجم الوالى على بيت قاضى القضاة الحنفى برهان الدين بن الكركى بسبب التفتيش على العادل فلم يجدوه عنده ، فنهبوا بيته وأخذوا منه علبة كان فيها مال الأوقاف الذى كان تحت يده . ٢١

وفيه فى ثامن عشره خرج الحاج من القاهرة وكان أمير زكب المحمل سودون العجمى أحد المقدمين ، وبالركب الأول دولات باى قرموط ، وخرج صحبته الأتابكى تانى بك الجمالى فرسم له بالإقامة فى مكة فخرج وهو فى التوكيل به ، ٢٤

ورسم السلطان لخاتون ابنة خليل بن حسن الطويل صاحب العراقين بعمل يرق
وحجت في تلك السنة .

- ٣ وفي يوم الخميس ثاني عشرينه أخلع السلطان على الشيخ سرى الدين
عبد البر بن الشحنة وقرره في قضاء الحنفية ، عوضا عن البرهان الدين بن
الكركي بحكم صرفه عن القضاء وقد قاسى غاية المشقة بما جرى عليه بسبب
٦ اختفاء العادل . - وفيه كثر شرّ المماليك على السلطان بسبب طلب الأقطاع
والوظائف حتى أنه تبرأ من السلطنة وهم بأن يختفى بنفسه حتى يولتوا من
يختارونه من الأمراء . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بفرار باى نائب
٩ الشام ، وقد بلغه ما جرى على العادل وكان من أقاربه ، فخاف على نفسه فأخذ
بركه وحريمه وخرج من الشام وتوجه إلى نحو بلاد ابن عثمان ملك الروم . -
وفيه رسم السلطان بإحضار جماعة من الأمراء وكان العادل نغاهم إلى دمياط ،
١٢ منهم برد بك المحمدي الأيتلى الذى كان الأشرف جانبلاط قرره في حجوبة
الحجاب وأرزمك الناشف الذى كان مقدم ألف ومامش الرجبي وتمر باى الشيخ
وآخرين من الخاصكية وكان عدتهم نحو من ثمانية عشر نفرا . - وفيه زاد أمر
١٥ التفتيش على العادل وصار والى القاهرة يركب ومعه حاجب الحجاب والأمير
طراباى رأس نوبة النوب ، ومعهم الجم الغفير من المماليك وهم بآلات السلاح ،
فيهجمون البيوت والحارات (١٢٠ ت) تحت الليل بسبب العادل ، وكان العادل
١٨ يكبس البيوت والحارات بسبب الأمراء الذين اختفوا منه فها عن قريب حتى صار
يكبسون البيوت والحارات بسببه ، والمجازاة من جنس العمل . - وفيه عرض
السلطان ممالك العادل وأمرهم بإخراجهم إلى جهة الصعيد ، وكان العادل أخرج
٢١ خرجا من الممالك وسماهم بالعادية . - وفيه توفى على باى الظاهري تمر بغا
وكان من الأمراء العشرات ، ومات وهو طرخان وكان لا بأس به .

وفي الثاني والعشرين من شوال أحضرت جثة الأشرف جانبلاط من ثغر
الإسكندرية ، وقد تقدم أن العادل بعث بخنقه وهو في البرج فخنق ودفن

بالإسكندرية ، ثم وقفوا بمالك جان بلاط إلى السلطان وسألوه في نقله إلى القاهرة
فرسم لهم بذلك ، فنقل وهو في سحلية ، فلما حضرت جثته دفن أولا بترية
الأشرف قايتباي وأقام بها أياما ، ثم تعصبت له بماليكه وقالوا ما ندفن أستاذنا
إلا في تربته التي أنشأها بباب النصر ، فرسم لهم السلطان بذلك ، فنقلوه ودفنوه
في تربته التي بباب النصر ، وهذه ثالث نقلة وقعت له وكان نقله إلى تربته في ليلة
الجمعة سادس عشرين هذا الشهر . - وفيه في تاسع عشرينه أخلع السلطان على
قيت الرجبي وقرره في الأتابكية عوضا عن قصره نائب الشام بحكم موته ،
وكانت الأتابكية شاغرة من يومئذ حتى قرر بها قيت ، وكان المتكلم في جهات
الأتابكية في هذه المدة الأمير طراباي رأس نوبة النوب . - وفيه قرر شمس الدين
أبو المنصور القبطي في نظر البهارستان المنصوري .

وفي أوائل هذا الشهر توفيت عزيزة بنت السطحي ، وكانت من أعيان مغاني
مصر فريدة عصرها في النشيد مع حسن الصوت وفصاحة بإعراب الشعر ، فلم
يخلفها من بعدها أحد من النساء المغاني ، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة
غاية العز والعظمة ما لا رآه غيرها من أرباب هذا الفن ، وماتت وهي في عشر
الثمانين وكان لها بمصر شهرة زائدة ، ومما قاله فيها الشهاب المنصوري (١٢٠ ب) :
وفتاة تزهرت طرفي فيها شنت مسمعى بجوهر فيها
منذ زارت محبتها وتغنت كاد يرى بنفسه من أبها

وفي ذى القعدة ثار طائفة من الممالك ولبسوا آلة السلاح وطلبوا من
السلطان نفقة البيعة ، فأوعدهم حتى يجمع المال فسكن الأمر قليلا . - وفيه اجتمع
القضاة الأربعة والخليفة وقرئ عهد السلطان بحضورهم وكان موكبا حفلا . -
وفيه قبض على قاضي القضاة برهان الدين بن الكركي الخنقي ، ثم توجهوا به إلى
دار الأتابكي قيت فوكلوا به بالمدرسة الباسطية ، وقد تكلم بعض الناس في حقه
بأن العادل قد أودع عتده مالا فأقام في الرسم يوما وليلة ، ثم تكلم بعض

- الأمراء مع السلطان في أمره فرسم بالإفراج عنه فعاد إلى داره ، وكان معه في التوكيل بدر الدين السعودي نقيبه المعروف بابن الوقاد ، قال أمره أن طلب منه مال وأخذ منه فيما بعد . ٢
- وفي يوم الثلاثاء سابعه أخلع على الأمير خشكلدى البيسقى وقرره في أمرة مجلس ، وكان مختفيا من العادل لما أراد القبض عليه . - وفيه تزايد أمر التفتيش على العادل فهاجموا بسببه دار سيدى على بن المؤيد أحمد بن الأشرف أبنال فلم يجدوا بها أحدا ، وهاجموا زاوية الشيخ أبو شامة التي بالناصرية ، وصاروا يهجمون عليه عدة بيوت وأماكن ، وكان العادل في مدة اختفائه يكتب أوراقا ويرسل يعلقها عند سوق السلاح بالقبو وغير ذلك من الأماكن التي يجتمع بها الأتراك ، ويكتب فيها أنه إذا عاد إلى السلطنة ينفق على العسكر مائتي دينار لكل واحد منهم وفرس ، وأن الذي وقع منه في الماضي لا يعاد ونحن أولاد اليوم . ٩
- وفي يوم الإثنين ثالث عشره حضر قانصوه الخازندار ، وكان الظاهر قانصوه خال الناصر أرسله قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فكانت مدة غيبته في هذه السفرة ستة وثلاثة أشهر ، فلما حضر أكرمه السلطان وأخلع عليه . - وفيه قبضوا على العادل طومان باى من مكان بالقرب من بيت الأتابكي جرباش كرد الذى عند زاوية (١٢١) الشيخ خلف ، وكان من ملخص أمره أنه لما طال اختفاؤه وصارت الأمراء على رؤسهم الطيرة منه ولا ينامون في بيوتهم إلا ومماليكهم لابسون آلة السلاح ليلا ونهارا ، فلما تزايد الأمر أخذوا في أسباب عمل الحيلة على العادل ، فاستمالوا جاني بك الذى كان شاد الشراب خاناه وجاني بك الشامى وكان من أخصاء العادل ، فأوعدوا كلا منهما بتقدمة ألف ، وكانا يجتمعان على العادل في مدة اختفائه ، فحسبوا للعادل بأن يجيء إلى بيت جاني بك الشامى الذى بجوار بيت الأتابكي جرباش كرد ، وكان الأمير مصر باى الدوادار ساكنا في بيت الظاهر تمر بغا الذى عند سوق القبو خلف بيت الأتابكي جرباش

- فقرروا مع العادل أنه إذا حضر إلى بيت جاني بك الشامي يهجمون على مصر باى بعد العشاء وهو جالس في مقعده ، فيدخلون عليه من باب سرّ الأتابكي جرباش الذى خلف بيت تمر بقا فيقتلونه تحت الليل على حين غفلة ، فلذا قتل مصر باى ٣ يركب العادل من هناك ويحطم من باب السلسلة فيملكه ، فانصاغ العادل إلى هذا الكلام وحضر إلى بيت جاني بك الشامي وكان هذا عين الخداع ، وصار من تدبيره ما عاد في تدميره ، فلما صار عنده في البيت مدّ له أسمطة حافلة وبات عنده ، فأرسل ٦ جاني بك الشامي أعلم مصر باى بذلك ، فبينما العادل في أرغد عيش فما شعر إلا وقد هجموا عليه وأحاطوا بالمكان الذى به وقد تمت الحيلة عليه ، كما يقال :
- لا تركزن إلى الخريف فهاؤه مستوخم وهاؤه خطاف ٩
يمشى مع الأجسام مشى صديقها ومن الصديق على الصديق يخاف
- قبل لما هجموا عليه قام وهرب فتسلق من على حائط وأرمى بنفسه من أعلى الحائط فوق على فخذه فانكسر نصفين ، فأدركه شخص من مماليك ١٢ الأشرف جان بلاط يقال له أرزمك فقطع رأسه ، وصار كل من مماليك جانبلاط وقصروه يشتق منه ويضربه بالسيف حتى هروه ، فلما قطعوا رأسه أحضروها بين يدي مصر باى اللوآدار ، فوضعها في طبق من النحاس ، وأخرجها من بيته ١٥ والمشاعلية تنادى عليه هذا جزاء من يسفك (١٢١ ب) الدماء ويقتل الأمراء بغير حق ، فعزّ ذلك على بعض الأمراء ، فلما عرضت رأسه على السلطان رسم بدفته وأرسل معه ثوبا بعلبكيا وعشرين ديناراً ، فأعادوا رأسه إلى جثته وغسلوه ١٨ وكفنوه وصلّوا عليه ، ثم توجهوا به إلى تربته التي أنشأها بالقرب من المطعم السلطاني فدفن بها ، ولما أرادوا التوجه به أدخلوه من باب زويلة ومعه والى القاهرة وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية وهم لابسون آلة السلاح ، ٢١ وكان هذا خوفاً على العادل من مماليك الأشرف جانبلاط ومماليك قصره

أن لا يحرقوه وهو في الثابوت ، وكان قصدهم ذلك حقيقة فما قلدروا على ذلك .
واقعة العادل طومان باي تقرب من واقعة الأتابكي تمتاز الشمسي وقد تقدم ذكر ذلك . ٣

وكان العادل طومان باي ملكا جليلا مهابا ذا شهامة زائدة وحرمة وافرة ، وكان من مبتداه إلى متناه وهو في عز وضخامة ، لكنه لما ولي السلطنة ظهر منه أمور فاحشة وأخرق في سفك الدماء وقتل الأمراء ، ولو دام في السلطنة كان يظهر منه أمور شنيعة ويقتل غالب الأمراء ، وكان عنده مكر وخداع لكنه كان يظهر العدل في بعض الأمور ، وكان محببا للناس ولا سيما طائفة العوام ، وقد تقدم ما أوردناه من أخباره ، وما ولي من الوظائف السنية ، وما وقع منه من الأمور في تغيير الدول ، وما فعل بالملك الناصر والظاهر قانصوه والأشرف جانبلاط وغير ذلك من الأمراء ، وقد قلت في ذلك :

١٢ العادل السلطان لا تعجب له فيما جرى منه بتغيير الدول
أعماله رُدَّت عليه بما جنى والدهر قد جازاه من جنس العمل

وكانت مدة اختفائه من حين تسحب من القلعة ليلة عيد الفطر إلى حين قبض عليه اثنين وأربعين يوما ، فلما قبضوا عليه وجلوا شعر رأسه قد طال حتى صار كفروة الغنم ، وكانت الناس في مدة اختفائه في جمرة نار من هجم البيوت وكبس الحارات وقاسوا غاية المشقة بسبب ذلك حتى ظهر ، وكانت واقعته من النوادر الغريبة فكانت تقرب واقعته واقعة الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي لما اختفى وحصل (١٢٢ آ) للناس الضرر بسببه . قيل لما قتل العادل تخلّقوا بدمه عيال خوند أم الناصر وأظهروا الفرح والسرور في ذلك اليوم ، وكانت معنورة فيما فعلت فإنه قتل ابنها الناصر وسجن أخاها الظاهر قانصوه وقتل زوجها الأشرف جان بلاط . وعدّ قتل العادل من جملة سعد الغوري ،

وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له قرقاس البيسقى تم نائب الشام وقرره فى نيابة القدس ، وكان أحد الأمراء العشرات .

وفى ذى الحجة حضر من كان سجنه العادل من الأمراء بدمشق وهم ٣ قرقاس من ولى الدين وأزدمر من على باى وقانصوه بن سلطان جركس الذى كان نائب حماة وسودون الدوادارى ، فلما مثلوا بين يدى السلطان أخلع عليهم وأوعدهم بكل جميل . - وفيه ظهر تمر باى خازندار العادل وكان محتفيا ، فلما ظهر ٦ قرر عليه مال وأقام فى الترسيم حتى يورد ما قرر عليه من المال .

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة عزل قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى عن القضاء ، وهذا كان آخر عزله وولايته للقضاء ، وقد كفّ بصره عقيب ذلك ، ٩ فلما عزل زكريا سعى محيى الدين عبد القادر بن النقيب فى عوده إلى القضاء ، وقد أورد مالا له صورة ، فأخلع عليه وأعيد إلى القضاء عوضا عن زكريا بحكم انفصاله عنها ، وهذه ثانى ولاية وقعت لابن النقيب . - وفيه فرق السلطان الأضحية على ١٢ العسكر وقطع أضحية لبعض جماعة من الفقهاء والخدام . - وفيه أنعم السلطان بعدة تقادم ألوف على جماعة من الأمراء منهم قرقاس من ولى الدين قرره فى أمرة السلاح عوضا عن قيت الرجبي بحكم انتقاله إلى الأتابكية ، وقرر أصطمر ١٥ من ولى الدين فى أمرة مجلس عوضا عن خشكلدى البيسقى ، وبقي خشكلدى البيسقى مقسم ألف بغير وظيفة وكان يجلس فوق أصطمر ، وقرر أزدمر من على باى فى حجوية الحجاب عوضا عن أصطمر من ولى الدين بحكم انتقاله إلى أمرة مجلس ، وأنعم على أرزمك الناشف الذى كان نائب القلعة بتقدمة ألف ، وكذلك قانصوه الخازندار الذى كان توجه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكذلك قانصوه الفاجر ، وخشكلدى الذى كان أستاذار الصحبة وكان (١٢٢ ب) الأشرف ٢١ جان بلاط أنعم عليه بتقدمة ولم يتم له ذلك من بعده وصار أمير طبلخاناة ، وغير هؤلاء جماعة آخرين . - وفيه رسم السلطان بإحضار جماعة من الأمراء العشرات

وكان العادل نفاهم إلى دمياط فحضرُوا جملة واحدة ، وكانوا نحواً من ثمانية أنفار .

ومن الحوادث الشنيعة أن طائفة المماليك وقفوا وقت طلوع الفجر إلى

القاضي شمس الدين أبي المنصور مباشر العادل فقتلوه وهو خارج من بيته الذي ٣

بالمقس طالع إلى القلعة ، فقتله بعض المماليك بمنجبر في بطنه فمات من يومه ولم

تنتطح في ذلك شاتان ، كما وقع لأبي البقا بن الجيعان في البندقانيين وهو طالع من

بيته إلى القلعة ، وكان أبو المنصور من أعيان المباشرين ورأى غاية العزّ ٦

والعظمة أيام أقبردى الدوادر ، وباشر عدة جهات سنية في أيامه ، ثم من بعد

أقبردى التجأ إلى العادل طومان باى من حين كان دوادرا كبيرا وخرج معه إلى

الشام في تجريدة قصره ، فلما عاد وهو سلطان تزايدت عظمة أبي المنصور عنده ٩

وجعله متكلماً في الخزائن الشريفة مع صلاح الدين بن الجيعان ، وكان أصله من بنى

الأقباط وكان لا بأس به .

١٢ وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه تغير خاطر السلطان على قاضى قضاء الشافعية

عبي الدين عبد القادر بن النقيب فعزله عن القضاء ورسم بنفيه إلى قوص ، فتوجه

إليه نقيب الجيش وأركبه على حمار وتوجه به إلى البحر ، فشفع فيه بعض الأمراء

من النقي وقرر عليه مال ، فكانت مدته في هذه الولاية الثانية ثلاثة عشر يوماً ١٥

لا غير ، فإنه أعيد إلى القضاء بعد عزل قاضى القضاء زكريا في يوم الخميس ثامن

ذى الحجة ، وعزل عن القضاء في يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى الحجة فهى ثلاثة

١٨ عشر يوماً سوى .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه طلب السلطان الشيخ برهان الدين إبراهيم

ابن أبى شريف المقدسى ، فأخلع عليه وقرره في قضاء الشافعية بمصر عوضاً

عن عبد القادر بن النقيب ، فكان له يوم مشهود لما شق من القاهرة وهو لابس ٢١

التشريف ، وكان كفؤاً للمنصب . - وفيه اضطربت الأحوال (١٢٣ ت)

وأرتج الأمر على السلطان من قبل المماليك بسبب نفقة البيعة ، فشكا السلطان

بأن الخزائن خالية من المال ، فإن الممالك تأثرت بسبب النفقة وقد كثر العسكر من سائر الطوائف ما بين ظاهرية وأشرفية وأينية وخشقدمية وقايتباهية وناصرية وممالك الظاهر قانصوه وممالك الأشرف جانبلاط وممالك العادل طومان باي وممالك النواب والأمراء الذين قتلوا ممن تقدم ذكرهم ، وقد صار كل أحد منهم يروم له رزقا ، وأن الملك الناصر بن الأشرف قايتباي فرق الأقاطيع التي كانت في الذخيرة جميعا فن أبن أسد هؤلاء الممالك .

فلما كان يوم الاثنين سادس عشرين ذي الحجة اجتمع الأمراء عند السلطان في الدمشقة وضربوا مشورة في ذلك اليوم ، وأقاموا في القلعة إلى بعد العصر ، فلما نزلوا أشيع بين الناس أن السلطان يقصد يخرج أوقاف الجوامع والمدارس ويبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ، وأنه يفرق بلاد الأوقاف بمثلثات على الأمراء والممالك ، فلما بلغ الناس ذلك اضطربت الأحوال وكثرت في ذلك الأقوال .

١٢ ثم دخلت سنة سبع وتسعمائة

فيها في المحرم صعد الخليفة المستمك بالله أبو الصبر يعقوب والقضاة الثلاثة وهم برهان الدين بن أبي شريف الشافعي وعبد الغني بن تقي المالكي والشهاب أحمد الشيشيني الحنبلي ، وتأخر قاضي القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة ، ولكن طلع فيما بعد ، فلما طلعوا إلى القلعة ليهتوا السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى بالعام الجديد تكلم مع القضاة فيما تقدم ذكره في أمر الأوقاف ، فلم يوافق القاضي الشافعي على ذلك ولا القاضي المالكي ولا الحنبلي ، ثم إن القاضي الحنبلي أغلظ على السلطان في القول فانحرف منه وقال له : إذا ركبوا الممالك وطلبوا مني نفقة أنا أبعثهم لك في بيتك كلمهم مثل ما تعرف ، فانفض المجلس مانعا ونزل القضاة إلى دورهم على غير رضا من السلطان ، ثم طلع القاضي الحنفى عبد البر إلى السلطان في أواخر النهار فتكلم معه في ذلك (١٢٣ ب) فشى عبد البر في غرض السلطان

بما يريد ، ثم اجتمع الأمراء عند السلطان في مجلس ثان وضربوا مشورة في معنى ذلك ، فوق الاتفاق على أن الأوقاف تبقى على حالها ويؤخذ من ريعها سنة كاملة ، ومن أجرة أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيظان ومراكب وغير ذلك يؤخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة ، حتى من وقف البيارستان المنصوري وسائر الأوقاف من عال إلى دون ، وكتبت المراسيم بمعنى ذلك إلى ثغر الإسكندرية ودمياط حتى إلى دمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية والحلبية ، وكان القائم في هذه المظلمة الأتابكي قيت الرجبي ، وصار الأتابكي قيت الرجبي يرسم على أعيان الناس بسبب ذلك بالمدرسة الباسطية حتى يردوا الأموال ، لاجزاه الله خيراً ، ثم إن السلطان نادى في القاهرة بأن كل من كان ناظراً على وقف وكل من كان له إقطاع من أجناد الحلقة أو غيرها يتوجه إلى بيت الأتابكي قيت الرجبي ، وأن أرباب الرزق من النساء والخواندات والستات يتوجهن إلى بيت القاضي ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال ، وأن أرباب الأملاك والحوانيت يتوجهون إلى بيت الأمير مصر باى الدوادار ، ثم إن السلطان رسم ثمانية من الأمراء المقدمين بأن يتكلم كل واحد منهم على فرع من أبواب هذه المظالم ، فتكلم الأتابكي قيت في جهات الأوقاف قاطبة وإقطاعات الحلقة ، وقد تقدم ذكر ذلك ؛ وتكلم مصر باى في جهات الأملاك قاطبة فكتبت القوائم بأسماء الأقاطيع والرزق من بيت أولاد الجيعان وطلبت أعيان الناس بالرسل الغلاظ الشداد ، وطلب مصر باى أرباب الأملاك التي هي من الصليبية إلى مصر العتيقة إلى دير الطين ، وتكلم الأمير قرقاس أمير سلاح على جهات البيوت التي هي داخل بابي زويلة قاطبة ، وتكلم الأمير أزيك المكحل أحد المقدمين في جهات البيوت التي هي خارج باب الشعرية من جزيرة النيل إلى المطرية ، وتكلم قاني باى قرا أمير آخور كبير في جهات للمراكب والسواق قاطبة ، وتكلم الأمير

(٢) عل حالها : حالم . (١٤) فرع : فرع . (٢٠) باي : كذا في الأصل .

طقطبای أحد المقدمین على جهات الغیطان قاطبة ، وتكلم طرابای رأس نوبة
النوب على جهات مصادرات التجار ومساکیر الناس ، وتكلم أنص بای أحد
المقدمین هو وأزدر من على بای على مصادرات طائفة اليهود والنصارى (١٢٤ آ) ٣
وقد قرر عليهم نحواً من ثلاثین ألف دينار ، وتكلم ناصر الدین الصفدی وکیل
بيت المال على جهات رزق النساء من الخوندات والأعیان من الستات ، ثم قرر
السلطان مالا على جماعة من الخدام منهم محسن ومختص وغير ذلك من الخدام ، ٦
وأطلق فی الناس جمر نار المصادرات ، وصار كل منهم فی ألم الغمرات .
فلما كان يوم الاثنين رابع المحرم وثب جماعة من الممالیک على السلطان
ولبسوا آلة السلاح ، وسبب ذلك أن السلطان قد أبطأ عليهم بتفرقة النفقة ٩
ثلاثة أشهر فوثبوا علیه وطالبوه بالنفقة ، فقال لهم حتى تجبی الأموال فلم یرضوا
بذلك ، فنادی لهم أن النفقة تكون بعد مجيء الحاج فسكن الحال قليلا ، وآل
الأمر إلى الحث على أبواب المصادرات فی سرعة استخراج الأموال ، وأطلقوا ١٢
فيهم نيران الأهوال ، وعملوا فيهم بالباع والذراع ، ولم يجدوا لهم من حیم ولا شفیع
يطاع ، ثم إن أصحاب الأملاك ضيقوا على السكان وألزموهم بأن یعجلوا لهم من
أجرة الدكاكين والبيوت عشرة أشهر معجلاً لأجل هذه الغرامة ، فحصل لهم ١٥
بسبب ذلك الضرر الشامل وتعطلت الأسواق من البيع والشراء ، وغلقت غالب
دكاكين القاهرة ، ووقع الاضطراب للغنى والفقير وصار الناس بین جمرتين ، ويطلبون
فی اليوم الواحد من أبواب جماعة كثيرة من الأحكام مرتين ، حتى ضجوا من ذلك ، ١٨
وقلت فی المعنى :

لما جبوا أملاك مصر والقرى فی عام سبع مضى الإهلاك
الله أكبر يا له من حادث قد ضج منه الأرض والأملاك ٢١
فلما كان يوم الجمعة ثامن المحرم تزايد الأمر وغلقوا بعض الجوامع ومنعوا
منها الخطبة فی ذلك اليوم ، منها جامع الجنید الذى هو داخل الدرب التى
بالقرب من قناطر السباع وجامع آخر بباب اللوق وغير ذلك عدة جوامع ، فلما ٢٤

طلع الأتابكي قيت الرجبي إلى القلعة وصلى الجمعة مع السلطان ونزل ، وقفت
 له جماعة كثيرة من العوام وشكوا له أن أصحاب الأملاك ضيقوا عليهم وطالبوهم
 ٣ بعشرة أشهر معجلاً بسبب هذه الغرامة وما لهم قدرة على ذلك ، فلم يلتفت (١٢٤ب)
 إلى كلامهم ، فلما وصل إلى الجامع الصالح الذي تجاه بابي زويلة فكبروا
 عليه العوام ورجموه فجاءته رجمة في كلوته ، وكان إلى جانبه الأمير طراباي رأس
 ٦ نوبة النوب فجاءته رجمة في جبهته حتى سال منه الدم ، فلما عاينوا الممالك
 ذلك سلّوا أسيافهم ووقعوا في العوام وجرح منهم جماعة وقتل في ذلك اليوم
 نحواً من ثلاثة أنفار ، ثم إن الزعر والعبيد نهوا عدّة دكاكين من البُسْطيين
 ٩ إلى داخل باب زويلة ، واستمرّ النهب والقتل عمال إلى قريب المغرب ، ونهب
 للناس مال له صورة وبضائع كثيرة ، حتى قيل نهب لشخص حريري خمسمائة
 دينار ذهب عين ، وغير ذلك من شمع وفاكهة وسكر ، فلما تزايد الأمر ركب
 ١٢ وإلى القاهرة وقبض على جماعة من الزعر والعبيد ووسط منهم نحواً من أربعة
 عشر إنساناً ، وكادت القاهرة أن تخرب عن آخرها مما جرى [في] هذا الحادث العظيم .
 فلما كان يوم السبت صبيحة ذلك اليوم وقف جماعة من السوق من أهل
 ١٥ الصليبية إلى الأمير أزدمر من على باي أحد المقدمين وشكوا له حالهم وكلموه
 بلطافة وحشمة عن أمر أجرة العشرة أشهر ، فلما طلع إلى القلعة اجتمع بالسلطان
 وتكلم معه في ذلك ، فاتفق الحال على أن يحط من العشرة أشهر ثلاثة أشهر وتصير
 ١٨ سبعة كما فعل الأشرف قايتباي . ثم إن السلطان نادى في القاهرة للناس بالأمان
 والاطمان والبيع والشراء وأن السلطان حطّ من أجرة البيوت والدكاكين ثلاثة
 أشهر وصارت سبعة ، فسكن الحال قليلاً .

٢١ وفي يوم الثلاثاء ، ثاني عشره قبض السلطان على الأمير مصرباي الدواداروهو
 بالقلعة وقد وقع اختيار الأمراء على ذلك ، فلماً قبضوا عليه أدخلوه البحرة
 وقيدوه ، وقبضوا في ذلك اليوم على آخرين من الأمراء العشرات من غير سبب .

(٤) تجاه : يجاه .

وفي يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطان على الأمير أزدمر من على باى
 وقرّره في الدوادارية الكبرى عوضا عن مصر باى بحكم القبض عليه ، وأخلع على
 الأمير خاير بك أخو قانصوه البرجى (١٢٥ آ) وقرّر في حجوبية الحجاب ٢
 عوضا عن أزدمر بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى . وأخلع على الأمير طقطباى
 من ولى الدين وقرّر في التقديم والوزارة والأستادارية عوضا عن مصر باى .
 وفي أثناء هذا الشهر توفى الأمير قان بردى الدوادار الثانى أحد المقدمين ، ٦
 وكان من خواصّ العادل وترشح أمره بأن يلى وظيفة الأتابكية بعد قصره ،
 وما تمّ ذلك وجرح لما وثبوا على العادل في رمضان واستمرّ من ذلك الجرح
 عليلا حتى مات . - وفيه تقرّر جان بلاط الموتى في الحسبة عوضا عن جان بردى ٩
 الغزالي بحكم انفصاله عنها .

وفي يوم السبت سادس عشر المحرمّ أشيعت الأخبار بأن جاني بك الشامى
 الذى كان من أخصاء العادل وخاير بك كاشف الغريبة الشهير باللامى قد ١٢
 تسحبّا من البرج اتى بالقلعة وقت الظهر وقتلوا السجنان . وتسحبّ معهم عدّة
 ممالك كانوا بالبرج . فلما تسحبوا اختفوا بالقاهرة فاضطربت الأحوال وكثر
 القيل والقال . فلما بلغ السلطان ذلك أحضر المصحف العثمانى وحلف عليه ١٥
 سائر الأمراء بحضرة الخليفة والقضاة الأربعة فحلفوا بأنهم لا يخونوه ولا
 يغدروه ولا يركبوا عليه .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر المحرمّ الموافق لتاسع مسرى أوفى النيل المبارك ، ١٨
 فلما أوفى لم يحسر الأتابكى قيت بأن يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فتوجه لفتحه
 مغلباى الشرىنى الزردكاش . - وكان في ذلك اليوم تفرقة الجامكية فلم يطلع إلى
 القلعة أحد من العسكر ، ثمّ في ذلك اليوم لبسوا آلة السلاح وثارّت الفتنة مهولة ٢١
 واستمرّ الأمر على ذلك إلى قريب المغرب ، وكان القائم في هذه الفتنة ممالك
 الظاهر قانصوه وممالك الأشرف جانبلاط وممالك العادل طومان باى ، فلما
 ركبوا طلّوا إلى الرملة فلم يفد من ركوبهم شيئا ونزل إليهم الأمير طراباى رأس ٢٤

نوبة النوب ومعه جماعة من الأمراء ، فلما عابوهم هربوا من وجوهم وتمت الكسرة على طائفة المماليك الذين وثبوا .

٣ وفي يوم السبت ثالث عشرينه نادى السلطان فى القاهرة بأن ممالك الظاهر قانصوه والأشرف جانبلاط والعاذل طومان باى يخرجون إلى جهة (١٢٥ ب) الصعيد ويقيمون بها وكل من تأخر من بعد المناداة شقق بلامعاودة ، وصاروا يكررون هذه المناداة ثلاثة أيام متوالية ، فصاروا يخرجون إلى جهة الصعيد شيئاً فشيئاً وهم فى غاية الذل . - وفيه أخلع السلطان على الأمير بيردى الفهلوان وقرره فى الدواديرية الثانية عوضاً عن قان بردى بحكم وفاته .

٩ وفى صفر فى أول يوم منه نزلوا بالأمير مصر باى من القلعة وهو مقيد ، فتوجهوا به إلى السجن بغير الإسكندرية فسجن بها .

وفى يوم الاثنين ثانيه نفق السلطان على العسكر نفقة البيعة وقد صبرهم نحواً من أربعة أشهر حتى جمعت الأموال من المصادرات ، فنفق على طبقتين لاغير وصبر الباقين حتى تجمع الأموال ، ولم يعط لأحد من المماليك مائة دينار كاملة سوى المماليك القايتبايهية فقط .

١٥ وفيه قبض السلطان على الأمير عبد اللطيف الزمام وقرر عليه مالا له صورة ، فسلمه إلى الأمير طراباى وأقام عنده فى التوكل به حتى يرد ما قرر عليه من المال فباع أملاكه وقاشه حتى سد ذلك ، وصودر عنبر مقدم المماليك ونائبه وشاد الحوش وجماعة آخرين من الخدام ، وقد عمت هذه المصادرة حتى غلمان الاسطبل السلطانى والأوجاقية والسرآخورية ونقباء القصر والمعاملين والطباخين حتى الفراشين والبايئة والشربدارية وغير ذلك من غلمان السلطان قاطبة ممن له جامكية فى باب السلطان ، وكل هذا لأجل النفقة على المماليك وكانت حادثة عامة على غالب الناس من الأعيان وغيرهم ، وقد وقع الاضطراب فى أوائل سلطته إلى الغاية .

٢٤ وفى يوم الاثنين سادس عشر صفر توفى الأمير بيردى الفهلوان الذى قرر

في الدوادارية الثانية فأقام بها مدة يسيرة ومات ، فلما مات أخلع السلطان على
جانم قريب الأشرف قانصوه خمسمائة وقرره في الدوادارية الثانية عوضاً عن
بيبردى الفهلوان بحكم وفاته .

٣

- وفي سلخ هذا الشهر أخلع السلطان على طقطباى العلاى وقرره في نيابة
القلعة عوضاً عن طوخ الحممدى . - وفيه هجم المنسر تحت الليل على سوق الجمelon
وسوق الحشبية (١٢٦ آ) والوراقين ونهبوا منها نحواً من عشرين دكاناً ولم تنتطح
في ذاك شاتان . وراحت على التجار أموالهم . - وفيه ضيق بعض الأمراء الذين
تولوا جباية الأملاك عن السبعة أشهر ، فارسلوا إلى أصحاب الأملاك مهندسين
صحة خاصكى من قبل السلطان ، فظافوا الحارات وهاجموا البيوت وقطعوا أجرة
الأملاك ثانياً ولم يرضوا بما أخذه الأشرف قايتباى بمقتضى وصولات معهم
عما أوردوه في مغرم السبعة أشهر كما تقدم ، فكانت النكسة أمر من الضعف
وأخذوا منهم مظلمة ثانية وشدوا عليهم واستوفوا أجرة ثانية . - وفيه أرسل
السلطان قبض على خوند أصل باى أم الملك الناصر وطلع بها إلى القلعة ووكل
بها عدة من الطواشية وأقامت في الترسيم مدة أيام وقاست غاية البهدة ،
وقرر عليها مال له صورة فلم تورد منه شيئاً وأظهرت العجز ، فرسم السلطان
بنفها إلى مكة فشفع فيها الأمير قرقاس أمير سلاح والأمير طراباى من النقى
وأوردت من المال الذى قرر عليها بعض شىء . - وفي هذا الشهر نفق السلطان
على العسكر نفقة البيعة فنفق على طبقين كالحكم الأول ، فكان مجموع ما نفقه
في هذه المدة على أربعة طباق لا غير . - وفيه تعطلت الأسواق من البيع
والشراء بسبب فلوس جدد ضربها السلطان تخسر في المعاملة الثلث . - وفيه
جاءت الأخبار بقتل كاشف الشرقية قتلوه العرب ، فلما قتل أخلع السلطان
على أقبای وقرره في كشف الشرقية عوضاً عن الذى قتلوه العرب .

وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى بالحوش ، واجتمع القضاة
الأربعة وسائر الأمراء ، وكان يوماً مشهوداً ، وهذا كان أول موالد السلطان . -

٢٤

وفيه انتهت زيادة النيل المبارك إلى سبعة عشر أصبعا من عشرين ذراعاً واستمر ثابتاً إلى نصف بابه .

٣ وفي يوم السبت سابع عشرينه أخلع السلطان على موفق الدين بن القمص القبطي وقرّره في التحدث على أوقاف الزمامية نيابةً عن عبد اللطيف الزمام . -
وفي سلخ هذا الشهر كانت وفاة قاضي القضاة المالكي عبد الغني بن تقي ، وكان عالماً فاضلاً من ذوى البيوت ، مات وهو في عشر السبعين ، وكان لابأس به .
٦ وفي ربيع الآخر جاءت الأخبار من نجر الإسكندرية (١٢٦ ب) بأن الأمير مصر باي اللوادار قد كسر قيده وهرب من البرج ، وقد قيل أن شخصاً من مماليكه يقال له إياس صنع له مبرداً من فولاذ وجعله ضمن موكبة شمع وأدخلها لأستاذه وهو في البرج فبرد به قيده ونزل من أعلا السور ، وأحضر إليه مركبا صغيرا فنزل به وقد سر الله عليه وتمت حيلته فحضر إلى القاهرة في الخفية ،
١٢ فلما أشيع هذا الخبر اضطربت أحوال الأمراء وبقي على رؤسهم منه طيرة وصار الوالي في كل يوم وليلة يكبس بسبيه البيوت والحارات وحصل للناس غاية الضرر .

١٥ وفي جمادى الأولى في يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على العلامة برهان الدين إبراهيم الدميرى وقرّره في قضاء المالكية عوضاً عن ابن تقي بحكم وفاته ، وقد اشتبه على ولاية قاضي القضاة برهان الدين الدميرى هل كانت في شهر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى .

٢١ وفيه قبض السلطان على جماعة من الأمراء منهم قانصوه الفاجر أحد الأمراء الطبلخانات وتانى بك الأيخ وأسناى الأصم وآخرين من الأمراء ، فأرسل قانصوه الفاجر إلى السجن بنجر الإسكندرية ، ثم إن الأتابكي قيت شفع في تانى بك الأيخ وأسناى الأصم .

٢٤ وفيه أخلع السلطان على الأمير علان من قراجا وقرّره في ولاية الشرطة بالقاهرة عوضاً عن طومان باي الجلب ، وأخلع على تانى بك الخازندار وقرّر في

الحسبة على شخص يسمى محمد بن يوسف . وكان جاني أوقاف الجامع المؤيدى .
فقرّره فى نظر الأوقاف كما كان محمد بن العظمة . فحصل للناس منه غاية الضرر
وصار يشوّش على أعيان الناس ويهدّلم وصار يعصده شخص من الأمراء ٣
العشرات حتى لا يحتّمى عليه أحد من الناس . فوقع منه أمور مهولة فى حقّ
الناس : فكان كما يقال :

ما كنت أحسب أن يمتدّ بى زمنى حتى أرى دولة الأوغاد والسفّل ٦
هنا جزاء امرئ أقرّاه دَرَجوا من قبله فتمنّى فُسْحَة الأجل
وفيه وثب العسكر ولبس آلة السلاح . ولم يكن لهذه اركبة سبب : فأسفرت
القضية على أن هذه حيلة على الأمير مصر باى حتى يظهر إن كان هو مخفّيا ٩
بمصر فيظهر : فلمّا علم أنها حيلة عليه لم يظهر : فخدمت تلك الفتنة فى أواخر
النهار عن غير طائل .

وفيه طلع مجد الدين بن كراوية ناظر الدولة وشكى إلى السلطان انشحات ١٢
الديوان وعدم وجود اللحم فوكل (١٢٧ آ) السلطان به بالقلعة ، وأقام نحو من
اثنى عشر يوماً وطباق الممالك معطّلة من اللحوم فضجّ العسكر من ذلك . ثمّ
إنّ السلطان رسم بقطع لحوم أولاد الناس والمباشرين والفقهاء وغير ذلك من ١٥
الناس قاطبة حتى رواتب الخوندات وأن لا يصرف سوى للممالك فقط ، فما عن
قريب حتى وصل الأمير طقطباى من ولىّ اندين وزير الديار المصرية وكان
مسافراً إلى جهة الصعيد فأحضر صحبته اثنى عشر ألف رأس من الغنم . فعذّ ١٨
ذلك من جملة سعد السلطان .

وفيه أخلع السلطان على ناصر الدين الصفدى وقرّره فى نظارة الخصاص ،
عوضاً عن علاى الدين بن الإمام بحكم صرفه عنها . فجمع الصفدى بين وكالة بيت ٢١
المال ونظارة الخصاص كما كان ابن الصابونى .

وفيه نادى السلطان فى القاهرة بأن الأمير مصر باى وبقية الأمراء المخفّين

يظهرون وعليهم أمان الله تعالى ، فلم يظهر سوى جان بردى الغزالي ، فلما ظهر أخلع عليه السلطان وقرّره في حجوبية الحجاب بحلب فخرج عن قريب .

٢ وفي جمادى الآخرة دخل الأتابكي قيت إلى القاهرة وكان توجه إلى نحو العباسية

على سبيل التنزه ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره في موكب حافل . - وفيه أفرج السلطان عن القاضي فخر الدين بن العفيف كاتب

٦ المماليك ، وكان له مدة وهو في الرسم فقرّر عليه مالا وأطلقه وكذلك الصيارف . -

وفيه قبض السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له ألماس فضربه ضرباً مبرحاً ، وضرب معه شخصاً آخر يسمى جاني بك الأشرفي جان بلاط ،

٩ فأت تحت الضرب فوق الخمسمائة عصاة وأرماه في البرج ، وكان سبب ذلك قد

أشيع عنه يرى الفتن بين الأمراء فصار يضربه غير ما مرة . - وفيه جاءت

الأخبار من دمشق بأن أهل الشام قد رجحوا النائب وأخرجوه من البلد ، وكان

١٢ سبب ذلك أن السلطان لما جى أملاك مصر والقاهرة بسبب السبعة أشهر التي

رسم بها فأرسل مراسيم إلى نائب الشام يأخذ أجرة سبعة أشهر من أملاك أهل

الشام ، فجار على أهل الشام بسبب ذلك ، فما طاقوا هذا الحال فرجموه حتى

١٥ أخرجوه من البلد ، وكادت دمشق أن تخرب عن آخرها في هذه الحركة .

وفي رجب كانت وفاة الأمير أقبای الطويل (١٢٧ ب) شاد الشراب خاناه ،

فزل السلطان وصلى عليه وكانت له جنازة حافلة . - وفيه طلع إلى السلطان شخص

١٨ يقال له صلاح الدين بن الجنيد ، وكان أصله رسولا عند ناظر الخاص علاي الدين

ابن الصابوني ، فلما طلع إلى السلطان اجتمع به وعرض عليه قوائم فيها أسماء

جماعة من أعيان التجار ومساكين الناس ، حتى من أعيان النساء المساكين من

٢١ الخوندات والستات ، وقرّر أنه يأخذ على كل رأس من عبد وجارية ديناراً ، ثم

قال للسلطان ألبسنى خلعة وأنا أضمنك مائتي ألف دينار من غير ضرر ولا

أشلة ، فانصاغ السلطان إلى كلامه وأراد أن يلبسه خلعة ، فلما بلغ الأمراء ذلك

- شقّ عليهم وكادت أن تنور فتنة بسبب ذلك : فاستدرك السلطان فارطه وأحضر ذلك الرجل المرافع وضربه بالمقارع وأمر بقطع لسانه وأشهره في القاهرة على جل وهو عريان ، فلما شقّ المدينة كادت العوام أن ترجه أو تحرقه ، ثم توجهوا ٣ به إلى المقشرة فسجن بها وعدّ ذلك من النوادر ، وكان ضربه بالحوش بين يدي الأمراء حتى أرضاهم بذلك .
- وفي يوم الاثنين رابع عشره أخلع السلطان على ولده المقرّ الناصري محمد ٦ وقرّره في شادية الشراب خاناه عوضا عن أقبای الطويل بحكم وفاته ، وكان ابن السلطان حديث السن وقد قامت الأمراء على السلطان حتى قرّره في شادية الشراب خاناه ، وكان القائم في ذلك الأتابكي قيت الرجبي والسلطان يمتنع . - ٩ ومن الحوادث أن السلطان عيّن شخصا من الخاصكية يقال له نانق الخازن بأن يتوجه إلى جهة البلاد الشرقية والغربية ليستوفى على المقطعين ما كانوا أوردوه من الخراج عن السنة التي أفردها السلطان على المقطعين ، فلما توجه ١٢ نانق المذكور إلى هناك ضيّق على الفلاحين وفحص عن أصل خراج كل حصّة وما تعمل في كل سنة من الخراج ، فصارت المقطعون في وجل بسبب ذلك ، ورحل غالب الفلاحين وقد طالهم ببقية الخراج زيادة عما أوردوه المقطعون ١٥ في بيت الأتابكي قيت الرجبي . فأرسلوا الفلاحون يطلبون من المقطعين الرجعات بما أوردوه ببيت الأتابكي قيت ، فغرموا الفلاحون لنانق (١٢٨٧) المذكور جملة من المال حتى حلّ عنهم ، وقد ضاع خراج تلك السنة أيضا على المقطعين بين ١٨ الفلاحين وبين نانق المذكور . ثم آل أمر هذه الحركة إلى السكون ، وقد تقدّم ما وقع لأصحاب الأملاك ما يقرب من ذلك وغرموا مغرما ثانيا كما تقدّم وقد ضاق الأمر على الناس جدّا . - وفيه ضرب السلطان فلوسا جددا وقد نقش عليها ٢١ هيئة شباك ، فوقف أمر الفلوس التي كانت قبل ذلك وصارت السوق لا تأخذ إلا الفلوس التي منتوش عليها الشباك ، فوقف حال الناس وصارت البضائع تباع بـسعرين بسعر من الفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتيق ، وفوق هذا كله ٢٤

ما قرره المحتسب على السوق من مال يردونه في كل شهر ، وقد أحال السلطان بما تقرّر على الحسبة لبعض الأمراء المقدّمين وبعض أمراء عشرات عوضاً ٢ عن الأقاطيع ، وكان ما قرّر على الحسبة في كل شهر فوق الألف دينار وقيل أكثر من ذلك ، وصارت مقرّرة على سائر السوق والطحّانين وغير ذلك ، ومن يومئذٍ تحسّنت سائر البضائع في الأثمان بموجب المشاهدة التي تقرّرت ٦ على السوق .

وفي يوم الخميس تاسعه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الجوامك والأيتام من نساء ورجال ، فلمّا عرضهم قطع عدّة جوامك من له أشرفى أو مائتان ٩ فأخسرّ ذلك بحال الأيتام من نساء وصغار ، ثم قطع عدّة جوامك لجماعة كثيرة من أعيان أولاد الناس والمباشرين ووبخهم بالكلام ، وقطع جوامك جماعة من الأوجاقية ونقباء القصر والسرّآخورية وغلّمان الإسطبل السلطاني ، وسائر ١٢ من له جمكية في باب السلطان من الفقهاء والمتعتمدين حتى جماعة من الخوندات والستات ، فجاعة أبقى لهم النصف من جوامكهم وشيء قطع لهم الجوامك كلّها وصار بالقسم والنصيب ، وكان القائم في هذه المظلمة أيضاً الأتابكي قيت الرجبي ١٥ لا جزاء الله خيراً ، فحصل للناس في ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة بغير طائل ، فكان كما يقال في المعنى :

يا طالب الرزق مهلاً فلا يُسْمِعِكَ تَطْمَعٌ وَتَيْقُ بَرِّ كَرِيمٍ فَاللهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ ١٨ وفيه عيّن السلطان الأمير قانصوه بن سلطان جرّكس بأن يتوجّه إلى الشرقية كاشفاً ، فلمّا توجه إلى هناك لم يقابله من العربان أحد وازدادوا (١٢٨ب) عصياناً فوق عصيانهم وسموه هات لبن ، فأقام بالشرقية نحواً من أربعين يوماً ٢١ ورجع من غير طائل . - وفيه أكمل السلطان نفقة البيعة على العسكر ، وقد طلول العسكر هذه المدّة الطويلة واعتذر عن ذلك حتى جمع الأموال ثم أكمل لهم النفقة بعد ذلك .

وفى أواخر هذا الشهر توفى القاضى زين الدين سالم صاحب ديوان الأتابكى
أزبك من ططخ ، وكان من أعيان المباشرين ورأى غاية العزّ والعظمة فى أيتام
الأتابكى أزبك ، وكان فى سعة من المال وله ثروة زائدة وكان لابأس به ، ومات ٣
وقد جاوز السبعين سنة من العمر . - وفيه توجه الأمير طقطباى وزير الديار
المصرية إلى جهة الصعيد لجمع المغلّ ، فصى الجمعة مع السلطان ونزل من القلعة
فى موكب حافل وصحبته الأمراء المقدّمون ، وكان له يوم مشهود . ٦
وفى رمضان فى يوم مستهلّه نادى السلطان فى القاهرة بأن أولاد الناس
والأيتام من النساء والصغار يطلعون إلى القلعة ، وأشيع بين الناس أن السلطان
يقصد أن يرد جوامك الأيتام التى قطعت وكان قصده ذلك حقيقا ، فلما طلّوا ٩
إلى القلعة لم يمكنه الأتابكى قيت من ذلك ، فردّ فى ذلك اليوم لبعض جماعة من
الماليك ونزلوا البقية خايين من غير طائل ، كما قيل :

سَلِّ الله ربّك من فضله إذا عرضت حاجة مُقلقة ١٢
ولا تسأل التُّرك فى حاجة فأعِيسُنْهُمْ أعين ضَيِّقة

ومن الحوادث أن فى ليلة الاثنين ثانى عشر شهر رمضان طلع الأمراء إلى
القلعة ليفطّروا مع السلطان على العادة ، فلما فطّروا ونزلوا من القلعة ووصلوا ١٥
إلى رأس الصوة وإذا بطائفة من الماليك نحو من اثنى عشر مملوكا قد أحاطوا
بهم ، فأسفرت هذه الواقعة بأن الأمير مصر باى الدوادار ظهر والتفّ عليه طائفة
من أهل الماليك ، فتصد أن يقطع الطريق على الأمراء وهم نازلون من القلعة ١٨
فوقفوا لهم عند باب السلسلة ، فلما نزلوا من القلعة خرج عليهم مصر باى
بمن معه من تلك الماليك اليسيرة فأرموا على الأمراء بالنشأب ، فجرح الأمير
طراباى والأمير تمر الزردكاش لكنه جرح خفيف فما تأثروا له ، ولكن ٢١
قتل (١٢٩٩) فى تلك الليلة شخص بالرملة من الماليك يقال له جانى بك قيل
إنه قرابة الأمير طراباى ، وكان قصد مصر باى قتل أزدمر الدوادار وقيت الرجى

وبقية الأمراء فما قدر على ذلك وانكشف رخه وافتضح ، وكانت هذه غاية الخفة
 من مصر باى ، فلما جرى ذلك اضطربت الأحوال تلك الليلة ولبس العسكر آلة
 ٣ السلاح وباتوا على وجل ، فوقف مصر باى بالرملة ساعة فلم يحضر عنده أحد
 من العسكر ، فنزل من الرملة بغير طائل ، ثم رجع الأمير أزدمر إلى القلعة وبات
 بها عند السلطان تلك الليلة ونزل الأتابكي قيت إلى داره ، وقد أشيع أن السلطان
 ٦ كان مع مصر باى في الباطن ولم يكن لهذا الكلام صحة ، فلما رجع مصر باى من
 الرملة دار على الأمراء تحت الليل فلم يطاوعه أحد على الركوب معه ، فعند
 ذلك توجه إلى الأربكية وبات بها وانتظر أحدا يأتيه من الممالك السلطانية
 ٩ فلم يئى أحد له ، فلما طلع النهار اجتمع عنده بالأربكية نحو من عشرين مملوكا
 أو دون ذلك ، فلما باغ السلطان ذلك أرسل إليه طائفة من الممالك صحبة الأمير
 علان والى القاهرة فحاربوه هناك ، فلم يكن إلا ساعة يسيرة وقد كسر الأمير
 ١٢ مصر باى وقتل بالأربكية أشر قتلة ، فحمله بعض الممالك قدامه على الفرس
 وهو ميت وطلع به إلى القلعة ، فلما عاينه السلطان أمر بدفنه فغسل وكفن
 وصلى عليه ودفن ، وكانت واقعة من أبشع الوقائع وأنحسها ، وقد خطر بباله أنه
 ١٥ يقتل الأمراء ويملك القلعة بهذه الطائفة اليسيرة التي معه من الممالك وهي
 دون عشرين مملوكا ، وكان هذا غاية الخفة منه مع أنه كان من ذوى العقول
 وعنده ثبات جنان ، وكان دينا خيرا وأصله من ممالك الأشرف قايتباى
 ١٨ وساعدته الأقدار حتى ولى الدواديرية الكبرى بمصر في دولة الغورى ، ثم
 قبض عليه وسجن بشعر الإسكندرية ، ثم تسحب من البرج التي كان به مسجونا
 وجرى بسبيه على الناس ما لاخير فيه من كبس بيوت وحارات وغير ذلك ، ثم
 ٢١ ظهر بعد ذلك بالرملة كما تقدم فلم يطب طبة ، وكانت الأمراء على رؤسهم طيرة
 منه ، فلما توجه إلى الأربكية وبات بها وأصبح فجمع صغار باب اللوق ودق له

هناك طبلخاناه ، وكانت طبلخانة فشار ، وآخر الأمر (١٢٩ ب) كسر وقتل في يومه
كما تقدم ذكر ذلك ، فكان كما يقال :

٣ ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وكان الأمير مصرباى سبياً لقتل الملك العادل طومان باى وقد عمل عليه
حيلة حتى أركن إليه ثم غلره حتى قتل ، ووضع رأسه في طبق وأشهره بالرملة
والمشاعلية تنادى عليه وأفحش في حقه إلى الغاية ، فاعن قريب حتى أخذ
مصرباى وجرى عليه شذائد ومحا ، وافتضح وهو طالع إلى القلعة ميت على
فرس وخلفه من يحضنه والناس ينظرون إليه ، وهذا غاية الذل والمجازاة من
جنس للعمل ، كما يقال :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكيله أناخ بآخرينا
فقلّ للشامتين بنا مهينلا ستلقوا عن قريب ما لقينا

١٢ وكان في هذه الواقعة عبرة لمن اعتبر ، فلما قتل مصرباى خمدت تلك الفتنة
وعدّ قتله من جملة سعد السلطان . - ثم في يوم السبت سابع عشر رمضان عرض
السلطان ممالك أقبردى الدوادار ورسم بنى جماعة منهم إلى البلاد الشامية ،
فتقى نحواً من ثمانين مملوكاً فأخرجهم وهم في زناجير من حديد ، وقد أشبع
عنه بالركوب مع مصرباى فبقى لهم ذنب كبير .

وفي شوال لم يثبت روية الحلال إلا بعد العشاء ، وكان العيد بالجمعة ، فحصل

١٨ للسلطان تلك الليلة توعك في جسده فلم يصل صلاة العيد واحتجب عن الناس وكثر
القيل والقال بين الناس في ذلك اليوم . - وفي يوم الاثنين ثامن عشره خرج المحمل
من القاهرة في تجمّل زائد ، وكان أمير ركب المحمل أبطر من ولى الدين أمير
مجلس ، وبالركب الأول الناصرى محمد بن العلاء على بن خاص بك ، فلما خرج
المحمل رسم السلطان بإخراج قائم أخو الظاهر قانصوه محبة الحاج وأن يقيم
بمكة بطلاً ، وكان محبته قانصوه الفاجر . - وفيه أخلع السلطان على أقبای من

يشبك وقرّره في كشف الشرفيّة عوضاً عن قانصوه بن سلطان جركس . -
وفي هذا الشهر تحوّل الأتابكي قيت من بيت الأشرف جان بلاط الذي بحارة
٣ عبد الباسط وسكن بالأزبكيّة في بيت الأتابكي أربك .

وفي ذى القعدة كان ختان ابن علي بن أبي الجود برددار السلطان - أقول : وأمّا
بردداريّة (١٣٠ آ) السلطان فهي وظيفة حادثة لم تعهد في الدول الماضية وإنّما
٦ حدثت في دولة الأشرف قايتباي ، وأوّل من تولى بها محمد بن الحامية ، فلمّا
مات تولّاها من بعده جماعة كثيرة ، واستمرت إلى الآن حتى تولّاها علي بن أبي
الجود ففتك بها فتكا ذريعاً ، فلمّا كان زفة ولده رجّت لها القاهرة وزينت الدكاكين
٩ ووقدوا له الشموع والقناديل من المدرسة الأشرفيّة إلى الصليبية ، ومشى بها أعيان
الناس من المباشرين والتجار حتى تغرى بردى الأستاذار وبعض أمراء عشرات
منهم تغرى برمش وجماعة من الطواشيّة وغير ذلك من الأعيان ، وكان لها يوم
١٢ مشهود مثل دوران المحمل حتى عدّ ذلك من النوادر ، ثمّ اشتر أمر علي بن
أبي الجود من بعد ذلك حتى كان ما سنذكره في موضعه . - وفيه كانت
الأسواق معطّلة والبضائع مشحونة بسبب القلوس الجدد حتى يعمل لهم معدّل .

١٥ وفي ذى الحجة في يوم الخميس رابعه كانت وفاة ناصر الدين بن الصفدي
ناظر الخاصّ ووكيل بيت المال مات فجأة ، قيل طلب منه السلطان مالا فلم يقدر
على ذلك فيقال أنه ابتلع فصاً من الماس فمات من ليلته ، وكان لا بأس به ، وعدّ
١٨ من أعيان مصر . - وفيه فرق السلطان الأضحية على العادة ولكن قطع لجماعة
من الفقهاء والطواشيّة والنساء . - وفيه حضر الأمير طقطباي الوزير وكان
مسافراً نحو بلاد الصعيد ، فلمّا حضر أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره
٢١ في موكب حافل . - وفيه رسم السلطان لعلّ بن أبي الجود بأن يتكلّم
في جهات الخاصّ إلى أن يتولّى من يختاره السلطان عوضاً عن الصفدي . -
وفيه ختم السلطان ضرب الكرة وعزم على الأمراء في الدهيشة ومدّ لهم

أسمطة حافلة . - وفيه توفي القاضي شهاب الدين بن البرقي ، وكان من أعيان نواب الحنفية وله شهرة بين الناس وكان لابأس به .

وفي أواخر هذه السنة صار يحترق في كل ليلة عدة أماكن بالقاهرة بسبب ٣ المريس وحصل للناس الضرر الشامل ، وقد خرجت هذه السنة من الناس وهم في أمر مريب بسبب ما وقع فيها من الفتن والمصادرات ، وكانت سنة كثرت [فيها] (١٣٠ ب) الحوادث والوقائع ، صعبة شديدة ، فانقضت على خير ، انتهى ذلك . ٦

ثم دخلت سنة ثمان وتسعمائة

فيها في المحرم كان خليفة الوقت يومئذ الإمام المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف أبو النصر ٩ قنصوه الغوري . - وأما القضاة الأربعة فالقاضي برهان الدين إبراهيم بن أبي شريف المقدسي الشافعي والقاضي سري الدين عبد البر بن الشحنة الحلبي الحنفي والقاضي البرهان إبراهيم الدميري المالكي والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشيشيني ١٢ الحلبي . - فلما دخلت هذه السنة وتم أمر السلطان في السلطنة وثبتت قواعد دولته قرر الأمراء المقدمين أربعة وعشرين أميراً مقدم ألف منهم أرباب الوظائف وهم : الأتابكي قيت الرجبي أمير كبير وقرقاس من ولي الدين أمير سلاح وأصطمر من ١٥ ولي الدين أمير مجلس وقافي باي قرا من ولي الدين أمير آخور كبير وطراباي الشريف رأس نوبة النوب وأزدر من علي باي دوادار كبير وخاير بك من ملباي حاجب الحجاب وهو أخو قنصوه الرجبي نائب الشام ، فهؤلاء أرباب الوظائف ، ١٨ وأما الأمراء المقدمين الذين بغير وظائف وهم : خشكلدي البيسقي الظاهري خشقدم وقنصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا والأمير سودون العجمي وماماي المحمدي المعروف بجوشن وأنصباي من مصطفى وتمر الحسني وطقطباي ٢١ العللي نائب القلعة وطقطباي من ولي الدين وهو الوزير والأستادار ودولات باي قرموط وقنصوه من طراباي المعروف بكركت وأرزمك الشريفي الناشف

- وأزبك من طراباى المكحل ونوروز من أزبك أخو يشبك الدوادار وأبو يزيد
المحمدى وعلى باى السيفى يشبك الذى كان نائب غزة وخاير بك السيفى أينال
٣ من أينال كاشف الغربية وجانبلاط المحمدى أخو قانصوه البرجى ، انتهى العدد
من ذلك ، ثم قرر من الأمراء الطيلخانات خمسة وسبعين أميراً منهم أرباب
الوظائف عشرة وهم : عبد اللطيف الزمام والحازندار الكبير والمقر الناصرى محمد
٦ ابن السلطان شاد الشراب خاناه (١٣١١) وجانم قريب الأشرف قانصوه خمسمائة
أمير دوادار ثانى ومغلباى الشرىنى الزردكاش الكبير وتمراز جوشن رأس نوبة ثانى
وجان بردى تاجر الممالك وطومان باى قرا حاجب ثانى وقلج من ولى الدين
٩ أمير آخور ثانى وتانى بك من يشبك محتسب القاهرة وخازندار ثانى وعلان
والى القاهرة ويعرف بعلان من قراجا وقانصوه من دولات برضى أستاذار
الصحية ، فهؤلاء أرباب الوظائف ، وأما الأمراء الذين بغير وظائف فهم : قرقاس
١٢ الشرىنى ، وكان الأشرف جان بلاط أنعم على خشكلدى من ولى الدين بتقديمه
ألف وعلى قرقاس الشرىنى فلم يتم لهما ذلك من بعده وآل أمرهما إلى أمرة
طيلخاناه ، وأزدمر من يشبك وخشكلدى من ولى الدين وقانصوه من بردبك
١٥ وجانى بك من أزدمر وبرسباى العلاى وطوخ المحمدى الذى كان نائب القلعة
وقانصوه الإبراهيمى وتانى بك المعروف بالأبج وتانى بك النجمى وقيت الأحوال
ويشبك من تبوك وبرقوق من خجا بردى وشاد بك الناصرى وجانباى المحمدى
١٨ وجان بلاط من ولى الدين أيضاً وقرقاس من يشبك وتمر باى من سيباى
وبكبلات من أقبای وقانى باى من يشبك وجانم الإبراهيمى وأزبك الشرىنى
ومصر باى الشرىنى وطومان باى من طوبزه ونوروز الشرىنى وبلاط من حيدر
٢١ ومامش الرجبى وكرتباى من حيدر ومغلباى من بختجا وجان بلاط من قانصوه
وأصطمر من يشمان وقانى باى من أزدمر وسودون من مصطفى وألماس من
برد بك وقنك من شاد بك وجانم من خضر وجان بردى من قائم وبرسباى
٢٤ الدمرداشى وتمر الإبراهيمى وجانى بك الشرىنى وتم من شاد بك ومامای

- من قيت وقانصوه من يشبك وقان بردى من قانصوه وأرزمك من بردبك
 وتمر باى السيفى قجاس خازندار العادل طومان باى وجانم من قانصوه ومسايد
 من حيدر ويرش من عبد الكريم ومسايد أيضا من قانصوه وجانى بك قرا ٣
 الشريفي وطراباى الشريفي وقايتباى من جاني بك المعروف بالأشقر وشادى بك
 اليحايوى وقانصوه من يشبك وتانى بك السيفى أقبرى ودولات باى من
 مصطفى وقانى من سودون الإبراهيمى وجانم (١٣١ ب) من قجاس وطراباى ٦
 من جانم ومغلباى من جانم وه مصر باى الأبو بكرى وجانى بك من حيدر . انتهى
 العدد من ذلك ، ثم قرر الأمراء العشرات مائة وخمسة وثمانين أميرا وهم : عنبر
 مقدم الممالك وخشكلىدى الشريفي وتبك الناصرى وأسنباي من برسباى ٩
 وقراكر الشريفي وجانى باى من يشبك وبكتمر من ولّ الدين وسنقر العلای
 وقلج السيفى قانصوه خمسمائة وجانم السيفى قايتباى وأسنباي من قروس
 وطقتمش السيفى أينال وسيباى الأبو بكرى وأينال من جانم وقانصوه ١٢
 الإبراهيمى وسودون من حيدر ويوسف من مصطفى وعلان من ولّ الدين
 وأقبرى الحسنى وقنبك الشريفي وبهادر من قرقاس وأزدمر من عبد الرحيم
 ويبرى من جانبلاط وبردبك الشريفي ويبرى من كسباى وأركاس السيفى ١٥
 قانصوه وبكباى من قراجا وطوماى باى من مصطفى وأقبرى الشريفي وأينال
 باى من مصطفى وخاير بك من قجاس وجانى بك من مهدى وأقباى السيفى
 يشبك وطوبى الناصرى وبرسباى من بردبك وبكبلات المحمدي وأزدمر من ١٨
 تمرباى ونانق من يخشباى ونوروز من يلباى وشاهين الجمال يوسف ناظر
 الخاص وجانم السيفى قايتباى ونوروز السيفى قانى باى وقنبك السيفى يونس
 ودولات باى الإبراهيمى وجانى باى الحسنى وسنطباى المحمدي وتغرى بردى ٢١
 الشرفى ودولات باى السيفى يشبك وجانى بك من جانبلاط وأزدمر السيفى
 أينال وقانم من نانق وقنبك من قانى باى أمير جندار وقصروه من قانصوه
 وتغرى بردى الترجمان وقرقاس المحمدي وجان بردى من ولّ الدين وتغرى ٢٤

بردى الحسنى وأزدمر المهندار وأزبك النصرانى أمير شكار وقانصوه من أبى
 يزيد وقانصوه الناصرى وأبرك السيفى لاجين ويلباى من على باى وأبو يزيد
 ٣ من قانصوه ومغلباى من إياس ودولات باى المحدثى وقانصوه من جانم وناق
 من أنت وتبك من أزم وقطلوباى من عبد الرحيم وقانى باى من أزم
 وسودون من ولّى الدين وسيباى من جاني باى وأينال من بيردى (١٣٢ آ)
 ٦ وقرقاس الإبراهيمى ومغلباى من حيدر وعلى باى من شبتان وأسنبای اليوسفى
 ودولات باى الإبراهيمى وأزبك من قانصوه ومامای من قييد وجانم من
 قجاس وقانصوه العلاى وقلج الشرىنى وعلى باى من صدقة وبكبلات من
 ٩ قانصوه وإياس المحدثى وقانصوه من يشبك وبرسباى من جاني بك وقانصوه
 من عبد الرحيم وطراباى السيفى أزبك ونوروز العلاى وملاج من برد بك
 ويرشباى السيفى يشبك وجاني باى الحسنى وكريم بردى من قروس وأزبك
 ١٢ من مصطفى وقانصوه من جان بلاط وقرقاس الشرىنى وتمر من ولّى الدين
 ودولات باى من أزبك وأزبك الشرىنى وجان بلاط من مغلباى وبكباى
 السيفى أزبك وتغرى بردى المحدثى وتبك المحدثى وبرد بك السيفى قانى باى
 ١٥ وبيرس من قرقاس وأركماس الإبراهيمى وأركماس السيفى أزبك ويوسف
 البدري كاشف البحيرة وهو الوزير الآن وبيرس من يشبك وخاير بك
 العلاى وأقباى من يشبك وتبك من إياس وجانم من يشبك وقانصوه من جانم
 ١٨ ومصر باى من لاجين وخاير بك الشرىنى وجانم المحدثى وعلى باى السيفى
 خشكلدى وجاني بك الناصرى كاشف منفلوط وجانبلاط الشرىنى وقان بردى
 الشرىنى وأزبك الإبراهيمى وقانم من كرتباى وتغرى برمش السيفى كسباى
 ٢١ وأبرك الشرىنى وجانم من مصطفى وأزبردى من قلج وأقطوه من قانصوه
 ويوسف من مصطفى وقانصوه من عبد الرحيم وتمر باى من حكيم وييسقى
 اليوسفى وأقطوه من يشبك وبرسباى من قراجا وجان بردى من مصطفى وتم

(١١) كزيم : كذا فى الأصل .

(تاريخ ابن إياس ج ٤ - ٣)

- من قاني باى وأقبردى المحمدي وقاني باى من حمزة وأقبردى المحمدي أيضا وبرمش من بيدردي وبرد بك من أيدكي وأسنباي من برد بك وقطلوباي من تمر وقايتباى من طوبرزه وكرتباى السيفي يشبك وقان بردى من قعجاس ٣ وأركامس السيفي قانصوه وتم السيفي أرغون شاه وقراكر من يشبك وجاني بك السيفي برسباى وقراكر السيفي جكم وبكبلات الأوبكرى (١٣٢ ب) ونوروز من ألماس وبرد بك السيفي يشبك وأينال السيفي أزيك وقانصوه ٦ من درويش وتمراز من أينال باى وخشكلى من أركامس وقيت من حيدر وقاني باى الرضافي وجاني بك من ولي الدين وألماس من قردمش وتمرباي السيفي أزيك وجان بلاط من جانم ومغلباي من قيت وتمراز من أقباى وقرقاس ٩ السيفي برد بك ومامش المحمدي وعلى باى السيفي أينال وبرد بك الإبراهيمي وسودون من درويش ومغلباي اليوسفي وأيدكي الشريفي وشاد بك من قانصوه وسيباى من جاني بك وجاني باى المحمدي وقانصوه من قاني باى وقانصوه من ١٢ ولي الدين وقانصوه من ولي الدين أيضا وطراباي من قانصوه وبيرس من قانصوه وخدا بردى الشريفي وشاهين معلم الدبوس ، انتهى العدد من ذلك .
- واجتمع في هذه السنة من الخاصكية ثمان مائة خاصكي على ما قيل ثم تزايد ١٥ عدد الخاصكية فيما بعد حتى صاروا ألف ومائتي خاصكي . - وأما النواب بالبلاد الشامية فكان ممن قرّر بها من أوائل هذه السنة وهم : قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي نائب الشام ، وسيباى المعروف بنائب سيس قرّر في نيابة حلب ، وقرّر ١٨ جانم في نيابة حماة . وقرّر دولات باى قرابة العادل في نيابة طرابلس وكان قبل ذلك نائب الشام ، وفرّ ثم عاد وقرّر في نيابة طرابلس ، وقرّر سودون الدواداري في نيابة صفد ، وقرّر في نيابة غزة قانصوه قرا ويعرف بقانصوه ٢١ الجمل وكان العادل قرّره في نيابة حلب وما تمّ ذلك وهو الآن مقدّم ألف بمصر ، وقرّر ملاح في نيابة القدس ، وقرّر أيدكي في نيابة قطية ، ونائب الإسكندرية قانصوه خمسمائة السيفي يشبك الدوادار ، ونائب دمياط شخص من الأتراك يسمّى ٢٤ فارس المنصوري عثمان ، فهذا كان حكم النواب بالبلاد الشامية في أوائل

هذه السنة ، ثم تغيرت الأحوال من بعد ذلك وانتقلت النيابات إلى آخرين من الأمراء يأتي الكلام عليهم .

- ٣ وأما أرباب الوظائف من المتعممين وهم : القاضي بدر الدين محمود بن أجا الحلبي الحنفى كاتب السر الشريف بالديار المصرية ، والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الجبوش المنصورة ، والقاضى صلاح الدين بن الجيعان مستوفى ديوان الجيش وناظر الخزائن الشريفة ، والقاضى محبى الدين عبد القادر القسروى ناظر الجيش كان وهو الآن ناظر الكسوة الشريفة وناظر الجوالى ، والشهابى أحمد بن الجيعان نائب كاتب (١٣٣ آ) السر ، وشمس الدين محمد بن مزاحم ناظر الاسطبل الشريف ، ومجد الدين بن كراوية ناظر الدولة والصحبة الشريفة ، وكان على بن أبى الجود متحدثا فى جهات الخاص يومئذ من حين توفى ناصر الدين الصفدى ، ثم فى عقيب ذلك تولّى نظارة الخاص علاى الدين بن الإمام وهذه ثانى ولاية وقد راج أمره فى هذه المرة إلى الغاية ، وكان يومئذ القاضى فخر الدين بن العفيف كاتب الممالك السلطانية ، وموفق الدين بن القمص الأسلمى ناظر الذخيرة والمتحدث على أوقاف الزمامية ، وعبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخاناه ، والشرفى يونس النابلسى ناظر الديوان المفرد ، ومحمد بن يوسف ناظر الأوقاف ، وصاحب ديوان الأحباس شمس الدين بن العيسى ، وصاحب ديوان جيش الشام بدر الدين ابن الإنبائى وشريكه يوسف بن السيرجى ، وأما الوظائف التى غير هؤلاء فكان نقيب الجيش يومئذ الشرفى يونس بن الأقرع ، ومعلم المعلمين يومئذ البلدى حسن بن الطولونى انتهى ذلك ، فهذا كان ترتيب دولة الغورى فى أوائل سنة ثمان وتسعمائة ، ثم انتقلت من بعد ذلك الأمور والوظائف إلى جماعة كثيرة من الأمراء والمباشرين يأتي الكلام عليها فى موضعه من ولاية وعزل .

- ٢١ ومن الحوادث فى هذا الشهر أن مضى الخامس عشر من المحرم ولم يعلم للحجاج خبر ولا حضر المبشر ، فكثرت القيل والنال بسبب ذلك ، فلما كان يوم الأحد تاسع عشر حضر هجّان وأخبر أن أحوال الحاج مضطربة إلى الغاية ، وأن

الجازاني ابن أمير مكة قد أظهر العصيان وخرج عن الطاعة ، والتفّ عليه يحيى ابن سبع أمير الينبع ومالك بن روى أمير خليص وطائفة من عرب الحجاز يقال لهم بنى إبراهيم ، قد خرجوا على ركب الحاج الشامي في رابع قبل أن يدخلوا إلى مكة فنهبوا الركب عن آخره وقتلوا الرجال وأسروا النساء وفعلوا بهم ما لا فعله تمرلنك لما دخل إلى الشام ، فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة اضطربت أحوال الناس لهذه الأخبار ثم انقطعت أخبار الحاج مدة طويلة لم يأت من عندهم خبر . - (١٣٣ ب) وفي يوم الخميس ثالث عشر ربه الموافق لرابع مسرى زاد الله في النيل المبارك أربعين أصبعا في يوم واحد ، ثم في يوم الجمعة خامس مسرى زاد الله في النيل المبارك عشرين أصبعا ، ثم أوفى في يوم الأحد ثامن مسرى وزاد عن الوفاء أحد عشر أصبعا ، فكان فتح السد في يوم الاثنين تاسع مسرى الموافق لسابع عشرين المحرم وهو سابق النيل الماضي بيوم واحد والفضل بينهما سبعة عشر أصبعا عن النيل الماضي ، فكان كما قيل :

١٢ النيل قال وقوله إذ قال ملء مسامعي
في غيض من طلب الغلا عمّ البلاد منافع
١٥ وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعي

فلما أوفى توجه الأتابكي قيت الرجبى وفتح السد على العادة ، وكان يوما مشهودا .

١٨ وفي صفر في مستهل نزل الحاج إلى البركة على حين غفلة ، ثم في يوم السبت ثانيه دخل المحمل إلى القاهرة وكان أمير ركب المحمل أصطمر من ولى الدين أمير مجلس ، وبالركب الأول الناصرى محمد بن خاص بك ، ودخل الحاج وهو في غاية النكد بسبب ما جرى على الناس في طريق الحجاز ، وكان من ٢١ ملخص واقعة الحجاج وهو ما استفاض بين الناس أن أصطمر أمير الحاج لما وصل إلى بطن مرو قبل أن يدخل إلى مكة لاقاه الجازاني من هناك ، فأحضى

إليه أصطمر خلعة وقال له إن كنت تستقرّ أمير مكة إحمل للسلطان خمسين ألف دينار ، فقال الجازاني نعم أنا أحمل للسلطان هذا القدر ، فألبسه الخلعة حتى طمّنته ، وقد أظهر العصيان من قبل ذلك وجرى منه أمور شتى ، ثم إن أصطمر أرسل في الدس مكاتبة للشريف بركات أخو الجازاني بأن يجمع العربان ويلاقيه حتى يقبض على الجازاني ، فلما أحسن الجازاني بذلك تسحب تحت الليل من بطن مرو ، وكان أصطمر أرسل قليل الدربة ، فلما تسحب الجازاني لاقى الراكب الشامي في رابع وجرى منهم ما تقدّم ذكره من قتل ونهب وأسر النساء ، فلما دخل الحاجّ إلى مكة وبلغه ذلك اضطربت الأحوال إلى الغاية ووقف الحاجّ بالجبل وهم على وجل من الجازاني وعرب بني إبراهيم ، فلما انتهى الوقوف بالجبل وخرج الحاجّ من مكة قال أصطمر للشريف (١٣٤ آ) بركات أخرج معنا ولاقى الجازاني ، فلما خرج الشريف بركات صحبة الحاجّ ووصل إلى مكان يسمى الدهنة فلاقاه أخوه الجازاني في جمع كثير من عرب بني إبراهيم ، فأرسل الجازاني يقول لأصطمر لا تدخل بيني وبين أخي بركات ودعنا نقتل في بعضنا ونخذ أنت الحاجّ وامضى ، فلم يسمع أصطمر منه ذلك ، ثم حضر يحيى بن سبع أمير البنيغ وصار عونة مع الجازاني ، فاتفقوا مع الشريف بركات ، ودخل أصطمر بينهم ونادى في الركب بأن من كان معه سلاح يحضر عونة على قتال الجازاني ، فاجتمع الجهم الغفير من الجمالة والعكام والضوية فكان بينهم ساعة تشيب منها النواصي وآل الأمر إلى كسرة أصطمر أمير ركب الحمل ، وقتل ممن كان معه من المماليك السلطانية نحو من مائة مملوك غير الغلمان والطفش ، وتمت الكسرة على من كان يركب الحمل في ذلك اليوم ونهب كلّمها فيه حتى عروا النساء من أثوابهنّ وأخذوا عصايهن من على رؤوسهن وقاسين من الشدة ما لا خير منه ، وتخلّف غالب الحاجّ بالبنيغ وصاروا ينزلون في مراكب من البحر الملح ويدخلون إلى القاهرة بعد مدة طويلة وهم في أنحس حال ، وقاسوا في هذه السنة غاية المشقة وجرى عليهم كل سوء . - وقيل أن الجازاني لم يفحش

في حق من بالركب الأول كما فعل بمن في ركب الحمل وقد راعى الناصري محمد ابن خاص بك دون أصطمر وكان متأثرا من أصطمر ؛ فلما جرى ذلك رجع الشريف بركات إلى مكة وهو مهزوم من أخيه الجازاني ، فلما رجع من ٣ بقى من الحجاج إلى الأزنم وجدوا الآبار قد رُدّت بالحجارة فمات من الحجاج جماعة كثيرة بالعطش ، فلما وصلوا الحجاج إلى العقبة لاقاهم جماعة من عربان بني لام فعوقبهم عن طلوع العقبة وأفردوا عليهم ثلاثة آلاف دينار فجبي أمير ٦ الحاج ذلك من الحجاج ودفعها للعرب حتى مكنوهم من طلوع العقبة ، ودخلوا إلى بركة الحاج وهم في أسوأ حال ، فلما طلع الأمير أصطمر والناصرى محمد بن خاص بك إلى القلعة ووقفوا بين يدي السلطان وبخهما بالكلام بسبب ما جرى ٩ على الحجاج من الجازاني وابن سبع ، ثم رسم بإدخال أصطمر (١٣٤ ب) إلى قاعة البحرة ورسم أيضا على الناصري محمد بن خاص بك ووكل به ، ثم أرسل بالقبض على قاضي القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة ووكل به وقد وشى به ١٢ عند السلطان بأنه كاتب يحيى بن سبع وأيقظه بأن السلطان يقصد القبض عليه فأوسع خياله حتى عصاه على ما قيل ، وكذلك قبض السلطان على أزدمر المهمندار قيل أن يحيى بن سبع كاتبه ولم يعلم السلطان بذلك ، فصار لكل واحد منهم ذنب ١٥ واستمر الحال على ذلك .

وفي الثلاثاء خامس صفر توفى جان بلاط المحمدي أحد مقدمى الألوف وهو أخو قانصوه البرجى نائب الشام ، فلما مات دفن في تربة أخيه خاير بك التى ١٨ أنشأها بباب الوزير ، وكانت مدته في التقديم يسيرة ومات عقيب ذلك . — وفي تاسع صفر رسم السلطان بإخراج أصطمر منفيا إلى ثغر دمياط ، فنزل من القلعة بعد العشاء وتوجهوا به إلى البحر وسار في مركب إلى دمياط وهو ٢١ مقيّد بقيد ثقيل ، وأما قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة فرسم السلطان بنفيه إلى قوص ، وكان بيت نقيب الجيش هو وأزدمر المهمندار فشفع فيهما الأتابكى

- قيت الرجي ، ثم بعد أيام أخلع السلطان على القاضي عبد البرّ وأعاده إلى القضاء على عادته ، وشفع في أزدمر المهندار أيضا - وأما الناصري محمد بن خاصّ بك فإنه أقام في التوكيل مدة أيام وقرّر عليه السلطان عشرين ألف دينار ، واستمرّ على ذلك حتى ضمنه الأمير قرقاس أمير سلاح وتسلمه من السلطان وشفع فيه حتى حطّ عنه خمسة آلاف دينار ، واستمرّ عند قرقاس في الرسم نحوًا من ثلاثة أشهر حتى غلق ما قرّر عليه من المال وأتى إلى بيته وحصل له غاية الضرر .
- وفي أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من حلب أن خارجيًا تحرّك على البلاد يقال له شاه إسماعيل الصوفي ، فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة اضطربت الأحوال وجمع السلطان الأمراء وضربوا مشورة في أمر الصوفي وعيّن السلطان تجريدة ، ثم إنه قبض على جماعة من المباشرين ووزّع عليهم مالا له صورة بسبب أمر التجريدة ، فقبض على الشهابي أحمد ناظر الجيش وسلمه إلى الأمير طراباي رأس نوبة النوب فعرضه للضرب غير ما مرّة حتى أورد ما قرّر عليه من المال ، وقبض على صلاح الدين بن الحيعان ووكل به بالقلعة ، (١٣٥٠) وقبض على فخر الدين بن العفيف كاتب الماليك ، وقبض على موفق الدين بن القمص القبطي ووكل به بالقلعة . وقبض على عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخانه وقرّر عليه مالا له صورة فلم يثر به فضربه بالحوش ضربا مبرحا ، وضرب أيضا موفق الدين بن القمص وفخر الدين كاتب الماليك ، وقبض أيضا على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاسطبل فأقاموا هؤلاء في التراسيم والضرب حتى غلقوا ما قرّر عليهم من المال . - ثم في أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من حلب بأن عسكر الصوفي رجع إلى بلاده وخمدت فتنته وبطل أمر التجريدة ولكن استمرت المصادرات عمالة في المباشرين وغير ذلك .
- ومن الحوادث أن في ليلة السبت ثالث عشرين هذا الشهر هجم المنسر على سكّان المسطاحي التي بجوار قنطرة الحاجب ، فقتلوا من الخفراء واحدا ونهبوا (١٦) فلم يثر به : يعني لم يتم به .

عدّة بيوت ، ثمّ دخلوا إلى الجسر الذى بجوار بركة الرطلى وكان النيل فى قوة الزيادة والجسر عامرا بالسكّان فخطفوا عدّة عمائم وشدود ، وكانوا نحو من ستين رجلا ومعهم قسيّ ونشّاب فمطعوا تلك الليلة فى الجسر والمسطاحى وقام ٣ العياط من الطيقان وكانت ليلة مهولة . فلما بلغ علان وإلى القاهرة ما جرى بالجسر تلك الليلة أخذ جماعة من المماليك وساق خلف المنسر بطول الليل فظفر منهم بثمانية أنفُس فقبض عليهم من ناي وطنان وهرب الباقيون ، فلما طلع ٦ النهار وصل بهم إلى باب القلعة ثمّ عرضهم على السلطان فرسم بشنقهم على قنطرة الحاجب فسمّروهم على جمال وطاقوا بهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود ، فأتوا بهم إلى قنطرة الحاجب فشق منهم جماعة ووسط منهم جماعة وانطلقت لهم ٩ الزغاريت من النساء ، ولبس علان الوالى خلعة حافلة فى ذلك اليوم اكونه يتّضّ وجهه وقبض على المنسر فى ليلته ، وعدّ ذلك من النوادر ، كما يقال :

كأنّ فجّاج الأرض يُمناك إن يسرّ بها خائفٌ تُجمّع عليه الأناملُ ١٢
فأين يفرّ المرءُ منك بجُرمه إذا كان تُطوى فى يديك المراحلُ

وفى يوم الاثنين خامس عشرين هذا الشهر كانت وفاة القاضي (١٣٥ ب)

بدر الدين محمد النويرى الحنفى أحد نواب الحكم ، وكان عالما فاضلا رئيسا ١٥ حشما لا بأس به .

وفى ربيع الأوّل فى مسهله أفرج السلطان عن صلاح الدين بن الجيعان ونزل إلى داره ، وكان فى الترسيم بسبب ما قرّر عليه من المال وقد أشرف على ١٨ تغليق ذلك - وفى يوم الخميس خامسه أخلع السلطان على الأمير سودون العجمى وقرّره فى أمرة مجلس عوضا عن أصطمر من ولىّ الدين بحكم توجهه إلى دميّاط . - وفيما بعد توفى الجمالى يوسف بن الزرازيرى كاشف الوجه ٢١

القبلى ، وتولى الوزارة أيضاً ، بالمقشرة مغضوبا عليه وقاسى شدائد ومحن ، وكان
 لا بأس به . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالحوش واجتمع به القضاة
 ٢ الأربعة ، ومن الأمراء المقدّمين أربعة وعشرون ، حتى عدّ ذلك من النوادر الغربية . -
 ومن الحوادث أن فى ليلة تفرقة الجامكية طلع حمل المال من حارة زويلة وقت
 صلاة الفجر ، فلما وصلوا به إلى رأس البندقيتين فى أثناء الزقاق المظلم خرج
 ٦ عليهم جماعة من الأتراك فى زى العرب فحاشوا البغل الذى عليه المال برسم
 الجامكية واقتلعوه من الموكل به وربما أشيع قتله فأخذوا البغل بما عليه
 من المال ومضوا ، ولم تنتطح فى ذلك شاتان ، وكان قدر المبلغ اثنى عشر ألف
 ٩ دينار مما جمعه على بن أبى الجود من وجوه المصادرات بالضرب والحبس لأعيان
 التجّار ومشاهير الناس وغير ذلك فذهب ذلك المال ولم ينتفعوا به ، فكان كما يقال :
 لست أعطى فى حرام أبدا إلا حراما

١٢ وفى أواخر هذا الشهر أكمل السلطان نفقة البيعة على الجند وقد طاولهم
 نحو من سنة ونصف وهو محتج بجمع المال حتى راج أمره فى السلطنة وتمّت
 قواعد دولته ، وكان هذا بتدبير الأتابكى قيت الرجبى حتى خمدت تلك الفتن
 ١٥ القائمة . - ومن الحوادث أن فى يوم السبت سلخ هذا الشهر طلع الأمير أزدمر
 الدوادار إلى القلعة وقت صلاة الصبح ، فلما وصل إلى باب القلعة التى بالقلعة
 فلم يشعر إلا وقد جاء سهم نشاب من بعض طباق المماليك (١٣٦ آ) فجاء
 ١٨ السهم من تحت إبطه فأخرق الملوطة التى عليه ، فلما جرى ذلك أخذ السهم
 النشاب ودخل به إلى السلطان قال له إن كنت تقصد قتلى فلا تخلى المماليك
 الجلبان يقتلونى ، فحلف السلطان على المصحف الشريف أن لم يكن له علم
 ٢١ بذلك ولا جرّة ، ثم بعث خلف أغوات الطباق وضرب منهم جماعة وقرّهم عن
 من فعل ذلك فأسفرت القضية على أن شخصا من المماليك قيل هو أخو الأتابكى

١ قيت الرجبى الذى فعل ذلك ، فأمر السلطان بنفيه إلى الشام فخرج من يومه ، وكان هذا المملوك من شرار المماليك وقيل له عدة قتلاء .

٢ وفى ربيع الآخر فى يوم مستهله طلع ابن أبى الرداد وثبت النيل المبارك على خمسة أصابع من عشرين ذراعا ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك . - وفيه كسفت الشمس عند طلوعها وقت الإشراق وأقامت على ذلك ساعة حتى انجلت . - وفيه جاءت الأخبار من نجر الإسكندرية ب وفاة نائبها قانصوه نجمائة ، وكان أصله ٦ من ممالك يشبك الدوادار ، وكان لا بأس به .

وفى ليلة الأحد رابع عشره خسف جرم القمر أيضاً ، فكان بين كسوف

الشمس وخسوف القمر أياما قلائل ، حتى عدّ ذلك من النوادر . - وفيه رسم ٩ السلطان بشق شخص من أهل حلب انكسر عليه مال فشتمه على باب زويلة وهذا أول ما نفذه من أمر القتل فى أيام دولته . - وفيه أفرج السلطان عن

فخر الدين كاتب الممالك ، وكان له مدة فى الترسيم حتى غلق ما قرر عليه ١٢ من المال ، واستمر على وظيفته . - وفيه أخلع السلطان على تانى بك النجمى أحد الأمراء الطبلخانات وقرّره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن قانصوه نجمائة بحكم وفاته . - وفيه رسم السلطان بشق التاجر ابن الملقى وشخص آخر من ١٥

الأتراك قيل أنه كان خازندارا لجانى بك الشامى ، وكان جانى بك الشامى محتفيا فلم يقرّ بمكانه فسمره السلطان على جمل هو وابن الملقى ونزلوا بهما من القلعة ،

فأرسل الأتابكى قيت شفع فيهما فتوجهوا بهما إلى المقشرة فسجنوا بها . - ١٨ وفيه قبض السلطان على محمد بن يوسف ناظر الأوقاف وسجنه بالعرقانة بسبب مال قد انكسر عليه ولم يتم به . - وفيه غمز على جانى بك الشامى وخاير بك

اللاى فى مكان عند المدرسة القجماسية ، فتوجه إليهما علان والى القاهرة وهجم ٢١ ذلك (١٣٦ ب) المكان وكانا فى ربيع هناك ، فقبض على جانى بك الشامى وخاير بك اللاى وعلى صاحب البيت الذى كانا فيه ، وكان صاحب البيت يبيع

(٢) قتلاء : يعنى قتل . (١٤) الطبلخانات : العشرات (انظر ص ٣١ من ١٦) .

- البطيخ ، فلما قبضوا عليهما وطلعوا بهما إلى القلعة رسم السلطان بتوسيطهما عند سلم المدرج فوسّطوا خاير بك اللاتى وجانى بك الشامى هناك ، ثم رسم السلطان بشنق صاحب البيت الذى وُجدوا فيه فشُنق على دكّانه وراح ظلما ، فكان كما يقال :
- ٢ من لا تجانسه إحذر تجالسه فالشمع آفته من صُحبة الفِتَل
- وكان أصل جانى [بك] الشامى وخاير بك اللاتى من ممالك الأمير أقبردى
- ٦ الدوادار ، وكانا يعرفان بالشجاعة والإقدام فى الحرب لا يفرعان من الموت ، فلما تسلطن الغورى قبض عليهما وقبدهما وسجنهما فى البرج التى بالقلعة ، فلما كان ليلة وفاء النيل فى عام سنة سبع وتسعمائة تسحباً من البرج وكسرا قيودهما وقتلا السجّان ونزلا من القلعة وقت الظهر والناس مقيّلة ، واستمرّوا فى اختفاء وهما بالقاهرة ، فكان السلطان والأمراء على رؤسهم الطيرة منهما ولا سيما الأمير طراباى ، وصار الوالى يكبس البيوت والحارات لأجلهما واستمرّوا على ذلك مدّة طويلة حتى ظفروا بهما ، وجرى منهما أمور غريبة فى مدّة اختفائهما حتى قيل أنهما اللذان قطعاً الطريق على حمل الجامكية وهو خارج من حارة زويلة وقد تقدم ذكر ذلك ، وكانت الأمراء فى وجل منهما . -
- ١٥ ومن الحوادث أن الأمير طقطبى الأستاذار حسنّ للسلطان أن يبطل المعتدات التى كانت فى الديوان المفرد ، فأضّر ذلك بحال المقطعين . - وفيه أفرج السلطان عن الشهابى أحمد ناظر الجيش وألبسه خلعة ونزل إلى داره ، وكان له نحو من ثلاثة أشهر وهو فى التوكل به فى بيت الأمير طراباى بسبب المصادرة كما تقدّم ، فباع أملاكه وغيظه الذى أنشأه بفم الخور ، وباع أشياء كثيرة من وقف والده حتى سدّ ذلك القدر الذى قرّر عليه . - وفيه أفرج أيضا عن الناصرى محمد بن خاصّ بك وكان له نحو من ثلاثة أشهر وهو فى الترسيم ببيت الأمير قرقاس أمير سلاح حتى أورد ما قرّر عليه من المال وهو خمسة عشر ألف (١٣٧ ت) دينار ، وكان فى هذا الأمر مظلوماً .

وفى جمادى الأولى فى يوم مستهله أخلع السلطان على على بن أبى الجود
 وقرّره فى نظر الأوقاف عوضا عن محمد بن يوسف ، فزايدت عظمة على بن
 أبى الجود ولبس الطوق وركب الخيول بالأخفاف والمهاميز وصار يعدّ ٣
 من جملة رؤساء مصر ، فاجتمع فيه وكالة بيت المال ونظر الأوقاف وبرددارية
 السلطان وتكلّم فى ديوان الوزارة والأستادارية وديوان الخالص وغير ذلك
 من الوظائف ، فاجتمعت فيه الكلمة وتصرف فى أمر المملكة بما يختار ٦
 وقع صائر المباشرين وصاروا فى خدمته الناس قاطبة ولا يحتّمى عليه أحد
 من التجّار ولا المباشرين ، فأظهر الظلم الفاحش بالديار المصرية حتى فاق
 على هناد الذى أحدث المظالم ، فكان الناس على رؤسهم طيرة منه ودخل ٩
 فى ظروبهم الرعب الشديد بسببه ، فكان العبد يرافع سيّده ويشكوه من باب
 على بن أبى الجود فينتصف العبد على سيّده ، وكذلك المرأة إذا تخاصمت مع
 زوجها تشكوه من باب على بن أبى الجود ، وكان من له عدو يشكوه من بابه ١٢
 ويكذب عليه ويقول هذا لى مال فيسلب نعمة ذلك الرجل ويأخذ منه ما
 لا يقدر عليه ، فأطلق فى الناس النار وصار على بابه نحو من مائة رسول ،
 فكانت أرباب الصنائع ترك أشغالها ويعملون رسلا على باب ابن أبى الجود ١٥
 وصار غالب الناس لا يشكون خصمائهم إلا من باب على بن أبى الجود حتى صار
 بابه أعظم من أبواب أرباب الوظائف من الأمراء المقدمين ، وكان هذا أكبر
 أسباب الفساد فى حق على بن أبى الجود كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . ١٨
 وفى هذه الأيام تزايد ظلم على بن أبى الجود حتى شاع ذكره فى بلاد ابن عثمان
 ملك الروم وفى بلاد الشرق من ديار بكر وغير ذلك من البلاد بسبب مصادرات
 تجّار الأروام وجوره عليهم ، وكان السلطان قرّر على على بن أبى الجود فى كل ٢١
 شهر اثنى عشر ألف دينار يردها على الجوامك ليس تحتها جهة من الجهات وإنما

هى من أبواب المظالم ، فطاش ابن أبى الجود فى تلك الأيام إلى الغاية وعادى
(١٣٧ ب) أرباب الدولة قاطبة من أمير ومباشر وغير ذلك حتى ملوك الشرق
٣ لأجل تجار الأروام مما يشكون منه من كثرة المصادرات لهم ، وكان هذا كله
دمارا فى حقه ، كما قد قيل :

أقول له إذ طيشته رياسة رويّتك لا تعجل فقد غلط الدهر
٦ ترفق يراجع فيك دهرك رأيه فما سدت إلا والزمان به سكر
وقد قلت فيه أيضا :

بالذى أركبك البغلة بعد المشى حاف
وكسى جسمك بعد السعري خزا ونصاف
لايكن خلّقتك يوماً يا علای الدين جاف
٩ وكان أصله سوقى من الصليبة ، قيل فى الأمثال :

ما طاب فرع أصله خيث ولا زكى من مجده حديث
١٢ وكان أبوه أصله نجار يقال له المعلم حسن ثم تعلق على صنعة الحلوى وسمى
نفسه أبو الجود وأقام مدة طويلة يبيع الحلوى على باب حمام شيخو ، واستمر
١٥ على ذلك حتى مات ، فاستقر ابنه على فى دكانه وكان يقلى المشبك بيده فى رمضان
واستمر على ذلك مدة طويلة ، ثم إنه تكلم فى بعض جهات الوزر وأبطل بيع
الحلوى ، ثم بقى برددارا عنده تغرى بردى الأستاذار ثم سعى فى برددارية الأمير
١٨ طومان باى لما كان دوادارا كبيرا ، فلما تسلطن وقرر فى الدوادارية الكبرى
الأمير قانصوه الغورى سعى عنده فى البرددارية ، فلما تسلطن الغورى حظى
عنده وطاش وجرى منه ما تقدّم ذكره وجار على الناس بالظلم ، حتى أخرب
٢١ ثغر الإسكندرية ودمياط وبندر جدة وغير ذلك من الثغور بسبب مصادرات
التجار ، فنلاشى أمر الثغور والبنادر من يومئذ وتضاعفت أمر المكوس جدا

حتى تجاوزت الحد في ذلك ، فهابت الناس على بن أبي الجود قاطبة وصارت له حرمة وافرة بمصر . فكان كما يقال في المعنى :

إذا ما اللئيم رقا رتبةً تملق له وانتظر وَضَعَهَا ٣
وقبل يدها إذا مدها إذا كنت لم تستطع قطعها

وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ابن عثمان ملك الروم وصحبته مقدمة حافلة إلى السلطان ، فأوكب السلطان في ذلك اليوم (١٣٨ هـ) موكبا عظيما ٦ بالخيول ، وكان يوما مشهودا .

وفي جمادى الآخرة عزم السلطان على قاصد ابن عثمان في الميدان الذي تحت القلعة ، وأحضر في ذلك اليوم عدة ممالك يرمون بالنشاب على الخيل ٩ ونصب لهم هناك القبق يرمون عليه وأحرق النفط بالنهار قدام القاصد ، وكان يوما مشهودا . - وفيه رسم السلطان بشنق شخص من مشايخ عربان بنى وائل يقال له شرف الدين بن موسى فشنقه على باب زويلة . - وفي سابع عشره ١٢ كانت وفاة الشيخ العارف بالله برهان الدين إبراهيم المواهبي الشاذلي تلميذ الشيخ العارف بالله أبي الصفا محمد بن أحمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفاي المعروف بأبي المواهب ، قدس الله روحه ، وكان الشيخ إبراهيم عالما فاضلا وارعاً ١٥ زاهدا من أعيان مشايخ الصوفية ، وكان لا بأس به .

وفي رجب في خامسه توفي الأمير طقطبای من ولى الدين أحد المقدمين الألوفا وزير الديار المصرية وأستادار العالية ، وكان ظالما غاشما كثير الأذى جاها ١٨ لا يعرف الحلال من الحرام ، وهو الذى كان سببا لقطع المعتدات التى كانت تخرج من الديوان المفرد وكانت الملوك تسامح بذلك في الدولة الماضية فقطع ذلك في هذه الدولة وحصل للمقطعين بسبب ذلك الضرر الشامل . - وفيه ٢١ في يوم السبت خامس عشره توفي الأمير خشكلى البيسى الظاهرى خشقدم ، وكان أميرا جليلا ذبنا خيرا من ذوى العقول ، تولى من الوظائف رأس تربة التوب ثم بقى أمير مجلس ثم صرف عن أمرة مجلس وبقى مقدم ألف ومات ٢٤

عقيب ذلك ، وقاسى فى أثناء عمره شدائد ومحن وتوفى إلى الشام وأقام بها مدة طويلة ثم عاد إلى مصر وبقى أمير مجلس ومات فى عشر السبعين من العمر ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الثلاثاء حادى عشره توجه الأمير أزدمر الدوادار إلى نحو قناطر العشرة ، وكان فى زمن الربيع ، فعزم على قاصد ابن عثمان هناك ومد له أسمطة حافلة وأظهر العظمة من الفتك هناك إلى الغاية ، وأقام من يوم الثلاثاء إلى يوم السبت وهو فى أرغد (١٣٨ ب) عيش ثم عاد إلى داره . - وفيه عزم السلطان على قاصد ابن عثمان فى الميدان وأضافه وألبسه خلعة السفر . - وفيه فى يوم الأحد ثالث عشرينه توفى الأمير شاد بك الفهلوان أحد الأمراء العشرات مات فجأة ، وكان لا بأس به .

وفى شعبان أخلع السلطان على الأمير أزدمر الدوادار وقرره كاشف الكشف مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى . - وفى يوم الجمعة ثالث عشره توفى والدى المرحوم الشهابى أحمد بن المرحوم إياس الفخرى من جنيد ، وكان أصله من ممالك الظاهر برقوق وقرر دوادار ثانى فى دولة الناصر فرج بن برقوق ، وأما والدى فإنه عاش من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ، وجاءت من الأولاد خمسة وعشرون ولدا ما بين ذكور وإناث غير المسقوط وعاش له من ذلك ثلاثة أولاد صبيان وبنات ، وكان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة رحمة الله عليه ، وكان من مشاهير أبناء الناس . - وفيه أخلع السلطان على الأمير تغرى برمش وقرره فى الوزارة عوضا عن طقطباى بحكم وفاته ، وقرر الأمير تغرى بردى فى الاستادارية عوضا عن طقطباى أيضا ، وكان على بن أبى الجود هو المشار إليه فى الديوانين وتزايدت عظمته جدا . -

وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الجازانى ابن أمير مكة تحارب مع أخيه الشريف بركات فكسره ، ثم إن الجازانى جمع عربان بنى إبراهيم وهجم على مكة ولعب فى أهلها بالسيف ونهب أموال التجار والسرحدات التى بمكة :

(١) شدائد ومحن : شديدا ومحن .

فكان الشخص الواحد من بني إبراهيم إذا غرس ربحه على باب بيت من بيوت مكة أو سرحة فيملك جميع ما فيها من قماش أو بضائع أو بهار ويخرج صاحب البيت بمفرده لا مال ولا قماش وربما يقتلونه . ثم إن الجازاني هجم على تاني بك ٢ الجهمي الذي كان أتابك العسكر بمصر ونفى إلى مكة فلما هجم عليه طلب منه مالا فاعتذر عن ذلك فربط محاشمه بوتر واستمر يعاقبه إلى أن مات وأخذ ماله ، وهجم على الناصري محمد بن جانم نائب الشام فأخذ ما في داره من أثاث ٦ (١٣٩٩) وقماش وغير ذلك فمات الناصري محمد بن جانم من الرجفة عقيب ذلك هو وأمه خوند الجركسية زوجة الظاهر جقمق ، وهجم على الشهابي أحمد ابن العيني وكان مجاورا بمكة فنهب جميع ما في داره وهرب ابن العيني هو وعياله ٩ إلى نحو المدينة الشريفة ، وهجم على دولات باي السيني قنك باش المجاورين ونهب جميع ما في داره ، وقتل جماعة كثيرة من المجاورين ومن أهل مكة نحوا من سبعمائة إنسان حتى هرب غالب أهل مكة وحضر إلى القاهرة من البحر الملح ١٢ والذي تخلف بمكة اشتروا أنفسهم منه بمال جزيل ، وكانت واقعة الجازاني من أبشع الوقائع وأنحسها ، وقد قلت في المعنى :

١٥ تقول مكة واحرباه مما جرى من جازاني
سيأخذوا ربي وأقول هذا جزاء من جازاني

وقد كادت مكة أن تخرب في هذه الواقعة عن آخرها ، وتقرب واقعة الجازاني من واقعة أبي ظاهر القرمطي وما فعله بمكة من النهب وقتل الناس ، ١٨ وكان ذلك في زمن الخليفة المقتدر بالله خليفة بغداد سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، وقد انقطع الحج من بغداد وغيرها من البلاد نحوا من تسع عشرة سنة لم يحج فيها أحد إلى مكة وانقطع بسبب ذلك هذه المدة ، وكانت هذه الواقعة من أعظم ٢١ المصائب الكبار وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا في الجزء الثاني من تاريخ الخلفاء انتهى ذلك . - فلما بلغ [السلطان] هذه الأخبار اضطربت أحواله إلى الغاية وعين الأتابكي

قيت الرجبي أمير ركب الحمل ، وعين أنص باي أحد المقدّمين بالركب الأوّل ، وعين صحبتهم نحوًا من ستمائة مملوك من المماليك السلطانية ، ثم بعد أيام نفق على المماليك المعينة إلى مكة لكلّ مملوك مائة دينار وأخذوا في أسباب عمل ٣ يرقهم إلى السفر ، ثم [إن] السلطان رسم لأقبای كاشف الشرقية بأن يرمى على بلاد المقطعين جمالا بسبب التجريدة المعينة إلى مكة ، فشرع يرمى على كلّ بلد جلين ٦ أو ثمن ذلك خمسين دينارًا فأضرّ ذلك بحال المقطعين ، وقطع هذا القدر من خراجهم وخربت عدّة بلاد بسبب ذلك .

وفي رمضان عرض السلطان (١٣٩ ب) المحابيس من الرجال والنساء وأطلق ٩ منهم جماعة وأبقى أصحاب الجرائم على حالهم . - وفي يوم السبت سابع عشرين رمضان عرض السلطان كسوة الكعبة الشريفة والحمل وخاع العيد ، وكان يوما مشهودا . - وفي سلخ هذا الشهر تغيّر خاطر السلطان على العلای علی بن أبي الجود ووكل به بطبقة الخازندار ، ثم قبض على حاشيته وغلمانته وختم على حواصله وبيوته ورسم على نسائه وأحاط به البلاء من كلّ جانب ، وكان هذا آخر سعده وأوّل عكسه ، فكان كما يقال :

١٥ إذا كنت في نعمة فارّعها فإن المعاصي تزيل النعم
وإذا تمّ أمره بدا نقصه توقّ زوالاً إذا قيل تمّ

واستمرّ علی بن أبي الجود في التوكل به مدّة أیام حتى كان من أمره ١٨ ما سنذكره في موضعه .

وفي شوال أشيع أمر الركوب على السلطان ووزّعوا الناس قماشهم في الحواصل ، فلما بلغ السلطان ذلك أحضر المصحف العثماني وحلف عليه سائر الأمراء بمحضرة قاضي القضاة المالكي برهان الدين الدميري ، فلما حلفوا حلف ٢١ هولم أيضا أنه لا يمسك منهم أحدا بغير ذنب ، وحلف بعد ذلك المماليك الذين في الطباق طبقة بعد طبقة على المصحف العثماني ، فسكن الأمر قليلا (١٥٠) المعاصي : المعاصي المطالم .

وخمدت تلك الإشاعات الفاسدة . - وفيه أخلع على قانصوه اليحياوى الذى كان أتابك العساكر بغزة ، وقرره فى نيابة حماة عوضا عن جانم الذى كان بها . - وفى يوم الاثنين تاسع عشره أخلع على علاى الدين بن الإمام وقرر فى نظر ٣ الأوقاف مضافا لما بيده من نظارة الخصاص ، وكانت نظارة الأوقاف بيد على بن أبى الجود . - وفيه أخلع على معين الدين بن شمس وقرر فى وكالة بيت المال عوضا عن على بن أبى الجود ، فاجتمع مع معين بن شمس وكالة بيت المال ونظر ٦ البيمارستان المنصورى فعظم أمره جدا . - وفيه أخلع على الحاج بركات بن موسى وكان أباه موسى من العرب وأمه تسمى عنقا ، ثم بقى ركاب الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أيتال ، فاستقر برددار السلطان ومتحدثا على جهات ٩ (١٤٠٠) البُهار وغير ذلك من أمور المملكة عوضا عن على بن أبى الجود ، وهذا أول ظهور بركات بن موسى واشتباره فى الرياسة فعظم أمره جدا وصار معلودا من أعيان رؤساء مصر ، وتزايدت عظمتة من بعد ذلك حتى كان من ١٢ أمره ما سنذكره فى موضعه ، فكان كما يقال فى المعنى :

هذا الزمان على ما فيه من كدرٍ على انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى فى أسافله أشخاص قوم قياماً فى أعاليه ١٥
وكان بركات بن موسى من جملة صبيان البزادرة الذين يحملون الطير على أيديهم . - ثم إن السلطان سلم على بن أبى الجود إلى الحجاج بركات بن موسى ليعاقبه ويستخلص منه الأموال ، فنزلوا بابن أبى الجود من القلعة وهو ١٨ فى الحديد وتوجهوا به إلى دار بركات بن موسى . - وفى يوم الاثنين فى العشرين منه خرج المحمل من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل الأتابكى قيت الرجبي ، وبالركب الأول أنص باى أحد المقدمين ، ثم نادى السلطان فى القاهرة بأن امرأة ٢١ لاتحجّ فى هذه السنة خوفا على الحجاج من فساد العربان وقد تقدم ما فعله الجازانى بمكة . - وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه عرض السلطان على بن أبى

(٨) ثم بقى : جاءت فى الأصل قبل كلمة « وأمه » .

الجود بالحوش وضربه بالمقارع عشرين شيئا حتى خرق جنبه وأشرف على الموت فلم يرث له أحد من الناس بموجب ما كان يفعله من أنواع المظالم بالناس وقد أخذ من الجانب الذى كان يأمن إليه . - وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه خرج الأمير أزدمر الدوادار إلى نحو جبل نابلس بسبب جمع الأموال من مشايخ عربان نابلس كما كان يصنع الأمير أقبردى الدوادار ، فتوجه الأمير أزدمر وصحبته جماعة من الأمراء العشرات والمماليك السلطانية . - وفيه خرج الأمير قرقاس أمير سلاح وتوجه إلى نحو المنزلة بسبب حفر فم البحر الصغير الذى تروى منه جهات المنزلة وما حولها . - ومن الحوادث أن فى أواخر هذا الشهر هجم المنسر على سوق جامع أحمد بن طولون وكسر فى تلك الليلة نحواً من أربعة وعشرين دكاناً ونهبوا ما فيها من قماش وغير ذلك ، فلما جرى ذلك وقف جماعة من التجار ممن أصيب فى ماله إلى السلطان وشكوا له (١٤٠ ب) مما أصابهم من أمر نهب الدكاكين وذهاب أموالهم ، فلما وقفوا إلى السلطان رسم للوالى بتحصيل غرمائهم ، فلا زال يفحص عن فعل ذلك حتى قبض على جماعة منهم نحواً من عشرين نفراً من المنسر فوستطهم الوالى فى وسط سوق جامع ابن طولون ، ولبس علان الوالى خلعة بسبب ذلك . ١٥

وفى ذى القعدة رسم السلطان بنقل على بن أبى الجود إلى بيت الوالى ليعاقبه ، فلما تسلمه الوالى عصره فى رجليه ويديه حتى أورد بعض شيء من المال الذى قرر عليه . - وفى هذا الشهر تزايد الفساد من العربان والعشير فى جهة الشرقية والغربية وجهة الصعيد حتى كادت أن تملك العربان البلاد من أبدى المقطعين ، فعند ذلك جمع السلطان الأمراء فى الدهيشة وضربوا مشورة بسبب فساد أحوال البلاد الشرقية والغربية ، فعين فى ذلك اليوم جماعة من الأمراء بأن يخرجوا لمحاربة العربان وطردهم عن البلاد ، فعين طراباى رأس نوبة النوب إلى جهة الغربية ومعه جماعة من المماليك السلطانية ، وعين الأمير قانى باى

(١) بالحوش : بالحوش . (١٣) بتحصيل : بتحصيل . (٢٠) الأمراء : أن الأمراء .

قرا أمير آخور كبير إلى جهة الشرقية ، وعين خاير بك حاجب الحجاب وقانصوه ابن اللوقا أحد الأمراء المتقدمين إلى جهة الصعيد ، وعين أربك المكحل أحد المتقدمين ودولات باى قرموط أيضا بأن يتوجها إلى جهة البحيرة ، فخرجوا ٣ هؤلاء الأمراء وصحبهم الجمل الغفير من العسكر ، ثم بعد أيام جاءت الأخبار بأن عربان الشرقية قد كسروا الأمير قانى باى أمير آخور كبير وقطعوا طوله وجرح في وجهه ، فعند ذلك أرسل له السلطان نجدة فعين الأمير تمر الزردكاش أحد ٦ الأمراء المتقدمين ومعه جماعة من المماليك السلطانية فتوجهوا إليه .

وفي سابع عشره الموافق لثامن عشر بشنس القبطى فيه خلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة ، وكان غائبا من الأمراء المتقدمين ٩ ثلاثة عشر أميراً فجماعة منهم إلى جهة الحجاز وجماعة مفرقة في البلاد الشرقية والغربية والصعيد وغير ذلك من البلاد ، ثم إن الأمراء الذين توجهوا إلى محاربة العربان صاروا يقطعون رؤوس شبان العرب ويرسلونها إلى القاهرة ١٢ في شلف (١٤١٦) التبن على الجمال ، وأشيع عن الأمير طراباى أنه كان ينشر جماعة من العربان بالمنشار من رؤوسهم إلى أقدامهم وسلخ منهم جماعة كثيرة وراح الصالح [مع الطالع] حتى مهدوا البلاد ، وقتل من العربان زيادة على ألفى ١٥ إنسان ، فن يومئذ سكن الاضطراب الذى كان بالشرقية والغربية قليلا وخف أمر العشير الذى كان طافشا في البلاد .

وفي ذى الحجة حضر إلى الأبواب الشريفة جانم الذى كان نائب حماة وانفصل ١٨ عنها فأكرمه السلطان وأمره بالإقامة في القاهرة . - وفي ليلة عيد النحر من هذا الشهر انتهى العمل من بناء مدرسة السلطان التى أنشأها في الشرايشين ، فعمل هناك في تلك الليلة وليلة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان ٢١ الناس من المباشرين والأمراء ، وحضر في تلك الليلة قراء البلد والوعاظ ومدّ أسمطة حافلة وعمل هناك وقدة حافلة وزينت الدكاكين التى هناك من باب زويلة إلى الشوايين

(٦) الزردكاش : زردكاش . (١٤) ينشر : وينشر . (٢٣) الشوايين : لعله يقصد هنا الشرايشين .

وعلقت تنانيرها فناديل موقودة ، وكانت تلك الليلة من الليالي المشهودة - أقول :
 وكان أصل من بنى أساس هذه المدرسة الطواشي مختص الذي كان رأس نوبة
 ٣ السقا في دولة الظاهر قانصوه خال الملك الناصر محمد ، فلما تسلطن قانصوه
 الغورى تغير خاطره على مختص فقبض عليه وصادره وقرّر عليه مالا له صورة
 فأعطاه هذه المدرسة من جملة ما قرّر عليه من المال وكان بنى منها بعض شيء ،
 ٦ فلما ملكها الغورى هدم ما بناه مختص ثم أوسع في بنائها وأخذ سوق الجملون
 وما حوله من الأسواق ، وتناهى في زخرفها ورخامها وبنائها فجاءت في غاية
 الحسن والظرف والرونق بحيث لم يعمر في عصرنا مثلها ، ولكن شتعت عليه
 ٩ الناس أن مصروف عمارة هذه المدرسة كان من وجوه المظالم ومصادرات
 الناس ، وأخذ غالب رخامها من أما كن شتى بأجنس الأثمان ، وأخرب قاعة
 شموال اليهودى الصيرفي وأخذ رخامها وأبوابها ، وفعل مثل ذلك بعدة قاعات ،
 ١٢ وقد سمى بعض اللطفاء هذه المدرسة المسجد الحرام لما وقع فيها من غصوبة
 الأرض ومصروف العمارة من مال فيه شبهات ، وقد شتّعوا الناس قبله على المؤيد
 شيخ لما بنى جامعته الذى بجوار باب زويلة (١٤١ ب) أكثر ما شتّعوا على الملك
 ١٥ الأشرف قانصوه الغورى ، وأهل مصر ما يطاقون من ألسنتهم إذا أطلقوها
 في حق الناس ، فكان كما قيل :

ومن سوء حظ المرء في الدهر أنه يُلام على أفعاله وهو مُحسن

١٨ ثم إن السلطان رسم باستبدال قيسارية الأمير على التى تجاه جامعته وكانت
 جارية في أوقاف المدرسة الناصرية التى بين القصرين ، فلما استبدلها من الحكندار
 شخص يقال له بره ، هدمها وبنى مكانها القبّة والمدفن والصهريج والسبيل وغير
 ٢١ ذلك [من] الأماكن التى استجدّها ، وقد قلت في معنى ذلك :

بنى الأشرف الغورى للناس جامعاً فضاع ثواب الله فيه لطالبه
 كمثل حمامٍ جُمعت في شباكها متى ألق عنها طار كل لصاحبه

(٢٠) بره : كذا في الأصل .

- وفيه حضر الناصري محمد بن قانصوه البرجى نائب الشام ، وكان السلطان وقع بينه وبين أبيه ، فحضر وعلى يده مقدمة حافلة وشرع يستعطف بمخاطر السلطان ، وكان السلطان منع المكاتبه إليه من المراسيم وغيرها ، فلما حضر ٣ ابن نائب الشام أخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ونزل بدار عمته خاير بك حاجب الحجاب .
- وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه حضر مبشر الحجاج وأخبر أن الأتابكى قيت ٦ طرد عربان بنى إبراهيم عن مكة وهرب الجازانى من وجهه ولم يقابله ، وأنه مهتد مكة وقبض على بركات وأخيه قايتباى وجماعة من أخوته ووضعهم فى الحديد وهو واصل بهم ، فلما تحقق السلطان ذلك أمر بدق الكوسات بالقلعة وعلى أبواب الأمراء ، ونادى فى القاهرة بالزينة سبعة أيام فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الأسواق وأقامت مزينة سبعة أيام ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد . - وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الرحمن الديرى الحنفى ١٢ شيخ الجامع المؤيدى ، وكان عالما فاضلا دينيا خيرا من كبار علماء الحنفية ، ومات وهو فى عشر السبعين من العمر ، وكان الأشرف قايتباى أخرج مشيخة الجامع المؤيدى عن أولاد الديرى وقرر بها الشيخ سيف الدين الحنفى فلما مات قرر ١٥ بها شمس الدين بن الدهانة : (١٤٢ آ) وكان المؤيد شيخ قرر بها شمس الدين الديرى وجعل مشيخة هذا الجامع بيد أولاد الديرى واستمروا على ذلك إلى دولة الأشرف قايتباى ، فلما توفى قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى أخرجت مشيخة ١٨ الجامع عن أولاد الديرى إلى جماعة كثيرة من الحنفية ، واستمروا على ذلك إلى أن تسلطن الغورى فأعاد المشيخة إلى الشيخ بدر الدين بن الديرى كما كان أولا ، فعاد ذلك من محاسن الغورى واستمر بها الشيخ بدر الدين إلى أن مات ، فأخلع السلطان على شخص ٢١ من أبناء العجم يقال له الشيخ حسين الشريف الحنفى فقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن الشيخ بدر الدين بحكم وفاته ، واستمر بها إلى الآن ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسع وتسعمائة

فيها في المحرم جاءت الأخبار من مكة بأن الأتابكي قيت قد قبض على
 ٢ الخازاني ففرح السلطان لهذا الخبر ونادى في القاهرة بإعادة الزينة ، ثم ظهر
 بأن هذا الخبر ليس له صحة وهو باطل ولم يقبض على الخازاني ، فشق على الناس
 إعادة الزينة حين راحت في البطال : - وفيه خرج الأمير تاني بك الخازندار
 ٦ الذي تعين قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فخرج وصحبته هدية حافلة إلى
 ابن عثمان . - وفيه قبض شيخ العرب نجم على شخص من العرب العصاة من
 مشايخ بني حرام يقال له علاي الدين بن قرطام ، فلما قبض عليه قطع رأسه
 ٩ وأرسلها إلى القاهرة ، وقد قبض عليه من جبل الطور وحز رأسه هناك وبعث
 بها إلى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثم نقلت إلى خانقة سرياقوس
 فعلقت بها أياما ، وقد عد قتل ابن قرطام من النواذر فإنه كان في تحصيله فرصة . -
 ١٢ وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بشنق علي بن أبي الجود فشنق
 على باب زويلة واستمر معلقا ثلاثة أيام لم يدفن حتى نتن وجاف ، ثم نزلوا
 به ودفن ، ولم يرث له أحد من الناس ولا ترحم عليه مما سبق منه في حق الناس
 ١٥ من الأفعال الشنيعة كما تقدم ذكر ذلك ، وكان السلطان استصفى أمواله
 وعاقبه وعصره ودق القصص في أصابعه وأحرقها بالنار وقاسى شدائد ومحنا ،
 وكان قد طاش وركب في غير سرجه (١٤٢ ب) وكثر في الناس هرجه فأغواه
 ١٨ الشيطان حتى أطاع أمر السلطان ، ثم إنه أقلب عليه وأخذ من الجانب الذي
 كان يأمن إليه ، فكان كما يقال في المعنى :

ربما يرجو الفتى نفع فتى خوفه أولى به من أمله
 رب من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

٢١

وفي صفر في يوم الثلاثاء ثامنه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى تاسع مسرى ،

(١١) فإنه : فان .

فتوجه الأمير سودون العجمي أمير مجلس وفتح السد على العادة ، وكان الأتابكي قيت غائباً في مكة كما تقدم . - وفي الخميس عاشره دخل الأمراء الذين قد توجهوا إلى الشرقية والغربية بسبب فساد العربان كما تقدم . - وفيه ابتداء ٣ السلطان بعمارة الميدان الذي تحت القلعة فعلاً حيطان صوره وأرمى في أرضه الطين الكثير قدر أربعة أذرع وجعل ذلك في الجهة الغربية من الميدان ، ثم ساوى أرضه وفرش بها النقارة ، ثم شرع في بناء مقعد وبيت بالميدان برسم ٦ المحاكمات ، وأنشأ في الجهة الغربية من الميدان قصراً حافلاً ومنظرة وبحرة وغير ذلك من البناء الفاخر ، ثم شرع في نقل أشجار من سائر الفواكه وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان في الجهة الغربية ، ثم أجرى إليه ٩ المياه من السواقي التي بباب القرافة وأجرى إليه المياه أيضاً من السواقي التي بمحدره البقر ، ثم أنشأ قصراً على باب الميدان مطلاً على الرملة ، وصنع ممشاة من القلعة إلى الميدان بسلام متصلة إلى ذلك القصر المطل على الرملة ، وجعل ١٢ للميدان باباً كبيراً وعليه سلسلة حديد وإلى جانبه باب صغير أيضاً وعليه سلسلة من الحديد مثل الباب الكبير ، ثم أمر بعمارة سبيل المؤمني وعقد سقفه بالحجر النحيت وأنشأ إلى جانبه حوضاً وساقية ، وصنع هناك مغسلاً برسم الأموات ١٥ وميضة وغير ذلك مما ينتفع به ، وقيل أن السلطان أصرف على بناء هذا الميدان من مبتدائه إلى انتهائه نحواً من ثمانين ألف دينار ، ولكن وقع له في بناء هذا الميدان (١٤٣ آ) أمور غريبة لم تقع لأحد قبله من الملوك وكان غالب ١٨ مواكبه به ، ووقع له به محاكمات غريبة وأوقات عجيبة يأتي الكلام عليها في مواضعه .

وفي ربيع الأول في يوم الخميس ثانيه دخل الأتابكي قيت الرجبي وصحبته ٢١ الحجاج الذين حجوا معه تلك السنة ، فلما دخل إلى القاهرة كان له يوم مشهود وكان صحبته أولاد أمير مكة وهم الشريف بركات وأخوه قايتباي وبقيّة أخوته والوزير عنقا وأخوه وهم الجميع في زناجير حديد ، فما شكر الأتابكي قيت على ٢٤

٣ تلك الفعلة فلم يقدر على تحصيل الجازاني فقبض على أخوته هؤلاء وأحضرهم في الحديد وعمل حكمه فيهم ، وأظهر بمكة غاية الجور والمظالم وما حصل بتوجهه إلى مكة خير بل تزايد أمر الفتنة التي كانت بين أولاد أمير مكة ، ووقع من بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها في مواضعه ، فكان كما يقال :

حججت البيت لبيتك لانتحج فظلمك قد فشى في الناس ضج

٦ حججت وكان فوقك حمل ذنب رجعت وفوق ذاك الحمل خرج

فلما طلع الأتابكي قيت إلى القلعة وأعرض الشريف بركات وأخوته على السلطان رسم بفكهم من الحديد ، ونزلوا مع الأتابكي قيت إلى داره وأقاموا به حتى كان من أمرهم ما سنذكره في مواضعه . — ولما دخل الحاج إلى القاهرة

٩ أشيع بين الناس وفاة الشهابي أحمد بن العيني توفى بالمدينة الشريفة ، وكان لما توفى ولده الناصري محمد توجه إلى مكة وأقام بها نحو من ست سنين ، فلما جرى من الجازاني ما تقدم ذكره فر منه الشهابي أحمد بن العيني إلى المدينة الشريفة فأدركته المنية هناك فمات بها ودفن بالبقيع ، وكان رئيسا حشما ، وهو أحمد

ابن عبد الرحيم بن قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفى رحمة الله عليه ، وكانت والدته ربيبة الملك الظاهر خشقدم فلما تسلطن رقى الشهابي أحمد بن العيني في أيامه إلى الغاية وصار صاحب الحل والعقد في تلك الأيام حتى صار

١٨ في زمرة أولاد السلاطين ، وأنعم عليه الظاهر خشقدم بتقدمة ألف وهى مقدمة قائم التاجر لما قرر في الأتابكية ، (١٤٣ ب) ثم بقى أمير آخور كبير بعد ياباي المؤيدى لما قرر في الأتابكية بعد موت الأتابكي قائم التاجر ، ثم بقى أمير مجلس في دولة الظاهر يلباي لما قرر تمر بغا في الأتابكية ، واستمر على ذلك حتى تسلطن

٢١ الأشرف قايتباي قبض عليه وضربه كما تقدم واستصفى أمواله وأخذ منه فوق المائتى ألف دينار ، وقاسى بعد موت الظاهر خشقدم شداثد ومحن ، وآخر الأمر لما تسلطن الغورى أرسل يطلبه في الحديد ، فلما دخل الأتابكي قيت إلى المدينة الشريفة وجده قد مات ، وكان السلطان رسم للأتابكي قيت الرجبي بأن يقبض

على ابن العيني ويحضر به في الحديد ، فلما دخل المدينة وجده قد مات ودفن
 بالبقيع وكفاه الله شر الغورى ، وقد تقدم من أخباره ما يغنى عن شهرته ، انتهى
 ذلك . - وكان السلطان رسم للأتابكى قيت عند عوده إلى مكة أن ينقل قانصوه ٣
 الفاجر وقام أخو الظاهر قانصوه من مكة إلى القدس ، وكان السلطان نفاها إلى
 مكة ثم بدا له نقلهما إلى القدس ، فلما حضرا صحبة قيت شق ذلك على السلطان
 وبعث بهما إلى القدس ولم يقبل فيهما شفاعا ، وكان من أمر قانصوه الفاجر ٦
 ما سذكروه في موضعه . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا
 على العادة ، وأخلع السلطان على الأمير أنص باى أحد المقدمين وقرره أمير
 ركب المحمل ، وقرر بالركب الأول تانى بك الأبح . ٩
 وفى ربيع الآخر فى يوم الجمعة مستهلته خطب فى جامع السلطان الذى
 أنشأه فى الشراشين وقد تم بناؤه وجاء غاية فى الحسن والزخرف ، وصنع به
 مأذنة لها أربع رؤوس وهو أول من اتخذ ذلك ، وانتهى العمل من المدرسة التى ١٢
 تجاه الجامع وعقد هناك قبة كبيرة على المدفن وغلفها بقاشانى أزرق فلم ينطل
 ذلك على الناس ، فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضى قضاة دمشق الشهاب
 أحمد بن فرفور الدمشقى الشافعى فلبس السواد وخطب ، وكان المرقى قدأمه ١٥
 القاضى عبد القادر القسروى ، وحضر فى ذلك اليوم الخليفة المستمسك بالله
 يعقوب والقضاة الأربعة وهم برهان الدين بن أبى شريف الشافعى وعبد البر بن
 الشحنة الحنفى وبرهان الدين الدميرى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى ، وحضر ١٨
 غالب الأمراء (١٤٤ آ) المقدمين وولد السلطان المقر الناصرى وأعيان
 المباشرين قاطبة والجم الغفير من الأمراء العشرات والخاصكية وأعيان الناس ،
 وزيت الشراشين فى ذلك اليوم وكان يوما مشهودا . وأخلع السلطان فى ذلك ٢١
 اليوم على قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة كونه حكم بصحة الخطبة فى هذا
 الجامع ، وأخلع على أبنال شاد العمارة خلعة حافلة وأنعم عليه بأمره عشرة ، وأخلع

(٥) حضرا : حضروا .

٣ فى ذلك اليوم على عدة وافرة من المهندسين والبنائين والمرخين والتجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممن كان بالجامع ، وأنعم على الفعلاء لكل واحد بألف درهم ، ثم فى الجمعة الثانية رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البر بن الشحنة بأن يخطب بهذا الجامع ، فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة ولكن ميزوا خطبة قاضى القضاة عبد البر [عن] خطبة ابن فرفور .

٦ وفى ربيع الآخر ثبت النيل المبارك على أحد عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراعاً ، وكان نيلاً شحيحاً وشرق غالب البلاد ولكن ثبت إلى العشرين من توت . - وفيه حضر الأمير أزدمر الدوادار وكان مسافراً إلى جهة نابلس وكان صحبته مامى جوشن وقانصوه كرت ، فلما صعد إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب حافل . - وفيه أخلع السلطان على الأمير جانم وأعادته إلى نيابة حماة كما كان ، وصرف عنها قانصوه اليحياوى الذى كان ١٢ أتاك العسكر بغزة .

وفى جمادى الأولى نادى السلطان فى القاهرة بأن أصحاب الدكاكين قاطبة يقطعون الطرقات من الشوارع قدر الذراع بالعمل ، وكانت الطرقات قد عليت جداً فلما رسم السلطان بذلك حصل للناس الضرر الشامل بسبب الكلفة على ذلك ، وقد استحثوا الناس فى سرعة العمل وعزّ وجود الترابية وصار الطلب فى ذلك حثيثاً ، وقد قلت :

١٨ من دولة الغورى ومن جوره لقد حملنا فوق ما لا نطبق
وقد كفى من فعله ما جرى من قلة الأمن وقطع الطريق
وفى خامس عشره أخلع السلطان على شخص من الأراء العشرات يقال له (١٤٤ ب) قبلك فقرّر فى نيابة غزة وخرج عن قريب . - وفيه قوى عزم السلطان على أن يدور المحمل فى رجب وتلعب الرماحة على العادة القديمة ، وكان هذا الأمر قد بطل من ستة اثنتين وسبعين وثمانمائة من دولة الظاهر

خشقدم ونسى هذا الفن من يومئذ ، فأراد السلطان أن يجدد هذا الأمر حتى يصير له التذكار بين الملوك بتجديد هذا الفن ، فعين الأمير تميم الحسنى المعروف بالزردكاش بأن يكون معلّم الرماحة ، وعين معه من الباشات أربعة وهم أبو يزيد ٣ أحد الأمراء المقدمين وجانم الدوادار الثانى وهو قرابة قانصوه خمسمائة وعلان والى القاهرة وقرقاس المقرئ ، وعين من الخاصكية أربعين مملوكا على جارى العادة القديمة .

٦ وفى جمادى الآخرة خرجت الرماحة المعيّنين للعب الرمح فلعبوا عند زاوية الشيخ أبو العباس الحرّار رحمة الله عليه . - وفيه أخلع السلطان على شرف الدين الصغير وقرّره فى نظر الدولة عوضا عن مجد الدين بن كراوية بحكم صرفه عنها . - وفيه كان انتهاء عمارة المقعد والمبيت التى أنشأها بالميدان ، فجلس السلطان فى المقعد ورسم للرماحة بأن يسوقوا قدّامه فى الميدان فساقوا وهو جالس وحوله الأمراء ، فلما ساقوا عيّبت عليهم الممالك القرائصة وخطأهم ١٢ فى طريقة لعب الرمح عما كانت تفعله الأقدمون من البنود التى كانت تقع فى لعب الرمح على العادة القديمة . - وفى يوم الخميس ثالثه كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدى أبو الخير الكليباتى المحذوب رحمة الله عليه وكان من أعيان ١٥ الأولياء ، فلما توفى دُفن بجوار جامع الحاكم وبني له السلطان هناك زاوية .

وفى رجب حضر الأتابكى قيت وكان توجه إلى العباسية على سبيل التزّة ، فأرسل [له] السلطان خلعة بسبب دوران المحمل . - وفيه ثار ريح أسود حتى أظلم ١٨ منه الجوّ ووقع فى ذلك اليوم [بيوت] وعدة أماكن ونخيل ، ثم فى عقيب ذلك جاءت الأخبار من ثغر دميّاط بأن فى ذلك اليوم هاج الرياح هناك جدّا حتى فاض ماء البحر الملح وأغرق عدة بساتين من دميّاط وكذلك بفارسكور وحصل ٢١ هناك للناس الضرر الشامل وغرق فى ذلك اليوم عدة (١٤٥) (٢) مراكب بناسها من المسافرين وكان أمرا مهولا . - وفى يوم الخميس ثامنه نادى السلطان

(٣) الباشات : للباشاة . (١٠) انتهاء : انتهى . (١٣) عما : عنها .

في القاهرة بالزينة بسبب دوران المحمل . - ثم في يوم السبت عاشره لبسوا الرماحة
الأحمر على العادة القديمة وطافت المسابقات بالقاهرة . - ثم في ليلة الاثنين ثاني
٣ عشره بات السلطان بالقصر وأحرق تلك الليلة إحراقاً نفظ بالرمل ، وكانت ليلة
مشهودة ورأت الناس أشياء كانت قد نُسيّت ، فلما كان يوم الاثنين جلس
السلطان في الحرجة المطلّة على الرمل وساقوا الرماحة قدّامه بالرمل ، ثم طافوا
٦ بالكسوة الشريفة والمحمل على العادة مرتين باكر النهار وبعد الظهر كما كان
يفعل فيما قبل ، فخرجت البنت في خدرها تنفرّج على المحمل بعد ما كان قد
نُسي أمره ، فجاءت الناس أفواجا من الخانكاه ومن بليس وغير ذلك من أماكن
٩ شتى بسبب الفرجة على الرماحة ودوران المحمل ، حتى صنفوا العوام رقصة
وهم يقولون :

بيع اللحاف والطراحة حتى أرى ذى الرماحة

بيع لى لحافى ذى المحمل حتى أرى شكل المحمل

١٢

وخرجت الناس في القصف والفرجة عن الحدة ، فلما انقضى ذلك اليوم
أخلع السلطان على الأمير تمر معلّم الرماحة أطلسين ، وأخلع على الباشات الأربعة
١٥ كوامل بصمور ونزلوا إلى دورهم وانقضى أمر المحمل ، فعُدّ ذلك من محاسن
الغورى حيث فرّج الناس على أشياء كانت قد نُسيّت فجدّدها حتى يصير له
بذلك التذكّار بين الملوك بعد ما نُسيّ هذا الأمر . - وفي يوم دوران المحمل
١٨ توفى الأمير مغلباى صمّرق وكان من أعيان الأشرفية برسباى وكان أميراً
جليلاً حشماً رئيساً لا بأس به ، ولكن قاسى شدائد ومحن ونُهب بيته في وقعة
أقبردى الدوادار وقاسى ما لا خير منه .

٢١ وفي شعبان قبض قاضى القضاة الشافعى برهان الدين بن أبى شريف المقدسى

على محمد بن يوسف الذى كان ناظر الأوقاف فضربه ضرباً مبرحاً ، وأشهره
في القاهرة على حمار وهو عريان مكشوف الرأس لأمر أوجب ذلك ، وكان

منفصلا عن نظر الأوقاف والمتحدث بها يومئذ ناظر الخاص^٢ علاى الدين بن الإمام (١٤٥ ب) . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن بك باى دوا دار الأتابكى أزيلك قد احتال على الجازانى ابن أمير مكة الذى جرى منه ما تقدم ذكره ، ٣ فقتلته المماليك المجاورون بمكة حين دخل إلى الحرم ، فلما تحقق ذلك سُرّوا الناس لهذا الخبر وكان الجازانى هذا جاهلا عسوفاً سفاكاً للدماء ، وجرى منه أمور شتى والتفّ عليه عربان قبيلة بنى إبراهيم وحصل منه غاية الضرر كما تقدم . ٦ وفى رمضان خسف جرم القمر عند آخر الليل واستمرّ فى الخسوف نحو من عشرين درجة . - ومن الحوادث أن فى سابع عشر هذا الشهر قبض الوالى على أربعة أنفار من الأعوام وجدّهم فى بستان ومعهم امرأة وهم يأكلون ملوحة بالنهار وربما قيل كانوا سكارى ، فلما قبض عليهم هربت تلك المرأة فقبض على الرجال وضربهم بالمقارع وأشهرهم فى القاهرة ثم سجنهم بالمقشرة فأقاموا مدّة طويلة . ١٢

وفى شوال وقعت حادثة وهو أن الشريف بركات أمير مكة الذى كان مقياً ببيت الأتابكى قيت هرب هو وأخوته من بيت الأتابكى قيت الذى بالأزبكية ، وكان السلطان قرّر على الشريف بركات وأخوته مالا له صورة فوافقوا ١٥ على ذلك وهربوا على حين غفلة ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد ولام الأتابكى قيت على ذلك ، ووقع فى المجلس بعض تنافس بين الأمير قرقاس أمير سلاح والأتابكى قيت وقال قرقاس لقيت : هذا كله شغلك أنت الذى هربته من بيتك ، ١٨ فاتسع بينهما الكلام حتى دخل بينهما السلطان بالصلح فاصطلحوا صلحا على فساد وكان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه . وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب الحمل الأمير أنص باى أحد المقدمين ، وبالركب الأول ٢١ تانى بك الأيبح أحد الأمراء الطبلخانات ، ولم يحجّ فى تلك السنة امرأة لفساد العربان بطريق مكة .

(٩) الأعوام : كذا فى الأصل ، ويعنى « الموام » .

وفى ذى القعدة حضر تانى بك الخازندار ، وهو المحتسب أيضا ، الذى كان قد توجه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، فكان مدة غيبته فى هذه السفرة نحواً من عشرة أشهر ، فلما حضر أخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل إلى داره ثم أنعم عليه فيما بعد بتقدمة ألف . - وفيه أرسل أقبای (١٤٦ آ) الكاشف برأس شخص من عربان الشرقية وكان من العصاة يقال له ابن بيسار وله حكايات غريبة يطول شرحها وكان من شرار العربان ، فلما أحضرت رأسه بين يدى السلطان رسم بتعليقها على باب زويلة . - وفى عقيب ذلك قبض أقبای الكاشف أيضاً على شخص من العربان المفسدين يقال له ابن بهيج ، فلما قبض عليه بعث به السلطان فرسم بشنقه فشُنق على باب النصر . - وفى يوم الجمعة ثامن عشره توفى الأمير أبو يزيد الصغير أحد المقدمين فنزل السلطان وصلى عليه .

وفى أثناء هذا الشهر ظهر الطاعون بالديار المصرية وفشى ، لكنه كان خفيفاً بالنسبة للطاعون الذى كان فى السنة التى تليها وهى سنة عشر وتسعمائة كما سذكروه . - وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة . - وفيه رسم السلطان بأن يقطعوا الخلعان على قدر ثلاثة أذرع ونصف ، فشق ذلك على أصحاب الأملاك وحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ، وعزّ وجود الترابة لأجل شيل التراب ، فلما عظم الأمر بنع غالب الناس أملاكهم التى على الخلعان بأجنس الأثمان فى نظير شيل التراب .

وفى ذى الحجة أشيع بين الناس بأن عنبر مقدم المماليك قد هرب وتوجه إلى نحو بلاد التكرور ، وسبب ذلك أن السلطان طلب منه مالا لم يقدر عليه فهرب وظن أنه يختفى أمره ، ثم بعد مضي أربعة أيام قبضوا عليه وأحضروه إلى بين يدى السلطان فرسم بسجنه فى العرقانة ، قيل لما قبض عليه ووقف بين يدى السلطان وبخه بالكلام وقال له : من إيش هربت ولنت بقيت مقدم المماليك أمير عشرة . فقال له عنبر : من عادة العبيد السودان الهروب ، فاستحسن السلطان منه ذلك

- الجواب . — وفي أواخر هذا الشهر قوى أمر الطاعون بالقاهرة وفشى أمره بعد مضي أيام فطر النصرارى وهى التى يسمونها الخماسين ، وقد ظهرت الثرىا ، واستمر الطعن عمّالا حتى دخل شهر بوؤنة القبطى ونزلت النقطة ، وهذا بخلاف ٣ العادة حتى عدّ من النوادر ، لكنه كان خفيفاً بالنسبة لما جاء بعده فى سنة عشر وتسعمائة ، وقد وقع الطاعون فى سنتين (١٤٦ ب) متوالية حتى عدّ من النوادر . — وفى يوم الأربعاء ثانى عشر منه كانت وفاة خوند فاطمة ابنة ٦ العللى على بن خاص بك ، وهى زوجة الملك الأشرف قايتباى ، ثم تزوّجت بعده بالعدل طومان باى ، وقيل تزوّجت بالأشرف قانصوه خسمائة فى الخفية على ما يقال ، وكانت من مشاهير الخوندات فى سعة من المال وقد ظهر لها فيما بعد ٩ تركة حافلة ، وأقامت فى الخونداتى وهى صاحبة القاعة نحواً من ثلاثين سنة ، وأظهرت من الفتك والعظمة ما لا أظهره غيرها من الخوندات ، وماتت وهى فى عشر السنين سنة من العمر ، ولما ماتت أخرجت فى بشخانة زركش ومشت ١٢ قدّامها القضاة الأربعة والأمراء المقدّمون ، ونزل السلطان وصلى عليها فى سبيل المؤمنى ونهبوا العوام الكفارة من قدّامها حين وصلت إلى رأس الصليبة وكان لها جنازة حافلة . — أقول وجرى عليها فى أواخر عمرها شذائد ومحن ، منها ١٥ أن المماليك الجلبان هجموا عليها وهى فى دارها التى بجوار قنطرة سنقر وطلبوا منها نفقة وأغلظوا عليها فى القول وقصدوا الإخراق بها ، وكان القائم فى ذلك طائفة من المماليك من حلف الأمير أقبردى الدوادار ، فلما بلغ الملك الناصر ١٨ ذلك تعصّب لها ونادى فى القاهرة بأن طائفة المماليك قاطبة لا يتوجّهون إلى بيت خوند زوجة الأشرف قايتباى ولا يقفون لها على باب وكلّ من فعل ذلك شتق بلا معاودة فانكفّوا عنها من يومئذ ، وسبب ذلك قد بلغ المماليك بأن ٢١ خوند قد تزوّجت بقانصوه خسمائة فى الدسّ فلما قتل تحرّشوا بها وطلبوا منها نفقة ، واستمرت مخفية عن بيتها مدة من بعد ذلك . — ومنها أن الظاهر قانصوه

صادرها وأخذ منها مالا له صورة ووكل بها جماعة من الخدّام حتى أوردت
ما قرّر عليها ، وكذلك الملك الناصر أخذ منها جملة مال ، ثم إنها تزوّجت من بعد
٣ ذلك بالعدل طومان باي فأقامت معه نحواً من شهرين وجرى له ماجرى ،
واستمرت من بعد ذلك مريضة وقد طلع لها في خدّها أكلة وأقامت بها مدة
طويلة ، فلما ثقلت (١٤٧ آ) في المرض توجهت إلى بولاق ثم ماتت هناك ومُحلت
٦ وهي مبيتة إلى دارها التي بجوار قنطرة سنقر فأخرجت جنازتها من هناك ،
انتهى ذلك .

وفي أثناء هذه السنة كانت وفاة العلامة الحافظ فخر الدين عثمان الديلمي
٩ شيخ الحديث ، وكان عالماً فاضلاً محدثاً ديناً خيراً ، ومات وهو في عشر الثمانين ،
وكان لا بأس به . - وفيها توفى أيضاً القاضي وليّ الدين محمد النحريري
المالكي أحد نواب المالكية ، وكان رئيساً حشماً فاضلاً في مذهبه من أعيان
١٢ المالكية وكان لا بأس به ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة عشر وتسماة

١٥ فيها في المحرم أخلع السلطان على عنبر الطواشي وأعادته إلى مقدمة المماليك
كما كان أولاً ، وقد قاسى شدايد ومحن وسجن في العرقانة مدة ثم رضى عليه
السلطان وأعادته إلى وظيفته ، وقد استحسن منه السلطان جوابه أن من عادة
١٨ السودان الهروب فعفى عنه فيما بعد . - وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة
سته أذرع على حكم السنة الماضية . - وفيه في الثالث وعشرين دخل الحاج
إلى القاهرة مع السلامة . - وفيه أشيع بين الناس بوقوع فتنة كبيرة فوزّع
٢١ الناس قماشهم في الخواصل ، فلما بلغ الناس ذلك جمع الأمراء وأحضر لهم
المصحف العثماني وحلفهم عليه فخدمت تلك الإشاعات الفاسدة .

وفي صفر عرض السلطان جماعة من أولاد الناس ومن المماليك السيفية

من كان قطع جوامكهم ، قرّر لجماعة منهم جوامكهم وجماعة بحكم النصف . -
وفيه توقّف النيل عن الزيادة ستة أيّام فقلقت الناس لذلك وتشحّطت الغلال
وتكالب الناس على مشترى الغلال ، ثم ترادفت الزيادة من بعد ذلك حتى ٣
أوفى عن قريب .

وفى ربيع الأول أخلع السلطان على الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقي
قاضي القضاة بدمشق ، وقرّره في قضاء الشافعية بمصر عوضاً عن القاضي ٦
برهان الدين بن أبي شريف المقدسي بحكم صرفه عنها ، وقد جمع الشهاب بن
فرفور بين قضاء الشافعية بمصر والشام في وقت واحد فعّد ذلك من النوادر . -
وفى سابعه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى في خامس عشرين مسرى فتأخّر ٩
عن النيل الماضي سبعة عشر يوماً ، فزاد عن الوفاء (١٤٧ ب) في ذلك اليوم
خمسة أصابع من النراع السابع عشر ، فكان كما قيل في المعنى :

يا نيل مصر كم يدا لك بالوفا أوليتنا بالكسر جبراً دائماً ١٢
قد زدت قبل الكسر خمسة أصابع كرمًا فكانت للوفاء خواتماً
فلما أوفى توجه الأتابكي قيت وفتح السدّ على العادة ، وكان يوماً مشهوداً ،
وهذا كان آخر فتح الأتابكي قيت للسدّ وقد أخذ عقيب ذلك وكان من أمره ١٥
ما سنذكره في موضعه . - وفيه حضر سيف قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي
نائب الشام ، وكان أصلاء من مماليك الأشرف قايتباي ، وولى عدّة وظائف سنّة
وآل أمره إلى أن بقى نائب الشام ومات بها . - وفيه عمل السلطان المولد ١٨
النبوي وكان حافلاً . - وفيه أخلع السلطان على قاني باي قرا أمير آخور كبير
وقرّر في أمرة ركب الحمل ، وقرّر بالركب الأول جان بردي تاجر المماليك . -
وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على شيخ العرب بيبرس بن أحمد بن بقر وأعادته إلى ٢١
مشيخته كما كان أولاً . - وفيه خسف جرم القمر عند طلوعه واستمرّ
في الخسوف نحواً من خمسين درجة . - وفيه أخلع السلطان على قنبك من

شاد بك وقرّر في رأس نوبة الثانية ، عوضا عن تمرّاز جوشن بحكم وفاته بدمشق
 وكان قد توجه في بعض مهمّات السلطان فأت هناك . - وفي يوم الجمعة تاسع
 ٣ عشره قبض السلطان على القاضي بدر الدين محمد بن مزهر الذي كان متوليا
 لكتابة السرّ وعزل عنها ، فأرسل إليه السلطان بعض البايّة فتوجه إلى بيته
 الذي ببركة الرطلي فقال له قم كلّم السلطان فقام وطلع معه إلى القلعة ، فلما وقف
 ٦ بين يدي السلطان وبّخه بالكلام ثم شكّه في الحديد وسجنه بالعرقانة ، وسبب
 ذلك قد بلغ السلطان بأن بدر الدين بن مزهر اجتمع بالأتابكي قيت الرجبي
 وقال له قم وتسلطن وضمان نفقة البيعة عليّ ، وقيل أنه كتب قوائم بأسماء جماعة
 ٩ من حاشية السلطان ووزّع عليهم مالا له صورة ، وذكر في القوائم جماعة من
 المباشرين وغير ذلك حتى اسمي فيهم ابن السلطان وخاير بك الخازندار وبركات
 ابن موسى وآخرين من جماعة السلطان ، فتكلم الأعداء في حقّ بدر الدين بن
 ١٢ مزهر بسبب ذلك وغيروا خاطر السلطان عليه (١٤٨٦) وآل أمره من بعد
 ذلك إلى كل سوء حتى كان ما سنذكره في موضعه .

وفي ربيع الآخر عمل السلطان الموكب بالحوش وأخلع على الأمير سودون
 ١٥ العجمي وقرّره في نيابة الشام عوضا عن قانصوه البرجي بحكم وفاته ، وأخلع
 على الأمير خاير بك أخى قانصوه البرجي الذي كان نائب الشام وقرّره في نيابة
 حلب عوضا عن سيباى الذى كان بها ، ورسم لسيباى بأن يحضر إلى القاهرة ليلى
 ١٨ أمرة مجلس عوضا عن سودون العجمي بحكم انتقاله إلى نيابة الشام ، فلم يتمّ هذا
 الأمر وكان ما سنذكره في موضعه . - وفي هذا الشهر ثبت النيل المبارك
 على ثلاثة عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا وقد ثبت إلى ثامن عشرين توت : -
 ٢١ وفيه أخلع السلطان على الأمير أنص باى من مصطفى وقرّر في حجوية الحجاب ،
 عوضا عن خاير بك من ملباى أخى قانصوه البرجي الذى كان نائب الشام بحكم
 انتقاله إلى نيابة حلب كما تقدم . - وفي هذا الشهر اهتمّ السلطان بعمارة قاعة

البيسرية وقاعة العواميد وغير ذلك من الأماكن التي بالقلعة ، فجدّد ما فيها من العمارة وزخرفها إلى الغاية ، لكن حصل منه غاية الضرر منها أنه رسم للقاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش بأن يفكّ رخام قاعة والده ناظر الخاص^٣ يوسف التي سماها نصف الدنيا وكان فيها الرخام المثلث الذي لا يوجد ، وقد أفنى ناظر الخاص^٤ يوسف عمره على بناء هذه القاعة ، فلا زال به السلطان حتى فكّ رخام نصف الدنيا ونقله إلى قاعة البيسرية وقاعة الأعمدة وغير ذلك مما أنشأه بالقلعة ، فحصل على أولاد ناظر الخاص^٥ بسبب ذلك ما لا خير فيه ، وكانت هذه الواقعة من أقبح الوقائع ولو أن السلطان نقل هذا الرخام إلى مدرسته لكان أولى من وضعه في قاعة البيسرية ، كما يقال فأفقرني فيمن أحبّ ولا أستغنى ،^٦ وقد قلت في هذه الواقعة مطلع زجل في معنى ذلك :

سلطاننا الغورى قد جار والصبر منّا قد أعيا

١٢ وصار في ذا الجور عمّال حتى خرب نصف الدنيا

وفيه جاءت الأخبار من غزة بوفاة الشيخ الصالح المعتقد (١٤٨ ب) المسلك سيدى محمد الغزوى رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفيّة . وفي جمادى الأولى كملت عمارة مدرسة السلطان التي أنشأها تجاه جامعته^{١٥} الذى بالشرابشين ، وأنشأ هناك مدفنا له وعقد فوقه قبّة ، وأنشأ صهريجا ومكتبا ، وقرّر بهذه المدرسة حضورين وصوفيّة يحضروا بكرة والعصر ، وجعل قاضى القضاة برهان الدين بن أبى شريف شيخ الحضور باكر النهار ومحّب الدين^{١٨} الحلبي الإمام شيخ الحضور العصر كما أمر بذلك ، فجاءت هذه المدرسة من محاسن الزمان ولا سيما في هذا الخط الذى لم يتفق لأحد من الملوك البناء فيه فعّد ذلك من جملة سعد قانصوه الغورى ، وكان أصل هذا المكان قيسارية تسمى^{٢١} قيسارية الأمير على فاستبدلت من وقف الناصر محمد بن قلاون ، ووقع للغورى أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك منها أنه نقل الآثار الشريف النبوى من مكانه الذى كان به المطل على بحر النيل فجعله في مدرسته ، حتى عدّ ذلك^{٢٤}

من النوادر ، وقد تعب الصاحب بهاي الدين بن حنّا في نقل هذا الآثار الشريف
 وكان عند جماعة من بنى إبراهيم بالينبع فلا زال يتلطف بهم [حتى] اشتراه منهم
 ٣ بستين ألف درهم بالدرهم القديمة ، ثم نقله إلى الديار المصرية وبني له مسجداً
 مطلاً على بحر النيل ، وكانت الناس يقصدون الزيارة إليه في كل يوم أربعاء ،
 فلما تلاشى أمر ذلك المكان الذى كان به الآثار الشريف استغنى السلطان
 ٦ العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبة وهذا بخلاف شرط الواقف ، ثم إن السلطان
 نقل المصحف العثماني إلى مدرسته أيضاً وعدّ ذلك من النوادر ، ثم نقل إلى
 المدرسة أيضاً الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التي كانت بالخانقة البكتيرية
 ٩ التي بالقرافة ، قيل أن مشتراها على الواقف ألف دينار ، ولم يكتب نظير
 هذه الربعة سوى ربعة أخرى بخانقة سرياقوس اشتراها الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون بألف دينار أيضاً ، وأخرى بالمدينة الشريفة ، وأودعها بهذه الخانقة ،
 ١٢ وقد وقع للأشرف قانصوه الغوري (١٤٩٩ آ) في مدرسته من المحاسن ما لا وقع
 لأحد قبله من الملوك وحاز فيها أشياء غريبة عزيزة الوجود ، ولما نقل الآثار
 الشريف والمصحف العثماني إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدّامه
 ١٥ القضاة الأربعة والأتابكي قيت وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا
 بالأعلام وهم يذكرون .

وفي ذلك اليوم أخلع على الشيخ برهان الدين بن أبي شريف وقرّره
 ١٨ في مشيخة هذه المدرسة ، وقد صرف عن قضاية القضاة وانفرد بمشيخة
 مدرسة السلطان واستمرّ بها إلى الآن ، وقد قلت من قصيدة مدحت بها
 السلطان ، وقد عرضت عليه واستحسنها ، فن أبياتها قولي في جامعته الذى
 ٢١ أنشأه ، وهو قولي :

بني بمصر لله بيتاً رخامه قائم وثام
 فجاء في حسنه فريد من كل عيب يقال سالم
 فليس يبنى له نظير في سائر المدين والأقالم

وفيه فى يوم الخميس ثانى عشرينه عرض السلطان القاضى بدر الدين بن مزهر بالحوش بين العسكر وهو فى الحديد فوبّخه بالكلام ، ثم بطحه وضربه ضرباً مبرحاً حتى كاد أن يهلك وهذا أول عقابه . - وفيه أحضرت جثة قانصوه ٢
المحمدى البرجى الذى كان نائب الشام ، فلما حضرت دفنت بترية أخيه الأمير خاير بك التى أنشأها بباب الوزير .

وفى جمادى الآخرة رسم السلطان للرمّاحة بأن يسوقوا على العادة ٦
ويدور المحمل فى رجب كما فعل فى العام الماضى . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن سيىى نائبا امتنع عن الحضور إلى القاهرة ولم يوافق بأن يلى أمير مجلس وقد أظهر العصيان ، فلما تحقق السلطان ذلك بطل أمر سودون ٩
العجمى من نيابة الشام وأعيد إلى أمرة مجلس كما كان ، وأرسل السلطان خلعة وتقليدا إلى أركماس نائب طرابلس بأن يكون نائب الشام عوضاً عن سودون العجمى الذى كان قد قرر بها . ١٢

وفى يوم الاثنين ثالث عشره توفى الحافظ تقي الدين بن الأوجاق وكان من أعيان مشايخ الحديث ، وكان عالماً فاضلاً ديناً خيراً بقيّة السلف وعمدة الخلف ، ومات وقد جاوز المائة سنة (١٤٩ ب) من العمر . - وفى يوم الأحد تاسع ١٥
عشره توفى ابن المحرقى ، وكان رئيساً حشماً لا بأس به .

وفيه خرج الأمير خاير بك الذى قرّر فى نيابة حلب ، فكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدّامه الأمراء قاطبة . - وفيه جاءت الأخبار ١٨
بأن دولات باى قرابة العادل طومان باى الذى كان نائب الشام ، وولى أيضاً نيابة طرابلس ، وقد أظهر العصيان والتفّ على سيىى نائب حلب وقد توجهوا إلى دمشق وحاصروا المدينة وقد أشرفوا على أخذها ، فلما تحقق السلطان ٢١
ذلك اضطربت أحواله وأراد أن يبطل دوران المحمل فى رجب فنعهو الأمراء من ذلك ، ثم إنه جمع الأمراء فى قاعة البحرة وضربوا هناك مشورة فى أمر سيىى نائب حلب ودولات باى ، فأقاموا الأمراء عند السلطان إلى قريب العصر . - ٢٤

وفيه عاقب السلطان بدر الدين بن مزهر وعصره في أكعابه وركبه ودقّ القصب
 في أصابعه وأحرقها بالنار حتى وقعت عُنُقُ أَصَابِعِهِ ، ثم نَوَّعُوا لَهُ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ
 ٣ فَأَخَذُوا لَهُ كَمَاشَةَ حَدِيدٍ وَأَحْوَاهَا بِالنَّارِ وَاسْتَخْطَفُوا بِهَا أَبْزَاهُ وَأَطْعَمُوهَا لَهُ ، ثُمَّ
 أَخَذُوا لَهُ حَبْلَ قَنْبٍ وَلَوَّوهُ عَلَى أَصْدَاغِهِ حَتَّى نَفَرَتْ عَيْنَاهُ مِنْ وَجْهِهِ وَسَالَتْ
 عَلَى خَدَّيْهِ ، وَقَاسَى مَا لِآخِرِيهِ وَعُذِّبَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى
 ٦ عِقَابَهُ الْحَاجَّ بَرَكَاتِ بْنِ مُوسَى وَمَعِينَ الدِّينِ بْنِ شَمْسٍ وَكَيْلَ بَيْتِ الْمَالِ وَإِبْرَاهِيمَ
 دَوَادَارَ الْوَالِي وَالرَّيْسَ كَمَالَ الدِّينِ الْمَزِينِ فَمَا أَبْقَوْا مِمَّا كَانَ فِي عَذَابِهِ ، وَكَانَ هَذَا
 مِنْ مَقَاتِلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَقِّ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ مَزْهَرٍ ، وَقَدْ رَوَى فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ
 ٩ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي .

وفى رجب فى يوم الأربعاء رابعه توفى القاضى بدر الدين بن مزهر بالقلعة ،
 وقد مات تحت العقوبة ، فغُسل بالقلعة وكُفِّنَ وصُلِّيَ عليه ونزلوا به من القلعة
 ١٢ وتوجهوا به إلى تربة أبيه فدفن عليه ، وكان رئيسا حشما تولّى عدة وظائف
 سنية منها نظارة الخصاص والحسبة وكتابة السرّ تولّاها عن أبيه ، وكان جميل
 الهيئة مليح الشكل ، وتوفى عن ثلاث وخمسين سنة من العمر ، وكان من أعيان
 ١٥ الرؤساء بمصر أنصارى الأصل ، وهو محمد بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن
 أحمد بن عبد الخالق بن (١٥٠٠) عثمان الشهير بمزهر الدمشقى الأنصارى
 الشافعى ، وكان له اشتغال بالعلم لكنه كان يتقرّب إلى خواطر الملوك بإيذاء الناس
 ١٨ فأخذ من الجانب الذى كان يأمن اليه ، وقد رثيته بقولى مع التضمين :

خُسِفَ الْبَلَدُ الْمَقْدَاً وَبُسُحِبَ التُّرْبُ غَابَا
 يَا تَرَابَا ضُمَّ بَدْرِي لِيَتْنَى كُنْتُ تَرَابَا

٢١ انتهى ذلك .

وفى هذا الشهر جاءت الأخبار بأن دولات باى أخا العادل توجه إلى

- حماة ونهب غالب ضياعها وفرّ منها النائب الذي كان بها وقبض على أعيان أهلها ، فلما بلغ السلطان ذلك عيّن تجريدة إلى البلاد الشامية وعيّن الأتابكي قيت باش العسكر وصحبته جماعة من الأمراء المقدّمين ، ثم بطل ذلك فيما بعد وعيّن ٣ الأمير أزدمر الدوادار باش العسكر وصحبته جماعة من الأمراء غير تلك الطائفة التي تعيّنت صحبة قيت ، ولم يتمّ ذلك أيضا وكان من الأمر ما سنذكره . -
- وفيه ترفع الشيخ أبو شامة مع خليفة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، ٦ فرسم السلطان بإيداع خليفة سيدي أحمد البدوي في الترسيم ، ثم إن السلطان أخلع على ولد خليفة سيدي أحمد البدوي وقرّره في المشيخة عوضا عن أبيه ، وأشرك معه بشخص من الأتراك يقال له لاجين رأس نوبة الجندارية ، ٩ وقرّره أيضا ناظرا على مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه . - وفي يوم ثاسعه نودى في القاهرة بالزينة بسبب دوران الحمل ولبسوا الرماحة الأحمر على العادة ، وكان معتم الرماحة تمر الحسنى الزردكاش أحد المقدّمين والباشات ١٢ الأربعة على حكم السنة الماضية ، غير أن لما توفى الأمير أبو يزيد وكان أحد الباشات فقرّر عوضه شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له مصرباي ، فساقوا في هذه السنة أحسن ما ساقوا في العام الماضي وبات السلطان بالقصر وأحرقوا ١٥ قدّامه إحراقا نفط حافلة ودارت المسابقات في القاهرة على العادة القديمة ، ثم ساقوا الرماحة بالرملة مرتين على العادة ونزلوا عن خيولهم وباسوا الأرض للسلطان في الرملة عند انتهاء اللعب كما كان يفعل للملك الظاهر خشقدم ، فأول ١٨ من أحدث ذلك السلطان قايتباي لما كان يسوق (١٥٠ ب) في الحمل ، ثم دار الحمل وكسوة الكعبة الشريفة ومقام إبراهيم عليه السلام ، فلما انقضى أمر الحمل أخلع السلطان على المعتم والأربعة باشات ونزلوا إلى دورهم . - وفي هذا ٢١ الشهر أخلع السلطان على شيخ العرب يبرس بن بقر وقرّره في شياخة العرب على عادته ، وقرّر أقباي في كشوفية الشرقية على عادته ، وكانت الشرقية يومئذ في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان .

ومن الحوادث أن في يوم الاثنين سادس عشر رجب قبض السلطان على
 الأتابكي قيت الرجبي وهو واقف بالحوش بين الأمراء فأدخلوه قاعة البحرة ،
 ٣ وقبضوا معه على الأمير أربك المكحل ، فكثّر القيل والقال في ذلك اليوم ، ثم
 إن السلطان نادى في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشراء فسكن ذلك
 الاضطراب قليلا ، وكان الأتابكي قيت ظلما غاشما عسوفا واسطة سوء قليل
 ٦ الخبير كثير الأذى ، وهو الذي كان سببا لأخذ أجرة الأملاك سبعة أشهر ، وكذلك
 خراج الإقطاعات والرزق عن سنة كاملة ، ثم تسبّب في قطع جوامك أولاد الناس
 والأيتام والنساء ، وحصل منه غاية الضرر للناس قاطبة ، وكان إذا استعمل صناعيا
 ٩ يقطع أجرته ، وقد اجتمع فيه أشياء كثيرة من المساوى وقد اسودّ وجهه من
 كثرة المظالم ، فكان كما يقال في المعنى :

يا مُشَبِّها في فعله لونه لم تخط ما أوجبت القسمة

١٢ فَعَلَّكَ من لونك مستخرجٌ والظلم مشتقٌ من الظلمة

ولما قبض السلطان على قيت ووبّخه بالكلام أنكر ما نقل عنه ، فأحضر له
 السلطان عدّة مراسيم بما كان يكتب بها النوّاب بما نقل عنه ، فعند ذلك تبيّن
 ١٥ صحّة ما نقل عنه وافتضح بين الأمراء ، وكان سبب تغير خاطر السلطان
 على الأتابكي قيت الرجبي أنه كان له الغرض التام بأن يتسلطن ، فكاتب سييى
 نائب حلب بأن يُظهر العصيان حتى يخرج إليه قيت في التجريدة فإذا توجه
 ١٨ إلى البلاد الشامية التفّ عليه دولات باى الذى [كان] نائب طرابلس وسييى نائب
 حلب وغير ذلك من النوّاب ويتسلطن هناك كما فعل العادل طومان باى ، فلما
 تحقّق السلطان ذلك أبطله من باشيّة العسكر بعد أن عيّنه صحبة التجريدة التي
 ٢١ تعيّنت إلى سييى نائب حلب ، ثم لما انفضى أمر الحمل قبض عليه عقيب ذلك
 وأدخله إلى قاعة البحرة ثم قيّده وزنجره ، وقبض (١٥١ آ) معه على الأمير
 أربك المكحل ، ثم إن السلطان احتاط على موجود الأتابكي قيت من صامت

وناطق ولم يترك له شيئا ، فوجد عنده أشياء كثيرة من آلة السلاح ، ووجد له من الذهب العين ستين ألف دينار ، ومن البرك والخيول والقماش أشياء كثيرة ، فاحتاط السلطان على ذلك جميعه ، واستمرّ قيت في التوكيل به في قاعة البحرة . - ٣
وفي سلخ هذا الشهر بات السلطان بالقصر وعمل الموكب بالشاش والقماش ، فلما أصبح يوم الاثنين أخلع على المقرّ السيفي قرقاس من ولى الدين أمير سلاح وقرّره أتابك العساكر بمصر عوضا عن قيت الرجبي بحكم القبض عليه ، فنزل ٦ من القلعة في موكب حافل وقدامه سائر الأمراء وغالب العسكر .

وفي شعبان في يوم السبت حادى عشره رسم السلطان بإخراج قيت الرجبي إلى ثغر الإسكندرية ، فنزلوا به من القلعة وهو مقيّد مزنجر وخلفه أوجاقى ٩ بخنجر وقدامه أذربك المكحل أحد الأمراء المقدمين . - وفي ذلك اليوم رسم السلطان بنى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له يلباى قيل أنه قرابة سيباى نائب حلب . - فنزلوا بالأتابكى قيت ومن معه من الأمراء بعد العصر من باب الدرفيل ١٢ وتوجّهوا به من خلف القلعة إلى البحر فأنزلوه في مركب وأقلعوا به في يوم هوى مريسى ، وكان المتسفرّ عليه الأمير جانم الدوادار الثانى وعلان والى القاهرة ونحوا من خمسين مملوكا من الممالك السلطانية ، فسجنوا قيت بثغر ١٥ الإسكندرية ، وكان يومئذ خدأ بردى مملوك السلطان متوليا نيابة الإسكندرية فسبّ قيت الرجبي عندما سجن بالبرج وما قاسى منه خيرا ، وكان خدأ بردى تقرّر في نيابتها عوضا عن تانى بك النجمى بحكم انتقاله إلى التقدمة من نيابة ١٨ الإسكندرية ، وتوجّهوا بأذربك المكحل إلى نحو دمياط فسجن بها ، فعلى نفي الأتابكى قيت من جملة سعد السلطان ولم تنتطح في ذاك شاتان ، وقد قلت في ذلك :

٢١ قد كان قيت باغيا ولكل شرّ يُسرّع
فجنى عليه بغيه ولكل باغٍ مضرّع

- وفيه أخلع على الأتابكي قرقاس من ولى الدين خلعة الإنظار فنزل (١٥١ ب) من القلعة وتوجه إلى البيارستان المنصوري، وكان يوما مشهودا . - وفيه أخلع على الزيني بركات بن موسى وقرر في حلبة القاهرة ، وقد عُدّ من جملة أعيان الرؤساء بمصر وقد عظم أمره جدّا ، وقد قيل في المعنى :
- ٣ من ولى الحسبة يصبر على تعرض الواقف والعابر
٤ فليس يحظى بالمنا والغنا فيهم سوى المحتسب الصابر
- وفيه رجع الأمراء الذين توجهوا صحة الأتابكي قيت فسجنوه بالإسكندرية ورجعوا . - وفيه عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء فأفرج عن جماعة منهم وصالح عنهم أرباب الديون وأبى أصحاب الجرائم والفلاحين .
- ٥ وفي رمضان أخلع السلطان على الناصري محمد بن القمارى وقرره أمير شكار، عوضا عن محمد بن أحمد بن أسنغا الطيارى بحكم صرفه عنها . - وفيه تسحب من سجن العرقانة التي بالحوش السلطاني شخص من الأتراك يقال له أرزمك ، وكان له مدة طويلة وهو في السجن ، وقيل أنه هو الذي قتل العادل طومان باى ، فلما تسحب خنق السجنان حتى مات وأخذ ثيابه ولبسها ونزل من باب السبع حدوات ، فاضطربت القلعة في تلك الليلة وهرب بعض الطواشية ، ثم بعد ثلاثة أيام أرسل يطلب من السلطان الأمان وقد شفع فيه الأتابكي قرقاس ، فعفى عنه السلطان من القتل ورسم بنفيه . - وفي أثناء هذا الشهر فشى الطاعون بالديار المصرية ، وقد وقع في أواخر السنة التي قبلها ، وكان تارة يقوى وتارة يخفّ ثم قوى أمره في هذه السنة وهجم في هذا الشهر جملة واحدة ، فلما تزايد الأمر فتح السلطان مغسلا للأموات بجوار سبيل المؤمني فحصل به للناس غاية النفع . - وفي يوم السبت تاسع عشره توفى القاضي كمال الدين بن مزهر أخو القاضي بدر الدين كاتب السرّ كان ، وكان شابا رئيسا حشما وولى كتابة السرّ بعد أخيه بدر الدين في دولة الظاهر قانصوه : - ومن العجائب

أن أولاد القاضي أبو بكر بن مزهر كاتب السرّ ماتوا الثلاثة في سنة واحدة ،
فبدر الدين مات تحت العقوبة كما تقدّم ، وأخوه يوسف شقّ نفسه من خوفه
من السلطان ، وأخوه كمال الدين (١٥٢ آ) مات مطعوناً فكانت آجالهم متقاربة ٢
من بعضهم ، وكانوا أشكالا حسنة ولا بأس بهم .

وفي شوال كان العيد بالجمعة ، وخطب في ذلك اليوم خطبتين ولهج الناس
بزوال السلطان عن قريب ولم يكن ذلك . - وفيه حضر قاصد على دولات ٦
وقد أرسل يشفع عند السلطان في سييأى نائب حلب ودولات باى نائب طرابلس ،
وكان قد أشيع عنهما العصيان ، وأتهما من عصبة قيت الرجبي وقد تقدّم
القول على ذلك . - وفيه تزايد أمر الطاعون وفتك في الأطفال والمماليك ٩
والعبيد والجوار والغرباء ووصل إلى أربعة آلاف جنازة كل يوم ، وعزّ وجود
السكر النبات حتى بيع كل رطل بثمانية أنصاف ، وعزّ وجود البطيخ الصيفي
والرمان . - وفيه توفى القاضي إبراهيم اللادنى مستوفى الزردخاناه ، ومات ابنه ١٢
محمد عقيب موته رحمهما الله تعالى ، وكان رئيساً جشماً من أعيان المباشرين . -
وفيه نودى في القاهرة من قبل السلطان بأن لا يعمل عزاء بطارات ولا نائحة
تنوح على ميت ، ثم غمز على نائحة عملت عزاء بطارات فجرسها بركات بن موسى ١٥
على حمار والطارات معلقة [في] عنقها ووجهها ملطّخ بالسواد ، فلما جرى ذلك
رجعن النساء عن تلك الأفعال الشنيعة ، ثم نادى الوالى أن النساء لا يخرجن في نعيّ
بالليل . - وفيه خرج الحاجّ من القاهرة وكان أمير ركب المحمل قانى باى ١٨
قرا أمير آخور كبير ، وبالركب الأول جان بردى تاجر المماليك ، فلما تزايد أمر
الطاعون نادى السلطان بأن أرباب الوظائف من الأمراء بمنعون النقباء من
جلوسهم على أبوابهم قاطبة وأن لا يشتكى أحد خصمه إلا من الشرع الشريف ، ٢١
ثم رسم السلطان للحاجب الحجاب ووالى القاهرة بأن يكبسوا بيوت النصارى
ويكسروا ما عندهم من جرار الخمر ، ويحرقوا أماكن الخشيش والبوزة

- ولا يبقوا في ذلك ممكنا ، وقد وقع في دولة الأشرف شعبان بن حسين ما يقرب من هذه الواقعة حتى قال في ذلك الأديب إبراهيم المصمار مواليا في المعنى :
- ٣ يا من على الخمر أنكر غاية النكران لا تمنع القسّ يملأ الدنّ والمطران وأمرٌ بيلع الحشيشة تكتسب أجران وتفتنم دعوة المصطول والسكران
- وكان ذلك في سنة تسع وستين وسبعائة ، انتهى ذلك : - وفي خامس عشره (١٥٢ ب) أخلع السلطان على قاصد على دولات وأذن له بالعود إلى بلاده ، وكتب له الجواب عن أمر سييأى نائب حلب ودولات باى نائب طرابلس . -
- وفي ثامن عشره توفيت للسلطان ابنة وكانت مستحقة للزواج ، فأخرجت في بشخانة زركش وقدأماها كفارة ، وصلى عليها في الجامع الأزهر ، ودفنت في مدرسة أبيها داخل القبّة ، وكان لها جنازة مشهودة .
- وفي ذى القعدة في يوم مستهلّه توفى الأمير جانم الدودار الثانى وكان يقرب إلى الأشرف قانصوه خمسمائة ، وكان شاباً جميل الهيئة شجاعاً بطلاً مشهوراً بالفروسية ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى جماعة كثيرة من الأمراء العشرات ومن الخاصكية . - وفيه توفى للأمير طراباى ابن صغير عمره دون العشرين ، وتوفى له عبد حبشى كان يجمقدارا له فوجد عنده من الذهب العين ثمانية آلاف دينار غير القماش ، وتوفى له بواب الواحى فوجد له من الذهب العين ألف دينار خارجاً عن مساطر على الناس . - وفي هذا الشهر أظهر السلطان العدل في الرعيّة ونادى في القاهرة بأن المشاهرة التى كانت مقررة على الحسبة قد أبطلها السلطان ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وفرح الناس بذلك ، فلما مضى أمر الطاعون أعيدت كما كانت وزيادة . - وفي يوم الجمعة سادسه كانت وفاة المقرّ الناصرى محمد ولد السلطان ، وكان متولّى شادية الشراب خاناه ، وكان شاباً جميل الصورة مليح الشكل بهي المنظر توفى وله من العمر نحواً من ثلاث عشرة سنة .

سنة ، وكان وافر العقل قليل الأذى فكثّر عليه الأسف والحزن من الناس ، وكانت وفاته بالقلعة وصلى عليه بعد صلاة الجمعة عند باب الستارة ونزلوا به من سلم المدرج ، ومشت قدّامه الأمراء فتوجّهوا به إلى الدرب الأحمر وأدخلوه ٣ من خوخة أيدغمش ، وكانت له جنازة مشهودة ونهب العوام الكفارة من قدّامه عند باب الوزير ، واستمرت الأمراء ماشية حتى أتوا به إلى مدرسة أبيه فدفن بها داخل القبة ، وقد رثيته بقولى :

لَهْنَى عَلَى مَنْ كَانَ ظَنَى أَتْنَى أَفْنَى الْمَدَائِحِ فِي الثَّنَاءِ قَوَافِيَا
فَضَى وَأُتْكَفَى فَهَا أَنَا نَاطِمٌ تِلْكَ الْمَعَانِي الْغُرَى فِيهِ مَرَاثِيَا

- (١٥٣ آ) ثم في عقيب ذلك توفيت للسلطان سريّة جركسية وهى أمّ ولده ٩ الصغير فدفنت داخل القبة أيضا . - وفي يوم الثلاثاء عاشره توفى جان قلعج الخازن دار أحد الأمراء العشرات ، وكان من خواصّ السلطان وكان شابّا جميل الهيئة مليح الصورة ، وقد أقبلت له الدنيا ، وكان تعيين للادارية الثانية قبل موته . - ١٢ وفي يوم الاثنين سادس عشره فيه أخلع السلطان على إعلان من قراجا وإلى القاهرة وقرره في الادارية الثانية عوضا عن جانم قريب قانصوه خمسمائة بحكم وفاته ، وأخلع على قانصوه المعروف بأبى سنة وقرره في ولاية القاهرة ١٥ عوضا عن إعلان بحكم انتقاله إلى اللوادارية الثانية ، وأخلع على الأمير طوبان باى قريب السلطان وقرّر في شادية الشراب خاناه عوضا عن ابن السلطان بحكم وفاته . - وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه توفى الناصرى محمد بن الأمير تانى بك قرا أمير ١٨ مجلس كان ، وكان من أعيان أولاد الأمراء رئيسا حشما لا بأس به . - وفي سادس عشرينه توفى أذربك النصرانى أحد الأمراء العشرات أمير شكار ، وكان غير مشكور السيرة . - وفي يوم الجمعة سابع عشرينه توفى الشهبانى أحمد ٢١ خليفة سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية ، وكان رئيسا حشما لا بأس به .

وفى ذى الحجة أخلع السلطان على القاضى محبى الدين عبد القادر
 القصرى وقرر فى نظر الجيش ، عوضا عن الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف
 ناظر الخاص . - وفيه رسم السلطان بإحضار أربعة الأمراء العشرات الذين
 كانوا نفيوا إلى ثغر دمياط ، فلما حضروا ألبسهم سلاريات بسنحاب ونزلوا
 إلى دورهم .

٦ وفيه جاءت الأخبار بوفاة القاضى بهاء الدين بن قدامة الحنبلى ،
 وكان تولى قضاء مصر فأقام بها مدة يسيرة وعزل عنها ، ثم قرر فى قضاء
 الحنابلة بدمشق فخرج إليه ومات فى أثناء الطريق . - وفيه قلع السلطان
 ٩ الصوف ولبس البياض وذلك فى حادى عشرين بشنس القبطى ثم ابتداء
 بضرب الكرة . - وفيه دخلت خمسين النصارى والطعن (١٥٣ ب) عمال
 وقد فتك فى الناس فتكا ذريعا وأفى من الممالك والبيد والجوار والأطفال
 ١٢ والغرباء ما لا يحصى ، وفى هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين الأسيوطى
 من أبيات :

يا ربُّ بالهادى النبىِّ المحتبى	أعتمد عن الإسلام أسياف الوبا
يا ربُّ لا نشكو أليم عذابه	إلاَّ إليك فقد أخاف وأرعبا
كم حلَّ فى دار فبدَّ شمل من	فيها فلا يجدون منه مهربا
يا ربُّ لطفاً بالعباد فما لهم	ربُّ سواك يقبهم المستصعبا
إنّا اعترفنا بالذنوب فكلّنا	عاصي مسيء للعذاب استوجبا
لكن إذا قونت عظيم ذنوبنا	بعظيم عفوك كان عفوك أغلبا
إن كان لا يرجوك إلاَّ محسن	فى العالمين فنُجبر المذنبنا

٢١ انتهى ذلك . - وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريب بما وقع
 فيها [من] الفناء والغلاء وفساد العربان بالشرقية والغربية حتى بأرض الحجاز ،
 والأمر إلى الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وتسماية

- فيها في المحرم اهتم السلطان بإصلاح بناء الدهيشة وسدّ البحرة التي كانت بها وفرش أرضها بالرخام الملون وصارت مدهشة للناظرين ، ولكن حصل منه ٢ الضرر الشامل ، وذلك أنه رسم بفكّ رخام قاعات كاتب السرّ أبو بكر بن مزهر ونقله إلى الدهيشة ، وجدّدها من سقفها وأبوابها وما بها من المعالم قاطبة . - وفيه في ثامنه حضر هجّان من الحجاز وأخبر أن المبشر معوق ٦ عند العرب ، وأخبر بوفاة مختص الطواشي وكان من أعيان الخدام رئيسا حشما جميل الهيئة ، وهو الذي بنى أساس جامع السلطان الذي بالشرابشين ، وكان عمره أولا لنفسه ثم أخذه منه السلطان وزاد في اتساعه كما تقدم ذكر ذلك . - ٩ ومن الحوادث أن في يوم عاشوراء سقط ربع من داخل المشهد الحسيني ، فمات في ذلك اليوم تحت الردم نحو من عشرين إنسانا من رجال ونساء . - وفيه أنعم السلطان على تاني بك النجّمي بتقدمة ألف وبقى من جملة الأمراء المقدّمين . - ١٢ وفيه أخلع السلطان على تمر باي خازن دار العادل طومان باي وقرّر في الأستاذاوية الكبرى ، عوضا عن تغرى بردى من يلباي بحكم صرفه عنها . - وفيه أخذ قاع النيل وجاءت القاعدة سبعة أذرع ، وكانت الزيادة في أول يوم من المناداة خمسة ١٥ أصابع . - وفي الرابع والعشرين منه دخل الحاجّ إلى القاهرة (١٥٤٤) وقد قاسى في هذه السنة مشقة زائدة من موت الجمال والعطش وفساد العربان . وفي صفر تغير ماطر السلطان على الأمير محسن الخازن الطواشي الحبشي ١٨ فرسم بنفيه إلى سواكن ، ورسم بنى جوهر الشمسي شاد الحوش فنفاه إلى مكة ، وكان سبب ذلك أنه غفل عن أرزمك الذي تسحب من العرقانة . - وفيه أخلع السلطان على سرور الزيني وقرّره في شادية الحوش عوضا عن جوهر ٢١ الشمسي بحكم نفيه إلى مكة . - وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له أربك الصوفي وقرّره في نيابة القدس عوضا عن ملاج بحكم

صرفه عنها .. - وفيه أذن السلطان لحرّيمه أن يصعد إلى القلعة ، وكان في هذه
المدة لم تصعد خوند زوجة السلطان إلى القلعة وكانت مقيمة بيت الأمير
٣ ماماي الذي بين القصرين ، فكان يوم صعودها إلى القلعة يوما مشهودا فصعدت
إلى القلعة في محفة زركش وكان لها موكب حافل ، فلما صعدت إلى القلعة حملت
على رأسها القبة والطير ، ونشرت عليها خفاف الذهب والفضة ، وفُرشت لها
٦ الشقق الحرير من باب الستارة إلى قاعة العواميد ، ومشت قدّامها الخوندات حتى
جلست على المرتبة ، وكان السلطان في هذه المدة جدّد عمارة قاعة العواميد
وزخرفها بخلاف ما كانت عليه أولا .

٩ وفي ربيع الأول في يوم السبت ثانيه كان وفاء النيل المبارك وقد وافق
ذلك تاسع مسرى ، فتوجّه الأتابكي قرقاس وفتح السدّ على العادة وكان يوما
مشهودا ، وقد أوفى وزاد عن الوفاء ثلاثة أصابع ، وكان نيلا عظيما كما يقال :
١٢ ذا النيل ما يبرح في سعده وحاله المشايي حالا
يجرى لنسا ماض ومستقبلا لا أوقف الله له حالا

وكان من مبتدأ زيادته إلى هبوطه لم يتوقّف يوما واحدا . - وفي يوم
١٥ الاثنين رابعه حضر إلى الأبواب الشريفة سييأي نائب حلب الذي كان قد أظهر
العصيان بسبب واقعة قيت الرجبي ، فلما جرى له [ماجرى] ونفى أرسل سييأي
يطلب من السلطان الأمان فأرسل له مندبل الأمان ورسم له بالحضور إلى
١٨ القاهرة ، فلما طلع إلى بين يدي السلطان حمل تحت إبطه ثوبا بعلبكيا وفكّك
أزراره كما فعل قانصوه خمسمائة (١٥٤ ب) لما قابل الأشرف قايتباي ، فلما قابل
السلطان أخلع عليه كاملية مخمل أحمر بصمور ونزل من القلعة في موكب حافل . -
٢١ وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة وكان حافلا . - وفيه خسف
جرم القمر خسوفا فاحشا واستمرّ في الخسوف إلى آخر الليل . - وفي حادي
عشرينه عمل السلطان الموكب وأخلع على سييأي نائب حلب وقرّره في أمره
٢٤ السلاح عوضا عن قرقاس من وليّ الدين بحكم انتقاله إلى الأتابكية . - وفيه

- أخلع السلطان على أيديكي وإلى قطيا وقرّره في نيابة القدس عوضاً عن أزيلك الصوفي ، ونقل أزيلك الصوفي إلى نيابة غزّة عوضاً عن ملاج الذي كان نائب القدس ، وسجن ملاج . - وفي يوم الجمعة ثامن عشر منه توفي الأمير تغرى بردى من يلباي ٣ المعروف بالقادرى أمير أستاذار العالية ، فلما مات دفن بجوار الإمام الشافعى رضى الله عنه بترته التى أنشأها هناك ، وكان أميراً جليلاً دينا خيراً رئيساً حثماً ، وكان من جملة الأمراء العشرات ، وولى الأستاذارية الكبرى غير ما مرة ٦ وأقام بها مدة طويلة ، وكان ينتج بالسداد والناس عنه راضية ، وكان أقلّ ظلماً من غيره من الأستاذارية وكان لا بأس به .
- وفي ربيع الآخر أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال ٩ له قايتباى من طوبرزه وقرّره في نيابة الكرك فخرج إليها عن قريب . - وفيه عرض السلطان العسكر وعيّن ثلاث تجاريد واحدة إلى مكة بسبب يحى ابن سبع أمير الينع ، وواحدة إلى الكرك بسبب فساد عربان بنى لام ، وواحدة ١٢ إلى الهند بسبب تعبث الفرنج بسواحل الهند ، فعين في ذلك اليوم جماعة كثيرة من العسكر وأخذوا في أسباب عمل البرق . - وفيه أخلع السلطان على القاضى إبراهيم الشراييشى المعروف بابن البابا مباشر الأتابكى قيت الرجبى ، وقرّره متحدثاً ١٥ على أوقاف الزمامية وناظر الذخيرة وغير ذلك من الجهات السلطانية ، عوضاً عن شهاب الدين المرقبى بحكم صرفه عنها . - وفيه استعفى الأمير تمر باى خازندار العادل من الأستاذارية ، فأعفاه السلطان منها ولم ينتج بالسداد فيها . ١٨
- وفي جمادى الأولى في يوم مستهله أخلع السلطان على القاضى شرف الدين يونس النابلسى ناظر الديوان المفرد (١٥٥ آ) وقرّره في الأستاذارية الكبرى عوضاً عن الأمير تمر باى بحكم انفصالة عنها ، وهذه الوظيفة لم يليها متعمّم من ٢١ بعد القاضى تاج الدين بن المقسى لما جمع بين نظارة الخالص والأستاذارية في سنة اثنين وثمانين وثمانمائة في دولة الأشرف قايتباى سوى شرف الدين يونس النابلسى

ناظر الديوان المفرد . — وفيه ثبت النيل المبارك على أحد عشر أصبعا من
عشرين ذراعا ، واستمرّ في ثبات إلى آخر بابه وكان نيلا مباركا . — وفي يوم
٣ الخميس تاسع هذا الشهر كانت وفاة شيخنا الحافظ العلامة جلال الدين الأسيوطى
وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن
خضر بن أيوب بن محمد بن الهمام الخيضرى الأسيوطى الشافعى ، وكان عالما
٦ قاضيا بارعا في الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم ، وكان كثير الاطلاع
نادرة في عصره بقيّة السلف وعمدة الخلف ، وبلغت عدّة مصنفاته نحو من ستمائة
تأليف ، وكان في درجة المجتهدين في العلم والعمل ، وكان مدّة حياته نحو من
٩ اثنين وستين سنة وأشهر ، وكان مولده في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين
وثمانمائة ، ولما مات دُفن بجوار خانقصة قوصون التي هي خارج باب
القرافة ، قيل لما غسل أخذ الغاسل قبضه وقبعه فاشترى بعض الناس قبضه
١٢ من الغاسل بخمسة دنانير للتبرّك به وابتاع قبعه الذى كان على رأسه بثلاثة
دنانير للتبرّك به ، ولما مات رثاه شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى بهذه
الآبيات وهو قوله :

١٥	مات جلال الدين غوث الورى	مجتهد العصر إمام الوجود
	وحافظ السنّة مهدي الهدى	ومرشد الضالّ لنفع يعود
	فيا عيون انهملى بعده	ويا قلوب انفطرى بالوقود
١٨	واظلمى دنياى إذ حقّ ذا	بل حقّ أن ترعد فيك الرعود
	وحقّ للضوء بأن ينطقى	وحقّ للقائم فيك القعود
	وحقّ للنور بأن يخفى	وللىالى البيض أن تبق سود
٢١	وحقّ للناس بأن يحزنوا	بل حقّ أن كلا بنفس يوجد
	وحقّ للأجيال خرا وأن	تطوى السماء طيا كيوم الوعود
	وأن يغور المساء والأرض أن	تميدا إذ عم المصاب الوجود

- (١٥٥ ب) مصيبة جلّت فحلّت بنا وأورثت نار اشتعال الكبود
صبرنا الله عليها وأو لاه نعيما حلّ دار الخلود
وعمه منه بوبل الرضى والغيث بالرحمة بين اللحد ٣
انتهى ذلك : - وفيه مالت مأذنة جامع السلطان الذى أنشأه بالشرابشين ،
فلما تشققت وآلت إلى السقوط رسم بهدمها وقد ثقلت من علوها كون أنها
بأربعة رؤوس ، فلما هدمت أعيدت على الصحة وقد بنى علوها بالطوب وصنعوا ٦
عليه قاشانى أزرق ، وقد تقدّم مثل هذه الواقعة للمؤيد شيخ ، فلما بنى جامع
الذى هو داخل باب زويلة فالت مأذنته الشرقية عند انتهاء العمل منها فأمر بهدمها ،
فهدمت وأعيدت على ما كانت عليه وذلك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . ٩
وفى جمادى الآخرة فى يوم مستهله نفق السلطان على من تعيّن من العسكر
صحبة التجريدة المعيّنة إلى بلاد الهند ، فأعطى لكلّ مملوك عشرين ديناراً وأصرف
لهم جامكية أربعة أشهر معجلاً وكذلك العليق ، فكان جملة ما صرف لهم نحو ١٢
من خمسين ديناراً لكلّ شخص ، وكان العسكر الذى خرج فى هذه التجريدة
ملفقا ما بين أولاد ناس وبعض ممالك سلطانية والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود
رماة وثرأكة وغير ذلك ، وأرسل السلطان صحبتهم جماعة كثيرة من البنّائين ١٥
والنجّارين والفعلاء بسبب تلك الأبراج التى أنشأها السلطان فى جدّة وإنشاء
الصور . - وفى يوم الخميس ثانيه كانت وفاة قاضى القضاة الشافعى شهاب الدين
أحمد المعروف بابن فرفور الدمشقى ، وكان عالماً فاضلاً رئيساً حشماً فى سعة ١٨
من المال ذا شهامة وعظمة ، وقد جمع بين قضاء الشافعية بمصر والشام وهذا
لم يتفق لأحد قبله من القضاة ، ولما توفى الشهاب بن فرفور رسم السلطان لقاضى
القضاة الحنفى سرى الدين عبد البرّ بن الشحنة بأن يخطب به ويصلّى صلاة ٢١
الجمعة بالقلعة إلى أن يلى قاضى شافعى . - فلما كان يوم الجمعة خرج عبد البرّ وخطب

- بالسلطان وهو لابس السواد فصعد المنبر وخطب خطبة مختصرة . - وفى يوم الاثنين (١٥٦ ت) سادسه خرجت تلك التجريدة المعبّنة إلى بلاد الهند ، وكان لها يوم مشهود ، فكان باش الممالك الذين توجهوا فى المراكب إلى جدّة والتركان والعبيد الذين بها حسين المشرف ، وباش المغاربة الذين بها الخواجا نور الدين على المسلاقى المغربى ، فلما خرجوا توجهوا إلى نحو السويس ونزلوا من هناك .
- ٦ مراكب إلى جدّة ، وقد جهّز لهم السلطان عدّة مراكب مشحونة بالزاد والسلاح وغير ذلك . - وفيه كانت وفاة الشيخ الصالح سيدي محمد المغربى الشاذلى رحمة الله عليه ، وكان من مشاهير الأولياء . - وفى يوم الخميس تاسعه أخلع السلطان على الشيخ ولى الدين محمد ولد قاضى القضاة شهاب الدين بن فرفور وقرّره فى قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن أبيه بحكم وفاته ، وكان شابا لم يلتح بعد . - وفى يوم الجمعة رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البر بن الشحنة ١٢ بأن يخطب به ويصلّى الجمعة كما فعل فى الجمعة الماضية . - وفيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك حادى عشر هاتور القبطى . - وفى يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على الشيخ جمال الدين القلقشندي وقرّره ١٥ فى قضاء الشافعية بمصر عوضا عن الشهاب الدين بن فرفور بحكم وفاته .
- ومن الحوادث فى هذا الشهر أن شخصا من الأمراء العشرات يقال له مغلباى المقترع قتله عبده تحت الليل ، فلما بلغ السلطان ذلك شق العبد على باب سيّده فى مكان قتله به . - وفى سلخ هذا الشهر أخلع السلطان [على] أقبأى ١٨ كاشف الشارقة وقرّره فى نيابة غزة ، عوضا عن أزبك الصوفى الذى كان بها وصرف عنها .
- ٢١ وفى رجب فى يوم مستهله كانت وفاة الناصرى محمد بن الأتابكى أزبك من ططخ ، وكان شابا رئيسا حشما أصيلا عريقا سبط الملك الظاهر جقمق وأمه خوند بنت البارزى ابنة الظاهر جقمق ، وكان من جملة الأمراء العشرات وكان

- لا بأس به . - وفي يوم الخميس رابعه أخلع السلطان على شخص يقال له أقطوه وقرّره في كشف الشرقية عوضا عن أقبای بحكم انتقاله إلى نيابة غزة . -
- وفي يوم الأحد سابعه جلس السلطان بالميدان وعرضوا عليه أبقار الجرارييف ٣ وأبقار الدواليب ، فلما عرضوا على السلطان ورجعوا نهبوا صبيان الخوكة عدة دكاكين من باب النصر إلى باب زويلة ، وكادت القاهرة أن تخرب في ذلك اليوم عن آخرها ، فضج أصحاب البضائع واستغاثوا (١٥٦ ب) وطلعوا إلى السلطان ٦ وقد نهب لهم بضائع وقماش نحو من خمسمائة دينار ، فلما بلغ السلطان ذلك تشوش إلى الغاية ووبّخ الجمالى يوسف بن أبى أصبع وكان هو المتحدث على تلك الجهات وألزمه بإحضار من فعل ذلك من صبيان المربعين ، فنزل الزينى ٩ بركات بن موسى ويوسف بن أبى أصبع ليحرّروا ما نهب للناس ويرضونهم في بضائعهم حسبما رسم السلطان بذلك ، فلما نزل ابن موسى ويوسف بن أبى أصبع قبضوا على جماعة ممن فعل ذلك فرسم السلطان بشنق أربعة أنفس منهم ١٢ وضرب منهم جماعة بالمقارع ، وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع . - وفيه خرج الأمير قايتباى الرمضانى الذى ولى نيابة الكرك إلى محلّ ولايته وخرج صحبته العسكر المعين إلى الكرك بسبب فساد عربان بنى لام . ١٥
- وفي شعبان جاءت الأخبار بوفاة نائب صفد الأمير قانصوة قرا ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباى ، وكان لا بأس به . - وفيه عرض السلطان المحاييس فأطلق منهم جماعة وأبقى أصحاب الجرائم والفلاحين . - وفيه خرج ١٨ الأمير أقبای كاشف الشرقية الذى قرّر في نيابة غزة إلى محلّ ولايته بها . - وفيه أخلع السلطان على الأمير خاير بك كاشف الغربية أحد الأمراء المقدمين وقرّره أمير حاجّ بركب المحمل ، وقرّر قبلك رأس نوبة ثانى بالركب الأول ، ولم ٢١ يتم ذلك وبطل . - وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له قانى باى العثمانى وقرّره في نيابة صفد عوضا عن قانصوه قرا بحكم

- وفاته . - وفيه حضر شخص من فقراء الصعيد يقال له مهدي ، فلما مثل بين يدي السلطان قامت عليه البيّنة بأنه زنديقا ساحرا يتوضأ باللبن ويستنجأ به ،
- ٣ وذكروا عنه أشياء كثيرة من هذا النمط تخالف الشريعة ، فأرسله السلطان إلى قاضي القضاة المالكي فحكم بكفره بموجب ما قامت به عليه البيّنة وضرب عنقه تحت شبّاك المدرسة الصالحية بعد أن أشهروه على جمل وهو عريان . -
- ٦ وفيه كان دخول الأمير طراباي رأس نوبة النوب على أخت خوند الخاصبكية وهي زوجة الأمير أقبردي الدوادار ، فكان لهما مهماً حافلاً . - وفيه خرج قاني باي العثماني الذي قرّر في نيابة (١٥٧ آ) صفد إلى محل ولايته بها . -
- ٩ وفيه وقعت نادرة لطيفة وهو أن الشيخ جمال الدين السلموني الشاعر هجا القاضي معين الدين بن شمس وكيل بيت المال هجوا فاحشاً ، فن جملة ذلك هذا البيت :
- وحرفته فاقت على كل حرفه يركّب ياقوتا على فصّ خاتمه
- ١٢ فلما بلغ معين الدين ذلك شكّا السلموني إلى السلطان فقال له إن وجب عليه شيء بالشرع أدبه ، فنزل وضع السلموني في الحديد وأتى به إلى بيت قاضي القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة وادّعى عليه ، فضربه عبد البرّ وعزّره وأشهره على حمار وهو مكشوف الرأس . وقد ورد في بعض الأخبار أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من عاقب على الهجاء ، وقد قال بعض شعراء العصر في واقعة السلموني بيتين هما :
- ١٨ وشاعر قد هجا شخصاً فحل به من حاكم الشرع توبّخ وتعزير فأشهروه وجازوه بفعلته تبيّاً له شاعر بالهجو مشهور
- فلما بلغ السلطان ما فعله معين الدين بن شمس بالسلموني شقّ ذلك عليه
- ٢١ ووكل به وأمر بقطع لسانه ، فإنّه قال السلطان رسم لي بأن أشهر السلموني ، ولم يكن السلطان رسم بشيء من ذلك ، واستمرّ ابن شمس في الترسيم مدّة طويلة حتى تراضى السلطان بمال له صورة حتى رضي عليه وألبسه خلعة .

وفي رمضان تغير خاطر السلطان على شخص من الأتراك يقال له الشيخ سنطباى ، وكان يدعى التصوف وكان مقبياً بالمدرسة السنقرية التي تجاه خانقة سعيد السعداء ، فوثق به عند السلطان أنه يضرب الدراهم والدنانير الزغل ٢ فأرسل قبض عليه فوجد عنده عدة ضرب الزغل ، وكان عنده جماعة يفعلون ذلك فأمر السلطان بقطع أيديهم ، وأما الشيخ سنطباى شفع فيه الأتابكى قرقاس من قطع اليد فرسم له السلطان بأن يتوجه إلى القدس ويقم به بطالا ، وكان ٦ الشيخ سنطباى أصله من ممالك الأشرف قايتباى وكان يدعى الصلاح فأنكشف ركه وظهر للناس أمره ، وقد قال فيه القائل :

يا مَنْ يضرب الفلّس حصاراً مشتغلاً وما رأيناه قطّ يضرب ذهب ٩

إلا بطول الدهر ضراب فلوس ولجّد ضرب الفلّس عقله ذهب

(١٥٧ ب) وفيه جاء شخص من بلاد جركس وهو صبي صغير زعموا أنه

أخو السلطان ، وكذلك حضر آخر زعموا أنه أخو الأمير أزدمر الدوادار ١٢ فأنزلوهما بالطبقة .

وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى ، وكان انختم بالحوش السلطاني وقد

نصبت هناك خيمة كبيرة ، وكانت العادة القديمة بأن البخارى يقرأ بالقصر ١٥

ويختم بالقصر الكبير ويكون له يوم مشهود ، وتفرّق هناك الخلع على

القضاة ومشايخ العلم وكذلك الصرر ، فبطل ذلك وصار البخارى يقرأ بجامع

القلعة ويختم بالحوش فتكون ساعة يسيرة ثم ينفض ذلك المجلس عن أمرهين . ١٨

وفي شوال كان موكب العيد حافلاً وفرقت الخلع على الأمراء ونزلوا

إلى دورهم ، وكان يوماً مشهوداً . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن أهل

المدينة ثاروا على نائبها أركماس من طراباى ورجوه وأخرجوه من المدينة ، فلما ٢١

بلغ السلطان ذلك أرسل بالحضور إلى أركماس نائب الشام وعين نيابة الشام إلى

- سيبى أمير سلاح ، ثم إن السلطان قبل أن يخلع عليه رسم له بأن يتوجه إلى بيت
الأمير أزدمر البوادر وأن يحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة
٣ الأربعة ويحلقوه بحضرتهم ، فلما تكامل المجلس أحضروا سيبى وحلقوه على
مصحف شريف وكتبوا عليه صورة حلف بأنه لا يعصى على السلطان ولا يخامر
ولا يخون الإيمان ، وشهد عليه الخليفة والقضاة الأربعة بذلك . - ثم في يوم
٦ الخميس سابع عشره أخلع السلطان على سيبى وقرّره في نيابة الشام عوضا
عن أركاس الذى كان بها ، فنزل من القلعة في موكب حافل . - وفيه جاءت
الأخبار من مكة بأن الأحوال فاسدة وأن عربان بنى إبراهيم قد التفّوا على
٩ يحيى بن سبع أمير الينبع ومالك بن روى أمير خليص وقد اشتدّ الأمر في ذلك
جدا ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بإبطال التوجّه إلى الحجاز في هذه السنة من
مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة ، وكانت هذه الواقعة من أعظم المصائب والثلّم
١٢ في الدين ، وقد حضر الركب التكرورى والركب المغربى ولم يحجّ منهم أحد
في تلك السنة ، ثم إن السلطان أرسل كسوة الكعبة الشريفة وصرر الحرمين
والزيت من البحر المالح في مراكب من الطور ويتوجهون من هناك إلى جدة ،
١٥ ثم إن السلطان عزل يحيى بن سبع عن أمرة الينبع (١٥٨ ت) وولى بها شخصا
من أولاد درّاج الذى كان أمير الينبع قبل ذلك ، ولم يسمع من مبتدأ دولة
الأنراك وإلى الآن بأن الحجاج امتنع خروجهم إلى مكة سوى في هذه السنة
١٨ وهى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وقد تقدّم ما وقع من الجازانى في حقّ الحجاج
بالركب الشامى والعراقى والمصرى وما صنع بالمجاورين بمكة في سنة ثمان وتسعمائة
وقد تقدّم القول على ذلك . - وقد جرى على الناس من الحوادث القديمة ما هو
٢١ أعظم من ذلك ، وهو أن في سنة ثمان عشرة وثلثمائة في دولة الخليفة
القاهر بالله أبى منصور محمد بن الخليفة المعتضد بالله العباسى خليفة بغداد لما

تغلبت على الخلفاء طائفة من العربان يقال لهم القرامطة ، وكان أميرهم شخصا
يسمى أبو ظاهر القرمطى ، وكان يدعى أنه علوى من أولاد الإمام على
رضى الله عنه ، وكان يقول نحن أفضل من بنى العباس ، وكانت هذه القبيلة دون ٣
الألف إنسان ، وكان أبو ظاهر القرمطى خارجيًا سفاكا للدماء جاهلا ، وكانت
قبيلة هذه القرامطة يسكنون بهجر ، فلما خرج ركب الحاج من بغداد وكان
أمير الركب يسمى منصور الديلمى ، فلما وصل بالحاج إلى مكة وأقام بها إلى يوم ٦
الصعود هجم عليهم أبو ظاهر القرمطى بمن معه من العربان فقتل محارب أمير
مكة وقتل منصور الديلمى أمير الركب ونهب جميع الأموال التى بمكة وقتل
الحجاج عن آخرهم وأسر النساء والصبيان الصغار ، فكان عدة من قتل فى هذه ٩
الحركة نحوًا من خمسة وثلاثين ألف إنسان ، وطرح غالب القتلاء بيئر زمزم
حتى امتلأت بالقتلاء ، ثم دخل إلى البيت الشريف وأخذ ما كان فيه من القناديل
الذهب والفضة ، وقلع باب الكعبة الشريفة وقلع الحجر الأسود وعرى الكعبة ١٢
ونزع الكسوة عنها ، وكانت هذه الحادثة من أجل المصائب وأعظمها ، ثم إن
أبا ظاهر القرمطى نقل ما نهبه من الأموال وغيرها إلى هجر ، واستمر الحج
منقطعًا من بغداد وغيرها من البلاد نحوًا من عشرين سنة لم يحج فيها إلى ١٥
البيت أحد ، فلما كانت خلافة الراضى بالله أحمد بن المقتدر مشى أبو على بن
يحيى العلوى بين طائفة هذه القرامطة وبين الخليفة بالصلح حتى أذنوا للناس
بالحج ، وجعلوا على الحجّاج فى كل سنة نحوًا من خمسين ألف دينار تعطى حتى يمكنهم ١٨
من (١٥٨ ب) الدخول إلى مكة ، وهذا أول مكس أخذ على الحجّاج من
يومئذ ، وكان ذلك فى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، وقيل أن أبا على بن يحيى العلوى
تلطف بالقرامطة حتى ردّوا الحجر الأسود وباب الكعبة إلى مكانهما بعد جهد ٢١
كبير ، أورد ذلك ابن الجوزى ، انتهى ما أوردناه من هذه الواقعة ومن هنا
فرجع إلى أخبار دولة الغورى .

- وفي ذي القعدة ركب القاضي كاتب السرّ محمود بن أجا وطلع إلى القلعة ،
 وكان له مدّة طويلة وهو منقطع في داره بسبب توعّك جسده حتى شفى ،
 فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل من القلعة في موكب حافل وقدّأمه
 القضاة الأربعة وأعيان المباشرين قاطبة . - وفيه جاءت الأخبار بوصول الأمير
 جانم المصبغة الذي كان حاجب الحجاب بمصر وخرج مع الأمير أقبردى
 الدوادار لما انكسر ، فلما مات أقبردى أقام جانم هذا بدمشق وقد نسي أمره
 مدّة طويلة فشفع فيه بعض الأمراء فرسم السلطان بإحضاره إلى القاهرة ، فلما
 وصل إلى غزة مرض واستمر عليلاً حتى دخل خانقة سرياقوس فمات بها ولم
 يدخل إلى القاهرة ، فلما مات هناك حُمِلت جثته ودُفِن بالصحرَاء ، وكان أميراً
 جليلاً رئيساً حشماً وولى عدّة نيابات سنّية ثم بقي حاجب الحجاب بمصر ، وكان
 من حلف أقبردى الدوادار ، وجرى عليه شذائد ومحن ، وفاته القتل مراراً عديدة ،
 وكان من خيار مماليك الأشرف قايتباي . - وفيه سافر تغرى بردى الترحمان
 إلى نحو بلاد الفرنج وأخذ معه كتاب البترك ؛ وكان قد تزايدت عبث الفرنج
 بالسواحل وأخذ أموال التجار . - وفي يوم الخميس ثاني عشره أخلع السلطان
 على قاضي القضاة الشافعي محي الدين عبد القادر بن النقيب وأعادته إلى قضاء
 الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندي بحكم صرفه عنها ، فكانت مدّة
 برهان الدين القلقشندي في القضاء نحواً من ستة أشهر وقد سعى فيها بثلاثة آلاف
 دينار ، ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار وغرم نحواً من ألفي دينار
 للذي سعى له من الأمراء وغيرهم ، وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره
 من خواص السلطان ، وهذه ثالث ولاية وقعت (١٥٩٩) لابن النقيب بمصر ،
 وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء ولم يقيم بها في الثلاث مرّات إلاّ
 مدداً يسيرة ويعزل عنها ، فكان كما يقال في المعنى :

يُنْفِي البَخِيلُ بِمَجْمَعِ الْمَالِ مَدَّتَهُ وللحوادث والأيام ما يدَعُ
كلودة القُرَى ما تَبْنِيهِ تَهْدِمُهُ وغيرها بالذي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

وكان غير مشكور السيرة رث الهيئة بُجَاقِ النفس يزدرية كل من يراه ، ٢
وقد قال فيه بعض شعراء العصر مداعبة لطيفة ، وهو قوله :

قَاضٍ إِذَا انفصل الخِصْمَانِ رَدَّاهُ إلى جدالٍ بِحُكْمٍ غَيْرِ منفصل

يُبْدِي الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَزَخْرَفَهَا جَهْرًا وَيَقْبَلُ سِرًّا بَعْرَةَ الْجَمَلِ ٦

وقال آخر وقد أفحش في حقّه جدًّا ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله وأنا

استغفر الله تعالى من ذلك :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قِفُوا واسمعوا صفات قاضينا التي تطرب ٩

يلوط يزني ينتشي يرتشي ينمّ يقضي بالهوى يكذب

وفي هذا الشهر كثير الحريق بالقاهرة وصار في كل ليلة يحترق عدة أماكن

بسبب الدريس الذي يكون ببيوت الأتراك ، وكانت الممالك أكثرت من خزن ١٢

الدريس في هذه السنة ، وصارت الممالك يمسكون الناس من الطرقات غصبا

ويحبسونهم عندهم أياما بسبب نقل الدريس ، وتعطلت أحوال الناس بسبب ذلك

حتى صنفوا العوام رقصة وهم يقولون : ١٥

اهرب يا تَعِيسَ وإلاّ يَحْمَلُوكَ الدريس

وفي ذى الحجة في يوم الخميس سابعه خرج سيباى الذى قُرّر في نيابة

الشام ، فكان له يوم مشهود . - وفيه في ثامنهِ حضر المقرّ السيفى أركماس الذى ١٨

كان نائب الشام وانفصل عنها ، فلما حضر وقابل السلطان أكرمه وأخلع عليه

ورسم له بأن ينزل في الأذربكية ويسكن في بيت الأتابكى أزيك . - وفيه بلغ

السلطان بأن طائفة من الممالك الذين توجهوا إلى الكرك صحبة التجريدة قد ٢١

دخل منهم جماعة في الخفية إلى القاهرة من غير إذن السلطان ، فصار يكبس

عليهم وحصل لهم الضرر الشامل من السلطان ونادى لهم بأن يعودوا إلى الكرك

ولمّا تقطع جوامعهم ويحصل عليهم ما لا خير فيه (١٥٩ ب) فخرجوا من يومهم على وجوههم .

٢ وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض وذلك في ثالث عشر بشنس القبطى ، ثم ابتدأ بضرب الكرة ، وكانت الأمراء المقدّمون جميعهم حاضرة بمصر لم يكن منهم أحد غائبا في السفر ، فكانت للسلطان في هذه السنة مواكب مشهودة حافلة ، كما يقال في المعنى في ضرب الكرة :

يا حسنها كُرّةٌ كالنجم سائرةٌ قد طال ترددها بين الجواكين
تفرّق الهمّ إذ كانت مؤلفةً بين القلوب بآراء السلاطين
٩ لجبّروهم لقلوب الجنّد إذ لعبوا مع الملوك وهم بعض المساكين

وفيها أنعم السلطان على قرابته الأمير طومان باى بن أخيه بتقدمة ألف ، مضافا لما بيده من شادية الشراب خاناه . - وفيه جاءت الأخبار من الشرقية بأن وقع هناك معركة مهولة بين شيخ العرب بيبرس بن بقر وبين نجم شيخ العايد ، ١٢ فقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من العربان ، واستمرّ الحرب ثائرا بين الفريقين ، ودخل أقطوه الكاشف إلى القاهرة وهو مشحوت من العرب . - وفيه حضر شخص من أولاد على دولات أخو سوار أمير التركمان وصحبته تقدمه حافلة للسلطان ، فأكرمه وأخلع عليه ثم قرّره في تقدمه ألف بحلب فيما بعد . - وقد وقع في هذه السنة الخصب والرخاء في سائر الغلال والبضائع ، وكانت سنة ١٨ هادئة من الفتن بين الأتراك ، ولكن كان معظم الأمر فيها بطلان الحاجّ بسبب عصيان يحيى بن سبع أمير الينبع ومالك بن روى أمير خليص ، ولم يبطل الحاجّ في هذه السنة كبير أمر أوجب ذلك وإنما السلطان أهمل الأمور في أول الأمر حتى تزايدت الفتن بين قبيلة بنى إبراهيم والتفّصوا على الجازانى وجرى منهم ما تقدّم ٢١ ذكره ، وغلب القضاء والقدر في هذا الأمر والحكم لله فيما يريد انتهى ذلك ،

(١٦) بحلب : جاءت في الأصل بعد كلمة « السلطان » في نفس السطر .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وتسعمائة

- فيها في المحرم جاءت الأخبار من الكرك بأن أهل الكرك قد وثبوا على
 النائب الذى توجه إليها فخرج منها هاربا وأتى إلى غزة ، وسبب ذلك أن نائب ٣
 الكرك لما تولّى عليها أراد أن يظهر له حرمة فشنق حاجب المدينة وأخاه
 وأولاده فما طاقوا ذلك أهل الكرك ووثبوا عليه ، فلما بلغ السلطان ذلك تغيّر
 خاطره على نائب الكرك ورسم بنفيه إلى القدس بطّالا . - وفيه كبي الفرس ٦
 بالأمير طراباى رأس نوبة النوب وهو يضرب الكرة مع السلطان فانزعجت يده ،
 (١٦٠ آ) ومات الفرس الذى كان تحته فأنعم السلطان عليه بفرس غيرها . -
 وفيه في يوم عاشوراء أمر السلطان بأن تجمع الفقراء والخرافيش عند سلّم المدرج ، ٩
 فاجتمع هناك الجمل الغفير من الفقراء والخرافيش ، ونزل السلطان بنفسه ووقف
 وهو راكب على فرسه تحت سلّم المدرج وصار يعطى لكل إنسان من الفقراء من
 رجل وإمرأة وكبير وصغير أشرفيا ذهابا ، فوقع الازدحام بين الفقراء حتى قتل ١٢
 منهم في ذلك اليوم ثلاثة أنفار من شدة ازدحامهم ، فكان كما يقال في المعنى :
 فيا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل
- وقيل أنه فرق في ذلك اليوم نحو من ثلاثة آلاف دينار فارتفعت الأصوات ١٥
 له بالدعاء ، فلما رأى ازدحام الفقراء لم ينزل مرة أخرى ولم يفرّق شيئا وكان
 قصده يفرّق على الفقراء مرة أخرى . - وفيه أخلع السلطان على ملاج وأعاده
 إلى نيابة القدس كما كان أولا ، وأضاف إليه نيابة الكرك والتحدث على مدينة ١٨
 لُدّ والرملة ، وكان ملاج غير مشكور السيرة سيئ التدبير في أفعاله . - وفيه
 حضر نجّاب من مكة وأخبر أن طائفة بنى إبراهيم قد دخلوا تحت طاعة أمير
 مكة وتلاشى أمر يحيى بن سبع فلم يثق السلطان بذلك . - وفي ثامن عشره ٢١

- طلع ابن أبي الردّاد ببشارة النيل وجاءت القاعدة سبعة أذرع وعشرة أصابع أرجح من النيل الماضي بعشرة أصابع . - وفي يوم سلخه خرج ملاج إلى محل نيابته ٣ بالقدس وخرج صحبته الممالك الذين كانوا حضروا من الكرك بغير إذن كما تقدّم .
- وفي صفر كان ختام ضرب الكرة ، فجمع السلطان الأمراء ومدّ لهم مدّة حافلة وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . - وفيه أخرج السلطان له خرجا من ٦ الممالك نحو من أربع مائة مملوك ، وأخرج لهم خيلا وقاشا ولم يخرج من بعد الفصل خرجا سوى هذا ، وصاروا يسمّون الأشرفية الغورية . - وفيه حضر القضاة الأربعة ببيت الأمير أزدمر الدوادار بسبب عقد مجلس ، فوقع في ذلك المجلس ٩ بعض تشاجر بين قاضي القضاة الشافعي محيي الدين عبد القادر بن النقيب وبين قاضي القضاة الحنفي عبد البرّ بن الشحنة ، فتفاوضا في الكلام حتى خرجا في ذلك عن الحدّ ، فدخل بينهما الأمير أزدمر الدوادار حتى سكن الأمر (١٦٠ ب)
- ١٢ بينهما قليلا ، وسبب ذلك لأجل خزانة الكتب التي بالمدرسة المحموديّة ، وأمر هذه الواقعة قد اشتهر بين الناس . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن حضر إلى مكة بسبب الحجّ جماعة كثيرة من اليمن والعراق وغير ذلك من البلاد ١٥ ووقفوا بالجبل ، فتنكّد السلطان بسبب ذلك لعدم خروج المحمل من القاهرة ورأى ذلك في حقّه نقصاً بين ملوك اليمن وغيرها . - وفيه جاءت الأخبار من اليمن بأن التجريدة التي خرجت إلى الهند بسبب تعبث الفرنج لما وصلوا ١٨ إلى اليمن اتفقوا مع يحيى بن سبع أمير اليمن فهرب من وجههم ، وكانت الكسرة عليه وقتل من عربانه جماعة كثيرة ، وأحرقوا الدور التي على ساحل البحر الملح التي ببندر اليمن ، وأخربوا غالب دكاكينه وشتتوا العربان الذي ٢١ به ، ثم جاءت الأخبار بأن العسكر لما وصل إلى جدّة شرع حسين باش العسكر وسفّر أحد الزردكاشيّة وعلى المسلاقي المغربي في بناء أبراج على ساحل بندر

جدة وكان هذا عين الصواب ومن أحسن المباني ، ثم جاءت الأخبار بأن العسكر لما وصل إلى سواكن ملكوها بالأمان واحتاطوا على ما فيها من بهار وغيره وشتتوا أهلها عنها ، فانشرح السلطان لهذه الأخبار . - وفيه أخلع السلطان على ابن علي ٣ دولات وأذن له بالسفر إلى أبيه ، وعين معه شاد بك نائب المهندار ، وأرسل صحبته مقدمة حافلة إلى علي دولات - وفيه وقعت فتنة كبيرة بين الزعر في الرملة تحت القلعة ، فلما بلغ الوالى ذلك ركب ومعه جماعة من الممالك وهم ٦ لابسون آلة السلاح فاتقوا معهم في وسط الرملة فقتل من الزعر في ذلك اليوم سبعة أنفار وانهمزموا الباقون . - ومن الحوادث أن جارية سوداء قتلت ستها وابن ستها وأخا ستها ، فلما عرضت على السلطان رسم بقطع يدها ٩ وشهرت في القاهرة ، ثم كلبت وعلقت عند خوخة المغازلين في مكان قتلت فيه ستها . - وفيه أخلع السلطان على قانصوه رُوح لو وأعيد إلى كشوفية الشرقية كما كان أولا ، وقد اضطربت أحوال الجهات الشرقية إلى الغاية فخرج قانصوه ١٢ المذكور وصحبته جماعة كثيرة من العسكر ، وكان السلطان قرّر قانصوه هذا من جملة الأمراء المقدمين فعظم أمره جدا .

وفي ربيع الأول طلع القضاة الأربعة (١٦١٦) إلى القلعة لأجل التهنئة ١٥ بالشهر ، فلما تكامل المجلس أصلح السلطان بين القاضى الشافعى عبد القادر بن النقيب وبين القاضى الحنفى عبد البر بن الشحنة ، وكان بينهما وحشة كما تقدم ، فلما اصطلحا أخلع السلطان عليهما ونزلا إلى دورهما . - وفيه جاءت الأخبار ١٨ من الشرقية بأن العرب العصاة قطعوا جسر سنيت والحلفاية على الجرون حتى غرقت ، وكان النيل قد أشرف على الوفاء وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل وتوقف النيل عن الزيادة لأجل المقاطع التى قطعت عليه . - وفيه عمل السلطان ٢١ المولد النبوى وكان حافلا . - وفي العشرين منه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى في العشرين من مسرى وكبر في الحادى والعشرين منها ، فلما أوفى توجه

الأتابكي قرقاس وفتح السدّ على العدة ، وكان يوما مشهودا . - ومن الحوادث في ذلك اليوم أن الأتابكي قرقاس لما أراد أن يطلع من الحراقة عند المقياس ٣ نشر خازن داره على رأسه خفاف الذهب والفضّة : فتكاثرت عليه الناس ، فجفل الفرس به فأقلبه في البحر ، فلاقته النواتية وطلعوا به في المركب وقد انبلّ شاشه وقاشه حتى غيّرهما ، وتوجّه إلى نحو المقياس وهو ماشى : وقبل إن الفرس غرق ، وطلعوا به وهو يعرج ، وحصل للأتابكي قرقاس في ذلك اليوم مشقة زائدة بسبب ذلك . - ومن الحوادث في هذا الشهر كان انتهاء العمل من الجامع الذي أنشأه الشيخ عبد القادر الدشطوطي بجوار بركة الرطلى على أرض الطباله وبركة ٩ القرع ، فلما كمل خطب به الشيخ علاي الدين الإخيمي النقيب ، واجتمع به في ذلك اليوم قضاة القضاة وأعيان الناس وكان يوما مشهودا ، ثم إن الشيخ عبد القادر أشار بفتح فمّ بركة القرع حتى تدخلها المراكب مثل بركة الرطلى ، ففتح لها مسرب ١٢ من الخليج الحاكى من عند ذيل التماسح ، فلما كان يوم الجمعة دخل فيها المراكب وانطلقت لها ألسن النساء بالزغاريت ، وكان يوما مشهودا وعُدّ ذلك من النوادر ، وصارت المراكب تدخلها في كل سنة من يومئذ .

١٥ وفي ربيع الآخر تغيّر خاطر السلطان على أربعة من الأمراء الطبلخانات فقبض عليهم وهم جان بردى تاجر الممالك وقلج أمير آخور ثاني وبيردى أخو (١٦١ب) جان بلاط الذى تسلطن وتمّ المقرى ، فلما قبض عليهم قيدهم ، وسبب ذلك قد بلغ السلطان هؤلاء الأمراء كانوا قد اتفقوا على قتله لما ينزل إلى الميدان ١٨ وقت الظهر وقد أقرّ بعضهم على نفسه بصحة ما نقل عنهم ، فلما تحقق السلطان ذلك قبض عليهم ورسم بنفيهم . - وفيه توفى القاضى شمس الدين محمد بن مزاحم ٢١ الطرابلسى ناظر الإسطنبول ، وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنّية ، لكنّه كان غير مشكور السيرة وعنده ظلم وعسف . - وفيه أخلع السلطان على الأمير ماماي جوشن وقرّره كاشف الغربية عوضا عن الأمير خاير بك من أبنال الذى

كان بها وقد تعين باش التجريدة إلى الحجاز . - وفيه وقع أن شخصا من الأتراك ،
يسمى ماماي الداودي ، أبو الأمير أبي يزيد أحد المقدّمين ، ضرب شخصا من تجّار
الأروام بسبب مشترى بغل ، فلما ضربه سال دمه فطلع التاجر شكاه إلى السلطان ٢
فرسم لنقيب الجيش بالقبض عليه وأن ينفيه إلى الواح ، فلما قبض عليه نقيب الجيش
هرب من عنده تلك الليلة فحصل على نقيب الجيش ما لا خير فيه بسببه ، فلما
هرب ماماي المذكور اختفى الأمير أبو يزيد بسبب ذلك ، ثم إن ماماي توجه ٦
إلى الأتابكي قرقاس ليشفع فيه عند السلطان فطلع به وقابل السلطان ، فحطّ
عليه وقصد ضربه ثم رسم بنفيه إلى الواح ، وكان ماماي هذا من شرار الممالك
وكان مشددا على جهات المكوس بقطيا . - وفي هذا الشهر وقع الاضطراب ٩
بين الأمراء وأشيع أمر الوثوب على السلطان بسبب الأمراء الذين رسم بنفيهم
كما تقدّم ، وقد صتم على نفيهم لأمر أوجب ذلك . - وفيه تغيّر خاطر السلطان
على الزيني فرج الحاجب ورسم بتسليمه إلى بركات بن موسى ، وقرّر عليه عشرة ١٢
آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى أن حطّ عنه خمسة آلاف دينار ويرد خمسة آلاف ،
فأباع جميع قماشه ورزقه وما يملكه وأقام مدّة طويلة وهو في التوكيل به
وقاسى شدائد ومحن عظيمة ، وسبب ذلك أن أنصبأى حاجب الخجاب أمره أن ١٥
يحرس بعض الجسور في أيام النيل فامتنع من ذلك فطلع أنصبأى وشكاه إلى
السلطان فجرى عليه ما جرى ، وموجب هذا كله خسة نفسه (١٦٢ آ) وشحه
أوجب ذلك ، كما يقال :

١٨

وربّ جار لنا شحيح ليس له بالجميل عادة

أعظم شيء تراه منه مسّاكم الله بالسعادة

وفيه جلس السلطان بالحوش وأحضر المصحف العثماني وحلّف عليه سائر ٢١
الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وموجب ذلك كثرة الإشاعات بأمر الوثوب
على السلطان . - وفي ذلك اليوم أخلع على الأمير نوروز أغات أذدمر النوادر
وقرّره تاجر الممالك عوضا عن الأمير جان بردى المغضوب عليه . - وفيه أخلع ٢٤

- على بيبرس قريب السلطان وقرّر أمير آخورثاني عوضاً عن قلع المغضوب عليه : -
- ٢ وفيه أخلع السلطان على شمس الدين محمد بن فخر الدين كاتب الممالك وقرّره في نظر الاسطبل عوضاً عن ابن مزاحم بحكم وفاته . - وفيه رسم السلطان بإخراج هؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم فتنى بيبردى أخا الأشرف جان بلاط وتم المقرى إلى البلاد الشامية ، فتسلّمهما الوالى وهما في قيود وتوجّه بهما إلى الخانكاه فرسم لأحدهما بالتوجّه إلى طرابلس والآخر إلى حلب ، وأما جان بردى وقلج فاستمرّا في البرج وهما في قيود وزناجير حتى يكون من أمرهما ما يكون . - وفيه جاءت الأخبار من الكرك بأن عربان بنى لام كسروا ملاح نائب القدس وقتلوا من الممالك السلطانية الذين خرجوا معه في التجريدة جانباً كبيراً ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وكتب عدّة مراسيم إلى نائب الشام ونائب طرابلس ونائب صفد بأن يجمعوا العساكر ويزحفوا على العربان من بنى لام . - وفي هذا الشهر ترايد فساد العربان بالشرقية والغربية حتى أعياى الكشف أمرهم واضطربت الأحوال جداً . - وفيه توفى الصارمى إبراهيم بن جكم ، وكان من أعيان أولاد الناس وكان لا بأس به . - وفيه كانت الأسعار مشتتة في سائر البضائع والغلال .
- ١٥ وفي جمادى الأولى تغيّر خاطر السلطان على القاضي فخر الدين بن العفيف كاتب الممالك ورسم عليه أربعة من الخاصكية وأقام مدة وهو في الرسم ، وقرّر عليه مالا حتى يردّه لما تقتضيه الآراء الشريفة في أمره (١٦٢ ب) . - وفي يوم الاثنين عاشره نفق السلطان على العسكر المعين إلى تجريدة الحجاز ، فنفق لكلّ مملوك مائة دينار وسبعة أشرفيّة ثمن جمل ، وقرّر معهم بأن يكون السفر أوّل رجب فشرعوا في عمل البرق . - وفيه أخلع السلطان على القاضي فخر الدين كاتب الممالك وأعادته إلى وظيفته بعد أن أورد نحواً من ألفي دينار وكسور . - وفيه ثبت النيل المبارك على تسعة عشر ذراعاً وأصبعين من عشرين ذراعاً وانهدط قبل دخول بابه وكان نيلاً متوسطاً . - وفيه عُقد للأمير طومان باى قريب السلطان على ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، وكان العقد بالقلعة وحضر

- القضاة الأربعة وسائر الأمراء وأعيان الناس ، وكان الأمير طومان باى يومئذ فى غاية العظمة وقد جمع بين شادية الشرايحانة وتقدمة ألف . - وفيه رسم السلطان بشنق شخص يسمّى عمر وكان مباشرا بالواح فشُنق على باب زويلة ، وشنق معه ٣ شخص آخر يسمّى الشيخ حسن من مباشرى الواح أيضا . - وفى أواخر هذا الشهر رسم السلطان بعقد مجلس فى الميدان ، فاجتمع هناك القضاة الأربعة ، وذلك بسبب شخص يسمّى شمس الدين بن أبى عبيد ، وقصّته مشهورة بين الناس ، فوقع ٦ فى ذلك المجلس بسببه بين القضاة ما لا خير فيه وآل أمره بأن السلطان رسم بعزله عزلاً مؤبداً ، وانفصل المجلس على ذلك .
- وفى جمادى الآخرة قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، وقد خالف العادة ٩ فلبس الصوف فى سادس عشرين بابه قبل دخول هاتور بأربعة أيام ، ولم يكن الحال يقتضى ذلك ولا أفرط البرد فى تلك الأيام فعداً ذلك من النوادر ولم يُعلم ما سبب ذلك . - وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصا من أبناء التجار يقال ١٢ له عمر بن عبد اللطيف ، وكان والده من أعيان التجار ، فأشيع عنه أنه قد قتل زوجته فى بنية خشب وأحرقها بالنار لأمر وقع منها ، وكانت هذه الواقعة برشيد ، فلما بلغ السلطان ذلك أحضره فى الحديد ، فلما حضر عاقبه على ذلك أشد العقوبة ١٥ فلم يقرّ بشيء فاحتاط على موجوده جميعا وأسلب نعمته وكان فى سعة من المال ، ثم سجنه وأقام به مدّة طويلة نحو من أربع سنين وقاسى شدائد ومحن وأمره مشهور . - وفيه (٦١٦٣) أنعم السلطان على أركماس من طراباى الذى كان ١٨ نائب الشام وحضر إلى القاهرة بتقدمة ألف وجعل له مرتباً على الذخيرة من غير إقطاع ، ورتّب فى كل شهر له ألف دينار وفى كل سنة ألف أردب قمح ، ورسم له بأن يقف فى المواكب فوق الأمير طراباى رأس نوبة النوب ، وأحضر له تخفيفة ٢١ من تخافيفه التى بالقرون الطوال فألبسها له ، وقلع من عليه سلارى وشنق وألبسه له ، فحصل له فى ذلك اليوم غاية الجبر من السلطان ، واستمر ساكناً بالأزبكية . -

وفيه توفى الركنى عمر بن تغرى بردى السيفى سودون بقجة الذى كان دوا دار
الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز ، وكان رئيسا حثما كثير العشرة للناس وكان
لا بأس به فى أولاد الناس . - وفيه سافر ناظر الخاص علاى الدين بن الإمام
إلى جهة الطور بسبب تجهيز العليق لأجل العسكر المعين إلى مكة فخرج ومعه
جماعة من المماليك السلطانية .

- ٦ وفى رجب أخلع السلطان على شرف الدين النابلسى الأستاذار باستمراره
فى الأستاذارية وكان أشيع عزله . - وفى يوم الاثنين سابعه حضر دولات باى
قراية للمادل طومان باى الذى كان نائب الشام ، وولى نيابة طرابلس أيضا ، وكان
أظهر العصيان والتف على سيىاى نائب حلب ، فلما حضر سيىاى وقابل السلطان
فقرّ دولات باى والتجأ إلى على دولات وأقام عنده ، فأرسل على دولات ولده
إلى السلطان ليشفع فى دولات باى ، فأجابه السلطان إلى ذلك وأرسل له أمانا على
يد شاد بك نائب المهندار ، فلما وثق [من ذلك حضر إلى القاهرة ، وقد حدثت
من] دولات باى هذا أمور شتى وتوجه إلى بلاد ابن عثمان على أن يثير فتنة
كبيرة فما طلع من يده شيئا وآل أمره إلى أن حضر بالأمان ، فلما قابل
السلطان حمل تحت إبطه ثوبا بعلبكيا أى كفته كما فعل قانصوه خمسمائة ، فعفى
عنه السلطان وأخلع عليه كاملة مخمل أحمر بصمور ونزل من القلعة فى موكب
حافل . - وفى هذا الشهر خرج العسكر المعين إلى مكة وكان باش العسكر خاير
بك من أينال كاشف الغربية أحد المقدمين وصحبته قنك من شاد بك رأس نوبة
ثانى ، وخرج صحبتهم جماعة من الأمراء العشرات ، ومن المماليك السلطانية نحو من
خمسمائة مملوك ، وخرج صحبتهم هجار بن دراج الذى قرّر فى أمرة الينع عوضا عن
٢١ يحيى بن سبع ، وخرج صحبتهم المحمل الشريف فكان (١٦٣ب) لهم يوم مشهود ،
لكن رسم السلطان بأن امرأة لا تخرج صحبة العسكر ومنعوا من ذلك ، وخرج صحبة
الأمير خاير بك نحو من مائة قواس ، فأقام المحمل لما خرج بالريداية إلى يوم الأربعاء

تأسعه ثم رحل من هناك [صحبة] العسكر، ولما خرج الأمير خاير بك رسم السلطان لجان
بردى تاجر الماليك الذى كان غضب عليه وسجنه بالبرج بأن يخرج صحبة العسكر
منفيا إلى مكة ويقيم بها . - وفى ذلك اليوم رسم بإخراج قلعج أمير آخور ثانى ٢
إلى حلب منفيا ، وقد تقدّم أنه غضب عليه . - وفى يوم الجمعة حادى عشره صلى
السلطان بالجامع ، وجلس على باب الستارة ، وأخلع على الأمير دولابى المقدم
ذكره وقرره فى أمرة السلاح عوضا عن سيابى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام . ٦

وفى شعبان عرض السلطان المحاييس والنساء التى بالحجرة وأطلق منهم جماعة
وصالح عنهم من أرباب الديون من ماله . - وفيه وصل إلى السلطان من البلاد
الشامية صناديق خشب وفيها أشجار بطينيا ما بين تفاح شامى وكثرى وسفرجل ٩
وقراصية وكروم عنب وأشجار مزهرة ما بين ورد أبيض وسبوسان وزنبق وغير
ذلك من الأزهار الشامية ، حتى أحضر إليه شجرة جوز هند بطينيا ، فغرس ذلك
جميعه بالميدان الذى تحت القلعة ، فكانوا نحوا من مائة وخمسين حملا ، فعدّ ذلك من ١٢
النوادر اللطيفة ، وقد تقدم أنه أنشأ به مناظر ومقاعد وأماكن للمحادثات وأرمى
بأرضه الأحمال الطين ، وكان السلطان مولعا بغرس الأشجار وحب رؤية الأزهار
والرياضات وهذه الأخبار تقرب من أخبار خارويه بن أحمد بن طولون حيث ١٥
أنشأ بستانا بالقرب من جامع أبيه الذى أنشأه بأعلا الكبش ، وقد تقدم ذكر ذلك
فى أخباره فى الجزء الرابع الذى ذكرنا فيه أخبار مصر ، ولما كملت عمارة هذا
الميدان صار من جملة متزهات الديار المصرية وصار السلطان ينزل إليه فى كل يوم ١٨
ويعمل به المواكب فى غالب الأيام ، وكان أكثر إقامته به لأجل التنزه ، وقد صار
هذا الميدان مثل غوطة دمشق ما بين أشجار ومياه جارية حتى عدّ ذلك من
النوادر ، وقد قلت فى المعنى :

٢١

عابنت بالميدان بستانا زها أشجاره، أومت لنا بسلام
والزهر مختلف به ألوانه ولقد يحلّ تراه عن تمام

ولقد وقع للأشرف قانصوه الغورى أشياء كثيرة من الغرائب (١٦٤ آ) لم تقع لغيره من الملوك السالفة وربما يأتي الكلام على ذلك فى موضعه . - وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من الطور بأن قد غرقت مراكب مسمارى كبار فيها قح للشيشة التى رتبها الأشرف قايتباى إلى المدينة الشريفة ، وكان فى تلك المراكب أصناف بضائع بنحو عشرة آلاف دينار للأتابكى قرقاس فغرق جميعه ، وغرق فيها ما لا يحصى من رجال ونساء وصغار عند بركة غرندل ، فشق ذلك على الناس ولا سيما أهل المدينة الشريفة فإن كان بها الغلاء الشديد .

وفى رمضان فى يوم مستهله عرض القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة اللحم والخبز والدقيق والسكر على السلطان وهو بالميدان ، وطلع به مزفوقا على رؤوس الحمالين على جارى العادة ، فأخلع عليه وعلى الزينى بركات بن موسى المحتسب ، وأخلع فى ذلك اليوم على شيخ العرب نجم شيخ العايد باستمراره على عادته ، وطلع القضاة الأربعة والخليفة على الدكة بالحوش جلوسا عاما ، وكان يوما مشهودا . - وفى ذلك اليوم حضر على الدين ناظر الخاص ، وكان توجهه إلى الطور بسبب إرسال عليق العسكر المتوجه إلى التجريدة فأرسله فى مراكب من البحر الملح إلى جدة . - وفى يوم الاثنين خامسه طلع الأمراء إلى الخدمة ، فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثمانى بين العسكر وحلف عليه الأمير دولات باى الذى قرّر فى أمرة السلاح ، وحلف أيضا أركماس الذى كان نائب الشام ، فحلفا للسلطان بأن يكونا تحت طاعته ، فلما حلفا ألبس كلا منهما سلارى صوف بصمور وانفض الموكب على ذلك . - وفى يوم الاثنين ثانى عشره أخلع السلطان على قاضى القضاة جمال الدين القلقشندى وأعادته إلى قضاء الشافعية وهذه الولاية الثانية ، وعزل عبد القادر بن النقيب فكانت مدته فى هذه الولاية تسعة أشهر وعشرين يوما وهى الولاية الثالثة ، وكان فى هذه الولايات فى غاية الضنك وكان غير محبب للناس . - وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره توفى الأمير طقطبى قرابة

(٤) وكان فى تلك المراكب : فى ذلك هذا المراكب .

أقبردى الدوادار ، وكان أحد الأمراء العشرات وكان لا بأس به : - وفى ثامن عشره حضر هجّان من مكة وأخبر بأن العسكر الذى توجه إلى مكة قد انتصر على عربان بنى إبراهيم وهرب (١٦٤ ب) يحيى بن سبع وقتل من العربان ٢ ما لا يحصى ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بندق الكوسات ثلاثة أيام وسُروا الناس قاطبة لهذا الخبر . - وفى يوم الاثنين تاسع عشره عوخت كسوة الكعبة على السلطان وهى مزفوفة على رؤس الخمّالين وشقّوا بها من القطهرة ، ٦ وكان يوما مشهودا . - وفى يوم الخميس تلّح عشرينه عرض ناظر الخالص خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة ، فألبسه السلطان خلعة حافظه لكونه ثار فى هذه السنة بالسداد . ٩

وفى شوال فى يوم عيد الفطر أخلع السلطان على من له عادة ، وكانت الخلع فى غاية الوحاشة من القماش القطنى الملون تساوى الخلعة من ذلك نحو ثلاثة دنانير ، وكانت الخلع من قديم الزمان من المنسوجات الحرير الملون بفرو وسنّجاب . - ١٢ ومن جملة ما بطل من شعائر المملكة وهو موكب الوزير فى يوم العيد ، فكان ينزل من القلعة وهو راكب بغلة بزئارى ، وعلى رأسه طرحة بيضاء ، وتحت عمامته عرقية بذهب وهى التى يسمونها الطاسة ، ويتقلّد بسبحة بأكر من عنبر ، وتركب قدّامه ١٥ الأوجاقية وهى بالتريات الحرير الأصفر قائدة الجنائب ، وقدّامه مبخرة السلطان بالبخور ، ويستمر فى هذا الموكب الحافل حتى يصل إلى داره ، وآخر من أدركناه يفعل ذلك صاحب علای الدين على بن الأهناسى : فصار الآن تغرى برمش الوزير ١٨ إذا نزل من القلعة فى يوم العيد فلم يشعر به أحد من الناس إذا شق من القاهرة ، انتهى . - وفيه نادى السلطان فى القاهرة للمقطعين بأن كل من كان له حصّة خراب ينزل يعمّرها ويجرف جسورها ويرد فلاحينها المتسحّبين حيث كانوا . - ٢١ وفيه جاءت الأخبار بأن العربان بالشرقية قد قطعوا الطريق على القفل الذى جاء من المحلة ونهبوا كلما فيه ، وكان فيه حمل مال للسلطان فأخذ مع جملة ما أخذ . - وفيه رسم السلطان بشنق ثلاثة أنفار قيل أنهم من سيّاس الأمير أزدمر الدوادار ، ٢٤

وسبب ذلك أنهم قتلوا قتيلًا في بولاق فشُتقوا هناك . - وفيه حضر أقبای نائب
 غزة وقد حصل بينه وبين ملاج نائب القدس تشاجر فشكاه أقبای إلى السلطان
 ٢ فأرسل بإحضار ملاج فلم يحضر (١٦٥ آ) وأظهر العصيان فتغير خاطر السلطان
 عليه . - وفيه تغير خاطر السلطان على تغرى برمش الوزير وشرف الدين
 الصغير فاظر المولوة ، وقد رافعهما بعض الصالح على أنهما يأخذان الخلال من البلاد
 ٦ بالكيل الكبير ويصرفونه من الشون بالكيل المصرى ، فقرر السلطان عليهما في
 نظير ذلك عشرة آلاف دينار يردونها للخزائن الشريفة . - وفيه أنعم السلطان
 ٩ على جماعة من الخاصكية بأمریات عشرة ، فأمر في هذا الشهر نحواً من أربعين أميراً
 زيادة على ما ذكرناه في أخبار سنة ثمان وتسعمائة . - وفي يوم الاثنين رابع
 عشرينه حضر شخص من الأمراء العشرات يقال له خاير بك المعمار وصحبته نحواً
 من خمسين رأساً ممن قتل في الواقعة من العربان من بنى إبراهيم وهي الواقعة الأولى ،
 ١٢ فلما حضر خاير بك المعمار إلى القاهرة أنعم عليه السلطان بأمره طبلخاناه بمصر ،
 فلما حضروا زينت لهم القاهرة ودقت الكوسات ودخلت تلك الرؤوس وهي
 مشهورة على رماح والمشاعلية تنادى عليهم هذا جزاء من يقطع الطريق على
 ١٥ الحجاج وينهب أموالهم ، فلما عرضوا على السلطان أخلع على خاير بك المعمار
 ورسم بتعليق تلك الرؤوس على أبواب القاهرة ، وقد أقامت حرمة المملكة بعد ما
 كانت قد انتهكت وتهدلت الأتراك وكاد الحاج أن ينقطع عن التوجه إلى مكة . -
 ١٨ وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه توفى الشهابى أحمد بن الأمير تمر باى رأس نوبة
 النوب وكان قد كبر وشاخ وقارب التسعين سنة من العمر ، وكان لا بأس به رئيساً
 حشماً من أعيان أولاد الناس . - وفي يوم الاثنين سلخ هذا الشهر رسم السلطان
 ٢١ للأمير أزدمر الدوادار بأن يخرج على حين غفلة ويسافر إلى جهة الكرك ونابلس
 بسبب فساد العربان من بنى لام فخرج عن قريب ، وعين معه نحواً من خمسمائة
 مملوك من المماليك السلطانية .

٢٤ وفي ذى القعدة في يوم مستهله أخلع السلطان على أقبای نائب غزة وسافر

- إليها على عادته وقد تقدّم سبب حضوره إلى القاهرة . - وفي ذلك اليوم حضر
عدة هجّانة من مكة وأخبروا بأن العسكر المتوجّه إلى يحيى بن سبيع قد انتصر
عليه نصره ثانية ، وكان من ملخص أخبار هذه النصرة أن العسكر لما اتّفق مع يحيى ٣
ابن سبيع وانكسر أوّلاً فتوجّه إلى طائفة من العربان يقال لهم العنزة وهم من
بنى لام فالتجأ إليهم واستمرّ مقيماً في مكان بالقرب من (١٦٥ ب) الينبع . -
فلما مضى شهر رمضان ودخل شوال حضر الشريف بركات أمير مكة ٦
وحضر أخوه الشريف قايتباى وحضر معهما من العربان نحو من ألف إنسان ،
فركب الأمير خاير بك باش العسكر ووزّع تلك العربان وأكثنهم في مواضع متفرقة ،
فلما وصل العسكر إلى مكان يسمى السويق بالقرب من الينبع فأتى إليهم يحيى ٩
ابن سبيع ، وقد التفت عليه مالك بن الروى أمير خليص وأمير المدينة ومُحمّضة
أخو الجازانى ، فاتّبعوا هناك وقعة مهولة فقتل بها من العربان ما لا يحصى ومن الأتراك
أيضاً ، فلم تكن إلا ساعة يسيرة وقد انكسر يحيى بن سبيع ومن كان صحبته من العربان ، ١٢
فلما انهزموا خرج عليهم الأكنة التى أكنها الأمير خاير بك فاحتاطوا بهم ولم ينج
منهم إلا القليل بعد ما قتل منهم نحو من ثمانمائة إنسان وأسر منهم قدر ذلك ، وجرح
في هذه الواقعة الشريف بركات أمير مكة في وجهه ، فلما هرب يحيى بن سبيع وقع ١٥
النهب في نجع العرب فغنموا منهم الأتراك أشياء كثيرة من جمال وأغنام وقماش مما
نهبوه من ركب الحاج الشامى والعراقى كما تقدّم ، وقد تمّت الكسرة على يحيى بن
سبيع وأمير المدينة ومُحمّضة أخى الجازانى فهربوا ولم يعلم لهم خبر ، فلما صحّت ١٨
هذه الأخبار زينت القاهرة سبعة أيام واستمرت الكوسات عمّالة وصارت الأمراء
تخلع على الهجّانة الذين أتوا بهذه البشارة كوامل وسلاريات ، وكانت هذه النصرة
على غير القياس ، ثم في عقيب ذلك جاءت الأخبار بأن الشريف بركات وأخاه ٢١
قايتباى لما رجعوا من الينبع وأتوا إلى خليص اتّفقوا مع مالك بن الروى أمير
خليص واقعة مهولة فانكسر ابن الروى وهرب ، فلما هرب غنموا منه عربان
الشريف بركات أشياء كثيرة من جمال وأغنام وقماش وسلاح مما كان نهبه من ٢٤

- الحجّاج . - وفي هذا الشهر كان دخول الأمير طومان باى قريب السلطان على
ابنة الأمير أقبردى الدودار ، فكان لها مهمّ حافل وزفّ لها الجهاز حافل حتى رجّت
له القاهرة ، فلما كان ليلة الدخول مشى في زفة الأمير (١٦٦٦ آ) طومان باى الأتابكي
٣ قرقاس وسائر الأمراء قاطبة وبأيديهم الموكبيات الشمع الموقدة ، وكانت هذه الزفة
تعادل زفة الأمير جانم قرابة الأشرف قايتباى لما تزوّج بأخت خوند ابنة خاصّ بك . -
٦ وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم فأكرمه السلطان وأحسن إليه .
وفي أثناء هذه السنة توفّي الشيخ بدر الدين محمد المارديني ، وكان من أهل
العلم والفضل وكانت له يد طائلة في علم الميقات وغير ذلك من العلوم . - وفي
٩ هذه السنة توفّي أيضا خشكلدى المعروف بنصف وجه ، وكان أحد الحجّاب
بالديار المصرية ، وكان مفرداً في فتنه بعثوا عليه الناس حتى السلطان ، وكان قد
كبر وشاخ . - ومن الحوادث أنّ شخصاً من المماليك القرائصة في سنّ الشيخوخة
١٢ طلع إلى القلعة وقت صلاة الصبح وكان يوم الجامكية ، فبينما هو طالع برأس الصورة
وإذا بثلاثة أنفار من المماليك الجلبان خرجوا عليه هناك فقتلوه بخنجر في بطنه
فمات لوقته ، وقتلوا عبده أيضا وكان ماشياً معه حاملاً قاشه التي يلبسها عند طلوعه
١٥ إلى القلعة ، قال أمره بأن ذلك الجندي كان له إقطاع فرض ، فلما ثقل في المرض
طلع هؤلاء المماليك يطلبون إقطاعه فقال لهم السلطان حتى يموت خذوه ، ثم إن
الجندي عوفي من ذلك المرض فلما طاب وطلع إلى القلعة قتلوه تلك المماليك من
١٨ قهرهم منه لكونه عوفي من ذلك المرض ، وأعجب من ذلك أن السلطان أخرج
الإقطاع إلى غير هؤلاء المماليك الذين قتلوا الجندي بسبب إقطاعه ، فكان كما يقال :
فغض الطرف لأنك من نيمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
٢١ ومن الحوادث في هذا الشهر أن الأمير طراباى رأس نوبة الثوب كان له
حاصل في درب الخازن وفيه دريس فحرق بالنهار وقت الظهر ، فذكر بعض
الجيران [أنه رأى أن شخصاً في صفة فلاح كان هناك في عمارة مع جملة الفقلاء
٢٤ فأمرى في ذلك الدريس نارا ، وربما كان هذا الكلام كذبا عليه ، فأرسل قبض

عليه وضربه بالمقارع ثم قطع يده اليمين ورجله اليمين وأشهره في القاهرة ، ثم أراد حرقه بالنار فشفع فيه بعض الأمراء . - وفي سادس عشره توفى القاضي بدر الدين محمد بن القاضي شمس الدين بن محمد القرافي المالكي ، وكان من أعيان نواب المالكية ، ٣ وكان ينتسب إلى الشيخ عبد الله بن أبي جرة رحمة الله عليه . - وفيه توفى شخص حريري كان له دكان على رأس عطفة الماطيين تجاه سوق اليوسفية ، فوجد عنده في دكانه أربعة آلاف دينار ما بين ذهب وفضة وهي موزعة في براني ٦ في سقف الدكان وكان رث الهيئة يدعى الفقر ، ويقرب من ذلك أن امرأة كانت تستعطى عند جامع ابن طولون فلما ماتت وجد (١٦٦ ب) عندها سبعائة دينار ما بين ذهب وفضة ، ووجد عندها أمطار فيها فلوس جدد ، ووجد عندها ٩ ربع غزل نحو من ثمانمائة ربة فتعجب الناس من ذلك .

وفي ذى الحجة في يوم سابعه خرج الأمير أزدر الدوادر مسافرا إلى جهة الكرك ونابلس بسبب فساد بني لام ، وخرج صحبته الأمير قانصوه بن سلطان ١٢ جركس والأمير تاني بك النجمي وجماعة كثيرة من الأمراء العشرات ومن المماليك السلطانية نحو من خمسمائة مملوك ، فكان له يوم مشهود . - وفيه أخلع السلطان على قانصوه كاشف الشرقية وعلى ماماي جوشن كاشف الغربية بأن يكونا على عادتتهما ، وكان أشيع عزلهما . - وفيه ركب القاضي كاتب السر محمود بن أجا ، وكان عليلا منقطعا عن الركوب ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان كاملة ونزل من القلعة في موكب حافل . - وفيه قلع السلطان الصوف ولبس ١٨ البياض ، ووافق ذلك خامس بشنس القبطي ، ثم ابتداء يضرب الكرة ، ففي أول يوم من ذلك تقنطر أمير كبير قرقاس ووقع إلى الأرض ثم قام وركب . - وفيه هجم المنسر على شخص من الأمراء العشرات يقال له خشكلدى الهواري ، وكان ٢١ دوادر الأتابكي قيت الرجبي وكان ساكنا بالقرب من حدة الكماجين ، فلما هجم عليه المنسر تحت الليل ذبحوه وهو راقد في فراشه وأخذوا كلما في البيت

ولا يعلم من فعل ذلك. وقد أشيع بين الناس أن زوجة خشكلى المذكور كانت هي
السبب في قتله فأقامت مدة وهي في الترسيم بيت بركات بن موسى . - وفيه
٢ حضر مبشر الحاج وأخبر بأن العسكر لما انتصر على يحيى بن سبع توجه إلى مكة
ووقف بالجليل. وأخبر بأن العيد كان هناك يوم الجمعة ، وأن مكة مغلقة ، وأخبر أيضا
أن الفرنج كثير تعبثهم ببحر الهند وأن حسين باش العسكر المتوجه إلى هناك
٦ يشرع في بناء أبراج على ساحل جدة وصور ، وقد جهزوا المراكب إلى الخروج
إلى عدن فسرّ السلطان لهذا الخبر ، لكن تزايد الضرر من الفرنج فيما بعد وترادفت
مراكب الفرنج ببحر الحجاز حتى بلغوا فوق عشرين مركباً ، وصاروا يعبثون
٩ على مراكب تجار الهند ويقطعون عليهم الطريق في الأماكن الخفية ويأخذون
ما معهم من البضائع حتى عز وجود الشاشات والأزر من مصر وغيرها
من البلاد . وسبب هذه الحادثة أن الفرنج تحيلوا حتى فتحوا السد الذي صنعه
١٢ الإسكندر (١٦٧ آ) بن فلبس الرومى ، وكان هذا نقبا في جبل بين بحر الصين
وبحر الروم ، فلأزالوا الفرنج يعبثون في ذلك النقب مدة سنين حتى انفتح وصارت
تدخل منه المراكب إلى بحر الحجاز . وكان هذا من أكبر أسباب الفساد . -
١٥ وفي أواخر هذه السنة ظهر الطاعون ببلاد الصعيد ولم يقع بها في سنة عشر
وتسعمائة لما ظهر بالقاهرة . - وفي هذه السنة طلع إلى السلطان شخص يسمى
أبو الخير المرافع وقال له أنا ألتزم لك بمائتى وخمسين ألف دينار استخلصها لك
١٨ ممن أعرفه ولا تنتطح في ذاك شاتان ، فال السلطان إلى كلامه وقصد أن يخلع عليه
ويشرع في ذلك ، فاجتمع بعض الأمراء بالسلطان ورجّعه عن ذلك فرجع
ولله الحمد .

٢١ وفي هذه السنة تزايد ظلم الأمير طراباي رأس نوبة النوب وشرع يأخذ
أوقاف الناس من بلاد وبيوت وغير ذلك فيحلبها في ساعة واحدة ويرهم
عليهم ويأخذ أماكهم بأجنس الأثمان ، وكل من امتنع من ذلك يضربه ضربا مبرحا

ويدعه في الترسيم حتى يعذر له ، ولا سيما ما وقع ليونس بن جانم الزردكاش أخذ منه بيت أبيه الذي أنشأ بزقاق حلب فامتنع يونس من ذلك فضربه ضربا مؤلما حتى أعذر له وهو تحت العقوبة ، وفعل مثل هذه الواقعة بجماعة كثيرة يطول الشرح في ذكرهم .

ومن الحوادث اللطيفة ما وقع في أواخر هذه السنة أن السلطان أبطل الحجارة القديمة التي كانت عند درب الخولي بمصر العتيقة ، وشرع في بناء مجرة جديدة فجمع المهندسين فاختروا أن يكون مبتدأها من عند موردة الخلفاء بالقرب من الجامع الجديد ، فأنشأ هناك بئرا وجعل لها مسربا من بحر النيل ، وصنع على هذه البئر عدة سواقى نقالة ، وأنشأ من هناك مجرة على قناطر معقودة على دعائم متصلة إلى باب الزغلة ، ومن هناك تتصل إلى الميدان والقلعة ، فجاءت هذه الحجارة من العجائب والغرائب لكن أصرف على بنائها ما لا ينحصر من الأموال وغالبه من وجوه الظلم والمصادرات ، وقد وقع في زمن الشيخ زين الدين بن الوردى رحمة الله عليه ما يشبه ذلك وهو أن بعض الملوك أجرى قناة بدمشق إلى بعض الجوامع ، وكان ذلك المصروف من مال فيه شبهة ، فأنشأ الشيخ زين الدين في هذه الواقعة وهو يقول :

كرهت وضوء من قناة تُساق من دماء الرعايا أو بمال محرّم
(١٦٧ ب) سيشرق في يوم الحساب ندامة كما شرقت صدر القناة من الدم

وفي هذه السنة طلعت جزيرة ببولاق تجاه ربع قائم التاجر ، فصارت هذه الجزيرة في كل سنة تزرع أمقنة ورياحين ، فتوجهت إليها الناس وخرجوا في القصف والفرجة هناك عن الحدّ وضربوا الخيام الكثيرة ، وتعمل هناك أخصاص للمتفرجين بها وصاروا يبيتون هناك ليلا ونهارا ، وصاروا الناس يخوضون في البحر إلى نصف الليل ، وقد قال القائل في المعنى :

في جزيرة بولاق رأينا عجب أسد ساروا معهم ظبا شاردين

حين رأينا ذيك الوجوه الصباح أذهلونا خضنا مع الخايضين
وقال آخر وأجاد :

- ٢ امض لبولاق ترى بجزيرة حور وولدان لها تأنيق
لى من تحاي وردها نشر زها ولها بقلبي هزة وعلوق
وقد خرجت هذه السنة على الناس وهم فى أمن وسلامة ، وكانت سنة مباركة
٦ على الناس أخصب فيها الزرع ووقع بها الرخاء فى سائر البضائع والغلال ، وكانت
سنة هادئة من الفتن بين الأتراك ، وقد حصلت بها هذه النصرة العظيمة على
عربان الحجاز بعد ما كاد الحاج أن ينقطع من فساد الطرقات إلى مكة من عرب
٩ بنى إبراهيم فله الحمد .
انتهى ما أوردناه من أخبار سنة اثنتى عشرة وتسعمائة ، وذلك [على] سبيل
الاختصار ، يتلوه الجزء العاشر من بدائع الأمور فى وقائع الدهور فى أخبار
١٢ سنة ثلاث عشرة وتسعمائة من دولة الملك الأشرف قانصوه من بيبردى الغورى
الأشرفى عز نصره (١ ب) .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وتسعمائة

- ١٥ فيها فى المحرم كان خليفة الوقت الإمام المستمسك بالله أبو النصر يعقوب
الهاشمى الأيوين بن المتوكل على الله عبد العزيز ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف
أبو النصر قانصوه من بيبردى الغورى عز نصره ، والقضاة الأربعة جمال الدين إبراهيم
١٨ القلقشندى الشافعى وسرى الدين عبد البر بن الشحنة الحنفى وبرهان الدين إبراهيم
الدميرى المالكى وشهاب الدين أحمد الشيشينى الحنبلى . - وأما الأمراء أرباب الوظائف
من المقدمين الأتابكى قرقاس من أركاس من ولى الدين أمير كبير ، ودولات باى
٢١ قرابة العادل أمير السلاح ، وسودون العجمى أمير مجلس ، وقافى باى قرا الرماح
أمير آخور كبير ، وطرا باى الشرفى رأس نوبة النوب ، وأزدمر من على باى دوا دار

(١٤) تبدأ هنا نسخة لتينجراد . (١٧) عز نصره : عزيز .

- كبير ، وأنصبأى من مصطفى حاجب المحجوب ، الخالية . - وأما أرباب الوظائف من المباشرين فالقاضي محبة الدين محمود بن أجا الحلبي كاتب السر الشريف ناظر ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، والقاضي محبي الدين عبد القادر القسروى ناظر ٣ الجيش ، والقاضي علاى الدين بن الإمام ناظر الخالص ، والأمير تغرى برمش متحدث مع القاضي شرف الدين (٢٢) الصغير فى الوزارة ، وشرف الدين يونس النابلسى متحدث على وظيفة الاستادارية الكبرى ، وبقية المباشرين من أرباب ٦ الوظائف على حكم ما شرح فى السنة الخالية ، انتهى ذلك . - وفى هذا الشهر وقع لقاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة واقعة غريبة وهو أن جمال الدين السلمونى الشاعر هجا القاضى عبد البر بن الشحنة هجوا فاحشا بقصيدة مطولة ٩ يأتى الكلام عليها ، وسبب ذلك أن السلمونى كان قد هجا معين الدين بن شمس وكيل بيت المال وقد تقدم ذكر ذلك ، فشكاه معين الدين إلى القاضى عبد البر فأحضر السلمونى بين يديه وضربه وعزّره وأشهره فى القاهرة وهو عريان مكشوف الرأس ، ١٢ فلما بلغ السلطان ذلك أرسل خلّصه من القاضى عبد البر ، فلما خلص هجا عبد البر بهذه القصيدة الفاحشة وقد دارت بين الناس ، فلما بلغ القاضى عبد البر ذلك شكّا السلمونى إلى السلطان لما طلع إلى القلعة فى يوم التهنئة بالشهر وعرض عليه تلك ١٥ القصيدة التى هجاه بها ، فأحضر السلطان السلمونى بين يديه ووبّخه بالكلام وقال له أتتهجو شيخ الإسلام بهذا المهجو الفاحش ، فأنكر السلمونى ذلك وقال أنا ما قلت فيه هذا كله ، فقامت عليه البيّنة بأن هذا نظمه ، فرسم السلطان لقاضى القضاة ١٨ عبد البر بأن يتوجه بالسلمونى إلى المدرسة (٢ ب) الصالحية ويعمل معه ما يقتضيه الشرع الشريف ، فنزل بالسلمونى وهو فى الحديد ، وكان السلطان له عناية بالسلمونى فى الباطن ، فلما أتوا به إلى الصالحية تعصّب عليه القضاة قاطبة وقصدوا ٢١ ضربه بالسياط وإشهاره فى القاهرة ، وهذه ثانى واقعة وقعت للسلمونى بسبب الهجاء ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أول من
- (١) الخالية : كذا فى الأصل ، ولعل المتن كان فى نسخة الأصل : على حكم ما شرح فى السنة الخالية .

عاقب على الهجاء ، فلما أرادوا ضرب السلموني وتعزيره تعصّب له جماعة كثيرة من العوام وقصدوا يرجعون قاضي القضاة عبد البرّ وهو في وسط إيوان المدرسة الصالحية وجمعوا له الحجارة في أكمّهم ، فما وسع القاضي عبد البرّ إلا أنه عني عن السلموني من التعزير والإشهار في القاهرة ، ثم إن القضاة أمروا بسجن السلموني فسُجن وأقام مدّة طويلة في السجن يأتي الكلام عليها ، وأما القصيدة الموعود بذكرها فهي قصيدة مطوّلة فيها ألفاظ فاحشة إلى الغاية وإساءة مفرطة لا ينبغي أن تذكر ، ولكن نورد منها بعض أبيات مما نظمها جمال الدين السلموني ، وهو قوله من أبيات :

- ٩ فشا الزور في مصر وفي جنّباتها ولم لا وعبدُ البرّ قاضي قضائها
أُسْكِرُ في الأحكام زورٌ وباطلٌ وأحكامُهُ فيها بمختلفاتها
إذا جاءهُ الدينار من وجه رشوة يرى أنه حلٌّ على شُبّهاتها
١٢ فإسلام عبد البرّ ليس يُرى سوى بعِثته (٣ آ) والكفر في سناتها
أجاز أموراً لا تحلّ بملّةٍ بحلٍّ وبرّمٍ مُظهرٍ منكراتها
ألسن ترى الأوقاف كيف تبدلت وكانت على تقديرها وثباتها
١٥ وقد وثبت فيها قضاياه بالأذى وبالباع شبه الأسد في وثباتها
فإن كان في الأوقاف ثم بقيّة تكذبني فيما أقول فهاتها
ولا بدّ من بيع الجوامع تارك الجماعات منها مبطل جمعاتها
١٨ ولا بدّ أن يستبدل الناس أعبداً بأحرارها بيعاً لنفس ذواتها
ولو أمكثته كعبة الله باعها وأبطل منها الحجّ مع عمّراتها
ومصدق قولي أنه كان مغرباً ليحيى بن سبع في خراب جهاتها
٢١ وقد كان ذنباً لابن سبع وقومه يطالع بالأخبار قبل رواها
ولو يُعطى ديناراً وطاوعه الررى لأسقط عنها صومها وصلاتها
شكت ملّة الإسلام مما ينالها بأفعاله يا هل تزيلُ شكاتها

- فبيكى على الدين القويم وشرعه وأحكامه فيها بمنعوجاتها
 نعى مذهب النعمان من قُبْحِ فعله على فتوات الزور لا عن ثقاتها
 تعقَّبَ يعقوبًا وخالف رأيه فكم حلَّ من وقفٍ وأبدى شتاتها ٢
 وعن زفيرٍ قد زفر النقل كاذبًا بزويج أرحامٍ (٣ ب) لحين براتها
 وقد خان قاضى خان فى فتواته بتغيرها عن مقتضى موجباتها
 فلا تخشى إثمًا أن تحوِّضَ بعرضه فغيبته للناس خيرُ لغاتها ٦
 فإذا على الإسلام حلَّ من الردا بأيام عبد البرِّ مع سنواتها
 انتهى ذلك على سبيل الاختصار وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . - وفى
 رابع هذا الشهر خرج الأتابكى قرقاس إلى نحو الشرقية والغربية ، وقد سرح ٩
 فى البلاد وغاب فيها . - وفى حادى عشره كان ببولاق ليلة حافلة بسبب وقت
 سيدى إسماعيل الإنبانى رحمة الله عليه ، فضربت فى تلك الجزيرة التى تجاه ببولاق
 نحو خمسمائة خيمة ، أوصنعوا سوقا بدكاكين وخرج الناس فى الفتك والفرجة ١٢
 عن الحدِّ ، وأقاموا هناك ليلى متوالية ، وموجب ذلك أن كان الرخاء والأمن
 موجودين . - وفى عقيب ذلك عُمل مولد الشيخ سويدان المجدوب فى مدرسة
 ابن الزمن التى ببولاق عند الرصيف ، فكان له مولد حافل ، وضربت هناك الخيام ١٥
 الكثيرة عند المدرسة ، لكن حدث تلك الليلة حادثة مهولة ، وهو أن امرأة
 طبخت على شاطئ البحر فطارت منها شرارة فتعلقت بمركب هناك كان فيها كثنان
 فعملت فيه النار ، وكان تلك الليلة الريح عاصفا فشئت النار إلى شونة تبن ١٨
 فى معصرة هناك (٤ آ) فعملت فيها النار ، فاحترقت المعصرة ونهب ما فيها من
 قصب وسكَّر وعسل ، وحصل للناس تلك الليلة غاية النكد ، واولا لطف الله تعالى
 ثم بركة الشيخ سويدان لاحترقت تلك الأماكن التى هناك عن آخرها . - ٢١
 وفيه تغير خاطر السلطان على أبى الخير المرافع بعد أن قرَّبه ، وكان قد أخذ
 فى أسباب مصادرات الناس ، ولو دام لحصل للناس منه كل سوء ، فتسلَّمه الزينى

- بركات بن موسى فنزل به من القلعة وهو في الحديد ، فلما شقَّ من القاهرة كادت
العوام أن ترجمه وارتفعت الأصوات لابن موسى بالدعاء لأنه كان سبياً لذلك ،
٢ فلما أتى إلى داره ضرب أبا الخير المرافع بالمقارع وبعث به منفياً إلى الواح . -
ومن الحوادث أن مملوكاً من المماليك الجلبان نزل إلى سوق الرقيق ليشتري
عبداً أو يردَّ عبداً فوقع بينه وبين الدلال تشاجر ، فلما تزايد الأمر بينهما ضربه
٦ المملوك بقبقاب على رأسه في السوق بين الناس ، فحُمل إلى داره فأقام نحو
شهر ثم مات ، فلم تنتطح في ذاك شاتان . - وفي عقيب ذلك ضرب الأمير
أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين شخصاً من النواتية فمات تحت الضرب ،
٩ وسبب ذلك أن هذا النوتي حل للأمير أرزمك مغلاً فتقص فضربه بسبب
(٤ ب) ذلك ، فلما مات النوتي وقف أولاده للسلطان ، فلما علم بهذه الواقعة
تغافل عن ذلك وقال للأمير أرزمك : ارض أولاد هذا المقتول ، وانفض المجلس
١٢ على ذلك وراحت على من راح .
- وفي صفر كان ختام ضرب الكرة ، ثم إن السلطان أضاف الأمراء بالبحرة ،
ومدَّ لهم أسبطة حافلة ، وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . - وفيه طلع ابن أبي
١٥ الرداد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة سبعة أنزع ، وكانت الزيادة في أول يوم
من المناداة خمسة أصابع . - ومن الحوادث أن في يوم الخميس ثالث عشره
تسحب من سجن القاعدة وقت الظهر نحو سبعين إنساناً من المحاييس ما بين
١٨ مشايخ عربان وفلاحين وغير ذلك ، فاضطربت القاهرة بسبب ذلك ، فضوا
ولم تنتطح في ذاك شاتان . - وفيه جاءت الأخبار [أن عربان الشرقية هاجوا]
ونهبوا الضياع ، فعيّن لهم السلطان في ذلك اليوم تجريدة وعيّن بها من
٢١ الأمراء سودون العجمي أمير مجلس وأنصباي حاجب الحجاب وتمر الزردكاش
أحد المقدمين ودولات باي قرموط ، ومن المماليك السلطانية نحو من
خمسمائة مملوك فخرجوا من يومهم وقد تقدم القول بأن الأتابكي قرقاس

خرج قبل ذلك إلى نحو الشرقية والغربية : فلما سمع بمجيء العسكر لاقاهم من هناك (٥٥) .

- وفي ربيع الأول رسم السلطان للقاضي علاي الدين ناظر الخصاص بأن يتوجه ٢ إلى جدة ، وقد بلغ السلطان أنه قد وقع تشاجر بين حسين باش العسكر الذى هناك وبين على المسلاقي المغربي : فخرج ناظر الخصاص ليكشف عن حقيقة ذلك ، وعيّن معه السلطان نحوًا من خمسين مملوكًا تقويةً للعسكر الذى هناك . - ٦ وفيه كان رجوع الأمراء والعسكر الذين توجهوا للشرقية بسبب فساد العربان فرجعوا بغير طائل من ذلك . - وفيه رسم السلطان بشنق أحمد بن مهنا شيخ بنى وائل ، فسمّروه هو وأقاربه وطافوا بهم القاهرة ، ثم شنقوا أحمد بن مهنا على باب النصر ، وكان ذنبه أنه هرب من السجن وقتل السجناء وكسر القيد ، وكان من شرار العربان فلما ظفر به شنقه . - وفي يوم الثلاثاء عاشره كان دخول العسكر المتوجه إلى الحجاز بسبب محاربة يحيى بن سبع ، فدخل الأمير خاير بك باش ١٢ العسكر وقبلك رأس نوبة ثاني المتوجه صحبته وبقية الأمراء والعسكر : فكان لهم يوم مشهود ، ودخل الحمل صحبتهم فزينت لهم القاهرة ودقت لهم الكوسات بالقلعة ، ودخل صحبتهم ثمانمائة رأس من رؤوس العربان من بنى إبراهيم الذين ١٥ قُتلوا في المعركة ، فأشبهوهم على رماح والمشاعلية تنادى عليهم ، فلما طلع الأمراء إلى القلعة أخلع عليهم السلطان (٥٥ ب) ونزلوا إلى دورهم ، فكانت مدة غيبتهم في هذه التجريدة ثمانية أشهر وأيام وقد بيّضوا وجههم بهذه النصر التي ١٨ وقعت لهم ، وفتحوا درب الحجاز فتحًا ثانيًا في الإسلام بعد ما كاد الحج أن ينقطع ، فله الحمد على ذلك ، وقد شقّ على السلطان مجيء العسكر وكان قصده أن يتبعوا يحيى بن سبع حيث توجه حتى يقطعوا جادة بنى إبراهيم عن آخرهم . ٢١ وكان العليق هناك ما يوجد والموت في الجمال كثيرًا فتلقّى العسكر وطلب الهجاء . - وفي يوم الأربعاء حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى واجتمع

- القضاة الأربعة والأمراء المقدمون على العادة ، ونصب الخيمة الكبيرة المدورة التي صنعها الأشرف قايتباي وأصرف عليها نحواً من ثلاثين ألف دينار ، وكان مولداً حافلاً . - وفي رابع عشره جاءت الأخبار من عند الأمير أزدمر الدوادار أنه لما توجه إلى الكرك ونابلس قاتل عربان بنى لام الذين كانوا من عصابة يحيى بن سبع ، فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر من كبارهم نحو عشرة أنفار ، وملك منهم مدينة الكرك ، فلما تحقق السلطان ذلك أمر بدق الكوسات بالقلعة ، وكانت القاهرة مزينة من حين دخل العسكر فصارت الفرحة فرحتان . - وفي يوم (٦ آ) الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على الأمير طراباي رأس نوبة النوب وقرره في أمرة ركب المحمل ، وقرّر قانصوه أباسنة والى القاهرة بالركب الأول . - وفي ذلك اليوم نادى السلطان في القاهرة بأن الناس تحجّ في هذه السنة مطلقاً من رجال ونساء على العادة ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء وكان من أعظم فرحات الإسلام . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على القاضي فخر الدين بن العفيف كاتب المالك فعزله ورسم عليه وقرّر عليه ألقي دينار يوردها للخزائن الشريفة ، وكان هذا آخر عزل القاضي فخر الدين وولايته . - وفيه كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك عاشر مسرى . وفتح السدّ اليوم الحادى عشر من مسرى ، ووقع في زيادة هذا النيل أمور غريبة وهو أنه سلسل في أول الزيادة ، فلما كان سادس مسرى زاد الله ثلاثين أصبعا في يوم واحد : ثم في اليوم السابع منها زاد الله فيه عشرين أصبعا ، ثم في اليوم الثامن منها زاد الله فيه أيضاً عشرين أصبعا وكانت زيادته سبعون أصبعا في ثلاثة أيام . واستمرت الزيادة عمالة مترافقة حتى أوفى الله فتوحته الأنابكى قرقاس وفتح السدّ على العادة ، وكان له يوم مشهود . كما يقال في المعنى :
- سدّ الخليج بكسره (٦ب) جبّر الورى طراً فكلّ قد غدا مسرورا
البحر سلطان فكيف تواترت عنه الأشائر إذ غدا مكسورا

وفيه توفي شرف الدين بن أبي الخير كاتب الجرافة مباشر الأمير طراباي ،
وكان من وسائط السوء عنده .

- ٣ وفي ربيع الآخر أخلع السلطان على القاضي شرف الدين الصغير وقرّر
في كتابة الممالك عوضا عن فخر الدين بن العفيف بحكم صرفه عنها ، فتضاعفت
عظمة شرف الدين الصغير وصار ناظر الدولة كاتب الممالك مستوفيا على
الدواوين وغير ذلك من الوظائف . - وفيه جاءت الأخبار من عند نائب
٦ حلب بأن إسماعيل شاه بن حيدر الصوفي المقدم ذكره قد تحرك على بلاد السلطان
ووصل أوائل عسكره إلى ملطية ، وحكوا عنه أموراً شنيعة في أفعاله ، فلما بلغ
السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وجمع الأمراء وضربوا مشورة في أمر الصوفي ،
٩ فأشار الأمراء على السلطان بأن يرسل إليه تجريدة فنادى للعسكر بالعرض ،
فطلع العسكر قاطبة إلى القلعة فعرضهم ، وكان قاصد ابن عثمان حاضرا وخليل
بيك بن رمضان أمير التركمان ، فكتب من العسكر نحواً من ألف وخمسمائة مملوك ،
١٢ وعيّن من الأمراء المقدّمين في ذلك اليوم خمسة وهم قاني باي قرا أمير آخور
كبير وجعله باشا على العسكر ، وصحبته أرزمك الناشف أحد المقدّمين ودولات
باي قرموط وقانصوه كُرت وثاني بيك (٧٧) الخازندار ، وعيّن من
١٥ الأمراء الطبلخانات والعشرات نحواً من عشرين أميراً ، ثم عيّن بيبرس أمير
آخور ثاني قرابته بأن يتوجّه إلى حلب ويعلم النواب بمجيء العسكر وليجتهدوا
في عمل البرق ، وأن نائب حلب يجمع عساكر حلب ويخرج ليحرس أطراف
١٨ البلاد ويكشف الأخبار ، ثم بطل ذلك جميعه فيما بعد كما يأتي الكلام على ذلك
في موضعه .

- ٢١ وفي جمادى الأولى في ثامنهِ حضر أربك نائب قلعة حلب وقد انفصل
عنها ووقع بينه وبين نائب حلب تشاجر ، وأصله من ممالك السلطان فطاش
وفتك بحلب ، ولم يستثن لنائب حلب بشأن . - وفيه جاءت الأخبار بأن
٢٤ عساكر الصوفي عدّت من الفراء ووصل جاليشهم إلى أطراف بلاد السلطان ،

وأن على دولات جمع التركمان وخرج إليهم وتحارب معهم .

- فلما جاءت هذه الأخبار اضطربت القاهرة وماجت ونادى السلطان للعسكر
 ٣ بأن أوله النفقة يوم الاثنين، وكان قد أشيع بين الناس بأن التجريدة بطالة فأهمل العسكر
 ذلك حتى طرقتهم هذه الأخبار ، فعند ذلك شرع المماليك يكبسون على الطواحين
 والاسطبلات بسبب النعال والأكاديش، وكان السلطان أخر أمر النفقة إلى أن يحضر
 ٦ الأمير أزدمر الدودار وكان توجهه إلى الكرك ونابلس بسبب عريان بنى لام، فلما
 جاءت هذه (٧ ب) الأخبار نفق السلطان على العسكر المعين للتجريدة ، فأعطى لكل
 مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر معجلاً وثمان جمل سبعة أشرفية،
 ٩ فكان ما خص كل مملوك نفقة وجامكية وثمان جمل مائة دينار وثلاثون ديناراً ،
 ثم شرعوا في عمل البرق . - وفي يوم الأربعاء رابع عشره عزم السلطان على
 قاصد ابن عثمان في قاعة البحرة ، فأظهر في ذلك اليوم غاية العظمة في الفرش
 ١٢ وفي الأسنطة والفواكه والحلوى ، وملأ صحن فرعون الذى تحت شبك قاعة
 البحرة سكراً بماء الليمون برسم جماعة القاصد، وعند الانصراف أخلع على القاصد
 كاملية مخملاً أحمر بصمور فاخر ، وكان يوماً خافلاً جداً . - وفي تاسع عشره حضر
 ١٥ إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان ، وقد ترجوا
 هذا كمال بتراجم عظيمة بأنه لا يكل ولا يمل من الجهاد في الفرنج ليلاً ونهاراً حتى
 أعصى الفرنج أمره ، وأنه رأس المجاهدين المرابطين في الإسلام ، فلما حضر أكرمه
 ١٨ السلطان وبالع في إكرامه وأخلع عليه ، فأقام بمصر مدة يسيرة ورجع إلى بلاده . -
 وفي العشرين من هذا الشهر جاءت الأخبار من غزوة صحبة هجّان بوفاة الأمير
 (٢٨ آ) أزدمر من على باى الأشرفى أمير دودار كبير ، توفى بغزوة يوم الخميس
 ٢١ خامس عشر هذا الشهر ، وقد مرض مدة ثلاثة أيام ومات ، فلما جاء هذا الخبر
 تأسّف عليه الكثير من الأمراء ممن كان من عصبته ، وكان موته بغتة على حين
 غفلة، وأشيع بين الناس [أنه مات] مشغولاً، وكان أميراً جليلاً رئيساً حشماً ليس الجانب
 ٢٤ قليل الأذى، وكان في عنفوان شبوبيته، وكان موموقاً بالشجاعة والفروسية، وهو من

مشتراوات الأشرف قايتباى ، وولى عدة وظائف سنية منها شادية الشراب خاناه
ثم بقى مقدّم ألف ثم ولى الدوادارية الكبرى بعد الأمير مصر باى فى سنة سبع
وتسعمائة ، فكانت مدته فى الدوادارية الكبرى نحواً من ست سنين وخمسة أشهر ٢
إلا أياماً ، فلما تحقق سلطان موته ضرب الحوطة على موجوده ، ورسم على جماعته
وغلماناه ومباشرية وقرر عليهم مالا له صورة . - وفيه حضر تغرى بردى
الترجمان ، وكان توجهه إلى بلاد الفرنج وأقام بها نحواً من سنين ، فلما حضر أخلع ٦
عليه السلطان وأقره على وظيفته . - وفيه ثبت النيل المبارك على ثمانية عشر
أصبعا من تسعة عشر ذراعاً ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك (٨ ب)
بثمانية أصابع . - وفيه توفى القاضى جمال الدين الأنميدى أحد نواب الحكم ٩
الشافعى ، وكان لا بأس به .

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن شخصاً يقال له عمر بن علای الدين النقيب
الحنفى المحلى ، وكان خطيباً ببعض الجوامع ، فقبل عنه أنه وقع فى حق سيدنا إبراهيم ١٢
الخليل عليه السلام بكلام فاحش لا ينبغى أن يذكر فضبطوا عليه ذلك ، ثم إن بعض
القضاة استنوبه وحكم شمس الدين الحلبي بحقن دمه ، فلما بلغ السلطان ذلك تعصب
لإبراهيم الخليل عليه السلام وقال ما أرجع حتى أضرب عتق هذا القائل لهذا الكلام ، ١٥
فأمر بعقد مجلس بحضرته وجلس فى الدهيشة وأرسل خلف القضاة الأربعة ، فحضر
جمال الدين القلقشندي الشافعى وسرى الدين عبد البر بن الشحنة الحنفى وبرهان الدين
الدميرى المالكي والشهاب أحمد بن الشيشينى الحنبلى ، ثم أمر السلطان بإحضار ١٨
القضاة المنفصلين فحضر شيخ الإسلام زين الدين زكريا الشافعى وحضر برهان الدين
ابن أبى شريف الشافعى وبرهان الدين بن الكركى الحنفى وجماعة من مشايخ العلم
منهم الشيخ نور لدين المحلى والشيخ عبد الحق السنباطى الشافعى وغير ذلك ٢١
من المشايخ والعلماء ، فلما تكامل (٩ آ) المجلس تباحثوا فى هذه المسألة ، فقال
الشيخ زكريا مذهبنا أن هذا القائل إذا تاب إلى الله تعالى واستغفر تقبل توبته ،

- ووافقه على ذلك أبى شريف ، فحصل فى ذلك المجلس بعض تشاجر بين قاضى
القضاة عبد البر بن الشحنة وبين الشيخ نور الدين المحلى ، وأحضر كل من العلماء
الشُّمول فى هذه المسألة ، وانفصل المجلس مانعا على أن هذا القائل يُسجن مدة طويلة ٢
حتى يتوب ، ثم انفصل المجلس على ذلك والسلطان قد صمم على ضرب عنق هذا
القائل ، فتوجهوا به إلى السجن فسجن ، وهذا ما كان من ملخص هذه الواقعة . —
وفيه حضر الأمراء الذين كانوا توجهوا بحجة الأمير أزدمر الدوادار إلى نابلس ،
وأحضروا صحتهم جثة الأمير أزدمر وهى فى سحلية ، فدفن فى تربته التى أنشأها
بالقرب من باب الزغلة ، وانطوى أمره ، وخلا منه المكان ، ودخل فى خبر كان .
- ٩ وفى جمادى الآخرة فى يوم السبت ثانیه رسم السلطان بتوسيط شخص
من العربان المنسدين يسمى عبيد بن أبى الشوارب ، فوسطه عند قنطرة الحاجب ،
ووسط معه أيضا شخصا يسمى قاسم الغريب ، وكانا من كبار المنسدين بالشرقية . —
- ١٢ وفى يوم الاثنين رابعه أخلع السلطان (٩ ب) على الأمير طومان باى بن أخيه
وقرّر فى الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير أزدمر من على باى بحكم وفاته ،
فزل من التلعة فى موكب حفل ، وسكن فى دار الأمير أزدمر فيما بعد ، ورسم
السلطان للأمير يشك الفقيه الذى كان دوادارا عند الأمير أزدمر أن يستمر ١٥
دوادارا عند الأمير طومان باى على عادته ، فامتش ذلك . — وفيه أخلع السلطان
على شيخ العرب عيسد الدايم بن أبى الشوارب وقرّر فى مشيخة العرب
بالقليوبية . — وفيه أخلع السلطان على مملوكه أبرك الذى كان نائب قلعة حلب ١٨
وحضر إلى مصر . فقرّره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن الأمير طومان باى
بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى . — وفى يوم الثلاثاء سادسه حضر قاصد
من عند على دولات وأخبر أنه لما توجه إلى عسكر الصوفى تحارب معهم ٢١
فكسرهم كسرة قوية فانهزموا نحو بلادهم مكسورين وقتل منهم جماعة كثيرة ،
وأرسل على دولات عدة رؤوس ممن قتل من عسكر الصوفى وفيهم شخص من

أمرائه بالحياة وعلى رأسه طرطور أحمر ، فلما عُرِضُوا على السلطان سُرَّ بهذه الواقعة وأمر بأن تُعلّق (١٠ آ) تلك الرؤوس على باب زويلة ، فلما تحقّق صحة هذه الواقعة بطل أمر تلك التجريدة التي كان عيّنّها إلى الصوفى ورسم بإعادة النفقة التي كان نفقها على العسكر بسبب التجريدة ، فتوجّهت إليهم الطواشنة واستعادوا منهم النفقة فشقّ ذلك على الممالك وكانوا قد تصرفوا في غالبيها ، فلما بلغ السلطان ذلك رسم بأن يترك لهم ثمن الحمل الذي كان أعطاه لهم وقدره سبعة دنانير ويعيدوا الباقي ، فامثلوا ذلك وأعادوا ما أخذوه والذي تأخّر عليه من ذلك شيء قُطِع من جامكيتته . - وفي يوم الاثنين حادى عشره أخلع السلطان على قاصد أبي يزيد بن عثمان خلعة سنية ، وألبس جماعته سلاريات وشقا وضمورا وأذن لهم بالعود إلى بلادهم . فضوا وهم شاكرون من السلطان . - وفي يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطان على الأمير طومان باي الدوادار خلعة الأنظار ، فنزل من القلعة في موكب حفل . - وفيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك عاشر هاتور . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة توجه إلى مالك بن الرومي أمير خليص وكبس عليه على حين غفلة . فظفريه وحز رأسه وحز رؤوس جماعة من أقاربه ، وأن (١٠ ب) ناظر الخاص علاي الدين واصل بذلك عن قريب فسّر السلطان لهذا الخبر . - ومن الحوادث في أواخر هذا الشهر وقعت فتنة مهولة ببولاك حتى كادت أن تخرب عن آخرها ، وسبب ذلك أن جماعة من الجوابر الذين ببولاك وقع بينهم وبين جماعة من النفر بسبب ضائع لهم ، فتعصّب الجوابر على النفر وضرّبوهم وجرحوا منهم جماعة واستخلصوا منهم الضائع ، فلما بلغ ذلك طائفة النفر اجتمع منهم السواد الأعظم وتوجهوا إلى بولاك ووثبوا على الجوابر ونهبوا عاني مراكبهم من الغلال ، ونهبوا دكاكين بولاك وخطفوا عمائم الناس ، فلما تزايد الأمر من النفر ثاروا عليهم الجوابر والنواتية الذين ببولاك وأتوا إليهم بالسيوف

والمقاليع فسقط بينهم ساقط ، فاستعت الفتنة واستمرت على ما ذكرناه
ثلاثة أيام متوالية ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد وكانت الجوابر في حماية
الأتابكي قرقاس والنفر في حماية قاني باى قرا أمير آخور كبير ، فتعصب كل
منهما لجماعته فتجبر بينهما السلطان ، وراح على الناس ما نهب لهم في هذه الحركة ،
انتهى ذلك .

٦ وفى رجب كان انتهاء العمل مما جدّه السلطان من العمارة بالقصر الكبير ،
فلما تمّ ذلك صنع به (١١ آ) وليمة حافلة وعزم على القضاة الأربعة والأمراء
المقدمين وأرباب الوظائف من المباشرين ، وأحضر قراء البلد قاطبة والوعاظ ،
٩ ومدّه به أسبطة حافلة وبات تلك الليلة هناك . - وفيه نزل السلطان إلى خلف القلعة
عند قبة الهوى وجربوا قدّامه مكاحل نحاسية كان سبكها ، فأقام هناك ساعة
يسيرة ثم عاد إلى القلعة . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على عبد العظيم الصيرفي
١٢ فضربه ووكل به ثلاثة من المماليك الخاصكية ، وسبب ذلك أن العسكر تضرّر من
كثرة الفضّة النحاس التي يحدونها في الجامكية فشكوه إلى السلطان ، فقبض عليه
وقرّر عليه مالا له صورة بسبب ذلك .

١٥ وفى شعبان حضر قاصد من عند إسماعيل شاه الصوفي وعلى يده مكاتبة يذكر
فيها أن الذي وقع من عسكره في دخولهم إلى أطراف بلاد السلطان لم يكن ذلك عن إذنه
ولا علم بذلك ، فأكرم السلطان ذلك القاصد وأوكب له بالحوش موكبا حافلا ، وكان هذا
١٨ القاصد هو وجماعته في غاية الغلاسة ، وعلى رؤوسهم طراير حمر ليس عليهم رونق
بخلاف قصاد ابن عثمان . - وفيه وقعت فتنة مهولة بين ممالك السلطان وبين ممالك
الأمير خاير بك الخازندار بسبب حمير (١١ ب) النُقارة ، فقتل من ممالك السلطان
٢١ مملوك فتعصب له خشد اشينه ونزلوا من الطبايق مُشاة وتوجهوا إلى بيت خاير بك
ونهبوا ما فيه وأحرقوا بابه ، فهرب منهم واختفى وطلع إلى السلطان وقد اتسعت
هذه الفتنة ، فلما جرى ذلك أرسل السلطان قبض على مملوك خاير بك الذي

فعل هذه الفعلة فوسّطه في الرملة حتى خمدت هذه الفتنة قليلا . - وفي يوم الاثنين سادس عشره دخل القاضي علاي الدين ناظر الخاص : وقد تقدّم أنه توجه إلى جدّة بسبب تجهيز المراكب صحبة العسكر الذي توجه إلى عدن بسبب تعبث الفرنج هناك ، فلما تمّ أمره من جدّة وقصد الرجوع إلى مصر أرسل صحبته الشريف بركات أمير مكة رأس مالك بن الرومي أمير خييص ، وعدة رؤوس ممن قتل معه من العربان في المعركة كما تقدّم ، فكان عدّتهم نحو من تسع وعشرين رأسا ، فارتجّت لهم القاهرة وأشهروا على رماح ، فلما عرّضوا على السلطان وهو بالميدان أخلع على ناظر الخاصّ كاملية مخملا أحمر بصمور وأركبه فرسا بسرّج مغرق وكنبوش ، وتوجه إلى داره في موكب حافل وصحبته قضاة السلطان ، ورسم بأن تعلق تلك الرؤوس على أبواب القاهرة . - وفي يوم السبت سابع عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعزم على قاصد (١٢) الصوفي هناك ، وأحضر قدامه مماليكاً يرمون بالنشاب على الخيل وهم بآلة السلاح فأظهروا في فنون النشاب أشياء غريبة ، وأحرق قدام القاصد إحراقة نفض بالنهار ، ثم مدّ له أسمطة حافلة وأخلع عليه وعلى جماعته . وأذن لهم بالعود إلى بلادهم فسافروا فيما بعد . - وفيه كانت واقعة الناصري محمد بن بنت جمال الدين الأستادار مع الناصري محمد بن قجق نديم السلطان ، وملخص هذه الواقعة أن محمد بن بنت جمال الدين كان له عبد حبشي فأفسد جارية لمحمد بن قجق فشكاه للسلطان ، فطلب ابن بنت جمال الدين وقصد الصلح بينه وبين ابن قجق وأن يرضيه في جاريته ، فتواحش ابن بنت جمال الدين في حقّ ابن قجق وسبّه في مجلس السلطان ، وكان ابن بنت جمال الدين أهوج أحقّ رهاجا ، فلما جرى ذلك تغير خاطر السلطان عليه ورسم بتسليمه إلى نقيب الجيش ، فاتسعت هذه الواقعة على ابن بنت جمال الدين وقرّر عليه السلطان عشرة آلاف دينار . فاستمرّ (١٢ ب) في الترسيم وضرب في بيت الوالي وباع جميع موجوده ولم يف بهذا القدر ، وآخر الأمر رسم السلطان بنفيه إلى الواح فنفى وجرى

- عليه شذائد ومحن ، وكان قليل الدربة فلو سدّ هذه القضية بدون الحسين ديناراً كانت تستدّ ولا كان يجرى عليه هذا كله ، وهذه الواقعة تقرب من واقعة الزينى
- ٣ فرج الحاجب وقد تقدّم ذكر ذلك فيما جرى عليه ، ويقرب من هذه الكائنة ما وقع لشخص من أبناء الناس يقال له محمد بن سودون السودانى وقد تغيّر خاطر السلطان عليه وحصل له منه ما لا خير فيه وسجنه وقاسى شذائد ومحن وأمره مشهور . - وفى سلخ هذا الشهر حضر الأتابكى قرقاس وكان مسافراً
- ٦ فى إقطاعه بالمنزلة ، ودخل صحبته بعدة رؤوس من العربان العصاة فعرضوا على السلطان بالميدان ، فأخلع عليه ونزل إلى داره فى موكب حافل .
- ٩ وفى رمضان فى يوم مستهلّ عرض القاضى شرف الدين الصّغير ناظر الدولة والزينى بركات بن موسى المحتسب اللحم والغنم والدقيق والسكر على السلطان وهو بالميدان ، فطلعا به مزفوقاً على العادة فأخلع عليهما . - وفى يوم الخميس
- ١٢ ثالثه عرض السلطان المحاييس بالميدان فأطلق منهم جماعة من رجال ونساء وأبقى منهم أصحاب الجرائم والفلاحين . - وفيه وقف شخص من الغلمان للسلطان وهو مقطوع اليد ، وأنهى فى قصّته أن الأمير طراباى قطع يده لأجل بغلة ماتت منه
- ١٥ فى الربيع ، فلم ينصفه السلطان من طراباى . - وفى يوم الجمعة (١٣ آ) خامسه أفرج عن عبد العظيم الصيرفى وقد أورد نخوا من عشرة آلاف دينار وقرّر عليه باقى المال . - وفيه توفى أحمد بن إسماعيل رأس نوبة الأمير طراباى ، وكان
- ١٨ على عوج فيه خير من غيره من الظلمة . - وفيه رسم السلطان بالإفراج عن جمال الدين السلمونى الشاعر ، وكان فى السجن من حين وقع له مع قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة ما تقدّم ذكره ، وكان السلطان له عناية بالسلمونى فى الباطن . -
- ٢١ وفيه أخلع السلطان على مملوكه الأمير أبرك وأعاده إلى نيابة قلعة حلب كما كان أولاً ، مع استمراره على شادية الشراب خاناه بمصر ، وصار يحمل إليه معلومها وخراج الإقطاع وهو بحلب ، فعّد ذلك من النوادر ، ثم خرج فى أثناء هذا الشهر
- (٢٢) معلومها : معلومها .

إلى حلب متكلما على نيابة القلعة بها ومتوليا شادية الشراب خاناه بمصر ، وأعجب
من هذا أن السلطان أنعم عليه فيما بعد بتقديم ألف بمصر وصار يُحمل إليه
خراج إقطاع التقديم وهو بحلب . - ومن الحوادث في هذا الشهر أن جماعة ٣
من السراق نقبوا قاعة الذهب وذبحوا البواب وأخذوا من القاعة سبائك ذهب
وفضة بنحو عشرة آلاف دينار ، فراحت (١٣ ب) ولم تنتطح في ذلك شاتان . -
وفي هذه الليلة نقبوا من سوق مرجوش أربعة دكاكين . - وفي ليلة الثلاثاء ثاني ٦
عشرينه هجم ذلك المنسر على شخص أعجمي تاجر ، وكان في سعة من المال وكان
ساكنا عند باب سر المدرسة الصالحية ، فذبحوه وذبحوا عبده معه وأخذوا كلما في
داره من مال وقماش ، فقتل الوالي أمر هؤلاء السراق حتى ظفر بجماعة منهم فشنقوا ٩
على باب ذلك التاجر الذي قتل . - وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه كانت وفاة
قاضى القضاة المالكي برهان الدين إبراهيم الدميرى ، وكان عالما فاضلا دينيا خيرا
رئيسا حشما ليس الجانب كثير التواضع ، وانتهت إليه رئاسة المالكية [في] عصره ، ١٢
ولم يكن يومئذ في المالكية أعلا طبقة منه على الإطلاق ، ومات وهو في عشر الثمانين ،
وكانت مدته في منصب القضاء إلى حين توفي رحمة الله عليه ست سنين وستة
أشهر إلا أياما ، وكان نادرة عصره في الخط الجيد والعبارة الحسنة ، وكان ١٥
عارفا بالأحكام الشرعية ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل من القلعة ليصلي عليه
فبين أنهم توجهوا به إلى الجامع الأزهر فصلوا عليه هناك . - فلما تحقق السلطان
ذلك توجه إلى نحو القرافة وزار الإمام (١٤ آ) الشافعى والإمام الليث رضى الله ١٨
عنهما ، فنزل عن فرسه ودخل زارهما بتواضع وتصدق في ذلك اليوم بمبلغ له صورة ،
وكان ذلك أول نزوله في حال السلطنة . - وفيه توفى ابن سلطان العلایا الذى
كان مقبلا بمصر . - وفي سلخ هذا الشهر نزل السلطان على حين غفلة وتوجه ٢١
إلى الهجرة التى أنشأها فكشف عن بنائها ، وكان معه الأمير طومان باى الدوادار

(٩) فتبع : فتبع . (١٤ - ١٦) وكانت . . . الشرعية : جاءت في الأصل بعد « أنهم »

في سطر ١٧ .

- وبعض أمراء عشرات ومن مماليكه نحووا من خمسمائة مملوك ، وأول ما نزل من القلعة
 ٢ خرج من باب القرافة وتوجه إلى تربة الأمير أزدمر الدوادار ونزل عن فرسه
 وزار قبره ، ثم ركب من هناك وتوجه إلى نحو كوم الجارح وزار الشيخ أبا
 السعود الذى كان هناك مقبياً ، ثم توجه من هناك إلى الحجره وكشف عليها وغسل
 وجهه من ماء النيل . فلما رجع إلى القلعة رجع من على مشهد السيدة نفيسة
 ٦ رضى الله عنها وزار وهو راكب على فرسه ورسم لخدام السيدة بعشرة دنانير ،
 ثم خرج من باب القرافة وطلع إلى القلعة وتصدق فى ذلك اليوم بمال له صورة ،
 وأنعم على البنائين والمهندسين فى ذلك اليوم بمائة دينار .
- ٩ وفى شوال عمل السلطان موكب العيد وكان حافلاً وفرق الخلع (١٤ ب)
 على العادة . - وفى يوم الخميس ثامنه عُرِضَت كسوة الكعبة على السلطان ومقام
 إبراهيم عليه السلام ، وقد شقوا من القاهرة وهى على رؤوس الحمّالين مزفوفة ، فلبس
 ١٢ القاضى ناظر الجيش عبد القادر القصروى فى ذلك اليوم خلعة كونه كان ناظر
 الكسوة أيضاً . - [ومن الحوادث] فى هذا الشهر أن الممالك الجلبان وثبوا
 على السلطان بالقلعة ونزلوا من الطباقي بكباشيات مقلوبة ، فقطعوا بالقلعة وأظهروا
 ١٥ العصيان وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الفساد وقصدوا أن يهجموا على السلطان
 وهو جالس فى الدهيشة ، فخرج إليهم جماعة من الأمراء العشرات وتكاثروا معهم
 فلم يسمعوا لهم وقالوا ما نرجع حتى ينفق علينا لكل واحد مائة دينار ، فباتوا
 ١٨ وأصبحوا على ذلك ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، فلم يخرج السلطان
 فى ذلك اليوم ولا قعد على السباط وقصد أن ينزل من القلعة ويختفى من قهره
 من الممالك فلم يمكنه الأمير طومان باى الدوادار من ذلك ، فاستمرت هذه
 ٢١ الفتنة قائمة ثلاثة أيام والقلعة مائجة ، ثم سكن الحال قليلاً عن غير رضا من
 الممالك . - وفى يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على الشيخ محيى الدين
 محيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميرى (١٥ آ) المالكى وقرّر قاضى قضاة
 (٢٢) المالك : المالك أبى البقا .

- المالكية عوضا عن أبيه بحكم وفاته، وقد ولى منصب القضاء وهو شاب، وكان حسن السيرة وله اشتغال بالعلم فما استكثر عليه أحد ذلك وخضعت له المالكية قاطبة . ومما وقع لوالده قاضى القضاة برهان الدين الدميرى أن السلطان رسم ٣ لقضاة القضاة بأن يخطب به كل واحد منهم جمعة ، وكان قاضى القضاة الشافعى جمال الدين التلقشندى غير ماهر فى الخطبة فرسم له السلطان أن لا يخطب به ، فخطب به قاضى القضاة الحنفى سرى الدين عبد البر بن الشحنة عدة مرار ، ٦ فلما جاءت نوبة قاضى القضاة برهان الدين الدميرى المالكى صعد المنبر بجامع القلعة فأرتج عليه أمر الخطبة ، وانجبه من ذلك وتعفش ووقع عند نزوله من المنبر ، فلما صلى ونزل من القلعة مرض ولزم الفراش واستمر علبلا إلى أن مات عقيب ٩ ذلك بمدة يسيرة . - وفى يوم الاثنين تاسع عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمّل زائد ، ولا سيما قد أذن السلطان للناس فى الحجّ بالتوجه إلى الحجاز على العادة ويكون ذلك مطلقا من نساء ورجال . فحجّ فى هذه السنة من الناس ما لا يحصى ، وكان أمير ركب المحمل (١٥ ب) طراباى رأس نوبة النوب ، وبالركب الأول قانصوه أبو سينّة والى القاهرة ، فكان لهما يوم مشهود ، وحجّ فى هذه السنة من الأعيان جماعة كثيرة منهم القاضى صلاح الدين بن الجيعان والقاضى شمس الدين ١٥ التتاى المالكى وكان قاضى المحمل ، وحجّ جماعة من الأمراء العشرات ، وحجّت خوند أصل باى أم الملك الناصر سريّة الأشرف قايتباى ، وحجّت خوند جان كلدى زوجة الظاهر قانصوه خال الملك الناصر . وحجّت زوجة الأمير تانى بك قراوى ابنة ١٨ الأمير برد بىك صهر الأشرف أيتال ، وحجّ غير ذلك من الأعيان جماعة كثيرة . - وفى الثلاثاء سادس عشرينه توفى الركنى عمر بن أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز . أخو أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب ، وكان شابا رئيسا ٢١ حشما أسمر اللون جلدا أمته جارية حبشية ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه توفى الشيخ أبو الفضل بن المحرق وكان من خيار
-
- (٢) اشتغال : اشغال . (٨) أمر الخطبة : أمراء الخطبة . (٢٣) بن المحرق : بن المحرق وغيره من الجوامع .

الناس لا بأس به . - وفي يوم الخميس تاسع عشرينه حضر الأمير بيبرس قريب السلطان ، وكان مسافرا نحو البلاد الشامية بسبب الكشف على القلاع : -
 ٢ وفي ذلك اليوم حضر الأمير علان الدوادر الثاني ، وكان توجهه إلى نحو عجرود بسبب إصلاح السواقي التي في مناهل الحاج ، فعمّر ما فسد منها ورجع : - وفي هذا الشهر لم ينزل السلطان إلى (١٦ آ) الميدان ولا جلس به ، وسبب ذلك أنه قد تخيل من الممالك الجلبان ، وقد تقدّم ما وقع له معهم وطلبوا منه نفقة فلم يعط لهم شيئا واستمرّ مصمتّا على عدم ذلك ، فلم ينزل إلى الميدان حتى يرى ما يكون من أمر الممالك .

٩ وفي ذى القعدة عين السلطان تجريدة إلى بلاد الفرنج وقد تزايد منهم الأذى والتعبث بالناس في البحر الملح ، وكان الباش على هذه التجريدة الأمير محمد بيك قريب السلطان ، وصحبته جماعة من الممالك السلطانية وأولاد الناس وغير ذلك : -
 ١٢ وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك ثالث بشنس القبطي . - وفي يوم الاثنين حادى عشره توفى الشهاب أحمد بن الشيخ على المقرى ، وكان علامة في عصره شيخاً عارفاً بطريقة القراءة ، وكان رئيساً حشماً عشير الناس ، وكان لا بأس به . - وفيه أنعم السلطان على الأمير بيبرس قرابته بتقدمة ألف ، وأخلع على أقباى الطويل وقرّره أمير آخور ثانياً . عوضاً عن بيبرس بحكم انتقاله إلى التقدمة .

١٨ ومن الحوادث أن جماعة من عبيد السلطان تحاسدوا في بعضهم فقتلوا منهم واحداً كان مقرباً عند السلطان من بينهم ؛ فلما قتلوه رموه في سراب من أسربة القلعة ، فلما فحص السلطان عن أمره طُلع به من ذلك السراب ، ثم قبض على من فعل ذلك من العبيد فوسط منهم أربعة في الرملة وهرب منهم جماعة . -
 ٢١ وفيه وجدت امرأة موسطة نصفين كل نصف منها مرمى في حارة فلا يعلم من فعل ذلك بها . - وفيه غُمز على فرّان قتل صبيّاً كان عنده ورماه في جورة القرن

(٦) تخيل : تحيل . (١٢) وفيه ... القبطي : كتبت في الأصل بكلمة « الباش » في سطر ١٠ .

- فاحترق وهرب الفرّان ، ولم تنتطح في ذلك شاتان : - وفيه قتل بعض الغلمان
بيّاع لبن [لأجل] شقفة لبن لم يبعها له اللبّان فقتلة ، فلما بلغ السلطان ذلك
وسط الغلام الذى قتل اللبّان ، فراح هذان الرجلين لأجل شقفة لبن ، فلا حول ٣
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . - وفي أثناء هذه السنة توفى الأستاذ على بن غانم ،
وكان علامة في ضرب الطنبورة ومعرفة الأنعام ، وهو الذى أظهر الخفائف
النجدية بمصر ولحقها في التلاحين الغريبة حتى أبطل بها فنّ الموسيقى . ٦
وفي ذى الحجة فرق السلطان الأضحية على العسكر ، وقطع أضحية كثيرة
لجماعة من المباشرين والفقهاء وغير ذلك . - وفيه توفيت امرأة يقال لها خديجة
الكليباتية وكانت تدعى الصلاح ودخل بيوت الأكابر ، فوجد لها ذهب عين ٩
ثلاثة آلاف دينار وأثاث البيت بنحو من خمسمائة دينار فعّد ذلك من النوادر ،
ومع ذلك كانت تأخذ من الناس الصدقة . - وفي يوم الخميس تاسع عشره توجه
(١٧ آ) ناظر الخالص علاى الدين إلى نحو الإسكندرية ورشيد بسبب تجهيز ١٢
المراكب التى عيّن بها السلطان للتجريدة صحبة محمد بيك . - وفي رابع عشرينه حضر
مبشر الحاج وأخبر عن الحجاج بالأمن والسلامة والرخاء . - انتهى ما أوردناه
من أخبار سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وذلك على سبيل الاختصار . ١٥

ثم دخلت سنة أربع عشرة وتسعمائة

- فيها [في] المحرم ابتدأ السلطان بضرب الكرة ، وكان أكثر ضربه للكرة
في الميدان ويعمل به المواكب الحافلة . - وفيه رسم السلطان بشتق ثلاثة أنفار ١٨
ممن كان سرق السبائك الذهب من قاعة الذهب ، وكان منهم شخص يسمى يوسف
المصارع وكان مقرباً عند السلطان فظهر أنه كان موالسا مع السراق ، فمات تحت
العقوبة بالمقشرة ولم يشنق معهم . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة ابن يحيى ٢١
ابن سبع الذى جرى من أبيه على الحجاج ماجرى ، فحضر بالأمان من السلطان ،
فلما قابله أخلع عليه وقال : له على أهلك يحضر وعليه منى أمان الله تعالى . -

وفيه جاءت الأخبار من غزة بأن قد ظهر بساحل البحر الملح سمكة عظيمة الحلقة ،
 قيل أن طولها سبعة وعشرون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع ، فأرسل السلطان
 ٣ يقول لنائب غزة إن كان ممكن إحضارها (١٧ ب) إلى القاهرة فيحضرها ، فتعذر
 ذلك عليه ، ثم أرسل نائب غزة فيما بعد عظمتين من أضلاعها حتى شاهدها
 السلطان ، وقد وضعهما عند باب القلعة تجاه السبيل الذي هناك وهما باقيتان إلى
 ٦ الآن ، وهما عظمتان من أضلاعها على ما قيل : - وفيه تزايدت عظمة الأمير
 طومان باي الدوادار واجتمعت فيه الكلمة ، ومما عدّ من محاسنه أنه حجر على
 النقباء والرسل الذين على بابه ، ورسم لهم بأن لا يأخذوا من الغرماء الذين
 يطلبون من بابه أكثر من نصفين فضّة ومن يأخذ أكثر من ذلك لا يقف له
 ٩ على باب وضيق عليهم أيّاماً بسبب ذلك ، [وبالجملّة] فعنده لبّ جانب وقلة
 أذى بخلاف من تقدّمه من الدوادارية . - وفي يوم السبت عشرين دخل
 ١٢ الحاج إلى القاهرة مع السلامة فطلع الأمير طراباي أمير ركب الحمل وقانصوه
 أبو سنّة أمير ركب الأول ، فأطلع عليهما السلطان ونزلا في موكب حافل ، ثم
 شاعت الأخبار بأن السلطان ردّ خوند أصل باي أمّ الملك الناصر مع الينبع ورسم
 ١٥ لها بأن تقيم بمكة وقد تغيّر خاطره عليها ، فرجعت من الينبع إلى مكة واستمرت
 هناك حتى كان من أمرها (١٨ أ) ما سنذكره في موضعه . - وفيه قبض
 السلطان على عبد العظيم الصيرفي ثانياً بعد ما أفرج عنه ، فتسلّمه الزيني بركات
 ١٨ ابن موسى فعاقبه وقرّر عليه مالا له صورة . - وفي يوم الأربعاء خامس عشرين
 توفّي نور الدين على المسلاقي المغربي ، وقد قاسى شدائد ومحن ، وكان توجه
 صحبة العسكر الذي خرج إلى التجريدة نحو بلاد الهند ورجع مع ناظر الخاص
 ٢١ وهو في الحديد ، وجرى عليه مالا خيراً فيه . - وفي تاسع عشرين جاءت
 الأخبار بوفاة جانبلاط نائب غزة ، وكان من نواب طقطباي نائب القلعة ، فأقام

(١٠) [وبالجملّة] : وبأكاه . (١٨) وقرّر : وقد . (١٩) المسلاقي : المسلاق .

(٢٢) نواب : أنياب .

في نيابة غزة مدة يسيرة ومات . - وفي سلخه وقعت زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نحواً من ربيع درجة والأرض تضطرب .

- وفي صفر كانت ليلة سيدي إسماعيل الإنبائي ، ونصبت الخيام في الجزيرة التي ٣
تجاه بولاق ، وخرجت الناس في تلك الليلة عن الحد في القصف والفرجة ، وكانت
ليلة حافلة . - وفيه طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة ستة أذرع
وعشرة أصابع ، وكان في العام الماضي أرجح من ذلك . - وفي يوم السبت ٦
خامس عشره كان ختام ضرب الكرة ، وعزم السلطان على الأمراء بقاعة
البحر ومد لهم أسمطة حافلة وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . - وفي يوم الخميس
سلخه عزل السلطان قاضي القضاة الشافعي جمال الدين القلقشندي ، وأخلع على ٩
الشيخ كمال الدين محمد الطويل المعروف بالقادري وقرره في قضاء الشافعية بمصر
عوضاً عن جمال الدين القلقشندي بحكم صرفه عنها ، وقد اجتمع مع الشيخ كمال الدين
مشيخة الخانقة البيبرسية وقضاة القضاة الشافعية ، ولم يتفق مثل ذلك سوى للعلامة ١٢
شهاب الدين بن حجر وشمس الدين القاياني ، أقول وكان أصل قاضي القضاة
كمال الدين هذا من أبناء الأتراك ، وهو كمال الدين أبو الفضل محمد بن (١٨ ب)
نور الدين علي بن الناصري محمد بن السيفي بهادر العمرى القادري . ١٥
وفي ربيع الأول كان مستهلّه بالجمعة ، فطلع قاضي القضاة كمال الدين في ذلك
اليوم وخطب بالسلطان خطبة بليغة فأعجب السلطان والأمراء ، وقد جاء في القضاء
على الوضع . - وفي سادسه توفي الأمير علي باي السيفي يشبك أحد الأمراء ١٨
المقدمين ، وكان لا بأس به . - وفيه أظلم الجو وأمطرت السماء مطراً غزيراً وكان
ذلك في أيب من الشهور القبطية ، وكان النيل في قوة الزيادة فلم يتأثر البحر لذلك
حتى عد من النواذر (١٩ آ) . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة ٢١
وكان حافلاً ، واجتمع القضاة الأربعة والأمراء ، وكان يوماً مشهوداً . - وفيه نزل
السلطان وتوجه إلى نحو الحجر وكشف على عمارتها ، ثم عاد إلى القلعة .
-
- (١٣ - ١٥) أقول . . . القادري : كتبت في الأصل بعد « أرجح من ذلك » في سطر ٦ .

- وفى ربيع الآخر جاءت الأخبار بأنه وقع خسف بجزيرة تجاه مدينة إقريطش ، فهلك به من الناس والبهائم ما لا يحصى . - وفيه غرق شخص من الخاصكية يقال له أقبای ، وكان دوا دار سكين ، توجه إلى نحو الجزيرة الوسطى ونزل وعام في البحر وهو سكران فغرق تحت الساقية التي بالجزيرة ، وكان غير محمود السيرة في أفعاله . - وفيه نزل السلطان وتوجه إلى القرافة وزار الإمام الشافعي والإمام الليث رضي الله عنهما ، ثم توجه إلى نحو المجرأة كشف عليها وعاد إلى القلعة . - وفيه أمطرت السماء أيضاً بعد العشاء مطراً غزيراً ، ووافق ذلك في ثالث مسرى والنيل في قوة الزيادة فلم يتأثر البحر لذلك ، وقد وقع أمر هذا المطر في هذه السنة مرتين والنيل في الزيادة فتعجب الناس من ذلك . - وفيه أخلع على مامای جوشن وقرر أمير الحاج بركب الحمل ، وقرر قانصوه أستاذار الصحبة بالركب الأول (١٩ ب) . - وفى ذلك اليوم رسم السلطان لخاير بك المعمار بأن يتوجه إلى عقبة أيلة ويأخذ معه جماعة من البنائين والمهندسين ، وقد شرع السلطان في بناء خان بالعقبة والبروج وفساق برسم ملاقاتة الحجاج ، وعمر رصيفاً على البحر عند العقبة ، ورسم بإصلاح العراقيب التي بالعقبة وكانت تتضرر منها الحجاج ، فقبل أصلح ذلك وجاء من أحسن المباني في ذلك المكان . - وفيه أنعم السلطان على جان بردى تاجر المالك بتقدمة ألف ، وهي مقدمة على باى المقدم ذكر وفاته . - وفيه في حادى عشر مسرى زاد الله في النيل المبارك خمسين أصبعا في دفعة واحدة ، وكان قبل ذلك توقف أياما فرسم السلطان لقضاة القضاة بأن يتوجهوا إلى المقياس وبييتوا به ، فتوجهوا إلى هناك ، واجتمع قراء البلد ، ومد السلطان بالمقياس أسمطة فاخرة وكانت ليلة حافلة ، ثم في اليوم الثانى وهو ثانى عشر مسرى زاد الله فيه عشرين أصبعا ، ثم في ثالث عشر مسرى زاد الله فيه عشرين أصبعا ، فكانت زيادته في ثلاثة أيام تسعين أصبعا ، ولم تقع مثل هذه الزيادة من مبتدأ الإسلام سوى مرتين مرة في دولة الظاهر برقوق سنة سبع وتسعين

وسبعمائة ، فإنه زاد في أول يوم من مسرى اثنين وستين أصبعا في يوم (٢٢٠) واحد ، ثم في ثالث يوم من مسرى زاد خمسين أصبعا ، فكانت زيادته في أربعة أيام سبعة أذرع ونصف وأصبعين ، ولم يسمع بمثل ذلك من مبتدأ الإسلام وإلى هلم^٢ ، والمرّة الثانية في دولة الأشرف برسبای سنة خمس وعشرين وثمانمائة فإنه زاد في يوم واحد خمسين أصبعا في دفعة واحدة وكان الوفاء في تاسع عشرين أيبب ، ثم في هذه السنة في دولة قانصوه الغورى زاد تسعين أصبعا في ثلاثة أيام كما تقدّم^٦ ، وكان الوفاء في رابع عشر مسرى ، فلما أوفى توجه الأنابكى قرقاس وفتح السد^٦ على العادة ، وكان يوما مشهودا ، كما يقال :

لله درّ الخليج إن له تفضلاً لا نطيق نشكره
حسبك منه بأن عاداته يحجر من لا يزال يكسره

وفيه رسم السلطان بنقل عبد العظيم الصيرفي من بيت الزينى بركات بن موسى إلى بيت الوالى ليعاقبه ، فتسلّمه الوالى وعاقبه أشدّ العقوبة وعصره في رأسه ١٢ وأكعابه ، واستمرّ في العقوبة مدّة أيام حتى كان من أمره ما سنذكره في موضعه . - وفيه نادى السلطان في القاهرة بأن أحدا من الناس لا يرافع في أحد ولا يأخذ منه شيئا بغير حقّ وأنّ من ظلم فعليه بالأبواب الشريفة ، فارتفعت ١٥ الأصوات له بالدعاء ، فكان سبب ذلك أن بعض (٢٠ ب) التجار وقف للسلطان وشكا في بركات بن موسى بحضرة الأمراء وكان ذلك التاجر مظلوما ، فاستحى السلطان من الأمراء ونادى في القاهرة بما ذكرناه ولم يتمّ ذلك وعاد كل شيء ١٨ على حاله . - وفيه رسم السلطان بنى إبراهيم والى مصر العتيقة فنتى إلى الواح وكان مستحقّا لذلك ، وهو الذى كان متوليا عقاب بلر الدين بن مزهر الذى كان كاتب السرّ فعذّبه بأنواع العذاب . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على مغلبای ٢١ الزردكاش ومباشرى الزردخاناه وقرّر عليهم عشرة آلاف دينار ، فرسم على عبد الباسط بن تقى الدين ووضع في الحديد وجرى عليه ما لا خير فيه .

- وفى جمادى الأولى فى يوم مستهله كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية . - وفى يوم الأربعاء ثانیه توفى الإمام العالم العامل الورع التقي الشيخ
- ٣ بلدر الدين محمد بن عبد الرحمن الدبرى الحنفى شيخ الجامع المؤيدى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية ، ومات فى عشر السبعين ، وكان لا بأس به ، رحمة الله عليه ، فلما مات أخلع السلطان على شخص من أبناء العجم يقال له
- ٦ الشريف حسين وقرّره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن (٢١) الشيخ بلدر الدين الدبرى بحكم وفاته ، وأخلع على قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة وقرّره فى مشيخة المدرسة الصرغتمشية عوضا عن القاضى نور الدين على
- ٩ الدمياطى الحنفى بحكم انفصاله عنها . - وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن بعض الفلاحين كان معه جملان محملين كتانا ، فدخل بهما وقت العشاء وشقّ بهما من السوقة التى عند بيت الخليفة ، فتعلق فى ذلك الكتان الذى على ظهورهما
- ١٢ نار من مسارج البيّاعين الذين هناك ، فلما أحسّ الجملان بالنار طفشا فى الناس فأت بعض صغار وداسا الناس فتعطب جماعة كثيرة ، ودهكت بضائع الناس وكانت ساعة مهولة ، فلم يقدر أحد من الناس على مسك تلك الجملين واستمرّا طافشين حتى
- ١٥ وصلا إلى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فوقع هناك أحدا الجملين فأت ، انتهى ذلك
- وفى جمادى الآخرة فى يوم الخميس ثانیه توفى الشيخ بلدر الدين محمد بن جمعة الحنفى ، [ودفن فى] قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية ، وكان من أهل العلم والفضل وله شعر جيد ونظم رقيق ، ومن محترعاته وهو قوله :
- ١٨ ورُبَّ غزالٍ بالقرافة شِمْمَتْهُ مُجاورِ قبرِ الليث (٢١ ب) بارقة الغيث فلم أر قبل اليوم خُسْعًا من الظبي تأنّس حتى فى مجاورة الليث
- ٢١ ومات وهو عن ستين سنة ، وكان يقول فيه الشهاب المنصورى :
- بلدرُ تمّ مُنْذُ قرّ طرفى منه بطلوع شاهدتُ أحسن طلعه

عجبا كيف فاق أهل المعاني في فنون العلوم وهو بن جمعه
وفيه يقول الشهاب بن صالح :

لا يُشَبَّهُ بالبدر بدرى سناءً وسناً فهو منه أكمل طلعة ٣
ذاك ثم ابن جمعتين سناءً وحبيبي أتمّ وهو ابن جُمُعَة

ومن الحوادث الشنيعة في هذا الشهر أن السلطان شرع يخرج لإقطاعات

أولاد الناس من أجناد الحلقة ، وغير ذلك من النساء اللاتي لهن الرزق وربما ٦
تعرض للرزق الأحباسية والأوقاف ، فأخرج نحواً من ثلثمائة إقطاع ورزقة من غير
جنحة ولا سبب ، وصار ينعم بها على المالك بمكاتبات ، وهذا الأمر ما سبقه به

أحد من الملوك السالفة ، فحصل للناس الضرر الشامل ولا سيما أولاد الناس ٩
صارت المالك يهجمون عليهم ويأخذون منهم مناشيرهم غصبا عنهم ويهدلونهم

بالضرب ، وكانت حادثة مهولة لم يسمع بمثلا ، (٢٢٢) وأنا من جملة من وقع له

ذلك وخرج إقطاعي لأربعة من المالك ، ولكن أعان الله تعالى ورجع إلى ١٢
إقطاعي والله الحمد ، وقد قلت هذين البيتين المواليا في المعنى :

يا مالك الملك يا من بالعباد أطفأ دبرَ عبيدك وأصلح دولة الأشرف

كم من أقاطيع أخرجها وما أنصف وأطفي المالك ذا يهجم وذا يتخطف ١٥

وفي ذلك يقول محمد بن قانصوه من صادق :

أيا بني الأتراك أرزاقكم ما قُطِعتْ إلا لأمرٍ عجيب

لا تضجروا من قطعها واصبروا ستكشف الغمة عنكم قريب ١٨

[لا تضجروا] ترجع فادعوا بنا في السر والجمهور السميع المجيب

واحسبوا من رموا سهام الدعا فكل سهم حيث يرمى مُصيب

ومن الحوادث أن عبد العظيم الصيرفي رافع صلاح الدين بن الجيعان ، وقال : ٢١

(٨) بمكاتبات : بيكتبات . (١٢-١٥) المواليا . . . يخطف : كتبت في الأصل بمد مصيب .

في سطر ٢٠ . (١٨) لا تضجروا : فالأضجروا . (٢٠) مصيب : مصيب .

أنا أثبت في جهته أربعائة ألف دينار أخذها من الخزانة أيام الملك الناصر محمد بن قايتباي ، فقال السلطان إلى هذا الكلام ورسم على صلاح الدين بن الجيعان وعلى علم الدين كاتب الخزانة وبانوب النصراني وقرّر عليهم مائة ألف دينار ، ثم قبض على تاج الدين بن (٢٢ ب) كاتب الدوايب وقرّر عليه عشرة آلاف دينار ، واستمروا على ذلك وهم في الترسيم حتى يكون من أمرهم ما يكون . - وفيه ثبت النيل المبارك على تسعة عشر ذراعا وثبت إلى العشرين من بابه ثم انهبط ، وكان نيلا عظيما قوى العزم مباركا وحصل به غاية النفع ، فكان كما يقال في المعنى لبعضهم :

٩ كأن النيل ذوفهم ولُبّ لِمَا يبدو لعين الناس منه
فياقٍ عند حاجتهم إليه ويمضى حين يستغنون عنه
وفي النيل يقول محمد بن قانصوه :

١٢ اضممُرْ على النيل فانظر ما تُسرُّ به إذا ضَمَرْتَ فما في الفال إشكال
لفالكَ المَاءُ رملٌ والنسيم به مُبْدَى ضميرك والتجعيد أشكال

ومن الحوادث أن في هذا الشهر وقع غالب البيوت التي بالروضة من قوة عزم الماء ، وقد هرى البحر الجانب الغربي فرمى البيوت المحكمة البناء وهذا قطّ ما اتفق سوى في هذه السنة . - وفيه كان انتهاء العمل من الحجارة التي أنشأها السلطان كما تقدّم ، فدارت هناك الدوايب وجرى الماء في الحجارة حتى وصل إلى الميدان الذي تحت القلعة ، ثم إن السلطان صنع هناك سواقى نقالة ، وبنى ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء النيل يرسم الممالك الذين يلعبون الرمح في الميدان ، (٢٣ آ) وشرع في بناء بحيرة في وسط ذلك البستان الذي أنشأه بالميدان فكان طول تلك البحيرة نحواً من أربعين ذراعا وقيل أكثر من ذلك ، وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلّات على ذلك البستان ، وفكّ رخام قاعات الأتابكي أزبك التي أنشأها

بالأزبكية ونقل ذلك إلى الأماكن التي أنشأها بالميدان ، وصارت هذه البحرة تمتلئ كل يوم بماء النيل وفائضها يشقى البستان ، فجاءت كما يقال فى المعنى :

٣ تَهْنَأُ بِهَا يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ بِحَرَةٍ حَكَكَتْكَ فَمَا تَنْفَكُ بِاسْطَةِ يَدَا
لَهَا فِي هبوب الرِّيحِ تَجْعِدُ مِبْرِدٍ فَمِنْ أَجْلِ ذَا تَجْلُو عَنْ الْمُهْجِ الصَّدَا
وقال آخر :

٦ عَجِبْتُ مِنْهَا بِحَرَةٍ بِيَضَتْ بِخَافِقٍ كَسَنَا الْبَارِقِ
كَيْفَ غَدَا الْمَاءُ بِهَا سَاكِنًا يَرْهُو وَقَلْبُ الْمَاءِ فِي خَافِقٍ
وفى رجب حضر يحيى بن سبع الذى كان أمير الينبع وجرى منه فى حق الحجاج ما تقدم ذكره ، فأرسل إليه السلطان منديل الأمان فحضر وقابل وكان ٩
قد أظهر العصيان مدة طويلة ، فطلع وعلى رأسه منديل الأمان فأخلع عليه السلطان ،
فلما نزل من القلعة كادت العوام أن ترجمه وسبوه سباً فاحشاً ولولا كان صحبة
الأمير اللوادار لرجوه لا محالة ، فلما بلغ السلطان ذلك نادى فى القاهرة بأن ١٢
لا أحد من (٢٣ ب) الناس لا يتعرض لابن سبع ولا يسبه ومن فعل ذلك
شنق من غير معاودة ، فتكلم الناس فى حق السلطان بأنه أخذ من ابن سبع مالا
له صورة وضيّع حقوق الحجاج فيما فعل بهم . - وفى يوم الجمعة الموافق ١٥
لثامن هاتور القبطى قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، وكان أشيع بين الناس
أن السلطان ينزل إلى المطعم ويلبس الأمراء الصوف هناك ويوكب ويشق القاهرة ،
فلم يتم ذلك وبطل هذا الأمر فلبس الصوف يوم الجمعة وخرج إلى الجامع . ١٨
وفى هذه السنة كبرت الأمراء تخافيفهم وطولوا قرونها حتى خرجوا فى
ذلك عن الحد ، وقد قال القائل فى المعنى :

٣١ قَدْ لَبَسَ الصَّوْفَ كُلُّ كَبِشٍ قَرُونُهُ يَا لَهَا قَرُونُ
فَرَحْتُ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَرِيحًا لِاصْوَفٍ عِنْدِي وَلَا قَرُونُ

- وفيه أخلع السلطان على شمس الدين بن عوض واستقرّ به مستوفى الدواوين . -
- ٣ وفيه تغيّر خاطر السلطان على شرف الدين يونس النابلسى الأستاذار ، فرسم عليه ووضع في الحديد وسجنه بالعرقانة هو وأخاه زين الدين . - وفيه حضر
- علاى الدين ناظر الخاص ، وكان مسافراً نحو الرشيد بسبب أمر المراكب التي عمرها (٢٤ آ) السلطان لأجل التجريدة ، فلما قابل السلطان أخلع عليه ونزل
- ٦ إلى داره في موكب حافل ، وفي ذلك اليوم حضر الأمير محمد بيك وكان توجه بسبب عرض المراكب المعينة للتجريدة . - وفي هذا الشهر وقع تشحيطه بالقاهرة وعزّ وجود الخبز من الأسواق ، وبلغ سعر القمح كل أردب خمسمائة درهم ،
- ٩ وعزّ وجود التبن أيضا وتناهى سعره كل حمل بدينار .
- وفي شعبان طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وطلع الخليفة المستمسك بالله يعقوب ، فوقع بينه وبين ابن عم أبيه خليل تشاجر فاحش بمجلس السلطان ،
- ١٢ فقال خليل للخليفة يعقوب أنت ولايتك ما تصحّ فإنك أعمى ، وكان الخليفة يعقوب بعينه ضعف ، فقام إليه الناصرى محمد بن الخليفة وقال له وأنت ما تصحّ خلفك صلاة لأنك ما تحسن قراءة الفاتحة ، وكان خليل ألغى لم ينطق بحرف البراء ،
- ١٥ ثم ألزمه السلطان بأن يقرأ بحضرة القضاة فلما قرأ تعفّش في القراءة بين الناس ثم سكّت ولم يكمل قراءة الفاتحة ، وانفض المجلس مانعا وكان مجلسا مهولا ، فقال السلطان يوم الاثنين نعقد مجلسا في أمر من يصلح للخلافة فقام الخليفة يعقوب
- ١٨ والقضاة على أن الميعاد يوم الاثنين ، وقد ترشّح أمر الناصرى محمد بن (٢٤ ب) الخليفة يعقوب ليلى الخلافة عوضا عن أبيه ، وكان السلطان محطّا على الخليفة يعقوب راثما منه مالا كما سيأتى الكلام على ذلك . - وفي يوم السبت ثانياه توفى
- ٢١ الأمير أزيلك اليوسفى المعروف بفسقى ، وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق ، وقرّر في مقدمة ألف في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، وكان شاخ وكبر ومات وهو في عشر الثمانين ، ومات وهو طرخان ، وكان له مرتب على الدخيرة حتى مات ،
- (١٧) أمر : أمير . (٢٣) مرتب : مرتبة .

وكان لا بأس به . - وفي يوم الاثنين رابعه حضر القضاة الأربعة والخليفة يعقوب وولده محمد وابن عمهم خليل ، وكان الخليفة يعقوب عهد لولده محمد بالخلافة عند ما حصل له ذلك [في] المجلس المقدّم ذكره ، فعرض ذلك العهد على ٢ قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل ، وكان الخليفة عبد العزيز عهد بالخلافة من بعده لولده يعقوب ثم من بعده لولد ولده محمد ، فلما وقف قاضي القضاة على هذين العهدين قال الحقّ للناصرى محمد بن الخليفة يعقوب ، ثم إن الخليفة ٦ قال للسلطان أنا قد شخت وكبر سنّي وقد عزلت نفسى من الخلافة وعهدت إلى ولدى بالخلافة فإن شاء السلطان يولّيه أولا ، فقال السلطان قد وليت ولدك وساعدته الأمراء على ذلك ، فتقدّم كاتب السرّ محمود بن أجا واسترعى (٢٥٠ آ) ٩ الشهادة على السلطان بولاية الناصرى محمد بن يعقوب ، ثم خطب خطبة بليغة وقال يا مولانا السلطان نشهد عليك أنك وليت الخلافة للناصرى محمد بن الخليفة يعقوب ، فقال نعم ، فشهدوا القضاة عليه بذلك ، فقام الخليفة يعقوب ووادع ١٢ السلطان فأكرمه وعظّمه ونزل إلى داره وهو فى غاية العزّ والعظمة ، وألبسه السلطان سلارى صوف أبيض بصمور من ملاييسه ، وألبس سيدى خليل أيضا سلارى من ملاييسه ، وألبس ولديه أيضا سلارين بسنّجاب ، ثم أحضروا للناصرى ١٥ محمد شعار الخلافة فأفيض عليه وتلقّب بأبى عبد الله المتوكّل على الله ، فولّاه السلطان الخلافة على أتمّ وجه جميل ، ولم يراع من الأنام خليل ، فكان السادس عشر من خلفاء بنى العباس بمصر ، فلما لبس الشعار جلس بين يدى السلطان ، ١٨ ثم إن القضاة شهدوا عليه بأنه فوّض للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى ما فوضه إليه والده المستمسك بالله يعقوب ، فقال نعم ، ثم قام وقد ارتفعت الأصوات للسلطان بالدعاء كون أنه لم يخرج الخلافة عنهما ، وكان ٢١ ابن عمهم خليل ، سعى على الخلافة بمال جزيل ، فلم ينل من ذلك مناه ، فما كان

عن ذلك (٢٥ ب) السعى أغناه ، فولى خليل بوجه طويل ، ونزل من القلعة وقد اشتعل قلبه بنار الخليل ، فكان كما يقال فى المعنى :

ألا قُلْ لمن كان لى حاسدا أتلدري على من أسأت الأدبُ

أسأت على الله فى فعله لأنك لم ترض لى ما وهبُ

فجازاك عنه بأن زادنى وسد عليك وجوه الطلبُ

ثم إن المجلس انفضّ وقام الخليفة المتوكل على الله وقد تلقّب بلقب جدّة

عبد العزيز ، ونزل من القلعة فى موكب حافل ومحبته القضاة الأربعة وأعيان الناس

وزيتوا له حارته وأوقدوا له الشموع بالصليبية ، وكان له يوم مشهود ، وولى

الخلافة وهو شاب وكان مولده سنة سبعين وثمانمائة ، ولم يتفق لأحد من خلفاء

مصر بأنه ولى الخلافة ووالده فى قيد الحياة مقبلا معه فى بيت واحد سواء : —

وكانت مدة خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب اثنى عشرة سنة إلا ثلاثة

أشهر ، فإنه ولى الخلافة يوم السبت ثالث صفر سنة ثلاث وتسعمائة فى دولة الناصر

محمد بن قايتباى ، وخلع نفسه من الخلافة رابع شعبان سنة أربع عشرة وتسعمائة ،

وقيل أنه تكلف فى هذه الحركة إلى اثنى عشر ألف دينار ، ولولا فعل ذلك كان

نُفى إلى ديباط أو إلى القدس ، فكان ما فعله عين الصواب كما يقال :

يُعَوِّضُ اللهُ مَالاً أَنْتَ مُتْلِفُهُ وَمَا عَنِ النَّفْسِ إِنْ أَتْلَفْتَهَا عِوَضُ

وهذا ما كان (٢٦ آ) من ملخص أخبار الخليفة يعقوب وولاية ولده

الناصرى محمد . — وفى يوم الجمعة ثامنه نزل السلطان إلى الميدان ورسم بجمع

الحرافيش فاجتمع هناك السواد الأعظم من رجال ونساء ، ففرق على كل واحد

منهم نصفين فضّة ، فقبل أنه فرّق فى ذلك اليوم نحواً من أربعمائة دينار : —

وفيه نزل السلطان من الدهيشة وتمشى ودخل إلى الزردخاناه وعرض الأسلحة

التي كانت فى الزردخاناه من قديم الزمان ، فرأى أشياء كثيرة منها تلفت من الصدأ ،

(١٧) أنت . . . أتلفتها : جاءت فى الأصل بعد « الناصرى محمد » فى سطر ١٩

- فطلب عبد الباسط ناظر الزردخاناة ووبخه بالكلام ثم قصد شتقه في ذلك اليوم على باب الزردخاناة ، فألزم بإصلاح ما فسد من الأسلحة ، واستمر في الترسيم بعد ذلك مدة طويلة وهو في الحديد . - وفي يوم الاثنين حادى عشره عزل السلطان ٣ شرف الدين النابلسى الأستاذار ، وأخلع على الأمير طومان باى الدوادار وقرره فى الأستاذارية عوضا عن شرف الدين النابلسى ، فصار الأمير طومان باى أمير دوادار كبير وأستاذار العالية وكاشف الكشاف كما كان الأمير أقبردى ، وأخلع ٦ على شمس الدين بن عوض وقرره ناظر ديوان المفرد (٢٦ ب) . - وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذى توجه إلى نحو بلاد الهند صحبة الأمير حسين قد انتصر على الفرنج الذين كانوا يتعبتون فى البحر وغنم منهم العسكر غنائم كثيرة ، فسُرّ ٩ السلطان لهذا الخبر وأمر بدق الكوسات فدقت ثلاثة أيام متوالية ، ثم إن حسين أرسل يطلب عسكرا ثانيا حتى يتقوى به على من بقى من الفرنج . - وفيه نزل السلطان إلى الميدان وعرض المحاييس فأطلق منهم جماعة من رجال ونساء وأبقى ١٢ الفلاحين وأصحاب الجرائم . - وفى يوم السبت ثالث عشرينه حضر مراكب أغربة عدتها ست ، وهى التى كان ناظر الخاص توجه إلى رشيد بسبب عمارتها ، فلما وصلت أرمى بها عند رأس الجزيرة الوسطى ، فخرج الناس يتفرجون عليها ١٥ وقد زينت بالصناجق والشطافات ودقت فيها الطبول وزعقت الزمور ، واجتمع هناك الناس أفواجا أفواجا ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشرينه نزل السلطان من القلعة وصحبته الأمراء قاطبة والمباشرون وتوجه إلى نحو طرا وضربت له هناك الخيام ١٨ ثم أحضر بين يديه تلك المراكب الأغربة ، فلعبوا قدامه فى البحر ذهابا وإيابا والطبول والنفوط (٢٢٧) عمالة ، وأرموا قدامه فى البحر عدة مدافع ، وكان له يوم مشهود ، واجتمع هناك الجم الغفير من الناس ، وأقام السلطان هناك إلى بعد ٢١

(٢) الصدا : الصدى . (٤) بإصلاح : بلا صلاح . (٩) وقرره : وقرر . (١٦) عدتها ست

وهى ... عمارتها : عدتها ست وهم ... عمارتهم . (١٧) وصلت بها ... عليها : وصلوا ... بهم ...

عليهم . (١٨) زينت .. فيها : زينوا .. فيهم . (٢١) بين : من .

العصر ومدّ له هناك ناظر الخاصّ أسمطة حافلة ، ولم يقع للسلطان من حين تسلطن يوماً مثل ذلك اليوم في القصف والفرجة ، فلما ركب من هناك أخلع على ناظر الخاصّ كاملية بصمور ، وأخلع على رئيس المراكب وجماعته الخلع السنيّة ، ثم عاد إلى القلعة . ٣

وفي رمضان في يوم مستهله نزل السلطان إلى الميدان وطلع إليه الخليفة محمد المتوكل على الله بن يعقوب وهنا بالشهر وهو لابس العمامة البغدادية ، وهذا أول مواكبه في الخلافة ، فقام إليه السلطان وعظمه إلى الغاية ، فلما قام دخل بعده قضاة القضاة . - وفي ذلك اليوم طلع شرف الدين الصغير ناظر الدولة والزيّني بركات بن موسى المحتسب ، وعرضوا عليه اللحم والغنم والخبز والدقيق والسكر وهو فوق على رؤوس الحمّالين ، فأخلع عليهما السلطان وأخلع على تغرى برمّش الوزير ، وكان يوماً مشهوداً . - وفي يوم الأحد تاسع شهر رمضان حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد صاحب (٢٧ ب) بغداد ، وهو شخص يسمّى برك ، فلما بلغ السلطان حضوره أنزله بدار الأشرف جان بلاط التي بحارة عبد الباسط ورتّب له ما يكفيه . - فلما كان يوم الخميس ثالث عشر رمضان أوكب السلطان بالحوش بغير شاش ولا قماش ، واجتمع بالحوش سائر الأمراء ، ورسم بأن يزيّنوا باب الزردخاناه الذي عند الجامع ، فزيّنوه باللبوس وآلة السلاح والصنّاجق السلطانية ، ثم طلب السلطان القاصد فطلع صحبة المهمندار وقابل السلطان وقرأ كتابه الذي حضر على يده ، وكان سبب حضور هذا القاصد أن متملك بغداد مراد خان ابن يعقوب بن حسن الطويل كان متولياً على بغداد ، فزحف عليه شاه إسماعيل ابن حيدر الصوفي فتغلّب عليه عسكره ومال إلى الصوفي ، فلما رأى ذلك هرب ودخل إلى بلاد السلطان وأرسل قاصده إلى السلطان بأن يمدّه بعسكر حتى تحارب الصوفي ، فأكرم السلطان ذلك القاصد وأحسن إليه ، وهذه الواقعة تقرب من واقعة القان أحمد ابن أويس متملك بغداد وقد زحف عليه تمرلك فهرب منه والتجأ إلى الملك (٧) وهنا : وهي .

الظاهر برقوق ، وقد تقدم القول على ذلك في موضعه : - وفيه ترفع شمس الدين ابن عوض والمعلم يعقوب اليهودي ، فقال ابن عوض أنا أثبت (٢٨ ت) في جهة يعقوب ستين ألف دينار بطريق شرعي ، قال السلطان إلى كلام ابن عوض ٢ واعتدل على يعقوب اليهودي وأودعه في الترسيم على مال يرده : - وفيه أرسل خاير بيك المعمار الذي توجه إلى عقبة أيلة بسبب عمارة الأبراج التي أنشأها هناك والحن والحواصل وإصلاح طريق العقبة ، فأرسل للسلطان حجارة زعم أن داخلها ٦ معدن النحاس الأصفر وأنه وجد تلك الأحجار في واد بالقرب من العقبة ، فرسم السلطان بسبك تلك الأحجار فظهر منها بعض شيء من النحاس لا يساوي تعبته فرجع عن ذلك : - وفي سابع عشره أخلع السلطان على الجمالي يوسف ٩ البدرى وقرره في الحسبة عوضا عن الزيني بركات بن موسى بحكم انفصاله عنها ، وأخلع على أحمد بن العكام وقرر في بردارية السلطان عوضا عن بركات بن موسى ، وكان السلطان تغير خاطره على بركات بن موسى وأخذ في أسباب الهبوط حتى ١٢ أخرج عنه التحدث على خانقاه سرياقوس والتحدث على جهات البرلس وجعلها لناظر الخاص ، وغير ذلك من الجهات التي كان يتحدث عليها ، فإنه كان يتحدثنا على ست عشرة جهة . - وفيه أخلع السلطان على معين الدين بن شمس ١٥ وقرره نائب كاتب السر (٢٨ ب) عوضا عن الشهابي أحمد بن الجيعان بحكم انفصاله عنها ، وقد اجتمع مع معين الدين هذا وكالة بيت المال ونياية كتابة السر وغير ذلك من الوظائف ، وكان هذا من أكبر أسباب الفساد في حقّه كما يأتي ١٨ الكلام على ذلك في موضعه ، وقد سعى معين الدين بن شمس بمال له صورة حتى استقر في نياية كتابة السر ، وكان معين هذا شنيع المنظر بشع الوجه ، فكان إذا وقف وقرأ القصص بين يدي السلطان يقول السلطان : والله تعالى إني لأستحي ٢١ من العسكر لما يقف ابن شمس يقرأ على القصص قدامهم . - وفيه نفق السلطان الكسوة على العسكر فجلس بالميدان وكان يوما مطرا . - وفيه قويت الإشاعات

(١٥) ست عشرة جهة : ستة عشرة جهات . (٢١) إني لأستحي : بلغ ابن لا استحي .

- بأن الصوفي زاحف على بلاد السلطان ثم خدت تلك الإشاعات عن قريب . -
- ٣ وفي ثامن عشرينه جاءت الأخبار من دمياط بوفاة الأمير أصرطر من ولي الدين الذي كان أمير مجلس ونفى إلى دمياط بسبب واقعة الحجّاج وقد تقدّم ذكر ذلك ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباي ، وكان أميراً جليلاً رئيساً حشماً وكان عنده
- ٦ لين جانب ، وكان لا بأس به . - وفيه عُرض على السلطان خلع العيد وهو بالميدان ، وكان يوماً مشهوداً . - وفي سلخه حضر كاشف الشرقية وصحبته شيخ العرب (٢٢٩) عبد الدايم بن الأمير أحمد بن بقر وقد قبض عليه بحيلة عملها حتى مسكه ، وكان له مدّة طويلة وهو عاصي يفسد في البلاد ، فلما قابل السلطان رسم بتقييده وإيداعه في البرج . ٩
- وفي شوال كان موكب العيد خافلاً ، وكان برك قاصد صاحب بغداد حاضراً فألبسه السلطان سلارى صوف بصمور من ملايبسه ونزل صحبة الأمراء . -
- ١٢ وفي يوم الخميس رابعه نزل السلطان إلى الميدان وجلس بالمقعد الذي به واجتمع حوله الأمراء ، ثم حضر قاصد صاحب بغداد ، وفي ذلك اليوم ساقوا الرماحة بالميدان قدّام السلطان ، ودخل المحمل وكسوة الكعبة وطافوا بها في الميدان ، واجتمع هناك الجُم الغفير من الناس بسبب الفرجة ، وكان يوماً مشهوداً ، ولا سيما
- ١٥ كان ذلك بحضور قاصد صاحب بغداد . - ثم بعد أيام عزم السلطان على القاصد بالميدان وأحضر قدّامه جماعة من الممالك وهم لابسون آلة السلاح ، فأرموا في ذلك اليوم رماية نشاب على الخيول وأظهروا أنواعاً غريبة في فنّ النشاب أدهشوا ذلك القاصد ،
- ١٨ وأحرق السلطان في ذلك اليوم إحراقة نفط بالنهار في الميدان ، وقد فعل مثل ذلك مرتين بحضرة القاصد وهو بالميدان . - وفيه جاءت الأخبار من مكة (٢٩٩ ب)
- ٢١ بوفاة قرقاس الشريفي باش المجاورين ، فلما تحقق السلطان موته عينّ باشيّة مكة إلى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له جان بردى من قائم . - وفي يوم الخميس ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل
- (٤) رئيساً حشماً : حشماً رئيساً .

مامای جوشن ، وبالركب الأول قانصوه من دولات بردى أستاذار الصحبة أحد
الأمراء الطبلخانات ، وكان يوما مشهودا .

- وفي ذى القعدة جاءت الأخبار من الطينة بأن الأمير تمر باى الهندى لما
توجه إلى هناك بسبب عمارة الأبراج التى أنشأها السلطان هناك على ساحل البحر
المالح ، فبينما هو هناك فجاءت إليهم مركب فيها فرنج فتعبثوا بالسواحل ، فجمع الأمير
تمر باى جماعة من الخفراء الذين هناك ، ومن كان معه من المماليك ، وتحارب مع تلك
الفرنج ، فانتصر عليهم وأسر منهم نحو من سبعة وعشرين نفرا وملك مركبهم وما
كان فيها ، وأرسل الفرنج الأسرى ومركبهم إلى السلطان فسرّه بذلك . - وفيه حضر
قاصد من عند صاحب قبرس وعلى يده مقدمة حافلة للسلطان ، فأكرمه وأخلع عليه . -
وفي أخلع السلطان على الزينى بركات بن موسى وأعادته إلى الحسبة وعزل يوسف
البدرى عنها ، وكان (٢٣٠) قد وقع فى تلك الأيام تشحيطة فى القمح وارتفع الخبز
من الأسواق وكادت العوام أن ترجم يوسف البدرى ، فلما أخلع على ابن موسى
وأعادته إلى الحسبة فرح به الناس قاطبة وسكن ذلك الاضطراب . - وفيه
أخلع السلطان على قاصد صاحب بغداد وأذن له بالسفر ، وكان يروم أن السلطان
يمدّ صاحب بغداد بعساكر من مصر حتى يحارب الصوفى فاطاوع السلطان على
ذلك . - وفيه جلس السلطان فى الدهيشة وعرض الأستاذار شرف الدين
التابلسى ، وكان له مدّة وهو مسجون بالعرقانة فى قيد وزنجير وقاسى ما لا خير
فيه ، فشفّع فيه بعض الأمراء فأفرج عنه ، وقد ضمنه الزينى بركات فيما بقى عليه
من المال ، وفيه يقول محمد بن قانصوه :

- يا رَبَّ تَجَّ الخلق من ذى حِسْبَةٍ فى كعبه التسعير لا التسير
إن سَعَرَ الأشياءَ غَلَتْ من كعبه وَغَلَتْ وزاد بكعبه التسعير
وفى ذلك اليوم عرض السلطان عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخانا ،
وكان له مدّة طويلة وهو فى الترسيم بجامع القلعة وهوى الحديد ، وكان السلطان

أوعده بالشق فأفرج عنه في ذلك اليوم وأورد بعض ما قرّر عليه من المال وضمّنه (٣٠ ب) في الباقي الأمير مغلباى الزردكاش ، وكان السلطان قد قرّر على ٣ مغلباى الزردكاش وعبد الباسط الناظر وعبد الكريم بن اللاذنى المستوفى ويحيى ابن يونس أحد الزردكاشية فقرّر عليهم السلطان عشرة آلاف دينار ، فأوردوا منها شيئا وتأخّر عليهم باقى ذلك حتى يغلقوه ، وكان قدر فعملهم أحمد بن قراكرز ٦ أحد الزردكاشية ومحمود وعلى باى وغير ذلك من الزردكاشية ، فأخلع السلطان على مغلباى الزردكاش وعلى عبد الباسط وعلى عبد الكريم اللاذنى ، ونزلوا إلى دورهم بعد ما قاسوا شدائد ومحنًا . - وفيه قبض السلطان على يوسف ٩ ابن أبى أصبع الحلبي وكان من خواصّه ، فقاسى غاية الضرر والأنكاد ، وأمره قد شهر بين الناس بما جرى عليه من الضرر البالغ . - واستمرّ المعلم يعقوب اليهودى في الترسيم وعلم الدين المتحدّث في الخزائن وبانوب النصرانى حتى يغلقوا ما قرّر ١٢ عليهم من الأموال الجزيلة ، وكذلك صلاح الدين بن الجيعان ، وقد تقدّم القول على ذلك بما قرّر عليهم من المال . - وفيه أفرج السلطان عن عبد العظيم الصيرفى ، وكان له مدّة طويلة وهو فى الحديد موكّل به فى جامع القلعة ، فأورد مما ١٥ قرّر عليه من المال شيئا وبقي عليه (٣١ آ) من ذلك المال بعض شيء ، فضمّنه بعض الأمراء وتكلّم له مع السلطان بأن يُطلقه حتى يسعى فى بقية المال ، وقد قاسى عبد العظيم من الشدّة ما لا خير فيه ، وضرب وعصر غير ما مرّة فى أكعابه ١٨ وأصداعه وأضلّاعه وغير ذلك من أنواع العذاب .

وفى ذى الحجة خرج الأمير طومان باى الدوادار وسافر إلى جهة الصعيد ، فنزل من القلعة فى موكب حافل . - وفيه فرّق السلطان الأضحية على العسكر ٢١ ومن له عادة . - ومن النوادر أن شخصا من الناس ، قيل هو بواب جامع الحاكم ، طلع إلى السلطان وذكر له أنه رأى فى المنام قائلا يقول له قل للسلطان إن فى جامع الحاكم فى بعض دعائمه دعامة تحتها دنابر ذهب لا ينحصر عددها ،

(١) فأفرج : فأخرج . (٢) قرر : قدر .

فلما سمع السلطان ذلك مال لكلامه وظنّ أنه حقاً ، فأرسل الأمير خاير بيك الخازندار وبركات بن موسى وجماعة آخرين من أخصّائه ، وأخذوا معهم جماعة من المهندسين والبناّين ، وأحضروا ذلك الرجل القاتل وقالوا له أرنا الدعامة التي تحتمل الذهب ، فقال لأعلم أيها الدعامة التي تحتمل الذهب ، فقال المهندسون ما يظهر ذلك حتى نهدم جميع الدعائم التي هنا ، فاجتمع في ذلك اليوم (٣١ ب) الجُم الغفير من الناس بالجامع وكثر القتل والقتيل في ذلك وكذبوا ذلك الرجل ، ثم شاوروا السلطان على هدم دعائم الجامع فلم يوافق على ذلك ورجع عن هذا الأمر من قريب ، وقد وقع مثل ذلك في دولة الملك الأشرف بُرسباي وفي أيام الظاهر جقمق والظاهر خُشقدم ، ونزل الأمير خاير بيك الخازندار إلى هناك ، ثم وقع مثل ذلك في دولة الأشرف قايتباي ، ولم يظهر من هذه القضية نتيجة قط ولم يفد من هذا الكلام شيء . - وفي ثالث عشرينه حضر مبشّر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وقد جدّ في السير حتى وصل في هذه المدّة اليسيرة . - وفيه وقع تشاجر بين أنصبای حاجب الحجاب وبين الأمير نوروز أحد الأمراء المقدّمين ، فوصل أمرهما إلى السلطان فأنتصف السلطان أنصبای على نوروز ، وكان سبب ذلك أن ربعا بجوار قنطرة الموسيقى وهو بالقرب من بيت نوروز وكان يسكن به بنات الخطأ يعملن الفاحشة ، فقصد أنصبای حاجب الحجاب كبس ذلك الربع وكان الربع للأتابكي أذربك ، فتوجه إليه دوا دار أنصبای وجماعة من النقباء ، فلما وصلوا إلى هناك ثارت عليهم غلمان نوروز وعبّده فضربوا جماعة حاجب الحجاب ومنعوه من كبس ذلك الربع ، فلما بلغ أنصبای ذلك ركب بنفسه وكبس ذلك الربع وضرب النساء التي كنّ به (٣٢ آ) وأشهرهن في القاهرة على حمير ، فطلع نوروز وشكى أنصبای إلى السلطان ، فحطّ السلطان على نوروز وقصد الإخراق به وانتصف عليه أنصبای . - وفيه وقعت زلزلة خفيفة بعد العشاء ولم يشعر بها أحد من الناس إلا القليل .

وفي هذه السنة صار السلطان يعمل غالب المواكب بالميدان ، وأبطل لبس الشاش والقماش في المواكب وصار لا يُلبَس إلاّ في يوم الجمعة فقط عند صلاة الجمعة وفي الأعياد وعند خروج الحاجّ أو عند حضور قاصد ؛ وقد أبطل أشياء كثيرة كانت من شعار المملكة مما كان يعمل من النظام القديم . - وفي هذه السنة كثر الموت في الدّجاج حتى شحّ جماعة من الفلاحين من ذلك ، وصار يموت منهم في كل يوم ما لا يحصى عددهم . - وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه حصل للسلطان توعك في جسده وإسهال مفرط ، وامتنع عن الخروج إلى الأمراء أياماً ، ثم عوفي من ذلك وأخلع على الحكماء . - ومن النوادر أن البلسان ، وهو الذي يسمّونه الناس البلسم ، كان قد انقطع زرعته من أرض المطرية من أوائل سنة تسعمائة من القرن التاسع ، وكانت مصر تفخر بذلك على سائر البلاد . وكانت ملوك الفرنج تتغالى في دهن هذا البلسم ويشترونه (٣٢ ب) بنقله ذهباً ، ولا يتم عندهم التنصّر حتى يضعون من دهنه شيئاً في ماء المعمودية وينغمسون فيه ، وكان يُستخرج دهنه شيئاً في فصل الربيع في برمهات ، فلما انقطعت زرعته من أرض المطرية تنكّد السلطان لذلك ، ولا زال يفحص عن أمره حتى أحضر إليه بلسان برّى من بعض أماكن بالحجاز وهو في طينه فزرعه بالمطرية في مكانه المشهور به ، فنتج وطلع لما سقى من ماء تلك البئر التي هناك ، فنتج في هذه السنة وطلع ما كان قد بطل أمره من مصر ، فعُدّ ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصوه الغورى ، انتهى ذلك . ١٨

وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة كثيرة الحوادث وقد وقع فيها عزل وولاية ومصادرات ، فمن ذلك عزل الخليفة المستمسك بالله يعقوب وولاية ولده محمد المتوكل على الله . - ومنها عزل قاضى القضاة الشافعى برهان الدين القلقشندى وولاية الشيخ كمال الدين الطويل . - ومنها عزل شرف الدين يونس النابلسى الأستاذار وولاية الأمير طومان باى الدوادار واستقراره في الأستاذارية مع ما بيده من الدوادارية الكبرى . - ومنها عزل الشهابى أحمد بن ٢٤

- الجيعان عن نيابة كتابة السرّ وولاية معين الدين بن شمس . - ومنها (٣٣ آ)
 عزل الزينى بركات بن موسى عن الحسبة وولاية الحمالى يوسف البدرى . - وكانت
 سنة شديدة البرد حتى عدم أشياء كثيرة من الفواكه والقثاء وغير ذلك ، ووقع ٣
 فيها أيضاً تشحيطة فى القمح حتى بلغ سعره إلى أشرفين كل أردب ، وعزّ وجود
 التبن والدريس ، انتهى . - ومنها عزل فخر الدين بن العفيف عن كتابة الممالك
 وولاية شرف الدين الصغير لها . - ومنها مرافعة عبد العظيم الصيرفى لصالح ٦
 الدين بن الجيعان وعلم الدين المتحدث فى الخزانة الشريفة وبانوب النصرانى ، وقد
 صودروا وأخذ منهم مال له صورة بسبب مرافعة عبد العظيم الصيرفى لهم . -
 ومنها مصادرة مغلباى الزردكاش ومباشرى الزردخاناه وجماعة من الزردكاشية . - ٩
 ومنها مصادرة يوسف بن أبى أصبع الحلبي وكان من أخصاء السلطان . - ومنها
 مصادرة المعلم يعقوب اليهودى ، وصودر تاج الدين بن كاتب الدواليب وقرّر
 عليه نحو عشرة آلاف دينار ، وصودر فى هذه السنة جماعة كثيرة من أعيان ١٢
 الناس . - ومنها ما وقع لأولاد الناس من أجناد الحلقة وغيرها فى خروج
 لإقطاعهم من غير سبب ولا موجب لذلك ، فأخرج السلطان فى هذه السنة نحواً
 من (٣٣ ب) أربعائة لإقطاع ورزقة ، حتى الرزق التى كانت بيد النساء : ١٥
 وربما تعدلوا إلى الجهات التى هى موقوفة على جهات برّ وصدقة ورواج الصالح ،
 وقاست أولاد الناس من الممالك ما لا خير فيه وصاروا بهجومون عليهم فى بيوتهم
 ويضربونهم ويهدلونهم أشدّ البهدة ، والأمر لله ، وجرى فى هذه السنة من ١٨
 الحوادث ما لا يحصى ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وتسعمائة

- ففى المحرم فى رابعه ، الموافق لأول يوم من بشنس القبطى ، اظلمّ الجو ٢١
 وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى أوحلت منه الأسواق واستمرتّ تمطر يومين متوالية ،
 حتى عدّ ذلك من النواذر حيث أمطرت فى بشنس . - وفى حادى عشره خرج

علاى الدين ناظر الخاص وتوجه إلى نحو الطور لأجل عمارة المراكب التي
أنشأها السلطان هناك بسبب تجريدة الهند . - ومن الوقائع اللطيفة أن في يوم
الخميس ليلة الجمعة خامس عشره نزل السلطان إلى الميدان ونصب به خيمة كبيرة ٣
مدورة وملاً البحرة التي أنشأها هناك من ماء النيل من الحجارة التي أنشأها ، ثم
رسم بجمع كل ورد في القاهرة ووضع في تلك البحرة ، وجمع قراء البلد قاطبة
والوعاظ ، وعلّق أحمالاً بها قناديل ، وفرش حول البحرة الفرش الفاخرة ، وعزم ٦
على القضاة الأربعة وسائر الأمراء (٣٤ آ) من كبير وصغير وأرباب الوظائف
من المباشرين وأعيان الناس قاطبة ، وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده
الأتابكي قرقاس وجماعة من الأمراء ، ومدّت تلك الليلة أسمطة حافلة أعظم من ٩
سماط المولد ، فدّ في السماط أربعائة صحن صيني ، ورسم بأن تعمل المأمونية
الحموية وكل قطعة نصف رطل ، وكان من الأوز والدجاج والعم ما لا ينحصر ،
ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل ، ومن الدجاج ألف طير ، ومن الأوز خمسمائة طير ، ١٢
ومن الغنم المعاليف خمسين معلوفاً ، ومن الرُمان الرضع أربعين رميساً ، حتى قيل
صرف على ذلك السماط فوق الألف دينار بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر
وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهودة . - وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ١٥
ووافق ذلك تاسع بشنس القبطي ، ثم في عقيب ذلك ابتداء يضرب الكرة . -
وفيه نزل السلطان إلى الميدان وأحضر جماعة من المماليك يرمون بالنشّاب على
الخيل وهم بآلة السلاح ، وأحرق في ذلك اليوم إحراقة نפט بالنهار ، وكان له يوم ١٨
مشهود . - وفيه في ثاني عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة ،
وكانت سنة رخيّة مباركة ، ولما رجع الحجّاج أخبروا بما فعله السلطان من وجوه
الخير من (٣٤ ب) العمارة بالعقبة ، وقد أنشأ هناك خاناً وفيه عدّة حواصل يرسم ٢١
الودائع ، وأبراجا ، وجعل بها جماعة من الأتراك قاطنين هناك يقيمون بها سنة ثم
يعودون إلى مصر ويتوجه جماعة غيرهم إلى هناك ، وأصلح طريق العقبة

- وقطع الأماكن الصعبة التي كانت بها العراقيب ؛ وأنشأ برجاً بعجروود وبرجاً بنخل ، وأصلح عدّة مناهل بطريق مكة وبني هناك أشياء كثيرة من هذا النمط وحصل بها غاية النفع ، وأنشأ بالأزمن برجاً أيضاً وجعل به جماعة من المماليك ٣ يقيمون به وكلما مضت ستة يحضرون ثم يتوجه غيرهم . - وفيه عين السلطان الأمير علان الدوادر الثاني بأن يتوجه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، وكان قد أشيع في تلك الأيام بأن ابن عثمان قد مات ، وربما صلّوا عليه صلاة الغيبة في جامع ٦ الأزهر ، ثم ظهر بأن هذا الكلام كذب ، وأسفرت هذه الإشاعة على أنه كان مريضاً وشقي ، فعين السلطان علان بأن يتوجه إليه ويهنئه بالعافية . - وفيه حصل للسلطان بعض قولنج فامتنع أياماً عن ضرب الكرة ، ثم شفى من هذا العارض وضرب ٩ الكرة في الميدان ، وهذا بخلاف العادة القديمة أن الكرة تضرب في الميدان .
- وفي صفر جاءت الأخبار من دمياط بأن شخصاً (٣٥ آ) من أولاد ابن عثمان يقال له قرقند بيك قد وصل إلى دمياط ، فلما تحقق السلطان ذلك عين إلى ١٢ ملاقاته الأمير أقباي أمير آخور ثاني وأزدمر المهمندار وناق الخازن ، وأرسل صحبهم ملاقة حافلة من كل نوع فاخر ، وجهز المراكب حتى الحراقة الكبيرة التي يكسر فيها السدّ برسم ابن عثمان ليجمع فيها في البحر ، وجهز له إحراقة نفط ١٥ تحرق قدّامه في البحر لما أن يقلع ، وما بقي من إكرامه ممكن ، فتوجهوا إلى دمياط بسبب الملاقة . - وفي يوم السبت سابعه قبض السلطان على الشهابي أحمد بن الجيعان ووكل به وقرّر عليه خمسة آلاف دينار ، وكان في هذه المصادرة مظلوماً . - ١٨ وفيه أفرج السلطان عن شرف الدين يونس النابلسي الأستاذار وقرّر عليه عشرة آلاف دينار ، وقد قاسى شدائد ومحنأ وأقام في السجن بالعرقانة نحواً من عشرة أشهر وهو في زنجير وقيد مخشب اليدين . - وفي يوم الأربعاء حادى ٢١ عشره كانت ليلة سيدي إسماعيل الإنبائي ، وكانت ليلة حافلة ، وضرب في الجزيرة التي تجاه بولاق نحواً من خمسمائة خيمة ، وخرج الناس في القصف والفرجة عن

الحدّ . - وفيه في ليلة الأحد خامس عشره خسف جرم القمر وأقام في الخسوف نحو أحد وأربعين درجة (٣٥ ب) . - وفي يوم الاثنين سادس عشره تسحب جمال الدين الزغلي من المقشرة وهرب ، وكان التزم بدار الضرب وقرّر عليه للسلطان في كل شهر مال له صورة ، فأتلف سائر المعاملة من الذهب والفضة وظهر بها الزغل كالشمس حتى ضجّ من ذلك سائر الناس والأمراء ، وصارت معاملة السلطان لا تمشي في غالب البلاد ، وامتنع الذهب البرسبية والحققي والأينالي والحقدي والفايتية : وصار الذهب الغوري والفضة هي التي عليها العمل مع ما بها من الغشّ الناحش ، فلما تزايد الأمر في ذلك شكّا بعض الأمراء هذا الحال إلى السلطان ، فقبض على جمال الدين الزغلي وضربه ضربا مبرحا وسجنه بالمقشرة فأقام بها أياما وهرب ، فلما هرب مقت السلطان قانصوه أبو سنة الوالي بسبب ذلك وقصد الإخراق به ثم قرّر عليه خمسة عشر ألف دينار ، وهربوا معلمين المقشرة واختفوا ، وضرب بسبب ذلك يحيى بن نوكار دوا دار الوالي ، وحصل على جماعة من الناس بسبب جمال الدين الزغلي ما لا خير فيه كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه . - وفي يوم الأربعاء ثامن عشر صفر وصل قرقند بيك بن عثمان إلى شبرا ، وهو قرقند بن أبي يزيد بن محمد بن مراد بيك المتصل بالنسب إلى جدّهم عثمان ، فلما وصل (٣٦ آ) إلى شبرا أخلّى له السلطان قاعات البرانجية التي يبولاق ورسم لناظر الخاص بأن يُحضر إليه جميع ما يحتاج له من فرش وأوان وصيني وغير ذلك من الاحتياج ، فخرج جماعة من الأمراء إلى ملاقاته ، وكان السلطان رسم للكشاف ومشايخ العربان بأن يلاقوه بطول الطريق ويصنعوا له الأسنطة والمدات الخافلة ، فأرموا على بلاد المقطعين أشياء كثيرة من أغنام وأوز ودجاج وغير ذلك ، فاستمرّ على ذلك حتى وصل إلى قاعات البرانجية وهو في الحراسة التي يكسر فيها السدّ ، فلما دخل البرانجية مدّ له السلطان هناك مدّة حافلة ، ثم توجه إليه الأتابكي قرقاس والأمراء المقدمين قاطبة فسلموا عليه ، ثم

- توجّه إليه القضاة الأربعة وأعيان المباشرين من أرباب الوظائف ، فشرع يقوم لكل من يجيء إليه من الناس . - واستمرّ على ذلك إلى يوم الاثنين ثالث عشرين صفر فأرسل إليه السلطان عشرين فرسا له ولهن معه ، ففهم أربع جنائب بالسروج الذهب والكنابيش الزركش والغواشي الحرير الأصفر . - ثم إن السلطان رسم لنقيب الجيش بأن يدور على الأمراء قاطبة ويعلمهم بأن الموكب في الحوش بالشاش والقماش ، ثم إن السلطان نصب السحابة الزركش (٣٦ ب) على الدكّة وغشى ٥ الدكّة بالأطلس الأصفر ، ورسم بأن تزيّن القلعة عند باب الزردخانا بالصناجق السلطانية وآلة السلاح ، وأن تُصَفَّ المكاحل الكبار على باب الزردخانا ، ثم رسم للمهندار وروّوس النوب بأن يتوجّهوا إلى ابن عثمان وهم بالشاش والقماش ٦ ويطلعوا قدّامه إلى القلعة ، فتوجّهوا إلى بولاق وأركبوه من البرابجية على فرس بسرج ذهب وكنبوش وقدّامه الجنائب السلطانية ، فطلعوا به من على المقس وأنوا به من على سوق مرجوش وشقّوا به القاهرة ، فكان له يوم مشهود ، وخرج الناس ١٢ أفواجا أفواجا لرويته ، واستمرّ في ذلك الموكب الحافل حتى وصل إلى القلعة ، فطلع وهو راكب إلى عند الحوش السلطاني ، فنزل على مصطبة باب الدهيشة ، ففرشوا له هناك مقعداً حريراً فاستراح ساعة نحو درجة ، ثم دخل الحوش ، فلما ١٥ وصل إلى أوائل البساط نزل السلطان من على الدكّة واستمرّ واقفاً حتى وصل إليه ابن عثمان فتعانقا ، وقيل أن ابن عثمان باس يد السلطان ووضعها على عينه ، ثم تحدّث معه السلطان ساعة وهو واقف على أقدامه ، فلما أخلع عليه السلطان ١٨ وخرج من الحوش ركب من على مصطبة شاد الحوش . - وكان سبب مجيء قرقد بن عثمان إلى (٣٧ آ) مصر قيل حصل بينه وبين أبيه حظّ نفس فأتى إلى السلطان ليصلح بينهما . - وكان صفة قرقد بيك بن عثمان رجلاً شاباً في عشر الأربعين ، معتدل القامة ٢١ عربي الوجه يميل إلى الصفرة ، نحيف الجسد أسود اللحية جميل الهيئة ، وعلى رأسه عمامة تركماني وهي صغيرة دون عمام جماعته ، وقيل إنه كان أكبر أولاد أبي يزيد بن عثمان . - ثم إن السلطان طلب خلعة فأحضر إليه خلعة جردّ ذهب منسوجة ٢٤

شغل القاعة تلمع كالبرق ، فأفيضت على قرقد بيك بن عثمان ، وكان عليه لما طلع إلى القلعة دُلَامَةً حرير أصفر وفوقها جندة صوف أخضر مفتوحة ، فنزع ذلك من عليه ولبس خلعة السلطان ، وقد بالغ السلطان في إكرامه جداً ، بخلاف ما وقع لجمجمة بن عثمان مع الأشرف قايتباي ، فإنه لما دخل عليه لم يقم له ولا وصل إلى الحوش وهو راكب ولا أنعم عليه بأشياء حافلة كما فعل الغورى مع قرقد هذا . — وفى ذلك نكتة لطيفة وهو أن الجمجمة لعلها لقب لُقِّبَ بها بعض أولاد آل عثمان وليس علماً لواحد منهم . ومع ذلك ما اشتهر بها رجل منهم في بلاد الروم وغيرها اللهم إلا في مصر ، ثم أخى يعتقد أن المراد به هو السلطان جم ابن السلطان أبى الفتح محمد خان ، هرب إلى مصر لما تسلطن أخوه السلطان (٣٧ ب) بايزيد خوفاً منه على نفسه ، وقضيته مشهورة لم يل مُلْك الروم ، وقرقدولى على إسطنبول كرسي مملكة الروم مدّة يسيرة لما مرض أبوه وأشرف على الموت فولى على الروم عوضه حتى شفى . وكان أكبر أولاده . — ثم إن السلطان رسم للأمراء بأن ينزلوا صحبة قرقد بن عثمان ، فنزلوا معه إلى الصليبية فحلف عليهم بالرجوع إلى دورهم ، وتوجهوا به إلى بولاق من على الجزيرة الوسطى وصحبته الرؤوس النوب بالشاش والقماش حتى وصل إلى البرايحة ، ثم انفض ذلك الموكب ، ومدّ له السلطان هنا مدّة حافلة ، ثم فى أثناء ذلك أرسل إليه السلطان مقدمة حافلة ، قيل بعث إليه بعشرين ألف دينار عشرة فضة وعشرة ذهب ، وعدة بقج فيها قماش مفتخر ما بين سكندري ومنزلاوى وغير ذلك ، ثم قدّم ابن عثمان للسلطان فيما بعد مقدمة حافلة ما يحضرنى قدرها . — وفى هذا الشهر توفى الأمير مغلباى دجاج أحد الأمراء الطبلخانات . — وتوفى أيّدكى دوا دار علان الدوا دار الثانى . وكان غير مشكور السيرة فى أفعاله . — ومن الخواث أن فى يوم الخميس سادس عشرينه توفى أحمد بن العكّام برددار السلطان وقد مات قتيلاً ، وسبب ذلك أن بعض أعدائه سلّط عليه من قتله (٣٨ آ) بخنجر فى البندقائين وهو طالع إلى القلعة بعد

(٨) إلا فى مصر . . . المراد : إلا مصر فى ثم أخى يتعنت ابن المراد .

صلاة الصبح ، كما جرى لأبي البقا بن الجيعان وقد تقدّم ذكر ذلك . - وفيه
توجّهت طائفة من المماليك إلى بيت شخص من الأمراء الرؤوس النوب يقال له
أينال باى ، فأحرقوا بيته ونهبوا ما فيه ، وكان سبب ذلك أن صبيّاً أمرد كان ٢
يجمقدارا عند بعض المماليك فهرب من عنده واحتتمى بهذا الأمير ، فدخل إليه
المملوك يطلب الصبي من عنده وادّعى أنه سرق من عنده شيئاً ، فأغلظ المملوك
على ذلك الأمير في القول فأذبه وضربه ، فتعصّب له خشداشينه وأتوا إلى بيت ٦
أينال باى المذكور ونهبوه وقصدوا حرقه ، فشكاهم إلى السلطان فلم يلتفت إلى
كلامه وراح النهب في كيسه . - وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذى توجه
إلى الهند صحبة حسين المشرف قد كسروهم الفرنج كسرة فاحشة ، وقتلوا العسكر ٩
عن آخره ونهبوا ما فى مراكزهم أجمعين ، فتكّد السلطان لهذا الخبر . - وفيه
سافر ناظر الحاص والامير محمد بيك قريب السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، بسبب
تجهيز المراكب التى يتوجه فيها الأمير علان إلى بلاد ابن عثمان . - وفيه أفرج ١٢
السلطان عن الشهابى أحمد بن الجيعان ، وكان له مدّة وهو فى الترسيم حتى غلّق
(٣٨ ب) ما قرّر عليه من المال .

وفى ربيع الأول طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة ستة ١٥
أذرع وثمانية عشر أصبعا ، وكانت أزيد من العام الماضى بثمانية أصابع . - ومن
النوادر اللطيفة أن بركة الرطلى زرعت فى هذه السنة حشيشاً ، وهذا لم يتفق قطّ
وكان الذى زرع الحشيش كمال الدين بن قوسان وقد استأجر أرض بركة الرطلى ، ١٨
فكان كل من دخل إليها يتهج بذلك ولاسيما أصحاب الكنبه من الحشاشين ، فجاءت
إليها الناس أفواجا يتفرّجون على ذلك الحشيش ، وقد وضع من أهله فى محله ،
حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وفيه يقول بعض شعراء العصر : ٢١
تناهت بركة الرطلى حسنا وصارت جنةً فيها عُروشُ
ومذ زرعوا الشدائق فى ثراها يبدؤ نسيما طلع الحشيش

- وفى يوم الثلاثاء ثامنه عزم السلطان على قرقد بيك بن عثمان فى الميدان ، ولعب السلطان والأمراء قدّامه بالكرة ، ومدّ له أسمطة حافلة بالبحرة التى بالميدان ،
- ٢ ولم يحضر فى ذلك المجلس سوى ابن عثمان وجماعته . ثم إن ابن عثمان تكلم مع السلطان فى أمر الأمير أربك المكحل الذى نُقِى إلى دمياط بسبب الأتابكى قيت الرجبى كما تقدّم ، فلما قدم ابن عثمان إلى دمياط ترائى عليه أربك المكحل (٣٩ آ)
- ٦ بأن يشفع فيه عند السلطان أن يعود إلى مصر ويقيم بها بطّالاً . فشفع فيه ابن عثمان فى ذلك المجلس وبأس يد السلطان ، فرسم بإحضاره إلى مصر ، فلما أراد ابن عثمان الانصراف أخلع عليه السلطان كاملية تمسّيح على أحمر وأركبه فرس بوز
- ٩ بسرج ذهب وكنبوش . - وفى يوم الجمعة حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى ، واجتمع الأمراء والقضاة الأربعة على العادة ، وحضر قرقد بيك بن عثمان . فلما طلع قام له السلطان وأجاسه عن ميمته فوق المرتبة التى هو جالس عليها
- ١٢ فوق القاضي الشافعى ، وفى ذلك اليوم لبس السلطان الشاش والقماش ، ولم يكن عادة أن السلطان يلبس الشاش والقماش فى المولد وإنما فعل ذلك لأجل ابن عثمان ، وأظهر السلطان فى ذلك اليوم غاية العظمة بخلاف كل سنة . - وفى يوم الخميس سابع عشره أخلع السلطان على الأمير طقطبى نائب القلعة أحد الأمراء
- ١٥ المقدمين وقرّره أمير حاج بركب المحمل ، وقرر مغلبى الزردكاش بالركب الأول . - وفيه عرض السلطان جماعة من الممالك وأولاد الناس وعين منهم جماعة إلى الطينة يقيمون بها سنة فى الأبراج التى أنشأها هناك ، ويصيرون
- ١٨ بالنوبة كلما مضت سنة يأتى تلك (٣٩ ب) الجماعة ويتوجه خلافتهم إلى هناك ويسيرون بها سنة كاملة . - وفى يوم السبت تاسع عشره حضر أربك المكحل من دمياط ، وكان منفيًا بها فشفع فيه قرقد بيك بن عثمان كما تقدم ذكر ذلك ، فلما حضر أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره ، ورتب له ما يكفيه من الذخيرة بغير
- ٢١ إقطاع واستمرّ طرخانا . - وفيه أخلع السلطان على البرماوى وقرّره
- (٨) أحمر : أحمد . (١٩) يأتى . . . ويتوجه : يأتوا . . . ويتوجهون .

- في بردارية السلطان عوضاً عن أحمد بن العكّام بحكم موته ، وصار البرماوى من تحت يد الزينى بركات بن موسى . - وفيه كان ختم ضرب الكرة ، وحضر ابن عثمان عند السلطان ، ومدّ في ذلك اليوم أسمطة حافلة ، ووقع خصمانية في لعب الرمح ٣ في ذلك اليوم قدّام السلطان والأمراء ، وكان يوماً مشهوداً .
- وفي ربيع الآخر قبض على جمال الدين الزغلى الذى تسحب من المقشرة ، فرسم السلطان بشنقه ، فأشهروه وهو عريان على حمار والمشاعلية تنادى عليه ٦ حتى أتوا به إلى بيت شخص من الأمراء العشرات يقال له تمرباى ، وكان ساكناً في مصر العتيقة على البحر ، فشنع هناك على بابيه ، وشنع معه خمسة أنفار كانوا يعملون الزغل معه ، وسبب ذلك أن تمرباى المذكور كان هو الذى عرف بين ٩ السلطان وبين جمال الدين وقال (٤٠ آ) للسلطان أن جمال الدين يعرف صنعة الكيمياء ، فظهر أن ذلك كذب . - وفيه في ليالى وفاء النيل وقع ببركة الرطلى حريق في بعض بيوت الجسر التى بها ، فاحترق نحو سبعة أماكن ولا يعلم من فعل ١٢ ذلك ، وكان الجسر خالياً بغير سكان . - وفيه تغير خاطر السلطان على علاى الدين ناظر الخاص بسبب العجمى الذى كان عند السلطان الشنقى ، وهذه الواقعة مشهورة بين الناس بما كان سببها ، فكادت دينار ناظر الخاص أن تخرب في هذه ١٥ الحركة وألزمه السلطان بأن يعتق عبيده وجواريه قاطبة . - وفيه وقع تشاجر بين قاضى القضاة الحنفى وبين كاتب السرّ البدرى محمود بن أجا بسبب وقف كان بينهما بحلب ، فرسم السلطان بعقد مجلس بينهما بالمدرسة الصالحية ، فلما توجهها إلى ١٨ هناك انتصف كاتب السرّ على قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة واستخلص منه الوقف الذى بحلب ، وكان السلطان قائماً مع كاتب السرّ ومحطاً على عبد البر بن الشحنة . - وفيه تغير خاطر السلطان على سودون نائب دمياط بسبب ما وقع ٢١ منه في حقّ ابن عثمان لما دخل إلى دمياط ، فلما حضر سودون المذكور ضربه بين يديه وقرّر عليه ماله صورة . - وفيه حضر تمرباى الهندى أحد الأمراء

العشرات الذى كان توجهه إلى الطينة بسبب عمارة الأبراج (٤٠ ب) التى أنشأها
السلطان هناك ، فلما انتهى منها العمل وحضر أخلع عليه بسبب ذلك . - وفيه
٢ انقطع جسر أم دينار الذى بالجيزة ، وكان ليالى وفاء النيل فاضطربت الأحوال
لذلك ، وخرج قانى باى قرا أمير آخور كبير على جرائد الخيل وعدى إلى الجيزة
فأعياه سدة ، فأرسل يطلب من السلطان عوناً على ذلك فرسم السلطان لجماعة
٦ من الأمراء المقدمين بأن يتوجهوا إلى هناك ويتعاونوا على سدة ، فتوجه الأمير
دولات باى أمير سلاح والأمير طرا باى رأس نوبة النوب والأمير تمر الحسنى
أحد المقدمين والأمير ماماي جوشن وجماعة آخرون من الأمراء العشرات ، فلما
٩ توجهوا إلى هناك فأعياهم سدة ذلك الجسر ، وحصل للناس بسببه الضرر الشامل ،
وصاروا يمسكون الناس من الطرقات ويرمونهم فى الحديد ويتوجهون بهم إلى
جسر أم دينار ، وحوّلوا إليه بأخشاب كثيرة وسلب ، ومع هذا أعياهم سدة
١٢ حتى عدّ ذلك من الوقائع الغريبة ، وفيه يقول محمد بن قانصوه :

مذ نقص النيل ليالى الوفا وأمتع السبر من البر
رأى لقلبي البر فى كسره فخصه بالجبر فى الكسر

١٥ وفيه جاءت الأخبار من مكة بوفاة خوند أصل باى أم الملك (٤١ آ)
الناصر وسرية الملك الأشرف قايتباى وأخت الملك الظاهر قانصوه وزوجة
الملك الأشرف جان بلاط ، توفيت بمكة ودُفنت هناك ، وقد تقدّم القول بأن
١٨ خاطر السلطان قد تغيّر عليها ، فلما حجّت وقصدت العود إلى مصر فأرسل
السلطان مراسيم بعودها إلى مكة ، فعادت إليها من أثناء الطريق ، واستمرت مقيمة
بمكة إلى أن ماتت بها بعد مضيّ سنين . - وفيه كان وفاء النيل المبارك الموافق
٢١ ذلك لرباع عشر مسرى ، فلما أوفى توجهه الأتابكي قرقاس وفتح السدة على العادة ،
وكان له يوم مشهود . - وفيه شرع السلطان يقبض على جماعة خوند أم الناصر ،
وقد ظهر لها أشياء كثيرة من أموال وتحف فى عدة حواصل ، وقد حصل على جماعة

من النساء بسببها ما لا خير فيه وضربوا وعصروا غير ما مرة ، وما قاسوا خيراً في جرتها ، واستمروا في التراسيم مدة طويلة وهم إلى الآن على ذلك . - وفيه كان انتهاء العمل من الجامع الذي أنشأه السلطان خلف الميدان عند حوش العرب ٣ وخطب به ، وقد جاء في غاية الحسن .

وفي جمادى الأولى حضر الأمير طومان باي الدوادار وكان قد سافر إلى جهة بلاد الصعيد ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره في موكب ٦ حافل . - (٤١ ب) وفي يوم الخميس سادسه توجه الأمير علان الدوادار الثاني إلى السفر ، وقد تقدم أن السلطان عيته قاصداً إلى ابن عثمان ، وكان تقرر الحال أولاً على أنه يسافر من البحر الملح فاتم له ذلك وسافر من البلاد الشامية ، فخرج ٩ في ذلك اليوم في مركب حافل . - وفيه طلع الأمير طومان باي الدوادار الكبير بتقدمة حافلة إلى السلطان كون أنه جاء من الصعيد ، فكان من جملة التقدمة عشرة آلاف دينار ومائة فرس ومائة بقرة وخمسمائة رأس غنم وثلاثون رأس رقيق ١٢ وغير ذلك أشياء كثيرة . - وفيه رسم السلطان بشق شخص زغلي فشق على باب زويلة . - ومن الحوادث أن شخصاً شاباً يقال له سكيكر أشيع عنه أنه قد قتل أباه ، فلما عرض على السلطان فلم يقر بشيء ، فرسم بتسليمه إلى الوالى ١٥ فعاقبه فلم يقر بشيء ، فسجن بالمقشرة حتى يكون من أمره ما يكون . - وفيه حضر علاي الدين ناظر الخاص وكان توجهه إلى ثغر الإسكندرية بسبب تجهيز المراكب المعينة صحة الأمير محمد قريب السلطان . - وفي هذا الشهر وقعت زلزلة ١٨ خفيفة بعد العصر فلم يشعر بها إلا القليل من الناس .

وفي جمادى الآخرة في يوم تاسعه نزل السلطان إلى الميدان وحضر إلى عنده ابن عثمان ، (٤٢ آ) ووقع في ذلك اليوم خصمانية في لعب الرمح ، ٢١ وأحرق السلطان قدّامه إحراقه نطف بالنهار في الميدان ، وكان يوماً مشهوداً . - وفيه ثبت النيل المبارك على اثنين وعشرين أصبعا من تسعة عشر ذراعاً ، وقد ثبت إلى أواخر بابه . - وفيه ظهرت امرأة غريقة عند قناطر الأوز ، ٤

وَوُجِدَ عَلَيْهَا ثِيَابٌ فَاخْرَةٌ وَفِي آذَانِهَا حَلَقٌ بِلَخْشٍ وَفِي يَدَيْهَا سِوَارٌ ذَهَبٌ ، فَطُلِعَ بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ وَوُضِعَتْ فِي تَابُوتٍ عِنْدَ جَامِعِ الظَّاهِرِ ، فَأَقَامَتْ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَلَمْ يَظْهَرْ لَهَا مَعْرِفَةٌ فَدُفِنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ . - وَفِيهِ وَقَعَ رَجَبٌ فِي الْكَدَاشِينَ وَكَانَ مُطْلَاً عَلَى الْخَلِيجِ ، ٢
فَقُتِلَ تَحْتَ الرِّدْمِ شَخْصٌ يُقَالُ لَهُ شَمْسُ الدِّينِ الْبَهَاوِيُّ أَحَدُ نَوَابِ الْحَكَمِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَقُتِلَ شَخْصٌ مَعْلَمٌ صَاحِقَاتِي ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ آخَرُونَ ٦
مِمَّنْ كَانَ سَاكِنًا فِي ذَلِكَ الرَّجَبِ ، وَكَانَتْ حَادِثَةٌ مَهُولَةٌ .

وَفِي رَجَبٍ نَادَى السُّلْطَانُ بِأَنْ لَا يَتَجَاهَرُوا النَّاسَ بِالْمُعَاصِي ، وَلَا يُمَشِّي بِسِلَاحٍ مِنْ بَعْدِ الْمَغْرَبِ ، وَأَنْ النَّاسُ يَؤَاطِبُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَوَامِعِ ، فَسَمِعُوا ٩
مِنْ أَذُنٍ وَخَرَجَ مِنْ أُخْرَى . - وَفِيهِ قَبِضَ السُّلْطَانُ عَلَى الشَّمْسِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ فَخْرِ الدِّينِ (٤٢ ب) كَاتِبِ الْمَالِيكَ الَّذِي قَرَّرَ فِي نَظَرِ الْإِسْطِطْلِ السُّلْطَانِي كَمَا تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ قَرَّرَ عَلَيْهِ مَالٌ وَوَكَّلَ بِهِ ، وَكَانَ مَظْلُومًا فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ . - ١٢
وَفِيهِ قَبِضَ السُّلْطَانُ عَلَى جَلَالِ الطَّنْبُذِيِّ أَحَدِ نَوَابِ الْخَنَابِلَةِ ، وَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَعْدَائِهِ وَأَوْحَى لِلْسُّلْطَانِ بِأَنْ قَانِصُوهُ خَمْسَمِائَةَ الَّذِي تَسْلُطَنَ قَدْ أَوْدَعَ عِنْدَهُ مَا لَا فَطْلَهُ السُّلْطَانُ وَرَسَمَ عَلَيْهِ ، وَقَاسَى شِدَائِدَ وَحْمِنَا وَصُودِرَ غَيْرَ مَا مَرَّةً بِسَبَبِ ١٥
قَانِصُوهُ خَمْسَمِائَةَ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَمَلَةِ أَصْحَابِهِ . - وَفِيهِ تَوَفَّى وَالِدُ مَعِينِ الدِّينِ بْنِ شَمْسٍ وَكَيْلِ السُّلْطَانِ ، مَاتَ بَغْتَةً ، قِيلَ طَلَبَ مِنْهُ السُّلْطَانُ مَا لَا فَايْتَلَعَ فَصًّا مِنَ الْمَاسِ فَاتَ فِي لَيْلَاتِهِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ تَقْرُبُ مِنْ وَاقِعَةِ نَاصِرِ الدِّينِ الصَّفْدِيِّ وَكَيْلِ ١٨
بَيْتِ الْمَالِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ . - وَفِيهِ قَبِضَ الْوَالِي عَلَى امْرَأَةٍ تُسَمَّى أَنْتَسُ وَكَانَتْ قَبِيحَةَ السَّيْرِ تَجْمَعُ عِنْدَهَا بَنَاتُ الْخَطَاءِ ، وَكَانَتْ سَاكِنَةً بِالْأَزْبَكِيَّةِ فَلَمَّا ٢١
تَوَلَّى الْأَتَابَكِيُّ قَرَقَمَاسَ تَوَجَّهَتْ إِلَى قَلِيُوبَ ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا قَبِضُوا عَلَيْهَا رَسَمَ السُّلْطَانُ بِتَغْرِيقِهَا ، فَيُقَالُ أَنَّهَا أَفْدَتَ نَفْسَهَا بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ وَرَسَمَ بِنَفْسِهَا . - وَفِيهِ أَخْلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى أَقْبَايَ وَأَعَادَهُ إِلَى كَشَفِ الشَّرْقِيَّةِ كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَصُرِّفَ عَنْ كَشَفِ الشَّرْقِيَّةِ (٤٣ آ) كَرْتَبَايَ مَمْلُوكُ السُّلْطَانِ . - وَفِي

(٧) يتجاهروا : يتجاهلوا . (١١) قرر : قدر .

(تاريخ ابن إياس ج ٤ - ١١)

هذه السنة أرسل السلطان تقليدا إلى يوسف الناصرى وقرّره في نيابة حماة عوضا
عن جانم الذى كان بها ، وقرّر جان بردى الغزالى في نيابة صمد عوضا عن سودون
الدوادارى ، وقرّر سودون الدوادارى في نيابة طرابلس ، وقرّر في نيابة الكرك ٣
يوسف دوادار ملاج نائب القدس . - ومن الحوادث في هذا الشهر أن قرقاس
المقرى أحد الأمراء العشرات كان ساكنا في زقاق الكحل ، فسرق من بيته عملة
بألف دينار ، فقبض على جيران الحارة أجمعين وسلمهم إلى الوالى فعاقبهم أشدّ ٦
العقوبة وغرّمهم أضعاف ما سُرّق له ، وكانوا في هذه الواقعة ليس لهم ذنب ، وقد
ظهرت هذه العملة فيما بعد عند جماعة قرقاس المقرى ، بعد ما عاقب جماعة من
مشاهير الناس منهم أولاد ابن البقرى وغير ذلك من جيران الحارة من أعيان ٩
الناس . - وفي يوم الخميس حادى عشره جاءت الأخبار بأن سيابى نائب الشام
قد وصل إلى خانقة سرياقوس وقد حضر ليزور السلطان ، وكان قد وقع بيته وبين
حاجب دمشق حظ نفس فحضر إلى السلطان يشكو له من ذلك ، فلما حضر دخل ١٢
إلى القاهرة ليلة الجمعة ونزل في مدرسة السلطان التى أنشأها في الشراشين فبات
بها ، فلما أصبح (٤٣ ب) يوم الجمعة ودخل وقت صلاة الجمعة أرسل السلطان
خلفه فطلع إلى القلعة وهو بالشاش والقماش ، وأرسل إليه السلطان جنائب ١٥
بسروج ذهب وكنابيش ، فركب من المدرسة وطلع إلى القلعة وصلى مع السلطان
صلاة الجمعة وجلس معه في المقصورة ، فلما انقضى أمر الصلاة أخلع عليه السلطان
ونزل من القلعة وصحبته الأمراء المقدّمون وهم بالشاش والقماش وقد آمه تلك ١٨
الجنائب ، واستمرّ في هذا الموكب الحافل حتى أنزله في بيت قرقاس الجلب الذى
بالتبانة ، وقد أخلع عليه السلطان كاملية غمّل أحمر بصمور ، وكان له يوم
مشهود ؛ وقيل وصل من الشام إلى القاهرة في سبعة أيام وقد جاء على جرائد ٢١
الخيّل ، وكان قد بلغه أن أركماس يسعى عليه في نيابة الشام فاضطربت أحواله فجاء
في السير حتى أتى إلى مصر في سبعة أيام . - وفيه قبض السلطان على أصيل
برددار الأتابكى قيت الرجبى وسلمه إلى الوالى ، فعاقبه وضربه كسارات حتى ٢٤

مات تحت العقوبة ، وكان سبب ذلك أن قد وُشي به عند السلطان أنه يعانى صنعة الزغل وقد اشتهر بذلك بين الناس ، وكان أصيل هذا من وسائط السوء ظالما غاشما يستحق كل (٤٤ آ) أذى . - وفيه عزم السلطان على سييأى نائب الشام فى الميدان ، وجلس هو وإياه على البحرة التى به ومدّ له أسمطة حافلة وأقام عنده إلى أواخر النهار ، ثم ألبسه كاملية بصمور وتوجّه إلى المكان الذى نزل به ، ولما حضر سييأى نائب الشام لم يحضر مواكب السلطان بالقلعة ، وسبب ذلك أن الأمير دولات باى أمير سلاح لم يوافق أن سييأى نائب الشام يجلس فوقاً منه ، وقد تقدّم أن الأمير دولات باى ولى نيابة حلب ونيابة الشام قبل سييأى ، فبموجب ذلك لم يوافق الأمير دولات باى بأن سييأى يجلس فوقاً منه . - وفيه أخلع السلطان على أبى البقا بن إبراهيم مستوفى الخاصّ وقرّره فى نظر الإسطنبول السلطاني عوضاً عن محمد بن فخر الدين كاتب الماليك بحكم صرفه عنها ، وقد جمع أبو البقا بين استيفاء الخاص ونظر الإسطنبول . - وفى يوم الجمعة لبس السلطان الصوف وقلع البياض ، ووافق ذلك سادس هاتور القبطى . - وفيه عاد خاير بيك المعمار من بناء الخان والأبراج التى أنشأها السلطان فى العقبة ، فلما عاد أقام مدة يسيرة ورسم له السلطان بأن يتوجّه إلى مكة من (٤٤ ب) البحر الملح ويأخذ صحبته جماعة من البنّائين والتجارين والمهندسين ، وقد أمر السلطان ببناء مارستان ورباط فى مكة وأن يبلّط الحرم ويجرى عين ماء بازان إلى مكة ، فخرج فى أثناء هذا الشهر وتوجّه إلى الطور . - وفيه وقعت فتنة بين العبيد وصاروا يقتلون بعضهم بعضاً حتى أعياى الوالى أمرهم . - وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن الأمير محمد بيك لما توجّه إلى الجون بسبب إحضار الأخشاب صادف مراكب فيها فرنج يعبثون فى البحر على التجار ، فتحارب معهم فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر الذى بقى منهم وغنم ما كان معهم فى المراكب وهو أشياء كثيرة بنحو من مائة ألف دينار ، فسّر السلطان لهذا الخبر . - وفيه نزل السلطان

إلى الميدان ، وحضر إلى عنده قرقد بيك بن عثمان ، ورسم للرمّاحة الذين يسوقون في أيام المحمل بأن يسوقوا في الميدان قدام ابن عثمان حتى يتفرّج عليهم ، فساقوا وهم لابسون آلة السلاح ، وكان يوما مشهودا . - وفيه أفرد السلطان على طائفة ٣ المغاربة اثنين وثلاثين ألف دينار ، وكان سبب ذلك أن تغرى بردى الترجمان لما توجه إلى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الإفرنج عدّة أسرى من المغاربة بنحو من خمسين ألف دينار ، فلما خلصوا أراد السلطان أن يوزّع ما غرمه من المال ٦ على طائفة المغاربة (٤٥٥ آ) التي بمصر وبالإسكندرية في نظير ما غرمه . - وفيه ظهر بالسّماء من جهة القبلة نور ساطع مثل قاع المركب ، يظهر وقت طلوع الفجر ثم يختفي ، فأقام على ذلك مدّة ثم اختفى ولم يعلم ما سبب ذلك . - وفيه لما قوى ٩ البرد رسم السلطان لابن عثمان بأن يتحوّل من بولاق ويسكن في بيت الأشرف جان بلاط الذى في حارة القاضي عبد الباسط ، فأقام به مدّة يسيرة ثم عاد إلى بولاق كما كان .

١٢

وفي شعبان أخلع السلطان على سيّادى نائب الشام وأذن له بالعود إلى محل نيابته ، فسافر في أثناء ذلك . - وفي رابع عشره توفى الطواشى غير التكرورى مقدّم المماليك وكان دينا خيرا ليّن الجانب ، وكان أصله من طواشية الأمير جاني بيك المرتد . - ١٥ وفي يوم الخميس سادس عشره حضر الأمير محمد بيك الذى كان قد توجه إلى الجون بسبب إحضار الأخشاب وحضر صحبته تلك الفرنج الذين أسرهم كما تقدّم ، فكانوا نحواً من خمسين نفرا ، فشقّ بهم من القاهرة وهم في زناجير ، وكان لهم يوم مشهود ، ١٨ فلما عرضوا على السلطان وهو بالميدان أخلع على الأمير محمد بيك ، ورسم بسجن الفرنج فسُجنوا بالمقشرة ، وقيل أسلم منهم خمسة أنفار . - وفي ذلك اليوم كان قدام السلطان رماية نشاب (٤٥ ب) على الخيل ، وأحرق قدّامه في ذلك اليوم إحراقة ٢١ نبط بالميدان بالنهار ، وكانت نوبة أنياب الأمير بهادر الغورى ، وكان ابن عثمان حاضرا

(٧) في نظير : في نظير فكان . (٢٢) أنياب : أنيات .

والأمراء المقدمون ، وكان يوماً مشهوداً . - ومن الحوادث أن الأمير طومان
باى الدوادار خرج يسير نحو المطرية وصحبته الأمير خاير بيك كاشف الغريبة أحد
المقدمين ، فساقوا في الرمل فتقنطر الفرس بالأمير خاير بيك فانكسر بعض أعضائه ،
وردّ وهو محمول وقد أشرف على الموت ، وأقام أياماً وهو في الفراش منقطع
حتى شفى بعد مدّة طويلة .

٦ وفي رمضان كان مستهلّه يوم الخميس فنزل السلطان إلى الميدان ، وعرضوا
عليه اللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين
على جارى العادة ، وأخلع في ذلك اليوم على تغرى برمش الوزير وعلى شرف الدين
الصغير ناظر الدولة وعلى الزينى بركات بن موسى المحتسب . - وفيه كان انتهاء
العمل من المقعد الذى أنشأه السلطان خلف جنينة البحرة ، المطلّ على الحوش
السلطاني ، وقد جعل طوله ستين ذراعاً وعرضه نحو عشرين ذراعاً ، وجعل له
شبابيك على الحوش وشبابيك على جنينة البحرة ، وجعله مقعداً قبطياً (٤٦ ت)
بغير أعمدة ، ورخّمه وزرّة عالية ، فلما كان أول ليلة من شهر رمضان فطرفه
واجتمع عنده الأمراء ومدّ السباط به ، وأظهر غاية العظمة في تلك الليلة . -
١٥ وفيه أخلع السلطان على الأمير شاهين الجمالى وقرّره في مشيخة الحرم النبوى
كما كان أولاً . - وفيه ظهرت بقلوب ، وقيل بقلمة ، ابنة صغيرة دون البلوغ ،
قيل أنها رأت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام مراراً عديدة ، وظهر لها كرامات
١٨ خارقة ، فتوجهوا إليها الناس أفواجا أفواجا ، واشتهر عنها بأنها تقيم المقعد وتردّ
بصر الأعمى ، وحكى عنها من هذا النمط أشياء غريبة ليس لها صحة ، فبلغ كرى كل
حمار من القاهرة إلى قلوب أشرفيا ، وتوجه إليها جماعة من الخاصكية والأمراء
٢١ العشرات وأعيان الناس ، ووقع لها سمعة زائدة بالقاهرة . - وفي هذا الشهر ، أو
في الذى قبله ، توفى الشرفى يونس بن الأمير طوخ بونى بازق ، وكان أبوه أمير
مجلس في دولة الأشرف أبنال ، وكان الشرفى يونس من أعيان أولاد الناس ، وكان

- لا بأس به . - وفي يوم الخميس خامس عشره أخلع السلطان على الطواشي سنبل
العماني الهندي (٤٦ ب) وقرّره في تقديم الممالك عوضا عن غير التكروري بحكم
وفاته ، وأخلع على الطواشي جوهر الرومي وقرّره نائب مقدّم الممالك عوضا عن ٣
سنبل بحكم انتقاله إلى تقديم الممالك ، وأخلع على الطواشي بشير وقرّره رأس نوبة
السقا عوضا عن خشقدم الرومي بحكم وفاته . - وفيه نزل السلطان إلى الميدان
فوقف إليه جماعة من المغاربة نحو من سبعين إنسانا ما بين رجال ونساء ، وقد ٦
قصدوا الحجّ في هذه السنة ، فرسم لهم السلطان بأشرفي لكل واحد منهم ثمن
بقسماط . - وفيه في يوم الجمعة ثالث عشرينه طلع قرقد بن عثمان إلى القلعة وفطر
عند السلطان تلك الليلة وبات ، فلما أصبح ألبسه السلطان سلاري صوف أبيض ٩
بصمّور من ملاييسه . - ومن الحوادث أن في ليلة الأحد خامس عشرينه وجد
اثنان من ممالك السلطان من طبقة الصندلية قتلى عند بركة باب اللوق بالقرب
من شاطئ الخليج ولا يعلم من قتلها ، فلما طلع النهار نزل من القلعة الجمل الغفير ١٢
من الممالك من خُشداشين أولئك الممالك الذين قتلوا ، فنبهوا عدّة دكاكين من
باب اللوق وكادوا أن يحرقوا البيوت التي هناك حتى أدركهم الوالي ، فلما بلغ
السلطان ذلك تنكّد وألزم الوالي بتحصيل من فعل ذلك ، فنزل الوالي وقبض على ١٥
جماعة كثيرة من أرباب الأدراك (٤٧ T) الذين هناك ومن الغيطانية والمرابطين
وغير ذلك ممن لا له ذنب في ذلك ، وربما عوقب من لا جنى ، فلما عرضوا على
السلطان أمر بسجنهم في المقشرة . وفي أثناء هذا الشهر ظهر محمد بن العظمة الذي ١٨
كان ناظر الأوقاف ، فترامى على بعض الحاصكية بأن يسعى له عند السلطان في
عوده إلى نظر الأوقاف ، فلما ذكر للسلطان مال إليه ، فلما بلغ محمد بن العظمة
ذلك طاش وشرع يطلب أعيان الناس بالرسل الغلاظ الشداد ، وكان علاي الدين ٢١
ناظر الحاص متحدثا في نظر الأوقاف فلما بلغه ما فعله ابن العظمة طلع إلى السلطان
وشكا له من ابن العظمة ، فقال له السلطان : أنت تشكى عندي من هذه الوظيفة
-
- (٧) الحج : الحاج . (١١) قتل : قتلوا . (١٢) أولئك الممالك الذين : ذلك الممالك الأي .

وتقول باخسر فيها ، فقال ناظر الخاص : أسدّ فيها بسعادة السلطان ، فألبسه كاملية ونزل إلى داره ، فلما نزل قبض على محمد بن العظمة وضربه وسجنه بالمقشرة واستمرّ بها مدة طويلة . - وفي خامس عشرينه كان ختم البخارى بالقلعة ، ونصب السلطان خيمة بالحوش واجتمع القضاة الأربعة ومشايخ العلم وفرقت الخلع والصرر على العادة ، وكان ختما حافلا . - وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه عرض ناظر الخاص خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة على رؤوس الحمّالين ، فأخلع عليه السلطان . - وفيه وصل إلى السلطان (٤٧ ب) مقدمة حافلة من عند نائب الشام ، وهى ما بين خيول ومماليك وقماش ومال وغير ذلك . - وفيه توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن جرباش ، وكان من أعيان علماء الحنفية ، وكان ديننا خيرا لا بأس به .

وفي شوال كان موكب العيد حافلا ، وحضر قرقد بيك بن عثمان وصلى مع السلطان صلاة العيد ودخل معه فى المقصورة وهو بغير كلفتاة ، وكان الجُمُجمة ابن عثمان لما حضر مع الأشرف قايتباى صلاة العيد ألبسه الكلفتاة وصلى بها معه ، فلما خرج السلطان من الجامع مشى قدّامه قرقد بيك بن عثمان مع الأمراء من الجامع إلى الحوش ، فلما أخلع على الأمراء أخلع على ابن عثمان أيضاً كاملية تماسيح على أحمر بفرو صمور ، ورسم له بأن يركب من الحوش فركب ونزل مع الأمراء فى موكب حافل حتى وصل إلى بولاق ونزل بالبرابجية ، ومن جملة ما بالغه السلطان فى إكرام قرقد بيك بن عثمان أنه أرسل إليه بكتاب على يد كاتب السرّ بأن يرتب له فى كل شهر ألفى دينار برسم نفقته ما دام بمصر ، فكانت تصرف له من الذخيرة فى مدّة إقامته بمصر . - وفي يوم الاثنين عاشره نزل السلطان إلى الميدان وعرضوا عليه كسوة الكعبة والبرقع ومقام (٤٨ أ) إبراهيم عليه السلام وطافوا بهم فى القاهرة مع المحمل ، وكان لهم يوم مشهود . - وفيه حضر القاضى محبّ الدين كاتب سرّ دمشق فأكرمه السلطان إلى الغاية ،

(١) باخسر : باخسر . (٧) حافلة : حفلة . (١٨) بكتاب : يكتب (١٩) ما دام : مادامه .

- وحضر صحبته مقدمة حافلة للسلطان . - وفيه توفي للأمير طومان باى الدوادار ولد صغير من سرية ، عمره نحو من ثلاث سنين ، فتأسف عليه ودفن وقت صلاة الفجر على الفوانيس ، فرسم السلطان بأن يدفن فى مدرسته التى بالشرابشين ٣ فدفن بها . - وفى يوم الاثنين سابع عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل طقطباى نائب القلعة أحد المقدمين ، وبالركب الأول مغلباى الزردكاش أحد الأمراء الطبليخانات ، فكان لهما يوم مشهود ، ٦ وحضر أمير من أمراء ابن عثمان الكبير يروم الحج وصحبته نحو من أربعين ألف دينار أرسلها ابن عثمان على يده ليفرقها على فقراء مكة والمدينة ، فسافر صحبة الحجاج . - ومن الحوادث أن شخصا يسمى بركات من فراشى الأمير ٩ طومان باى الدوادار قتل صبيا من صبياناه وكان شابا صغيرا جميل الصورة ، فلما هرض بركات المذكور وغرماؤه (٤٨ ب) على السلطان دفعهم إلى قاضى القضاة المالكى ، فحل فى أمر بركات لما علم أنه من فراشى الدوادار ، فسجنوه حتى تقام ١٢ عليه البيعة بأنه قتل ، وفى عقيب ذلك قتل ساعى الدوادار أيضا قتيلا وهو شخص يعرف بالشقيقاتى وكان شيخا مستا ، فلما عرض الساعى على السلطان وعلم أنه من جماعة الدوادار دفعه للشرع أيضا ، فحلوا عنه ولم يجيء أحد يشهد عليه بأنه ١٥ قتل ، وكان قتله بالنهار بعد العصر فى وكالة الأشرف برسباى التى بالصلبية ، وراح أمر القتيلىن على أقاربهما وأولادهما ، والأمر إلى الله تعالى .
- وفى ذى القعدة الشريفة فى يوم الخميس خامسه حضر سودون الدوادارى ١٨ الذى كان نائب طرابلس ، وقد حصل بينه وبين أهل طرابلس تشاجر ، فأرسل السلطان خلفه بأن يقيم بمصر ، - وفيه نزل السلطان وسيّر نحو الحجرة ، ولما عاد إلى القلعة طلع من الصليبية فى موكب حافل . - ثم فى يوم الأحد ثامن نزل وسيّر ٢١ نحو بركة الحبش ووصل إلى طرا ، ثم عاد من يومه وشق من على ساحل البحر . - ثم فى يوم الأربعاء حادى عشره نزل من القلعة وتوجه إلى نحو الصحراء

- وزار سيدى عبد الله المنوفى رحمة الله عليه ، ثم (٤٩ آ ١) عاد إلى القلعة . —
- وفيه ضيق السلطان على جماعة من المباشرين وأفرد عليهم نحواً من ستائة ألف دينار ، وسبب ذلك أن كل من كان عليه مال منكسر فى الديوان من قديم وحديث يرده ، فجلس بنفسه فى الدُهيشة وعمل حسابهم بحضرته فاضطربت أحوال المباشرين قاطبة ، وضيق عليهم فى سرعة استخراج تلك الأموال على تفرقة الأضحية ، وكان غالب هذه الأموال بقايا مصادرات قديمة على صلاح الدين بن الجيعان وعلم الدين المتحدث فى الخزانة وبانوب النصرانى وشمس الدين بن عوض وشرف الدين الصغير ناظر الدولة وشرف الدين التابلسى الأستاذار ويوسف بن أبى أصبع الحلبي وفخر الدين بن العفيف الذى كان كاتب الممالك ، ومنهم ناظر الجيش عبد القادر القصروى وبركات بن موسى وغير ذلك جماعة آخرون ، فنزلوا من القلعة وهم سكارى بغير مدام . — وفى يوم السبت رابع عشره نزل السلطان وسير وتوجه إلى نحو تربة الأشرف قايتباى ، فنزل عن فرسه ودخل وزار قبره وبكى هناك وتمرغ على قبره وقرأ له الفاتحة ، ثم رسم للبوابين وللصوفة بمائة دينار ، وركب من هناك وتوجه إلى تربة (٤٩ ب ١) العادل طومان باى فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ورسم للصوفة بمائة دينار ، ثم ركب من هناك ورجع إلى تربة الأمير يشبك الدوادار فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ، ثم ركب من هناك ونزل من على سوق الدريس وأتى إلى تربة الأشرف جان بلاط التى بباب النصر فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ورسم للصوفة بمائة دينار ، ثم ركب من هناك وعاد من الصحراء وطلع إلى القلعة وكان فى نفر قليل من العسكر . — وفيه توفى جانم كاشف الوجه القبلى ، وكان من الأمراء العشرات . — وفيه توفى القاضى صالح بن طه أحد نواب الشافعية ، وكان من قضاة الجاه . — وفيه توفى الخواجا عطية ، وكان فى سعة من المال ، وكان أغلس خلق الله على الإطلاق ، وهو من البخل عن جانب عظيم ، كما قيل :

(٢٠) من العسكر : من اتى بها العسكر .

- لبست ثياب لوّم عنك شقّت . ومن يكسى ثياب العار عارى
فلو لبس الحمار ثياب خزّ لقال الناس يا لك من حمار
وفيه توفى الشيخ عبد القادر الدماصى ، وكان فاضلا ناظما ناثرا فكه ٢
المحاضرة بقيّة السلف عشير الناس ، وكان له شعر جيّد ، ومن نظمه ما ألغزه
فى غزال وبعث به (٤٩ آ) إلى الشهاب المنصورى :
- مولاي ما اسمُ لوحش نافر أنس فى مأربى منه أشياءُ جُمعت فيه ٦
حروفه أربعٌ لكنّها عجبٌ إن زال أوّل حرف زال باقيه
فأجابه الشهاب المنصورى عن ذلك :
- مولاي ألغزت فيما ناب عن قرى جيدا وحاكى سوادا فى أماقه ٩
فالبعض لامٌ حكّت لامات سالفه وبعضه قد غزا فى الله باقيه
وفى ذى الحجة قبض السلطان على المعلّم على الصغير أحد معاملى اللحم ، فلما
قبض عليه قرّر عليه ستين ألف دينار واستمرّ فى التوكيل به ، وكان المعلّم على هذا ١٢
من خيار الناس ناتجا بالسداد وله شهرة طائلة وبرّ ومعروف ، وكان كثير الحشمة
فى حقّ الناس . - وفيه فرق السلطان الأضحية على العسكر ، وقطع أضحية
كثيرة لجماعة من المباشرين والفقهاء كانت على الذخيرة ، حتى قطع السكاكين ١٥
التي كانت تفرّق على الناس [فى] عيد النحر من الزردخاناه وكانت من العادات القديمة ،
فأبطلها فى هذه السنة بواسطة شخص من الزردكاشية يقال له أحمد بن قراكر . -
وفيه كان الأتابكى قرقاس مسافرا فى بعض جهاته ، وقد فرّ لأجل تفرقة ١٨
الأضحية . - وفيه توفى الأمير قانصوه جوشن أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان
(٤٩ ب) لا بأس به . - وفيه كان موكب العيد حافلا وأوكب السلطان على
العادة ، فلما انقضى يوم العيد نزل السلطان فى اليوم الثانى من العيد وتوجّه ٢١

إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التي بالمطرية وأقام هناك إلى بعد العصر ، ووافق ذلك اليوم عيد النصرى وأول الخميس ، فانشرح هناك ومدّ أسمطة حافلة وحضر عنده جماعة من المغاني وأرباب الآلات ، ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص فقام ورقص بين يدي السلطان فرسم له بمائة دينار ، ولما صلتى العصر وركب من هناك أخذ في جيبه كيساً فيه ذهب وصار يفرق منه بطول الطريق على الفقراء ومن يقف له من الناس ، فشرع يعطيهم من يده بغير واسطة بحسب ما يقسم لهم ، واستمرّ على ذلك حتى طلع إلى القلعة وكان يوماً بالسلطاني . — ولما مضى العيد وأيام التشريف عزل السلطان قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، وأخلع على الشيخ بدر الدين محمد بن قاضى القضاة صلاح الدين المكيى وقرّره فى قضاء الشافعية بمصر عوضاً عن كمال الدين الطويل بحكم صرفه عنها ، وقد جمع بدر الدين المكيى بين قضاء الشافعية ومشيخة الخشائية والشريفية ، وقد سعى فى ولاية القضاء بثلاثة (٢٥٠) آلاف دينار ويا ليتة لا سعى فكان سعيه غير مشكور ، فكان كما يقال فى المعنى :

الحمد لله كم أسعَى بغرى فى نيل القضا وقضاء الله ينكسه

١٥ كأننى البدر يبغي الشرق والفلكُ الد . . . أعلى يعارض مسراه فيعكسه

وكان غالب الأمراء والعسكر مائلاً إلى قاضى القضاة كمال الدين وسيعود إلى القضاء عن قريب . — وفيه توفيت الست آمنة والدّة أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب ، وهى ابنة أمير المؤمنين أبو الربيع المستكنى بالله سليمان ، وكانت دينة خيرة صالحة ، وقد كُفّ بصرها فى أواخر عمرها ، وكانت لا بأس بها : — وفيه وصل مبشر الحاج فى ثلاثة عشر يوماً ، وأخبر بالأمن والسلامة لجميع الحجّاج . — وفيه توفى الرئيس بركات السكندرى رئيس الطبّ ، وكان عارفاً بأمر الطبّ لطيف الذات عسير الناس ، وكان لا بأس به . — وتوفى القاضي

شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث
أحد نواب الحكم المالكي ، وكان عالما فاضلا شابا رئيسا حثما لا بأس به . - وقد
خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة رخيّة خصبة ، ٣
وكان نيلها (٥٠ ب) نيلا مباركا عاليا وثبت إلى نصف هاتور القبطى وزاد
فى هاتور ثمانية أصابع حتى عدّ ذلك من النواذر الغربية ، لكن حصل منه للناس
بعض ضرر وغرق البذار الذى كانوا بذروه فى أراضي الجزيرة عند هبوط النيل ، ٦
ثم زاد بعد ذلك هذه الثمانية أصابع ، فرسم السلطان للقضاة الأربعة بأن يتوجهوا
إلى المقياس ويدعوا إلى الله تعالى فى هبوطه ، فتوجهوا إلى هناك وباتوا بالمقياس ،
وقرأ السلطان تلك الليلة ختمة شريفة ومدّ أسمطة حافلة ، فانهدت فى تلك ٩
الليلة نحو من نصف ذراع ، فعُدّ ذلك من الوقائع الغربية . - وفى هذه السنة
أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله به من الأزهار
ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغربية ، ولقد ١٢
عاينت به وردا أبيض ذكى الرائحة ، وهو غير أنواع الورد التى بمصر وقد نقل
من الشام ، وكان يطرح فى أوان الصيف والنيل فى قوة الزيادة ، وهو نوع غريب
لم يوجد بمصر ، فكان السلطان يضع له دكة كبيرة مطعّمة بالعاج والأبنوس ١٥
ويفرش فوقها مقعدا مخمل بنطع ويجلس عليه ، وتظله فروع الياسمين وتقف
حوله الممالك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ، (٥١ آ) ويعلق فى الأشجار
أقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزارات ومطوّق وبلابل وشحارير ١٨
وقارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج
حبشى وبطّ صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة ، وتارة يجلس على البحرة
التي طولها أربعون ذراعا وتمتلئ كل يوم من ماء النيل بسواقى نقالة من الحجارة ٢١
تجرى ليلا ونهارا ، فيجلس على سرير هناك فى غالب أيام الجمعة ولا يدخل عليه

من الأمراء أحد إلا من يختاره ، وقد وقع له من المحاسن أشياء غريبة لم تقع
لغيره من السلاطين ، وقد صار هذا الميدان جنة على وجه الأرض ، كما يقال في المعنى :

٣ وشدت على العيدان ورق أطربت بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مُشْتَبَب والماء يسقى والجداول تشرب
وإذا تكسّر ماؤه أبصرته في الحال بين رياضيه يتشعب

٦ وما وقع لي أن السلطان كان قد أخرج إقطاعي في حركة الممالك لما أخرج
إليهم أقطاع أولاد الناس كما تقدم ذكر ذلك ، فوقفت إليه بقصة في الميدان ، فردّ
إليّ إقطاعي وحصل لي منه غاية الجبر ونصرني على الممالك الذين كانوا
٩ أخذوا إقطاعي ، فعند ذلك (٥١ ب) امتلحته بهذه القصيدة ، وذكّرت فيها
أشياء كثيرة مما وقع له من المحاسن ، وقدّمته إليه على يد شخص من خواصه ،
وهي هذه القصيدة :

١٢ بالأشرف الغورى المفدّا أصبح ثغر الزمان باسم
يا قانصوه العلى قدرا فقت على من مضى وقادم
فكلّ يوم تراه عيدا به فأوقاتنا مواسم
١٥ تشرف الغور باسمه مذ رفرف طير السرور حائم
اختاره الله من إمام لقمع أهل الفساد صارم
فالشكر لله مدة تولّى على جميع الأنام لازم
١٨ هذا الذى عنه أخبرتنا طوالع النجم والملاحم
يُصيرُ الشاة في حماه تمشى مع الذئب والضراغم
قد جاءه السعد عبداً رقى والنصر أضحى لديه خادم
٢١ له بقلب الملوك رُعباً أغنى عن السمر والصوارم
وسيفه في الوعى طويل له نفوس العدى غنائم

- جيوشه كالأسود أضحت تقنحم الحرب بالهزائم
تاريخه في الملوك أضحي يحير العرب والأعاجم
فاكتبه بالتبر لا بحبر واصغ لأخباره العظام
ليس له في الملوك ند في البأس والجلود والمكارم
مظفر ظاهر عزيز مؤيد عادل الأقالم
بني بمصر لله بيتا رخامه قائم ونام
فجاء في حسنه فريد من كل عيب يقال سالم
فليس يُبنى له نظير في سائر (٢٥٢) المدن والأقالم
وقلعة السعد مذ حواها جدّد بها سائر المعالم
بزمه الماء جاء يجرى بمجرة تحتها دعائم
دارت دواليها فهامت لحسن أصواتها البهائم
فاقت بناء الملوك طرا فالمدح في وصفها بلائم
تسقى بميدانه رياض ناحت بأغصانه الحمام
أشجاره بالنسيم مالت وزهرها فاح في الكمام
وأنشأ به بحرة تحاكي كالنيل أمواجهها ملائم
وغرّدت حولها القمارى سماعها هيتج الغزائم
فعش هنيئًا بملك مصر في نصره دائم اللوام
مارقص الريح غصن روض ونقطت لؤلؤ الغمام
ابن إياس محمد قد أنى بدر المديح ناظم

- عرائسا بالعقود تجلّى تأليفها حير النواظم
 ختمتها بالصلاة منى على نبيّ للرسل خاتم
 محمد أشرف البرايا في الخلق والخلق والعزائم ٢
 صلى وسلم عليه ربى ما دام هذا الوجود قائم
 والأول والصّحْب ما تغنى حادٍ بوادٍ العقيق هائم
 انتهى ما أوردناه من أخبار سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وقد نظم الشيخ
 بدر الدين الزيتوني في معنى ما قلته هذه الأبيات : وهو قوله من قصيدة مطوّلة
 (٥٢ ب) :

- يا حبّذا الميدان من جنة مساكن الولدان والخور ٩
 أغصانه هبّ عليها الهوى من كل ممدود ومقصور
 أطيّاره في دوحها غرّدت من كلّ مسموع وعصفور
 وكل سنّ ضاحك مطرب وكل حسّون وزرور ١٢
 ولبلس هيج بلبالنا ومن هزار حول شحرور
 وبحرة مذبذب فيها الهوى جعلها تنقيش تصوير
 في جمع تصحيح نرى ماءها وبالهوى في جمع تكسير ١٥
 وبحرة الميدان إنشاء عقودها دور على دور
 وعمر الروضة صارت به أماكنا عامرة الدور
 وجدّد المقياس حتى غدت تزهر بمنظوم ومنثور ١٨
 وفي طريق الحجّ كم منهلٍ عمره في غاية الخبر
 وعينُ بازان جرى ماؤها تجديدها آمناً من الغور

وأنشأ بمصر جامعا لم يزل بيتا بذكر الله معمور
والقبة الزرقاء وصهر يحيا والماء والكيزان والزير
كأن برد الثلج في مائه لكل عطشان ومحور
وكم له قنطرة جددت بأمره من غير مأمور
على الخليج الحاكى وضعها قد شاع في طول وتقصير
كم ناصب أعرب في رفعها لمركب في الكسر مجرور
أكرم به من ملك أشرف مؤيد بالعز منصور
ينصره الله ويجعل لنا (٢٥٣) أيتاماً أنساً بلا جور
ما أقبل الصبح بأنواره وأدبر الليل بديجور
انتهى ذلك ، ثم قال في استشهاده منها :

وصل يا رب على المصطفى متقدنا من كل محذور
صلاة عوفى يرى نشرها أطيب من مسك وكافور
والآل والأنصار مع صحبه أهل الشنا والفضل والخير
ما ماس من غصن بروض زهى وغردت في دوحه الطير

١٥ ثم دخلت سنة ست عشرة وتسعمائة

فيها في المحرم نزل السلطان إلى الميدان ، وطلع إليه القضاة الأربعة يهنونه
بالعام الجديد ، وحضر قاضى القضاة الشافعى بدر الدين المكينى وهذا أول تهنئته
بالشهر ، فلما انفض المجلس قام السلطان ودخل إلى البحرة التى أنشأها بالميدان
وعزم على الأمراء وحضر الأتابكى قرقاس والأمراء المقدمون ، فلما تكامل المجلس
أحضر السلطان فوطه فيها ورد من بستان الميدان فأخذ من ذلك الورد وردة
وشمتها ثم دفعها إلى الأتابكى قرقاس فأخذها وقام وقبّل الأرض ، ثم أخذ وردة
أخرى وشمتها ثم دفعها إلى دولات باى أمير سلاح فأخذها وقام وقبّل الأرض ،

- ثم أخذ وردة أخرى وشمها ثم دفنها (٥٣ ب) إلى سودون العجمي أمير مجلس
فأخذها وقام وقبّل الأرض ، ثم فرق على جميع الأمراء المقدّمين لكل واحد
وردة فبأخذها ويقوم ويقبّل الأرض ، فقبّلوا له الأرض الأمراء المقدّمون جميعهم ٣
في ذلك اليوم لأجل الورد حتى عدّ ذلك من النوادر ، ثم مدّ لهم في ذلك اليوم
أسمطة حافظة وأقاموا عنده إلى بعد الظهر ، وأبطل المحاكمات في ذلك اليوم . -
٦ وفيه نزل السلطان وسير إلى نحو المطرية وعاد إلى القلعة ، ثم نزل بعد ذلك وسير
إلى نحو طرا وعاد إلى القلعة ، وفي مدّة سلطنته لم يشقّ من القاهرة قط . -
وفي يوم السبت حادى عشره ثاروا جماعة من المماليك الجلبان ورجحوا الناس
من الطباقي ، فأسفرت هذه الواقعة على أن المماليك يرومون من السلطان نفقة ٩
لكل مملوك مائة دينار ، وكان في تلك الأيام اللحم معطل بسبب المعلم على الصغير
فإنه كان في الترسيم ، فلما جرت هذه الحركة أراد السلطان أن يوسّط المعلم على
الصغير فشفع فيه بعض الأمراء ، ثم إن المماليك نزلوا من الطباقي وهم مشاة ١٢
وتوجّهوا إلى بيت الأتابكي قرقاس فأركبوه غصبا وقالوا له : اطلع إلى السلطان
وقل له ينفق علينا ، ثم توجّهوا إلى سودون (٥٤ آ) العجمي أمير مجلس وأركبوه
١٥ غصبا ، ثم توجّهوا [إلى] الأمير طراباى رأس نوبة النوب وأركبوه غصبا ، ثم
توجّهوا إلى الأمير طومان باى الدوادار وأركبوه غصبا ، فلما طلّعوا بهم إلى القلعة
تكلّموا مع السلطان في أمر النفقة فامتنع من ذلك غاية الامتناع وكاد أن يخلع نفسه
١٨ من السلطنة ، فلما ردّوا الجواب على المماليك بأن السلطان امتنع من إعطاء النفقة
فاتسعت الفتنة ، ونزلوا المماليك من الطباقي أفواجا أفواجا وهم يزموط وكباشيات
ومطارق في أيديهم ، فتوجّهوا إلى سوق جامع أحمد بن طولون فنبهوا منه عدّة
٢١ دكاكين ، وكذلك دكاكين الصليبة ، ثم توجّهوا إلى سوق تحت الربيع فنبهوا منه

(٢) الأرض : جاءت في الأصل بعد « ثم فرق » .

(تاريخ ابن إياس ج ٤ - ١٢)

هدة دكاكين ، وكذلك دكاكين البُسْطِيَّين وغير ذلك من الأسواق حتى كادت مصر
 أن تخرب عن آخرها في ذلك اليوم ، وأغلقت الأمراء أبوابها خوفا من المماليك ،
 فاستمروا ذلك اليوم على هذا الحال والأمر مضطرب وقد نهب للناس أشياء ٣
 كثيرة بنحو عشرين ألف دينار ، والتفت على المماليك الجُم الغفير من الغلمان
 والعبيد ، وباتوا الناس تلك الليلة على وجَل ولم يجدوا من يردّ المماليك عن ذلك ،
 وكانت ليلة مهولة وكلّ مفعول فيها جائز ، وقد قلت في ذلك (٥٤ ب) : ٦
 يارب إن المماليك جاروا علينا بعَسَف
 واستفتحوا العام فينا بوقع نهب وخطف
 ثم أصبحوا يوم الأحد على ما هم فيه من النهب والخطف ، وتزايد الأمر ٩
 جدّا ومنعوا الأمراء من الركوب والمرور في الطرقات ، وغلقت الأسواق ، ثم إن
 السلطان نادى للمماليك بالعرض في الحوش فلم يطلع منهم أحد ، واستمروا على
 ذلك إلى يوم الاثنين فلبسوا آلة السلاح وتوجهوا إلى الأزبكية وهجموا على الأمير ١٢
 دولاب باى أمير سلاح وأرادوا أن يسلطوه ففرّ منهم وطلع إلى عند السلطان ، ثم
 إن المماليك بلغهم أن الأمراء يقصدون الوثوب عليهم ويقبضون منهم [على] جماعة
 فعند ذلك قلعوا آلة السلاح وطلعوا إلى الطباق ، ثم إن الوالى نادى في القاهرة بأن ١٥
 لا مملوك ولا عبد ولا غلام يمشى في الأسواق من بعد المغرب ، وصار كلّ من
 رآه يمشى من بعد المغرب يوسّطه ، فوسّط في ذلك اليوم من العبيد والغلمان
 جماعة كثيرة ، فسكن الحال قليلا ، ثم إن الأمير طومان باى الدوادار صار يركب ١٨
 في عدة ممالك ويطوف الأسواق والحارات ويكبس على المماليك في اسطبلاتهم
 فن وجد عنده شيئا من النهب أخذه وردّه إلى أصحابه ، وصاروا الناس يغمزون
 على كل من كان عنده نهب فيكبسون عليه ويأخذون ما عنده من النهب ، فردّوا منه ٢١
 لأصحابه بعض (٥٥ آ) شيء ، ثم إن تجّار جامع ابن طولون وتجار تحت الربع
 وقفوا إلى السلطان بقصة وشكوا له ما أصابهم من المماليك ، فرسم السلطان إلى

- بركات بن موسى بأن ينزل ويحرّر عن أمر النهب ، فوجد ما نهب للناس خمسمائة وسبعون دكّانا وراحت على الناس أموالها ، وقد قدّروا ما نهب للناس في هذه الحركة أشياء بنحو من عشرين ألف دينار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . -
- ٣ وفيه غيّب شرف الدين الصغير ناظر الدولة بسبب تعطل اللحم في تلك الأيام ، وهذا كان سببا لإقامة الفتنة المقدّم ذكرها . - وفي يوم الأربعاء خامس عشره
- ٦ توفى القاضي صلاح الدين بن الجيعان وهو محمد بن يحيى بن شاكر ، وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم واجتمعت فيه الرياسة دون بنى الجيعان ، وولى من الوظائف استيفاء الجيش والتكلم على الخزائن الشريفة ونيابة كتابة السرّ ، ثم ولى كتابة السرّ في دولة الأشرف جان بلاط ، وجرى عليه شذائد ومحن ، وصودر في دولة الغورى غير ما مرّة ، ومات وهو في عشر السبعين . - وفي يوم الجمعة سابع عشره توفى الأمير جان بردى أحد الأمراء المقدّمين ، وكان لا بأس به . - وتوفى
- ١٢ أنسبأى أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - (٥٥ ب) وفي يوم الخميس ثالث عشرينه دخل الحمل إلى القاهرة ، وقد تأخّر بعد دخول الركب الأول بيومين . - وفيه ظهر شرف الدين الصغير ، وكان مخفيا من حين ركبوا الممالك بسبب تعطل اللحم ، فلما قابل السلطان أخلع عليه وأقرّه في نظر الدولة كما كان . -
- وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أيضا توفى الشيخ أبو السعود بن الشيخ الصالح المسلك سيّد مدّين رحمة الله عليه ، وكان دينّا خيرا رئيسا حشما ، وكان لا بأس به . - وفيه أشيع أن طومان باى قرأ الحاجب الثانى قد قتل دواداره وخنقه بوتر
- ١٨ ودفنه في الاسطبل ، وقد فعل ذلك وهو سكران ، فلما بلغ السلطان ذلك تغافل عن هذه الواقعة . - وفيه رسم السلطان بتسليم يوسف بن أبى أصيع إلى الوالى يعاقبه ، وكان له مدّة طويلة وهو في السجن بالعراقانة ، وقرّر عليه نحو من أربعين ألف دينار فقراقد عن وزن المال فسلّمه إلى الوالى ، وكان يوسف بن أبى أصيع من خواصّ السلطان . - وفي يوم الأحد سادس عشرينه أخرج السلطان

- خرجوا من الممالك نحواً من خمسمائة مملوك وفرّق عليهم زرديات وسيوف
وتراكيش : - وفي يوم الاثنين سابع عشرينه خرج الأمير طومان باي (٥٦ ت)
اللوادار وسافر إلى جهة الصعيد ، وقد بلغه أن قد وقعت هناك فتنة مهولة بين ٣
قبيلة بني عدى وبين بني كلب وكادت جهات الصعيد أن تخرب عن آخرها ،
فتوجّه بسبب ذلك وكان أوّان ضمّ المغل . - وفيه جلس السلطان على الدكة
وأحضر المصحف العثماني وحلّف عليه المالك الجلبان كل طبقة على انفرادها ، ٦
وحلّف أغواتهم أيضاً ، فحلفوا على العثماني أنهم لا يثيرون فتنة ولا يركبون ولا
يرمون فتناً في بعضهم ، ثم فرّق عليهم الرماح ورسم بأن يلعبوا الرمح في الميدان ،
ورسم لكلّ مملوك بثلاثة أشرفية ثمن البعلبكي ، وانفضّ المجلس على ذلك وخمدت ٩
تلك الفتنة قليلاً . - وفي يوم الجمعة قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق
ذلك سابع عشر بشنس ، وكان الوقت في تلك الأيام رطباً والبرد موجود . -
ومن الوقائع أن الأمير قرقاس المقرئ كان قد سُرق له من داره عملة بنحو ألف ١٢
دينار فاتّهم بها الجيران أضعاف ما سرق له ، وقد تقدّم القول على ذلك ، ثمّ ظهر
بعد ذلك أن الذي سرق العملة مملوكه وهرب وسافر إلى الحجاز من البحر المالح ،
فلما توجهوا الحجّاج إلى مكّة قبض أمير الحاجّ على (٥٦ ب) مملوك قرقاس ١٥
المقرئ ووضعه في الحديد وأحضره صحبته إلى القاهرة ، فسلمه إلى أستاذه فضربه
وقرّره فاعترف أنه هو الذي سرق الذهب ، وقد تصرّف في غالبه وهو بمكة
وفتك هناك وقد بقي معه البعض من المال ، فلما بلغ الجيران ذلك طلّعوا إلى ١٨
السلطان وشكّوه بقصّة فيما فعل بهم ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام
وسبّه وألزمه بأن يرضى الجيران فيما تكلفوه من الغرامة بسبب ذلك ، فلما نزل
أرضاهم في جميع ما تكلفوا من الغرامة فعّد ذلك من النوادر ، واستمرّ قرقاس ٢١
المقرئ ممقوتاً عند السلطان ، وكان غير محمود السيرة . - ومن الحوادث أن شخصاً
يقال له تقي الدين بن الرومي أحد نوّاب الخنفية ، قيل عنه أنه وقع في حقّ النّيّ

صلى الله عليه وسلم بكلمات غير مشكورة ، فضبطوا عليه ذلك جماعة كثيرة ممن كان حاضرا فبلغ السلطان ذلك .

- ٣ وفى صفر طلع القضاة الأربعة للتنهتة بالشهر ، فلما اجتمعوا بين يدى السلطان قال لهم : احصوا عن أمر ابن الرومى فيما قيل عنه ثم راجعوني فيما يثبت عليه ، وكان ابن الرومى قد اختفى بسبب ذلك ، فانفض المجلس من قدّام السلطان (٥٧ آ) على إحضار ابن الرومى ، واستمرّ طلب من السلطان حثيث وأمره فى ذلك إلى الله . - وفيه أخلع السلطان على الشهابى أحمد بن الجيعان وقرّره فى استيفاء الجيش والتكلم فى الخزانة الشريفة عوضا عن عمته صلاح الدين بحكم وفاته ، وأشركوا معه أولاد عمته صلاح الدين فى الوظيفة ، فتضاعفت عظمة الشهابى أحمد وصار يبله هذه الوظائف مضافاً لما بيده من نيابة كتابة السرّ ، وكان كاتب السرّ البدرى محمود بن أجا حصل له عارض فى جسده وانقطع فى داره عن الركوب نحواً من عشرة أشهر ، وصار التكلم فى هذه المدة للشهابى أحمد وصار هو كاتب السرّ لا محالة ، واجتمعت فيه الكلمة وكان أهلاً لذلك . - وفى يوم الاثنين خامسه أخلع السلطان على الجمالى يوسف البدرى وقرّره فى الوزارة عوضا عن تغرى برمش بحكم انفصاله عنها ، واستمرّ شرف الدين الصغير على حاله فى نظر الدولة . - وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على مملوكه كرتباى الذى كان كاشف الشرقية وقرّره فى ولاية القاهرة عوضا عن قانصوه أبى سنة بحكم انفصاله عنها ، وصار قانصوه أبو سنة (٥٧ ب) من جملة الأمراء المقدمين وجلس معهم وبقي مقدّم ألف ، ورتّب له فى نظر الإقطاع شيئاً على الذخيرة . - وفى ذلك اليوم قبض على شخص من غلمان الأمير أقبردى الدوادار ، وكان مطلوباً بما يقال عنه أنه عنده سروج مغرق وكتائبش للأمير أقبردى ، فقبضوا عليه من الحلة وأحضره فى الحديد ، فلما عرض على السلطان لم يقرّ بشيء فرسم بتوسيطه فوسّطوه . - وفى يوم السبت تاسعه ابتدأ السلطان بضرب الكرة فى الميدان ، وفى ذلك اليوم تقنطر

من على الفرس الأمير نوروز أخو يشبك الدوادار أحد المقدمين ، فأغنى عليه وتشوش لذلك ونزل إلى داره وهو محمول . - وفي حادى عشره كانت ليلة سيدى إسماعيل الإنبائى وكانت ليلة حافلة ، ونصب فى الجزيرة التى تجاه بولاق ٢ نحو من خمسمائة خيمة ، وخرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحدة . - وفى يوم الاثنين ثالث عشره نفق السلطان على جماعة مخصوصة من الخاصكية الأعيان ، ممن كان يرمى بالنشأب على الخيل فى الميدان ويلعب الرمح ، لكل واحد منهم ٦ عشرة آلاف درهم ، وأعطى لجماعة منهم ستة آلاف درهم ، ولم ينفق لبقية الممالك شيئا ، فبلغت هذه النفقة اليسيرة نحواً من (٥٨ آ) أربعين ألف دينار ، وقد تأثرت بقية الممالك لذلك ولكن لم يلتفت السلطان إليهم . - وفيه تغير خاطر السلطان ٩ على مهتار الطشتخاناه محمد ومنعه من الطلوع إلى القلعة وأقام بداره أيتاماً وهو غحنى ، فتكلم له مع السلطان الأمير طومان باى وباس رجله بسبب ذلك حتى رضى عليه ، ولكن قيل إنه أورد للخزائن الشريفة خمسة آلاف دينار حتى رضى ١٢ عليه وأعادته كما كان وأخلع عليه ، وكان سبب تغيير خاطر السلطان على المهتار محمد أن شخصاً شاباً يقال له محمد بن سعيّدة كان قد تحشّر فى السلطان وصار يتقرب إليه بمرافعة الناس ، فرافع فى محمد المهتار وجماعة آخرين من خواص ١٥ السلطان فوزّع عليهم مالا له صورة بسبب ذلك . - وفيه عين السلطان معين الدين ابن شمس نائب كاتب السرّ بأن يتوجه قاصداً إلى ملك الهند ، ثم بطل سفره إلى بلاد الهند ، وكان غير مقبول الشكل يشبه وجه المصاصة العتيقة ، وقبض عليه ١٨ السلطان عقيب ذلك وسجنه بالعرقانة وقد وشى به عند السلطان بأنه يدعو عليه ويقصد زواله . - وفيه حضر قاصد الملك محمود شاه صاحب كُتّابية ، وآخرين من ملوك الهند ، وعلى أيديهم مثالات للسلطان تتضمن سرعة تجهيز (٥٨ ب) ٢١ تجريدة إلى جهات الهند بسبب تعبث الفرنج هناك ، وقد ترايد أمرهم وطمعوا فى أخذ البلاد من حين كسروا حسين الذى أرسله السلطان باش

(٦) من كان . . . للمرح : جاءت فى الأصل بـ « ثالث عشره » فى سطر ٥ .

التجريدة التي أرسلها إلى هناك : - وفيه في سلخه أخلع السلطان على الشيخ حسام الدين محمود بن قاضي القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة ، وقرّره في نظر البيارستان المنصوري عوضا عن معين الدين بن شمس بحكم تغيير خاطر السلطان عليه ، وقد تقدّم للبدرى محمود هذا أنه ولي قضاء الحنفية بحلب فيما بعد وأقام بها مدة يسيرة وعزل عنها .

٦ وفي ربيع الأول في يوم مستهلّه أخلع السلطان على قاضي القضاة محيى الدين عبد القادر بن النقيب ، وقرّره في قضاء الشافعية عوضا عن بدر الدين المكيني بحكم صرفه عنها فكانت مدة ولاية بدر الدين المكيني في وظيفة قضاء الشافعية شهرين وأربعة عشر يوما ، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار وأقام فيها هذه المدة اليسيرة وعزل عنها والناس غير راضية عنه ، كما يقال :

تولّاها وليس له عدوٌّ وفارقها وليس له صديق

١٢ وكان في هذه الولاية في غاية العكس ومنعه السلطان أن لا يخطب به في مدة ولايته ، وقد سعى عليه ابن النقيب بمال حتى عزله وتولى ، وهذه رابع ولاية وقعت لابن النقيب في قضاء الشافعية (٥٩ آ) بمصر ، وقد نفذ منه في هذه الأربع ولايات نحو من سبعة وعشرين ألف دينار وهو غير مشكور ، وكان عزله عن قريب في هذه الولاية . - وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على الشهابي أحمد بن الجيعان وأعادته إلى نيابة كتابة السرّ عوضا عن معين الدين بن شمس بحكم تغيير خاطر السلطان عليه ، ومما قلته فيه من المديح :

وكم حازَ الأكابر من ثناءٍ به مُحمّدوا ولكن أنت أحمد

ففقتَ على بنى الجيعان قدرا وسعدك في الورى قد صار أسعد

٢١ وتعيّنت وكالة بيت المال إلى شمس الدين بن عوض . - وفيه عيّن السلطان تجريدة إلى الجون وكتب بها نحوًا من مائتي مملوك ونفق عليهم ، وعيّن الأمير محمد

- بيك قريه باشا على ذلك العسكر . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن جماعة من عسكر الصوفي طرّقوا أطراف ضياع البيرة ونهبوا أغنام جماعة من الأكراد ، فلما بلغ نائب البيرة ذلك ركب واتّفق معهم ثم خملت هذه الإشاعة . - وفي يوم ٢ الاثنين عاشره وصل الأمير علان الدوادار الظنّي الذي كان السلطان أرسله قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فلما طلع إلى القلعة أُنخِط عليه السلطان خطة سنية ونزل في موكب حافظ ، وقيل إن ابن عثمان بالغ في إكرامه وأحسن إليه ، ثم ٦ إن السلطان في عقيب ذلك (٥٩ ب) أنعم على الأمير علان من قراجا بتقدمة ألف مضافا لما بيده من الدوادارية الثانية . - وفيه قبض السلطان على عبد العظيم الصبري وسجنه بالعراقنة ، وقرّر عليه مالا له صورة . - وفي حادى عشره ٨ عمل السلطان المولد النبوي على العادة وكان مولدا حافلا ، وحضر ذلك قرقد بيك ابن عثمان وأجلسه السلطان معه على المرتبة وبالغ في إكرامه ، وحضر القضاة الأربعة وسائر الأمراء المقدمين . - وفي يوم الخميس ثالث عشره طلع ابن أبي ١٢ الرداد ببشارة النبل ، وجاءت القاعدة سبعة أذرع زيادة عن العام الماضي بعشرة أصابع ، وكانت الزيادة في أول يوم من المناداة خمسة أصابع . - وفي هذا الشهر ارتفع سعر البصل حتى بلغ سعر كل قنطار اثنين وعشرين نصفا ولا يوجد ، حتى ١٥ عدّ ذلك من النوادر . - وفي يوم الاثنين سابع عشره خرج الأمير تمرباي الهندي أحد الأمراء العشرات ، وقد عينه السلطان قاصدا إلى إسماعيل شاه الصوفي ممتلك العراق ، فخرج مسافرا في ذلك اليوم وكان له موكب حافظ . - وفيه أخلع ١٨ السلطان على قانصوه بن سلطان جركس أحد الأمراء المقدمين وعينه أمير حاج بركب المحمل ، وأخلع على (٦٠ ت) الأمير نوروز تاجر المالك وعينه أمير حاج بالركب الأول . - وفيه عرض السلطان معين الدين بن شمس الذي تغيّر ٢١ خاطره عليه كما تقدّم ، فضربه بالمقارع بين يديه نحو من مائة شيب حتى أشرف على الموت ، وقد أخذ بخطيئة كاتب السر بدر الدين بن مزهر فإنه كان

متولياً عقابه فعذب به بأنواع العذاب ولم يرث له فيما جرى عليه ، فإ عن قريب
حتى أذاقه الله تعالى طعم العذاب ، فكان كما يقال :

٢ جُرْعَ كأسا كان يَسْقَى بها والمرءُ مجزئُ بأعماله
ظَنَّ بأن الدهر يصنى له فحُيِّبَتْ من ذاك آماله
وقال القائل :

٦ يا من تولى منصبا قد زانه فسطا لذاك على الأنام وتاها
أقصر فذاك العز يتبعه أذى عطرُ الولاية لا يفي بنفساها

وفي رابع عشره خرج الأمير محمد بيك الذي تعيّن إلى نحو الجون بسبب
٩ قطع الأخشاب لأجل عمارة المراكب المهيّنة إلى تجريدة الهند ، فخرج في موكب
حافل ، وكان ذلك آخر سعده . - وفيه خرج الطواشي بشير رأس نوبة السقا
وقد عيّنهُ السلطان بأن يتوجّه إلى بلاد الهند ، وقد كاتب السلطان جماعة من
١٢ (٦٠ ب) ملوك الهند بأن يكونوا مع السلطان عوناً على قتال الفرنج الذين صاروا
يتعشّون بسواحل بلاد الهند وقد كثّر منهم الفساد هناك ، وبلغت عدّة المراكب
التي يعبثون في السواحل نحواً من خمسين مركباً ، والأمر إلى الله في ذلك . -
١٥ وفيه تغيّر خاطر السلطان على شرف الدين النابلسي الأستاذار بسبب انشحات
الجامكية ، فبطحه بين يديه وضربه نحواً من مائة عصاة . - وفيه تغيّر خاطر
السلطان على محمد بن سعيّدة المقدم ذكره الذي كان عوانياً عند السلطان وينقل
١٨ له أخبار الناس ، وكان حظى عنده بحيث أنه كان يجلس معه على المرتبة ويلعب
معه الشطرنج ، واشتهر بين الناس بالمرافعة ، وهو الذي سعى لقاضي القضاة محي الدين
ابن النقيب في عودته إلى القضاء ، ثم وقع بينه وبين محمد بن سعيّدة فطلع ابن النقيب
٢١ وشكاه إلى السلطان بأنه سبه وشتمه ، فحرق السلطان من محمد بن سعيّدة وكان قد
طاش في تلك الأيام إلى الغاية وعادى الناس بسبب مرافعته لهم ، وكثر الكلام

في حقّ السلطان بسببه فإنه كان جميل الصورة ، فلما تغيّر خاطر السلطان عليه طلبه وبطحه بين يديه وضربه ضرباً مبرحاً ورسم بنفيه إلى الواح (٦١ آ) فنفى ، فكان كما يقال في المعنى :

إِيَّاكَ أَنْ تُفْرِطَ فِي حَقِّ مَنْ يُعْرِفُ بِالْجُودِ فَقَدْ يَحْنِقُ
وَلَا تَقُلْ ذَا حِلْمُهُ وَاسِعٌ فَاَلْمَاءُ إِنْ سَخَتْهُ يَحْرَقُ

وفيه تسحب من البرج الذي بالقلعة أربعة أنفار منهم شيخ العرب ابن مهنا وآخرون من العربان ، فلما تسحبوا قبض شيخ العرب ابن بغداد على ابن مهنا الذي تسحب من البرج ، فقطع رأسه ورأس آخرين ممن تسحب معه وأرسل بهم إلى السلطان .

وفي ربيع الآخر كان ختم ضرب الكرة ، وعزم السلطان على الأمراء ومدّ لهم أسمطة حافلة وجلس في المقعد الذي أنشأه بالميدان عن قريب . - وفي يوم الخميس رابعه طلع قرقد بيلك بن عثمان إلى القلعة واستأذن السلطان في عوده ١٢ إلى بلاده فأذن له في ذلك ، وأخلع عليه خلعة سنّية وهي منسوجة بالذهب شغل القاعة ، ونزل من القلعة في موكب حافل وصحبته الأتابكي قرقاس وبقية الأمراء المقدمين وجماعة من الرووس النوب ، فاستمروا معه إلى بولاق فقدّموا له الحراقة ١٥ التي يكسرها السلطان السدّ ، وجهّز معه عدّة مراكب فيها زوادة برسم الإقامات ، وأرسل معه السلطان أزدهر المهمندار وناق الخازن وغير ذلك من غلمان السلطان (٦١ ب) يستمرون في خدمته حتى يصل إلى رشيد ، وقد بالغ السلطان ١٨ في إكرام قرقد بن عثمان هذا ووقع له معه أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك السالفة فيما تقدم ، ولا وقع قبل ذلك للقان أحمد بن أويس صاحب بغداد لما حضر إلى مصر في دولة الظاهر برقوق لما حضر بسبب تمرلك في سنة ثمان وثمانين ٢١ وسبعائة ، فافعل الظاهر برقوق معه كما فعل الأشرف قانصوه الغوري مع قرقد بيلك بن عثمان ، ولا بالغ في إكرامه مثله ، فإنه رتب له في كل شهر ألفي دينار

- بسبب نفقته ، وكان كلما طلع إليه يلبسه سلارى بصمور من ملابسه قيمته مائتي دينار ، ويُرَكِّبُه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، وذلك غير ما يرسل إليه من الإنعامات وغير ذلك ، وكان يقوم له كلما طلع إليه ويُجَلِّسه فوق أمير كبير معه على المرتبة ، وقد بالغ في إكرامه جداً ، وكذلك الأمراء المقدمون أرسلوا إليه تقادم حافلة له ولجماعته ، فما خرج من مصر إلا شاكرًا ناشراً ، كما يقال في المعنى :
- ٦ طَوَّقْتَنِي نِعَمًا فَهِيَ أَنَا سَاجِعٌ شُكْرًا وَلَا عَجَبٌ لِسَجْعِ مُطَوَّقٍ
- وفيه خرج الأتابكي قرقمئاس إلى السَّرْحَة نحو الشرقية والغربية . - وفيه حضر أمير عربان الوجه (٦٢ آ) القبلي عمر من أولاد ابن عمر أمير هواراة ، فأقام في الترسيم ببيت الأمير الدوادار الكبير ، وقد قرَّر عليه السلطان مالا له صورة . - وفيه غيَّب المعلم خضر أحد معاملي اللحم ، وقد قرَّر عليه السلطان مالا فما أقام به وفرَّ خوفاً من السلطان . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة جان بردى الغزالي نائب صفد ، وقد حضر بطلب من السلطان ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان وأقام بمصر أياما . - وفيه توفي الشرفي يحيى الرشيدى خطيب جامع الأذربكية ، وكان من أهل الفضل ماهرا في الخطب . - وفيه حضر إلى السلطان فيل من بلاد الزنج ، وكان صغيرا قدر الجحاشة ، عمره نحو من سنة ، فلما طلع إلى السلطان رجَّت له القاهرة ، وكانت الأفيال قد انقطعت من مصر نحو من أربعين سنة حتى نُسِيَ بين الناس هيئته فصاروا يعجبون منه ، ثم بعد مدة حضر فيل آخر وقد أشيع بين الناس وصوله عن قريب ، ومما وقع لابن المعتز ١٨ في تشبيه الفيل وأجاد بقوله :

- كأنما الفيل الذى يبدو لعجبنا به ليلٌ قد افترس النهار فبان في أنيابه
- ٢١ وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن ثلاثة من الماليك قد خطفوا نسوة من طريق المقدس كانوا مع مودنات كعادة النساء في الأعراس ، فلما قبضوا عليهن خلصت منهن واحدة (٦٢ ب) وتوجَّهوا بالبقية إلى اسطبلاتهم ، فلما بلغ الوالى (١٠) معامل : معاملن . (١١) خوفاً : خوفه . (٢٢) مودنات : كذا في الأصل .

ذلك ركب وهجم على ذلك المماليك وقبض عليهم أجمعين ، فلما عرّضوا على السلطان ضرب المماليك ضربا مبرحا حتى أن كادوا يهلكون ورسم بسجنهم في المقشرة ، وكان عرضهم يوم الجمكية فرسم السلطان لكاتب المماليك أن يدفع ٣ جامكية المماليك إلى تلك النسوة في نظير ما شوشوا عليهم المماليك ، فدفعوا لكل امرأة ألفي درهم ، ضدّ ذلك من التواذر القريبة . - وفي يوم الثلاثاء سلخه وقعت طبقة الحوش ، فقتل تحت الردم خمسة من المماليك وتعطبوا آخرون منهم ، ٦ وكانت حادثة مهولة .

وفي جمادى الأولى في ثانيه قرأ السلطان خيمة في القياس ، ومدّ هناك أسمطة حافلة ، وحضر القضاة وأعيان الناس ، وسبب ذلك أن البحر سلسل في الزيادة ٩ وقد مضى من مسرى ستة عشر يوما ولم يف ، فلما توجهوا القضاة إلى هناك زاد النيل تلك الليلة ثمانية أصابع ، ثم في الليلة الثانية زاد خمسة عشر أصبعا ، واستمرت الزيادة عمالة حتى أوفى في العشرين من مسرى ، وفتح السدّ في الحادى ١٢ والعشرين من مسرى الموافق لثامن جمادى الأولى ، وقد تأخر الوفاء عن العام الماضي سبعة أيام ، فلما أوفى توجه الأتابكي قرقاس وفتح السدّ على العادة ، وكان (٦٣ آ) يوما مشهودا ، وكان هذا آخر فتح الأتابكي قرقاس للسدّ وقد ١٥ مات في أواخر هذه السنة كما يأتي الكلام على ذلك في موضعه . - وفي يوم الأحد ثاني عشره توفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن قاضى القضاة صلاح الدين أحمد ابن محمد بن بركوت المكيّ ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما تولى مشيخة الخشائية ١٨ والشريفية ، ثم سعى في قضاية القضاة بثلاثة آلاف دينار فأقام بها شهرين وأربعة عشر يوما وسعى عليه محيي الدين بن النقيب فعزل ، فلما عزل حصل له غاية القهر فاعتلّ ومات ، فكان بين عزله وموته شهران واثنا عشر يوما فمات قهرا ٢١ لاحالة ، وكان له من العمر نحو من ستين سنة ، فجاءه القضاء الأكبر وفاته القضاء الأصغر ، كما قيل :

حضبت عزمى شوقاً إليكم فلم أطلقْ مُكَّةَ بأرض
وجئت لم أحظْ بالتلاقى فغابنى أن ألومَ حصيَّ

٣ وفى يوم الجمعة سابع عشره طلب السلطان قاضى القضاة كمال الدين الطويل وأخلع عليه وأعادته إلى قضاء الشافعية كما كان ، وعزل عنها محيى الدين بن النقيب فكانت مدته فى هذه الولاية شهرين وستة عشر يوماً ، ونفذ منه مال له صورة على هذه المدّة اليسرة ، فكان كما يقال :

لم أسْتَمِمْ عناقته لقدومه حتى (٦٣ ب) ابتدأتُ عناقته لوداعه
ثم وكّل به السلطان وبعثه إلى بيت ناظر الخاصّ وقد بقى عليه ألف دينار
٩ من بقيّة ما سعى به فلم يتركها له السلطان ، فلم يرث له أحد من الناس فيما جرى عليه ، ولم ينطل على أحد منهم ، وقد تعصّبت الأمراء قاطبة لقاضى القضاة كمال الدين حتى أن بعض الأمراء لم يصلّ بالقلعة فى مدّة ولاية ابن النقيب ولم ينطل على أحد منهم ، فلما كان يوم الجمعة المذكور طلب السلطان قاضى القضاة كمال الدين وهو بالمليدان فأخلع عليه هناك ، وشق من القاهرة فى موكب حافل ، وزينت له الدكاكين بالشموع والأمتعة الفاخرة ولاقته المغانى والطبل والزممر وانطلقت له
١٥ النساء بالزغاريت من الطيقان ، واستمرّ فى هذا الموكب الحافل حتى وصل إلى الحانقاة البيروسية ، فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم طلع وخطب بالسلطان خطبة بليغة فى معنى عوده إلى القضاء ، وقرأ فى المحراب « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا » ، فلما انقضى أمر الصلاة أخلع عليه ثانياً وأشيع أنه قرّر فى مشيخة الحشائية والشريفية عوضاً عن بدر الدين المكيّنى ، وقد صار بيده مشيخة الحانقاة البيروسية ومشيخة الحشائية والشريفية مع قضاية القضاة وهذا لم (٦٤ أ)
٢١ يتفق لغيره من القضاة ، بل وقع لابن حجر والقبائلى أنهما جمعا بين قضاية القضاة وبين مشيخة الحانقاة البيروسية وهذا عزيز الوقوع جداً ، وقيل إن قاضى القضاة

(١٠) ولم ينطل على أحد منهم : جاءت فى الأصل بعد « وقد تعصبت الأمراء » .

كمال الدين سعى في قضاية القضاة ومشیخة الخشابة والشريفية بخمسة آلاف دينار ، وكانت مشیخة الخانقاة البيرسية بيده من قبل ذلك ، انتهى . - وفي يوم السبت ثامن عشره رسم السلطان للزینى بركات بن موسى بأن يتسلم جماعة كانوا ٣ في الترسیم بسبب ما قرّر عليهم من المال فترافقوا عن إيراد ذلك ، فرسم لابن موسى بأن يتسلمهم ويعاقبهم على استخراج الأموال ، فتسلم بهای الدين مباشر قانصوه خمسمائة وكان له نحو من ست سنين وهو في الترسیم ، وتسلم معین الدين ٦ ابن شمس الذى كان وكيل السلطان ، وتسلم علم الدين الذى كان يتحدث في الخزانة ، ومحمد بن فخر الدين كاتب المالیک ، وقاضى حتى من قضاة الشام ، فلما تسلمهم ابن موسى أقاموا عنده أياما ولم يردّوا شيئا من المال فشاور عليهم السلطان ، فرسم ٩ للوالى بأن يتسلم بهای الدين وابن شمس وعلم الدين وقاضى الشام وشفع في محمد بن فخر الدين كاتب المالیک ، فلما تسلمهم الوالى عاقب بهای الدين وابن شمس وعلم الدين أشدّ العقوبة وبعث بهم إلى المقشرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره ١٢ في موضعه . - وفي هذا (٦٤ ب) الشهر كثرت مصادرات السلطان للمباشرين حتى أنه صادر عرب اليسار الذين يسكنون تحت القلعة وقرّر عليهم مالا له صورة ، وقال لهم : إنتما عملتموا كيان تراب تحت القلعة من عفشكم ما يشتال ولا ١٥ بعشرة آلاف دينار ، وجعل ذلك حجة عليهم . - وفيه توفى تغرى بردى السيفى يونس الدوادار ، وكان أمير آخور ثالث وأحد الأمراء العشرات ، وكان لابأس به . - وفيه جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن الفرنج قد ملكوا مدينة طرابلس الغرب ، ١٨ وهذه المدينة من أجلّ مداین الغرب وهى مدينة عاصية ولولا أن الفرنج تحايّلوا على أخذها لما قدروا على ذلك ، وقد أحاطوا بها برّا وبحرا فوقع بين الفريقين واقعة عظيمة وقتل من المسلمين نحو من أربعين ألف إنسان ، وكانت هذه الحادثة ٢١ من معظم الحوادث المهولة ، وقد جاؤوها الفرنج من البحر في مائة مركب ، ومن المراكب طلّعوا إلى البرّ ووقع بينهما القتال حتى ملكوها ، فلما بلغ السلطان

- ذلك تنكذ إلى الغاية وكذلك الناس قاطبة . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أنفار من الفرنج دخلوا إلى مكة وهم في زى الأروام ، فلما قبض عليهم وجدهم بغير ختان فتحقق أنهم فرنج وأنهم دواسيس من (٦٥ آ) عند بعض ملوك الفرنج ، فقبض عليهم ووضعهم في الحديد وبعث بهم إلى السلطان . - وفيه جاءت الأخبار من عند نائب البيرة بأنه قبض على جماعة من عند إسماعيل الصوفي وعلى أيديهم كُتِب من عند الصوفي إلى بعض ملوك الفرنج بأن يكونوا معه عوناً على سلطان مصر ، وأنهم يجوا إلى مصر من البحر ويجي هو من البر ، فقبض نائب البيرة عليهم وبعث بهم إلى السلطان . - وفيه جاءت الأخبار بأن صاحب تلمسان من بلاد الغرب قد انتصر على الفرنج الذين كانوا قد أخذوا مدينة طرابلس الغرب وطردهم عنها ، وكانت النصرة للمسلمين عليهم ، فسر السلطان والناس قاطبة لهذا الخبر .
- ١٢ وفي جمادى الآخرة حضر الأمير طومان باى الدوادار ، وكان مسافراً إلى جهة الصعيد وصحبته خاير بيك كاشف الوجه الغربى أحد المقدّمين ، وكان طومان باى الدوادار له نحو من خمسة أشهر وهو مسافر في الصعيد ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان وعلى الأمير خاير بيك ونزلا في موكب حافل . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة خليل بيك بن رمضان أمير التركمان ، وكان رئيساً حشماً لا بأس به . - وفي يوم الأربعاء سادسه انتهى العمل من مكاحل سبكها السلطان ، فرسم بنقلها إلى نحو تربة العادل التى (٦٥ ب) بالريدانية ، فسحبوها على العجل وكانوا نحو من خمسة عشر مكحلة فقاموا في نقلها ما لا خير فيه ، وقتل في ذلك اليوم شخص من العتالين يقال له المقدّم خطاب وتعطّب منهم جماعة آخرون من التجّارين ، وكان يوماً مهولاً . - وفي يوم الأحد عاشره جاءت الأخبار من عند نائب طرابلس بأن الفرنج خرجوا على الأمير محمد بيك قريب السلطان الذى كان قد توجه إلى الجون بسبب إحضار الأخشاب ، فخرجوا عليه طائفة من الفرنج

(٧) يجوا : كذا في الأصل ، ويعنى « يجيئون » . وانظر أيضاً « يجى » في السطر التالى .

(١٢) جمادى الآخرة : جمادى الآخر .

بالقرب من ساحل قلعة لياس ، فحارب معهم الأمير محمد بنفسه وقد فرّ عنه من كان معه من العسكر ، فقتل ، وقتل من كان معه من الجند ، وأخذوا ما كان معه من المراكب المشحونة بالسلاح وآلة الحرب وكانت نحواً من ثمانية عشر مركباً ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وامتنع عن الأكل يومين ، وقد تزايد شرّ الفرنج في هذه السنة وكثر تعبتهم بالناس في البحر الرومى والبحر الهندى والأمر إلى الله تعالى ، وقد ارتج الأمر على السلطان في هذا الشهر من جهات ٦ عديدة واضطربت أحواله جداً ، فكان كما يقال في المعنى :

لا تَجْزَعَنَّ فبعد العُسْرِ تيسير (٦٦٦) وكلّ شيء له وقتٌ وتدبير وللمهيمن في أحوالنا نظرٌ وفوق تدبيرنا لله تدبير ٩

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره نزل السلطان إلى نحو تربة العادل التى بالريديلية وجربوا قدامه تلك المكاحل التى سبكها كما تقدم ، فلما أطلقوا فيهم البارود تفرقوا. أجمعين وبقي نحاسهم طائر مع الهوى ولم تصحّ منهم واحدة ، وكانوا ١٢ نحواً من خمس عشرة مكحلة ، فتزايد نكد السلطان في ذلك اليوم إلى الغاية ورجع إلى القلعة سريعاً ، وكان عول على أن يمدّ هناك أسمطة للأمراء وينشرح في ذلك اليوم فلم يتمّ ذلك . - وفيه أرسل السلطان بالقبض على الرهبان الذين بالقيامة ١٥ التى بالقدس ، وكذلك قبض على سائر الفرنج الذين بالإسكندرية ودمياط وغير ذلك من السواحل ، وهذا بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد وأخذوا مراكب السلطان . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أخلع السلطان على جان بردى ١٨ الغزالى ، وأقرّه في نيابة صفد على عادته وأضاف إليه نيابة الكرك أيضاً ، فخرج إليها من يومه وتوجّه نحوها ، وأخلع على قانصوه روح لو أحد الأمراء المقدّمين ورسم له بأن يتوجّه (٦٦ ب) إلى قطيا ويقيم بها دائماً خوفاً ٢١ من الفرنج أن لا يهجمون على من بالطينة ، وجعل قانصوه روح لو باشا على العسكر الذى بالقلعة التى أنشأها السلطان بالطينة ، وأنعم عليه بخراج قطيا ما دام

هناك وعين معه جماعة من الممالك السلطانية . — ومن العجائب أن قانصوه
روح لؤى الذى ولى نيابة قطية كان قبل ذلك نائب غزة ، فلما تسلطن العادل قرّره
٢ فى نيابة حلب وأرسل إليها مُتَسَلِّمَةً فلم يتمّ له ذلك ، ثم بقى مقدّم ألف ، ثم آل
أمره إلى أن بقى نائب قطية وهذه سفلى درجة إلى الغاية ، فعُدّ ذلك من النوادر
الغريبة ، انتهى . — وفيه أخلع السلطان على عمر من أولاد ابن عمر أمير عربان
٦ هواره وأقرّه على عادته فى أمرة هواره ، وأخلع على شخص من أولاد ابن رمضان
وأقرّه أميراً للتركان عوضاً عن خليل بيك المقدّم ذكر وفاته ، وأخلع على الشيخ
أبى بكر الجيوسى وقرّره فى مشيخة جبل نابلس . — وفيه قوى عزم السلطان على
٩ أن يتوجّه إلى ثغر الإسكندرية ليتفقّد الأبراج التى هناك خوفاً من طروق الإفرنج
لثغر الإسكندرية ، فنزل إلى الميدان وعرض ممالكه وفرّق عليهم عدّة خيول
وبغال وسلاح من سيوف وزرديات وغير ذلك ، وأخذ فى أسباب عمل يرقّ ثقل
١٢ وأشيع سفره بين الناس (٦٧ ت) حقيقة . — وفيه جاءت الأخبار بأن وقع
بإسطنبول زلزلة مهولة حتى أرمّت المآذن وأخربت عدّة أماكن وهلك بسببها
من الناس ما لا يحصى ، وهذه كرسى مملكة ابن عثمان ، وكانت حادثة عظيمة . —
١٥ وفيه ثارت رياح عاصفة وأمطرت السماء مطراً غزيراً وقام الرعد والبرق ، وكان
ذلك فى أواخر توت والنيل فى قوة الزيادة ، حتى عدّ ذلك من النوادر . — وفيه
قام الأتابكى قرقاس على السلطان ومنعه من السفر إلى ثغر الإسكندرية وقبل
١٨ له الأرض عدّة مرار ، وقال له أن الطرقات وحل من ماء النيل وسلوك البرّ
صعب فى هذه الأيام ، وكان يقصد السفر من البرّ فبطل ذلك . — وفيه ثبت النيل
المبارك على واحد وعشرين أصبعا من ثمانية عشر ذراعاً وانهمط فى أواخر توت
٢١ ولم يثبت ، وكان نيلا شحيحاً فشرّق غالب البلاد ولولا لطف الله تعالى لوقع
غلاء عظيم ، وكان عند جماعة الأقباط عادة أن فى ليلة عيد ميكايل صبححة نزول
النقطة يزنون الطينة وعدّوها على ستة عشر قيراطاً فهما زادت عن القيراط

(١٣) المآذن : المآذن .

يكون بقدرها أذرع في زيادة النيل ، فوزنوها في هذه السنة وجاءت قريب عشرين
 (٦٧ ب) قيراطا ففتاءلوا الناس بأن النيل يبلغ في هذه السنة عشرين ذراعا فلم
 يكن ذلك ، وهذه القاعدة قط ما أخرمت عند القبط سوى هذه السنة ، فعدّ ذلك ٣
 من النوادر ، وكذلك البئر التي في منبيل أبي شعرة بنواحي البهنسا قيل أن في ليلة
 الخامس والعشرين من بشنس يطفّ ماء تلك البئر في الليل ، فمهما تغطى من الدرج
 التي في تلك البئر يكون فالأ للنيل ، فطفّ ماؤها وغطى نحوًا من عشرين درجة ٦
 من درج البئر ، ففتاءلوا الناس بأن النيل يبلغ في هذه السنة نحوًا من عشرين ذراعا
 فلم يكن ذلك وأخرمت هذه القاعدة أيضاً ، وقيل أن امرأة صالحة رأت في المنام
 أن ملكين نزلا من السماء وتوجّها إلى البحر فرفسه أحدهما برجله فانهبط سريعا ، ٩
 ثم قال أحدهما إلى الآخر : إن الله تعالى كان أمر النيل أن يزيد إلى عشرين ذراعا
 فلما تزايد الظلم بمصر أذن له بالهبوط وهو في ثمانية عشر ذراعا ، فلما انتهت من
 المنام انهبط النيل في تلك الليلة دفعة واحدة ، انتهى ذلك . - وفيه توفى خانم ١٢
 الإبراهيمي أحد الأمراء الطبلخانات وكان مسرفا على نفسه ، مات قتيلا وقد
 وقع من مكان عال وهو سكران (٦٨ آ) فمات لوقته . - وفيه رسم
 السلطان بشنق شخص من العربان المفسدين يقال له عمر بن موسى النفعى من ١٥
 عربان ثعلبة ، وكان من شجعان العرب . - وفيه نزل السلطان إلى عند قبّة
 الهوى التي تحت القلعة وجربوا قدّامه مكاحل ، وأقام هناك إلى بعد العصر
 ثم طلع إلى القلعة . ١٨

وفي رجب خرج الأتابكي قرقاس وتوجّه إلى ثغر الإسكندرية وصحبته
 الأمير علان الدوادار الثاني ، وكان سبب ذلك أن السلطان لما قصد أن يسافر إلى
 الإسكندرية ليكشف على الأبراج التي هناك ويصلح ما فسد منها فقال له الأتابكي ٢١
 قرقاس أنا أسافر وأكشف عن ذلك عوضا عن السلطان ، فسافر بسبب ذلك . -
 وفيه توفى بهاي الدين مباشر قانصوه خسمائة ، مات وهو بالمقشرة وقامى شدائد
 ومحنًا ، وأقام في الرسم نحوًا من ست سنين ، وآخر الأمر سلّمه السلطان للوالى ٢٤

فعاقيه إلى أن مات . - وفيه توفي الصارمى إبراهيم بن الأمير برد بيك صهر
الملك الأشرف أبنال ، وكان لا بأس به . - وفيه طلع إلى السلطان شخص من
٣ أبناء الناس يقال له يونس بن سودون الفقيه ، وكان ساكنا بالقرب من زقاق حلب
على بركة الفيل ، فأنشأ عنده جنيئة وزرع فيها (٦٨ ب) شجرة جوز شامى
فتنتجت وطلع فيها الجوز بعد ثلاثين سنة حتى طرحت ، فجمع من ذلك الجوز ستين
٦ جوزة وطلع بها إلى السلطان فابتهج بها ولم يصدق بأن هذا الجوز يطرح بمصر ،
فكشف عن حقيقة ذلك حتى ظهر له مصداق ذلك ، فأنعم على يونس المذكور
بعشرة دنانير وبالغ فى إكرامه . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة رهبان
٩ القيامة التى بالقدس ، وكان السلطان أرسل خلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير
محمد بيك قريب السلطان ونهبوا ما فى المراكب التى جهزها السلطان صحبته ، فلما
وقفوا بين يدى السلطان وبّخهم بالكلام على لسان تغرى بردى الترجمان ، وقال
١٢ لهم : كاتبوا ملوك الفرنج بأن يردّوا ما أخذوه الفرنج من المراكب والسلاح وإن
لم يردّوا ذلك هدمت القيامة وأشقى الرهبان ، فقلّستهم ناظر الخاص على ما يحرّر
من أمرهم ، وكانوا نحواً من عشرين راهبا ، وفى عقيب ذلك قبض نائب الإسكندرية
١٥ على جماعة من تجّار الفرنج الذين كانوا بثغر الإسكندرية وبعث بهم إلى السلطان ،
وكانوا نحواً من خمسين إنسانا . - وفيه توفي القاضى تقى الدين محمد بن بدر الدين
محمد الزجاجى أحد نواب الحنفية ، وكان فاضلا رئيسا (٦٩ آ) حشما ، وكان
١٨ لا بأس به . - وفيه أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الأسواق وحصل
للناس وقوف حال بسبب ذلك وتعطلت الأسباب عن البيع والشراء ، واستمرت
تخطر ثلاثة أيام متوالية حتى انخسف غالب القبور التى بالصحراء ، وكان ذلك
٢١ فى أوائل هاتور . - وفيه توفيت زوجة الأتابكى قائم التاجر ، وكانت جركسية ،
وكانت فى سعة من المال ، فاحتاط السلطان على موجودها قاطبة . - وفيه أخلع
السلطان على مهتاره محمد مهتار الطشتخاناه وأعادته على ما كان عليه ، وكان تغيّر

خاطره عليه وصادره كما تقدم ذكر ذلك ، فشفع فيه الأمير طومان باى الدوادار وباس رجل السلطان بسبب ذلك حتى رضى عليه . وفيه عيّن السلطان الأمير أقبای الطويل أمير آخور ثانی بأن يتوجه إلى القدس ويحتاط على مال الفرنج الذى فى القيامة ، فخرج وسافر من يومه . - وفيه حضر يونس العادلى وكان السلطان أرسله إلى بلاد بن عثمان ليشتري له أخشابا وحديدا وبارودا ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك ردّ المال الذى كان مع يونس العادلى وقال : أنا أجهّز من عندى ٦ زردخاناه للسلطان ، فحضرت فيما بعد . - وفيه أخاع السلطان على أقبای كاشف الشرقية (٦٩ ب) وأعادته إلى كشف الشرقية عوضا عن كرتباى الذى كان بها ، وأخلع على يخبای قرا أخى الوالى وقرّره فى شادية الشون عوضا عن تانى بيلك ٩ الأبح بحكم صرفه عنها ، وأشرك معه فى الشادية شخصا من الأمراء العشرات يقال له خُشقدم . - وفيه حضر الأتابكى قرقاس والأمير علان الدوادار الثانى وكانا قد توجّها إلى ثغر الإسكندرية . بسبب الكشف على الأبراج التى هناك ، فأخلع ١٢ عليهما السلطان ونزلا من القلعة فى موكب حافل .

وفى شعبان قلع السلطان الياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك حادى عشر هاتور القبطى . - وفى ليلة الجمعة ثانى عشره كان دخول الأمير أنصبای حاجب الحجاب ١٥ على ابنة الأشرف قانصوه خسمائة ، فكانت له زفة حافلة مشى فيها الأتابكى قرقاس وبقية الأمراء المقدّمين وهم بالشاش والقماش وبأيديهم الشموع الموقدة ، وشقّ من الصليبية فى هذا الموكب الحافل حتى دخل إلى قاعة الفرج ببيت يشبك ١٨ الدوادار الذى بمحدره البقر . - وفى يوم الأربعاء تاسع عشره نزل السلطان وتوجه إلى نحو المطرية عند تربة العادل ، وكان المعلم حسن بن الصبيّاد المهندس خطّ له بالجيس فى الأرض صفة مدينة (٧٠ آ) ثغر الإسكندرية وعدد أبراجها وأبوابها ٢١ وهيئة صورها والمنار التى كان بها وقدر عرضها وطولها ، فنزل السلطان بسبب ذلك حتى تأملها وتفرّج عليها ثم عاد إلى القلعة من يومه . - وفى هذا الشهر

كثرت الأمراض بالناس وحدث لهم السعال وذات صدر حتى صاروا يتساقطون على بعضهم ، ولكن كان الغالب فيه السلامة . - وفيه توفي القاضي نور الدين على الدمياطي أحد نواب الخنفية ، وكان لا بأس به* ، وقاسى شدائد ومحن ، وصودر وأخذ منه مال له صورة .

وفي رمضان في يوم مستهله عرض الوزير الجمالى يوسف البلدى اللحم والخبز والسكر والدقيق والغنم ، فطلع بذلك وهو مزفوف على رؤوس الحمالين ، وكان السلطان في الميدان فأخلع عليه وعلى الزينى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة . - وفي يوم الأربعاء عاشره توفي القاضي إبراهيم بن البابا المعروف بالشرابيشى ناظر الذخيرة والمتحدث على أوقاف الزمامية ، وكان رئيساً حشماً ليس الجانب ، ومات وهو في عشر الثمانين وزيادة ، وكان لا بأس به ، فلما توفي أخلع السلطان على ولده الشمسى شمس الدين محمد وقرره في تلك الجهات كما كان (٧٠ ب) والده . - وفي يوم الجمعة تاسع عشره توفي القاضي كمال الدين محمد بن القاضي خير الدين الشنشى أحد نواب الخنفية ، وكان رئيساً حشماً لا بأس به . - وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشرينه كانت وفاة الأتابكى قرقاس من ولى الدين أتابيك العساكر بالديار المصرية ، فرجت لموته القاهرة وكانت جنازته مشهودة ومشى فيها القضاة الأربعة وسائر الأمراء من كبير وصغير وكذلك أعيان المباشرين ومشاهير الناس بحيث لم يتأخر منهم أحد ، وكانت جنازته حافلة وأخرجوا قدامه كفارة ما بين خبز وتمر وغنم ، فلما وصلوا به إلى مدرسة السلطان حسن نهبوا العوام تلك الكفارة عن آخرها ، ثم نثروا على نعشه الفضة في عدة أماكن ، وكثر عليه الحزن والبكاء من الناس فمات كان ليس الجانب وعنده تواضع ، فلما وصل إلى سبيل المؤمنى خرج السلطان من الميدان وهو راكب وأتى إلى سبيل المؤمنى فنزل عن فرسه ودخل المصلاة ، فلما وضعوا نعشه بين يديه قبلة وهو في النعش وبكى عليه بكاء كثيراً ، فلما صلوا عليه حمل نعشه ومشى به خطوات حتى أخذوه منه الأمراء وتوجهوا به وهم قدامه مشاة إلى تربته التى أنشأها بالصحراء بجوار

- تربة الأشرف أبنال ، فدُفِن بها داخل القبة رحمة الله عليه ، وقد رثيته وهو قولى :
- يا عين جُودى (٧١آ) بفيض دمع وأكثرى فى البكا انتحايك^١
- على قرقُماس قد رُزينا واستوحشت مصر للأتايك^٢
- وكان الأتابكى قرقاس أميراً جليلاً مبعجلاً معظماً ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى وأعتقه فهو من معانيقه ، وولى من الوظائف أمرة آخورية الثانية ثم بقى مقدّم ألف ثم بقى رأس نوبه النوب وقُرّر فى نيابة حلب فى دولة الأشرف^٦ جان بلاط ولم يتمّ ذلك ، ثم سُجن بقلعة الشام لما توجه مع الأمير طومان باى اللوادار فلما تسلطن هناك سجنه مع جملة من سجن من الأمراء بقلعة دمشق ، فلما تسلطن قانصوه الغورى أفرج عنه من سجن قلعة دمشق ، فلما حضر^٩ قرره فى أمرة السلاح ثم بقى أتابيك العساكر بمصر عوضاً عن قيت الرجبى لما نفى إلى ثغر الإسكندرية سنة عشر وتسعمائة ، فأقام فى الأتابكة ست سنين وشهرين إلا سبعة أيام ومات وهو فى عشر الستين وزيادة ، وكان مدة توعكه أربعة^{١٢} أيام ، وخلف أولاداً صغاراً ما بين ذكور وإناث عدتهم أربعة ، وظهر له من الموجود نحو من سبعين ألف دينار خارجاً عن بركه ، وأعتق جميع من عنده من مماليك وعبيد (٧١ ب) وجوار ، فلما مات استمرت الأتابكية بعده شاغرة لم يلبها أحد^{١٥} من الأمراء ، ورسم السلطان للزبى بركات بن موسى أن يتحدث فى جهات الأتابكية إلى أن يلبها من يختاره السلطان . - وفيه فى ثامن عشرينه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وحضر القضاة الأربعة ، ونصب السلطان خيمة كبيرة^{١٨} بالحوش وحضر بين القضاة فى ذلك اليوم ، وأخلع على من له عادة من الفقهاء وفرقت الصرر ، وكان ختماً حافلاً . - وفى تاسع عشرينه عرض ناظر الخاص خلع العيد على السلطان ، وطلع بها إلى القلعة وهى مزفوفة على رؤوس الحمّالين . -^{٢١} وفى ليالى العيد اشتدّ البرد وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى أوحلت منه الأسواق ، وجاءت الأخبار من الشرقية والمنوفية بأن قد وقع فى تلك الأيام برّد كل

واحدة قدر أحد عشر رطلا فقتلت عدة بهائم وتعطب منها أولاد الفلاحين ، وأفسدت بعض الزروع ، وكانت حادثة مهولة .

- ٣ وفي شوال في يوم سابعه حضر الأمير أقبای الطويل أمير آخور ثاني الذي كان قد توجه إلى القدس بسبب القيامة ، وأشيع بين الناس أنه احتاط على ما في القيامة من مال الفرنج ، وربّ (٧٢ آ) ما يحصل من هذه الحادثة مفسدة كبيرة [من] قبل الفرنج . - وفي يوم الخميس تاسعه حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي خاير بيك من ملبای نائب حلب ، وقد حضر ليرى وجه السلطان ويزوره ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان مُتَمَرّ وفوقه فوقاني بطرُز يلغاوى عريض مثل خلعة الأتابكية ، ونزل من القلعة في موكب حافل وتوجه إلى بيت الأمير قرقاس الجلب الذي بالتبانة فنزل به ، وقد عظّمه السلطان إلى الغاية وأوكب بالقصر ولبس الأمراء الشاش والقماش بسية . - وفي يوم السبت ثامن عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل قانصوه بن سلطان جركس ، وبالركب الأول نوروز تاجر الممالك أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان لهما بالقاهرة يوم مشهود . - وفيه تغير خاطر السلطان على جماعة من الزردكاشية فقبض على شخص يسمى أحمد بن قراكرز وعلى شخص يسمى محمود الأعور ، وغيب عبد الكريم بن اللاذني مستوفى الزردخاناه ، ورسم على عبد الباسط بن تقى الدين الناظر ، فسلمهم السلطان إلى الأمير مغلبای الشريفي الزردكاش ، ووضع أحمد بن قراكرز في الحديد ثم ضربه فيما بعد هو وابنه ، وقد (٧٢ ب) قرّر عليهم السلطان عشرة آلاف دينار ، وكان أحمد بن قراكرز هذا سبباً لمصادرة مغلبای الزردكاش وعبد الباسط الناظر وغرموا مالا له صورة وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان أحمد بن قراكرز ما أبقى ممكنا في مرافعة مغلبای الزردكاش وعبد الباسط الناظر ومباشري الزردخاناه ويحيى بن يونس أحد الزردكاشية ، وكان حظى عند السلطان بسبب المرافعة وداخله في أمور شتى ،

فما عن قريب حتى تغير خاطر السلطان عليه ورافعوه جماعة وأنحنوا جراحاته عند السلطان ، فغضب عليه وسلمه إلى الأمير مغلباي الزردكاش فظفر به واشتق منه ، فكان كما يقال في المعنى :

٣

قل للعَدُول يَرْعَوِي وَيَنْتَهِي عَنْ عَتَبِهِ
ولا يكون في الهوى يَشْمَتُ بِي أَشْمَتُ بِهِ

- وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصا من المماليك السلطانية يقال له ٦ شاهين ، وهو في سن الشيخوخة ، قصد الحج في هذه السنة ، فخرج هو وزوجته إلى بركة الحاج ، ثم عرض له حاجة في بيته فرجع تحت الليل ، فخرج عليه جماعة من العربان فقتلوه عند سبيل علان ، فحملوه وأتوا به إلى داره حتى غسلوه ٩ وكفنوه ودفنوه ، فرجعت زوجته من بركة الحاج ولم يقسم لها الحج في هذه السنة ، حتى عد ذلك من النوادر . - (٧٣ آ) وفيه طلعت إلى السلطان مقدمة حافلة من عند نائب حلب وهي أطباق فيها ذهب عين ومماليك جراكسة نحو من ثلاثة ١٢ وأربعين مملوكا ، ومن الخيول خمسين فرسا منهم فرس بسرج بلور وكنبوش ذهب وأنعاله من الذهب قيل أن مشراه ألف دينار ، وعدة حمالين عليها زرديات وصوف وصمغور ووشق وسنجاو وغير ذلك من الأصناف الفاخرة . - وفيه ١٥ نفق السلطان الجامكية على العسكر ، وجعل للمماليك الذين استجدهم طبقة جامكية خامسة في أواخر الجوامك تصرف لهم على انفرادهم . - وفيه غيب المعلم على الصغير ، وكان السلطان قرّر عليه مالا لم يقدر عليه فهرب ، وقرّر عوضه المعلم ١٨ خضر ، وقد تعطل اللحم في هذه الأيام إلى الغاية . - وفيه توعك جسد السلطان وأفصد واحتجب عن الناس ولم يخرج إلى صلاة الجمعة ، فكثّر القيل والقال بسبب ذلك ، واستمر منحجبا أياما فطلع إليه الخليفة المتوكل على الله وعاده ، ثم ٢١ طلع إليه القضاة الأربعة وعادوه ، ثم بعد أيام شفي وخرج إلى صلاة الجمعة وهو

راكب ، فخطب قاضى القضاة الشافعى خطبة بليغة مختصرة ، ثم انقضى أمر الصلاة وعاد السلطان إلى القبة (٧٣ ب) التى أنشأها الأشرف جان بلاط بجوار الدُهيشة فأقام بها . - وفيه توفى قاضى قضاة غزة شمس الدين محمد بن النحاس الشافعى ، وكان من خواص السلطان ، وكان لطيف الذات عشير الناس رئيسا حشما ، وكان لا بأس به . - وفيه وصلت عدّة مراكب من عند ابن عثمان ملك الروم فيها زرد خاناه للسلطان ، فوصلت إلى بولاق عند الرصيف وشرعوا يحوتلون ما فيها إلى القلعة ، فكان من جملة ذلك مكاحل مبيعات العدّة ثلاثمائة ، ونشأب ثلاثين ألف سهم ، وبارود مطيب أربعون قنطارا ، ومقاذيف خشب العدّة ألنى مقذاف ، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب ، فشكره السلطان على ذلك ، وكان السلطان أرسل مالا على يد يونس العادلى إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له بها أخشابا ونحاسا وحديدا ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك ردّ عليه المال وجهّز ما ذكرناه من عنده مقدمة للسلطان .

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن صاحب تلمسان تحارب مع الفرنج وقتل منهم نحوا من عشرين ألف إنسان ، واستخلص منهم ما كان قد استولوا عليه من جهات الأندلس وغيرها ، فسُرّوا الناس قاطبة (٧٤ آ) لهذا الخبر . - وفيه فى يوم الاثنين حادى عشره نزل السلطان إلى الميدان وعزم على خايربيك نائب حلب واجتمعوا الأمراء المقدّمون ، وساقوا قدّامهم فى ذلك اليوم الرماحة وهم لا بسون الأحمر وآلة السلاح كما يفعلون فى أيام دوران المحمل ، وكان معلّم الرماحة الأمير تمر الحسنى أحد المقدّمين المعروف بالزردكاش ومعه أربعة باشات ، فساقوا أحسن سوق ونزلوا عن خيولهم وباسوا الأرض للسلطان على جارى العادة ، فأخلع على المعلّم وأركبه فرس بسرج ذهب وكنبوش ، وأخلع على الأربعة باشات ، ثم أخلع فى ذلك اليوم على الأمراء المقدّمين كوامل الشتاء ، ثم

تحوّل ودخل إلى البحرة التي بالميدان ومدّ إلى نائب حلب هناك أسمطة حافلة . —
وفي ذلك اليوم رسم السلطان بشتق ثلاث جوار وغلام قد قتلوا سيّدتهم ، وهي
أم كسبای الذي كان دوا دارا ثانيا و قتل في معركة قانصوه خمسمائة كما تقدم ٣
ذكر ذلك ، فشنعوا على باب سيّدتهم في مكان قتلوها فيه . — وفيه نزل السلطان
من القلعة وصحبته الأمراء المقدّمون قاطبة وعليهم كوامل الشتاء التي ألبسها لهم
السلطان ، وصحبته أيضاً أعيان المباشرين ، فشقّ من الصليبية وتوجّه من على قناطر ٦
السباع (٧٤ ب) إلى الجزيرة الوسطى ، ثم أتى إلى بولاق ومرّ من على الرصيف
ووقف عند مدرسة ابن الزمن وزار سيّد سيّيدان الذي هناك مقبياً بالمدرسة ،
ثم عرّج من على جزيرة الفيل وأتى إلى شبرا ، واستمرّ على ذلك حتى وصل إلى ٩
قناطر أبي المنجا حتى كشف على الأخشاب التي أرسلها ابن عثمان وكانت هناك
في حاصل ، ثم رجع من على المنية وطلع من على قنطرة الحاجب ودخل من باب
الشعرية ، فزيّنوا له الخشابين وارتفعت له الأصوات بالدعاء وانطلقت له النساء ١٢
بالزغاريت من الطيقان ، ثم خرج من باب القنطرة وعرّج من بين الصوريين
وطلع من باب الخرق وشقّ من سوق تحت الربع ، ثم طلع من على البُسطين
واستمرّ على ذلك حتى طلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود ، ومن حين سلطنته ١٥
إلى ذلك اليوم لم يقع له موكب مثل ذلك . — وفي هذه السنة تعطّبت سائر الفواكه ، حتى
البطيخ والثوم والبصل وغير ذلك من الفواكه والخضّر ، حتى الرياحين والأزهار
والغلال وكانت غالب الأراضي مجدبة . — وفيه قبض السلطان على شرف الدين ١٨
الصغير كاتب الممالك وعلى شرف الدين النابلسي الأستاذار ، وقرّر (٢٧٥)
عليهما مالا له صورة ووضعهما في الحديد وسجنهما بالعرقانة ، واستمرّوا على ذلك
حتى يكون من أمرهما ما يكون . — وفي يوم السبت سادس عشره حضر قاصد ٢١
من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة للسلطان ، فلما ناوها له قبلها السلطان
ووضعها على عينيه ، ثم ناوها إلى كاتب السرّ فقرأها بحضرة السلطان والأمراء ،

(١٦ - ١٨) وفي هذه السنة ... الأراضي مجدبة : جاءت بعد قوله « وكانت هناك » في سطر ١٠ .

وكان ألفاظ هذه المكاتبه مرجزة ، صنعة البديع ، وقد نعت فيها السلطان نعتا عظيما ،
 وكان من مضمونها أنه أرسل للسلطان عدة مراكب فيها زردخاناه فما يدرى هل
 وصلت إلى السلطان أم لا ، وأخبر فيها أن الرئيس كمال المجاهد قد غرق ولا
 يعلم له خبر ، فأقام القاصد بمصر أياما قلائل وكتب له الجواب عن مكاتبته
 وأذن له بالسفر إلى بلاده . - وفي هذا الشهر أنعم السلطان على الأمير خاير بيك
 الخازن دار بتقدمة ألف ، وصار من جملة الأمراء المقدمين . - وفيه توفي
 شمس الدين محمد الصالحى وكيل الشرع الشريف ، وكان علامة فى صنعة التوكيل
 عارفا بأمور الشرع ، وكان لا بأس به . - ومن النوادر اللطيفة ما وقع فى هذا
 الشهر وهو أن السلطان رسم بشيل الدكة التى (٧٥ ب) كانت بالحوش يجلس
 فوقها السلاطين للمحاكمات ، وقد جلس فوق هذه الدكة جماعة كثيرة من
 الملوك ونفذوا عليها الأحكام السلطانية وكانت عوضا عن كرسى المملكة ، فعز
 على الناس تغييرها ولم يتفألوا بذلك ، ثم إنه بنى مكان هذه الدكة مصطبة
 بالحجر الفصّ وزخرفها بالرخام السماقى والزرزورى والمرسنى وغير ذلك من
 أصناف الرخام الملون الفاخر ، ونقش بروزها وألبسها بالذهب وجعل لها إفريزا
 من الرخام الأبيض وله رمانتان رخام أبيض ، وكسى هذا الإفريز بالذهب ونقش
 عليه اسمه ، وصنع فوق هذه المصطبة وزرة من الرخام الملون طولها أربعة أذرع ،
 فجاءت هذه المصطبة غاية فى الحسن بحيث لم يعمل مثلها قط ولا سبقه أحد من
 الملوك إلى ذلك ، وقد قلت فى هذه الواقعة هذه الأبيات وهو قولى :

قد جدّد الأشرفُ سلطاننا	مصطبة أوصافُها تحمكه
رخامُها شبّهت ألوانه	جواهر فى عقد مشبكه
ألبسها الحُسْن لباس البها	حتى غدت تزهو على الدكة
يجلس للموكب من فوقها	يُظهر فى أحكامه فتكه
فاق ملوك الترك فيما مضى	ولم يضاه ملوكهم (٧٦ آ) ملكه

بخدمة البيت وما حوله وفارس اليبداء في العركة
 قد خصّه الرحمن بالملك في مصر ومن عاداه في هلكه
 أيده الله بطول البقا ما طافت الحجاج في مكة ٣
 وقولي أيضا :

بني الأشرف الغوري في الحوش بسطة ليغني بها عن دكة الحكم بالأمس
 فجاءت من الآيات كرسى ملكه وطلعت فافت على البدر والشمس ٦
 فحصنته لما استوى يجلسه عليها برب الناس مع آية الكرسي
 انتهى ذلك . - وفيه جاء إلى السلطان شخص شريف وأخبره أنه وجد معدن
 البارود في بلد خراب بالقرب من الكرك ، وتراها كله من ذلك البارود ، فطبخوه ٩
 فوجدوه بارودا جيّدا ، ففرح السلطان بذلك وأنعم على ذلك الرجل الذي أحضره
 بعشرة دنانير وأرسل يحضر منه أشياء كثيرة ، وقبل ذلك بمدة ظهر معدن
 الرخام السماقي والزرزوري في جبل بالقرب من البدرشين ، فأرسل السلطان وقطع ١٢
 منه فوجده رخاما جيّدا ففرح بذلك وعُدّ من النوادر . - ومن الوقائع أن
 الأمير أركماس الذي كان نائب الشام طلع إلى السلطان بقطعة فولاذ هيئة الكرة
 وزعم أنها صاعقة نزلت ببعض الجبال وأن أعرابيا أهداها إليه ، ففرح السلطان ١٥
 بذلك (٧٦ ب) وجمع السباكين فقالوا إنها صاعقة لا محالة ، فنظر إليها بعض
 الزردكاشية فأنكر ذلك وقال : هذه حجر مرقشينة وهو حجر صلب ، فلما سمع
 السلطان ذلك شقّ عليه ونزل إلى الميدان وجمع السباكين وحضر الأمير أركماس ، ١٨
 ووضعوا ذلك الحجر الذي [على] هيئة الفولاذ في النار ، فمجّرّدا ما وضعوه في النار
 صار مثل الخرنفش وتفتّت ، فحجل الأمير أركماس من ذلك وانتصف عليه ذلك
 الزردكاش ، وهو الجبالي يوسف أخو مؤلفه ، وعُدّ ذلك من النوادر . ومما حكى ٢١
 عن أمر الصاعقة الحقيقة أن سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقعت صاعقة عظيمة
 يجرّجّان ، فرجت لها الأرض وسقطت من هولها الحوامل ، فخرج الناس إلى

مكان سقطت فيه فوجدوها قد ساخت في الأرض على قدر قامة ، فنبشوا عليها
فوجدوها قد بقيت قطعة حديد قدر مائة وخمسين منا ، وهي أجزاء جاروشية صغار
٣ مستديرة قد التصق بعضها ببعض ، فسمع بذلك السلطان محمود بن سبكتكين صاحب
خراسان ، وهو أول من تلقب بالسلطان ، فكتب إلى عامل جرجان بنقل هذه
القطعة الحديد فتعذر عليهم نقلها ، فحاولوا كسر قطعة منها (٢٧٧ آ) فلم تعمل فيها
٦ الآلات ، فعولج كسر قطعة منها بعد جهد كبير فحُملت إليه ، فرام أن يصنع
منها سيفاً له فتعذر عليه ذلك ولم يتم له ما أراد ، انتهى ذلك : - وفي يوم السبت
ثالث عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعرضوا عليه قناصة الفرنج ، منهم القنصل
٩ الذي بغير الإسكندرية ، والقنصل الذي بدمشق ، والقنصل الذي بطرابلس ،
فلما وقفوا بين يديه وبّخهم بالكلام ووعدهم بالشنق ، وسبب ذلك أن نائب البيرة
[قبض] على دوايس من عند إسماعيل الصوفي وعلى أيديهم مكاتبات إلى القناصل
١٢ بأن يكتبوا ملوك الفرنج بأن يأتوا في مراكب من البحر ، وأن يزحف هو ومن
معه من العساكر من البرّ على سلطان مصر وعلى ابن عثمان ملك الروم ، فأنكشف
رخصهم وافتضحوا في هذه الواقعة ، فرسم السلطان بتسليمهم إلى ناظر الخاص
١٥ ليقرّره عن حقيقة ذلك وإن لم يقرّوا يسلمهم إلى الوالي ، فانفضوا على
ذلك . - وفي ذلك اليوم عرض السلطان الدنوشري مباشر الأتابكي قرقاس
وقد غمز عليه بأن عنده مالا لأمر كبير ، فلما عرضه لم يقرّ بشيء فرسم بتسليمه
١٨ إلى نقيب الجيش فقبض عليه وعلى الخازن دار أيضا ، واستمرّوا في الرسم
لما تقتضيه الآراء الشريفة (٧٧ ب) في أمرهما . - وفي ذلك اليوم توفيت خوند
جان كلدي زوجة الملك الظاهر قانصوه المسجون بغير الإسكندرية ، فأخرجت
٢١ وعلى نعشها بشخانة زركش ، وكانت ذات عقل ودين لا بأس بها ، ولكن قاست

(١٥) ليقرّره : ليقدّم . (٢٠ - ٢١) فأخرجت ... زركش : جاءت بعد « وعمرت »

شدائد ومحن ، وعُصرت في أكعابها وأكتافها حتى أشرفت على الموت ، وسبب ذلك أن زوجها الظاهر قانصوه لما وثبوا عليه وانكسر نزل من القلعة واختفى أيّاماً فلم تَقْرَ بمكانه ، فعوقبت بسبب ذلك . - وفي أواخر هذا الشهر نفق السلطان ٣ الجامكية الخامسة التي استجدها بسبب الممالك الذين استجدهم ما بين تراكمة وأعجام وأولاد ناس وغير ذلك من الطوائف ، فجعل لهم جامكية خامسة تصرف لهم على انفرادهم دون جوامك العسكر ، وقد تزايد أمر هذه الممالك الأراذل ٦ الذين صار يستكثر منهم في الديوان ، ففهم من لا يعرف يجذب القوس ولا يمسك الرمح ، وهذا أمر عجيب ، يشحّ فيمن يستحقّ الجامكية ، ويعطيها لغير مستحقّها ، كما قيل :

إني أشحُّ بدرهم متصدّقاً وأجود في قدحٍ بما ملكت يدي

وفيه وصل إلى السلطان فيل صغير غير ذلك الفيل المقدم خبره لما وصل . -

١٢ وفيه توفي تاني بيك النجمي المعروف بالأبج الذي كان شاد الشون (٧٨٨) - وفي عقيب وصُرف عنها ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وكان لا بأس به . - وفي عقيب ذلك توفي أيضاً شخص من الأمراء العشرات يسمّى تماراز الشهابي .

١٥ وفي ذى الحجة كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فعمل السلطان الموكب بالشاش والقماش وجلس على المصطبة التي أنشأها بالحوش مكان الدكة ، وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان سبب هذا الموكب أن السلطان أخلع على خاير بيك نائب حلب

وأذن له بالسفر إلى محلّ ولايته بحلب على عادته ، وأخلع في ذلك اليوم على الأمير ١٨ طومان باي الدوادار وخرج إلى السفر نحو الشرقية والغربية ، وقد غيَّب لأجل أمر الأضحية ولعله يغيب في هذه السفرة نحواً من شهرين . - وفي ذلك اليوم طلع

٢١ الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان موكباً حافلاً ، ولا سيّما كان أول جلوس السلطان على هذه المصطبة فكان لها موقع عظيم . - وفيه أمطرت السماء مطراً غزيراً حتى أوحلت منه الأسواق والشوارع ، وكان ذلك ليلة الأحد ٢٤ ثانيه ، ولم يقع في هذه السنة من الأمطار أعظم من هذه المطرة . - وفيه عيّن

السلطان شادية الشراب خاناه إلى ولده الصغير ، عوضاً عن أخيه المقدم ذكر وفاته . - وفيه في يوم الثلاثاء رابعه فرّق السلطان (٧٨ ب) الأضحية على ٣ العسكر ومن له عادة . وفيه كانت الأضحية غالية ومشحونة بسبب تشويش الممالك على المتسببين ، وقد صاروا يخرجون إلى المطرية ويقطعون الطريق على ضيافات الأمراء حتى صارت الأمراء يرسلون مماليكهم يلاقون ضيافاتهم ، وقد خرجوا ٦ الممالك عن الحدّ في الأذى للناس في هذه السنة إلى الغاية ، وحصل منهم غاية الضرر والفساد في حقّ الناس ، والأمر لله . - وفيه في يوم الجمعة سابعه وقعت زلزلة خفيفة بعد العصر وارتجّت منها الأرض ، ولم يشعر بها من الناس إلا القليل . - ٩ وفيه كان موكب العيد حافلاً ، وجلس السلطان بالحوش على المصطبة التي أنشأها وضحّى بالإيوان الكبير على العادة . - وفيه في يوم عيد النحر وقعت حادثة مهولة ، وهو أن شخصاً من أبناء الأتراك صغير السنّ دخل إلى اسطبل أبيه فرفسه ١٢ بغل على قلبه فمات في ذلك اليوم ، فحصل على أهله من الإنكاد ما لا خير فيه بسبب فقد ولدهم ولا سيما في يوم العيد . - وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له أزدمر ، وهو أتى الأمير قاني باى قرا أمير آخور كبير ، وقرّره في نيابة عينتاب . - وفيه جلس السلطان على المصطبة التي أنشأها (٧٩ آ) مكان الدكة ونفق الجامكية على العسكر ، فقام له الأمراء المقدمون وقبلوا له الأرض وهتّوه يجلسه على تلك المصطبة حيث كملت ، ومن العسكر من لم ينطل ١٨ عليه ذلك وقال : الدكة كانت أعظم حرمة من هذه المصطبة . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن الصوفى قد انتصر على أزيبك خان ملك التتر وقتله وقطع رأسه ، فتنكّد السلطان لهذا الخبر وأقاموا عنده الأمراء إلى قريب الظهر وهم ٢١ في ضرب مشورة بسبب ذلك ، وكان أزيبك خان ضدّ الصوفى وكان مشغولاً بمحاربتة عن ابن عثمان وسلطان مصر ، فلما أشيع قتل أزيبك خان خشى السلطان من أمر الصوفى أن لا يزحف على البلاد .

وفى أواخر هذه السنة توفى الشيخ أبو النجاء القمنى ، وكان شاعراً لطيف
الذات عسير الناس ، وقد ناف عن السبعين . - وفيه توفى رضى الدين حسن بن
عبد القادر بن حسين المقرئ ، وكان لا بأس به . - وفي عقيب موت رضى الدين ٣
توفى أيضاً الناصرى محمد بن عبد العزيز المقرئ ، وكان علامة فى فن القراءات
حسن الصوت عارفاً بطريقة القراءات ، وكان لا بأس به . - وفيه نادى السلطان
بأن لا يمشى أحد من الناس من بعد العشاء فى الطرقات ومن وجدوه يمشى ٦
ومعه (٧٩ ب) سلاح يُشتق من غير معاودة ، فسكن الأمر قليلاً وكان قد فسدت
الأحوال فى تلك الأيام إلى الغاية . - انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ست
عشرة وتسعمائة ، وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير وسلامة . ٩

ثم دخلت سنة سبع عشرة وتسعمائة

ففى المحرم كان مستهل الشهر بالأحد : - ففى يوم الجمعة سادسه كانت وفاة
الأمير طرا باى الشرى رأس نوبة النوب وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباى ١٢
فهو من معاتيقه ، وولى من الوظائف السنوية الدوادارية الثانية ، ثم بقى رأس
نوبة النوب فى دولة الأشرف جان بلاط عوضاً عن قرقاس من ولى الدين الذى
ولى الأتابكية فيما بعد ، وكانت وفاة الأمير طرا باى فى ليلة الجمعة ودُفن صبيحة يوم ١٥
الجمعة ، وكانت جنازته مشهودة ، ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنى ،
وأخرجت قدّامه كفاً ونُهب من على بابه ، ودقت عليه زوجته بالطارات
فى العزاء ، وكانت مدة انقطاعه بهذا العارض نحو شهر ، وقد اعتراه ورم فى رجله ١٨
وركبته ، وكان له بمصر حرمة وافرة وكلمة نافذة وسطوة زائدة لم تقع لأحد من
الأمراء فى عصرنا غيره ، (٨٠ آ) فرجت لموته القاهرة وفرح بذلك
غالب الناس ، فإنه كان صارماً عسوفاً شديد البأس زائد القسوة ، وقع منه أشياء ٢١

(٨) أوردناه : أمرناه . (١٨-١٩) شهر . . . وركبته : جاءت قبل كلمة « فرجت »

كثيرة من أنواع المظالم بالدبار المصرية لم تقع من غيره من الأمراء فيما تقدم ، وحصل منه الضرر الشامل لجماعة كثيرة من الناس من مصادرات وأخذ بيوت

ورزق وحلّ أوقاف وغير ذلك من مفاسده ، وقد قلت فيه هذه الأبيات :

- ٣ بموت طُراباى أفرجَ الله كربةً عن الناس من خلقِ السموات والأرض
فهذا فتوحٌ عاد في مصر ثانياً وعَمَّتْ به الأقطار في الطول والعرض
٦ وقد كان جبّاراً عنيداً معانداً فكُم جار في الأحكام بالبرم والنقض
ويُسبّل حقّ الناس من كلّ واجب ويقضى خلاف الشرع في التّدبّ والفرض
ولما طغى ظلماً وزاد تجبراً فمَجَل عزرائيل للروح بالقبض
٩ وأسكنه ضيق اللحد معدّياً وأخلى المنازل منه في طرفة الغمض
وقد جاء يسعى للجحيم برجله وأجزم بعد الرفع بالنصب والخفض
ومذ شاع بين الناس أخبار موته فصار يُهنى بعض من سرّ للبعض
١٢ فإِربّ قابله بما يستحقّه وأودعهُ في الأغلال للبعث والعرض

(٨٠ ب) وكان الأمير طُراباى من مبتدأ أمره وهوى عزّ وشهامة لم يُنكَب

ولم يُنفِ قط ، واستمرّ في سَعده إلى أن مات ، ومات وهوى عشر السبعين ، فلما كان

١٥ يوم السبت صبيحة موته عُرِض على السلطان مماليكه فوزّعهم في الطباق ، وأشيع

بين الناس بأن ظهر له من الموجود ما لا ينحصر من أموال وخيول وجمال

وسلاح وبرك وغير ذلك ، فكان موجوده أعظم من موجود الأتابكي قرقاس

١٨ بأشياء كثيرة ، وكان بين موت الأتابكي قرقاس وبين موت الأمير طُراباى ثلاثة

أشهر واثنى عشر يوماً ، حتى عُدّ ذلك من جملة سعد السلطان قانصوه الغورى

الذى ورث هذين الأميرين في هذه المدّة اليسيرة واحتاط على موجودهما من

٢١ صامت وناطق . - وفى يوم الاثنين تاسعه حضر الطواشى بشير الذى كان توجه

إلى بلاد اليمن قاصداً إلى بعض ملوكها ، فلما حضر أخلع عليه السلطان خلعة

سنية ونزل إلى داره ، ثم بعد أيام أهدى إلى السلطان هدية حافلة . - وفى يوم

الأربعاء حادى عشره قبض السلطان على تغرى بردى الترجمان ووضعوه فى الحديد
 ووكل به ، وأرسل خنم على بيته واحتاط على موجوده ورسم على عياله ، وسبب
 ذلك قد بلغ (٢٨١) السلطان أن تغرى بردى كاتب ملوك الفرنج بأحوال
 مملكة مصر ، وأن السلطان ليس له همة إلى إرسال تجريدة ، وأن السواحل خالية
 ليس بها مانع ، [وقد] أحضروا إلى السلطان مكاتبات بخط تغرى بردى بمعنى ذلك ،
 فأحضر السلطان تغرى بردى وأوقفه على تلك المطالعات فأنكر ذلك ، فغضب عليه
 وشكته فى الحديد ووكل به وأحضر خيوله وقاشه ، واستمر فى الرسم إلى الآن . -
 وفى يوم الاثنين سادس عشره أخلع السلطان على شخص من الخاصكية يسمى
 طومان باى ، وهو خازن دار كيس ، ورسم له بأن يتوجه إلى الشام ليصلح بين سيباي
 نائب الشام وبين جان بردى الغزالي نائب صفد ، وكان قد بلغ السلطان بأن
 قد حصل بينهما تشاجر مفروط حتى خرجا فيه عن الحد ، فرسم السلطان لطومان باى
 بأن يتوجه ويصلح بينهما ، ورسم له بخمسة آلاف دينار تسفيرا عليهما . - وفى
 يوم الثلاثاء سابع عشره توفيت الست زينب ابنة أمير المؤمنين المتوكل على الله
 أبى العز عبد العزيز ، وهى أخت أمير المؤمنين المستمسلك بالله يعقوب وعمته ولده
 المتوكل على الله محمد خليفة الوقت الآن ، وكانت (٨١ ب) لا بأس بها - وفى
 يوم الاثنين ثالث عشره حضر الأمير طومان باى الدوادار الكبير ، وكان مسافرا
 نحو الشرقية والغربية فأهلك الحرث والنسل وأفرد على سائر البلاد التى بالشرقية
 والغربية الأموال الجزيلة ، حتى أفرد على بلاد الأوقاف التى على الجوامع والمدارس ،
 فضج من ذلك المقطعين ، وما حصل على الناس بنزوله إلى البلاد خيرا . - وفى
 يوم الخميس سادس عشره دخل الحاج إلى القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل
 قانصوه بن سلطان جركس ، وبالركب الأول نوروز تاجر الممالك ، وقد قاست
 الحجاج فى هذه السنة مشقة زائدة من الوحى وموت الجمال ، وقد ضُبط من مات

من الحجاج في هذه السنة فكان جملة ذلك ألف وثمانمائة إنسان ، وكانت سنة
 شديدة صعبة على الحجاج والذين سلموا ردّوا ضعاف ، حتى قانصوه أمير ركب
 ٢ المحمل ردّ وهو عليل . - وفيه نادى السلطان بأن أصحاب الأملاك التي على
 الخلدجان يقطعون أراضي الخلدجان قدر ثلاثة أذرع ونصف ، فامثلوا ذلك ،
 ولكن حصل للناس غاية الضرر من الغرامة والبهدة من جماعة حاجب الحجاب
 بسبب شيل التراب ، وكان السلطان نادى بأن الذي يعجز عن القطع يكون بيته
 للسلطان ، فقامت (٢٨٢) أصحاب الأملاك التي بالجزيرة الوسطى ما لا خير فيه
 بسبب ذلك . - وفيه جاءت الأخبار بحجة الحجاج بوفاة هيجار أمير الينج الذي
 ٩ كان السلطان ولّاه أمرة الينج عوضا عن يحيى بن صبيح ، وحضر جماعة من
 أقاربه يسعون في أمرة الينج ، فتمّ الأمر « مبنى على السكون » . - وفي يوم الجمعة
 سابع عشر توفى شاهين معلم الدبّوس ، وكان أحد الأمراء العشرات ، وكان
 ١٢ علامة في فنّ الدبّوس . - وفيه توفى معين الدين بن شمس الذي كان وكيل
 بيت المال ونائب كاتب السرّ ، مات بالمقشرة وقد قاسى شدائد وعنا ، وضرب
 بالمقارع غير ما مرّة وعُصّر في أكعابه وأخذ منه جملة مال ، وكان غير مشكور فما
 ١٥ رثى له أحد من الناس فيما جرى عليه . - وفي يوم الاثنين سلخ المهرم حضر إلى
 الأبواب الشريفة الأمير يوسف الناصري الذي كان نائب حماة وعُزل عنها ،
 فنقل السلطان نائب طرابلس إلى حماة عوضا عن يوسف الناصري ، وقُرّر في نيابة
 ١٨ طرابلس أبرك مملوك السلطان الذي كان نائب قلعة حلب ، وقُرّر في نيابة قلعة
 حلب شخص من ممالك السلطان ، ولما حضر يوسف الناصري أخلع عليه
 السلطان ونزل إلى داره واستمرّ طرخانا .

٢١ وفي صفر صعد الخليفة (٨٢ ب) إلى القلعة لينهى بالشهر ، وكذلك القضاة
 الأربعة ، فحصل في ذلك اليوم للقاضي شمس الدين الحلبي غاية المقت من
 السلطان وكاد يبطشه ، وسبب ذلك أنه حكم في بعض الوقائع بما اعترض عليه في ذلك

- فتغير خاطر السلطان عليه ولم يقبل له في ذلك عنرا ، وحطّ على قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل بسببه ، وكان مجلسا مهولا . - وفي يوم الخميس ثالثه نزل السلطان وشقّ من الصليبية وتوجّه إلى المنشية فكشف عن مراكب عمرها ٣ هناك ، ثم توجّه إلى الجزيرة الوسطى وكشف عن قطع الخليج ، ودخل من تحت قنطرة قُديدار ، وشقّ من بطن الخليج وكشف على القطع واستحثّ الناس على ذلك ، فبينما هو شاقق من بطن الخليج كبا به الفرس في جورة من القطع التي ٦ هناك ، فلم يتأثر إلى ذلك واستمرّ شاققا من بطن الخليج حتى وصل إلى قناطر الأوز ، فطلع من هناك وشقّ من الحسينية ثم دخل من باب النصر أو باب الفتوح وشقّ من القاهرة على حين غفلة ، فوُقدت له الشموع على الدكاكين ، ٩ وانطلقت له الرغاريت من النساء في الطبقان ، ثم ارتفعت له الأصوات بالدعاء من العوام ، وكان له موكب حافل وقُدّامه جماعة (٨٣ آ) من الأمراء والمباشرين ، ولكن شقّ من القاهرة وهو لا لبس تخفيفه صغيرة مُمْتَلِئَة ، وسبب ذلك كان قد طلع له ١٢ دُمْل في رأسه فلم يستطع لبس التخفيف الكبيرة التي بالقرون الطوال ، واستمرّ في هذا الموكب حتى خرج من باب زويلة وقد زُيّنَت له ، ثم طلع من البسطين وشقّ من على بيت الظاهر تمر بغا وطلع من هناك إلى الرملة ودخل الميدان ، ولم ١٥ يشقّ من القاهرة منذ تسلطن سوى في ذلك اليوم فقط ، ومما أحدثه عند دخوله من القاهرة في ذلك اليوم أنه أمر المشاعلية تنادى قُدّامه بالأمان والاطمان والبيع والشراء ، وأن أحدا لا يشوّش على أحد ، وكان ذلك غاية الخفة منه وترك هذا ١٨ كان أوجب . - وفي يوم الثلاثاء ثامن نزل السلطان من القلعة أيضا وسير من على ساحل البحر حتى وصل إلى البهْطَلَة ، فقُدّمت له الحراقة التي يُكسر فيها السدّ ، فنزل بها وعدّى إلى المقياس ، فطلع من السلم التي تجاه برّ الجزيرة ، وتمشّى ودخل ٢١ إلى المقياس ونزل إلى الفسقية التي يقاس بها النيل فتوضّأ منها وطلع وصلى هناك ركعتين ، ثم تحوّل ودخل إلى قاعة المقياس (٨٣ ب) فدّ له هناك علاي الدين ناظر الخالص وبركات بن موسى المحتسب أسمطة حافلة ولم يبقوا في ذلك ممكنا ، ٢٤

وكان مع السلطان من الأمراء المقدمين الأمير طومان باي الدوادار الكبير
والأمير خاير بيك كاشف الغربة أحد المقدمين والأمير خاير بيك الخازندار
أحد المقدمين ، وجماعة من الأمراء العشرات ، والجم الغفير من الخصاصكية ،
وكان معه من المباشرين القاضي عبد القادر القصري ناظر الجيش وعلاي الدين
ناظر الخصاص والشهابي أحمد بن الجيعان نائب كاتب السر وغير ذلك من الأعيان ،
فلما فرغ من الأكل أمر بإصلاح ما فسد من عمارة المقياس وأمر ببناء جامع
بجوار المقياس تجاه دار النجاس فأخذوا في أسباب ذلك ، ثم نزل في الحراقة
ونُصِب له سحابة حرير أصفر ، وأحضرت حوله مراكب كثيرة برسم العسكر ،
وفيهم غراب قد زُيّن بالصناجق والشطفات ، ثم شق من على برّ الروضة فانطلقت
له النساء بالزغاريت ، واستمر على ذلك حتى طلع من عند قصر ابن العيني الذي
بالمنشية ، ثم شق من بطن الخليج ، وطلع من الناصرية من على بيت قانصوه خمسمائة ،
وطلع من على قناطر السباع ، (٨٤ آ) وشق من انصليبة وقدّامه المشاعلية
تنادى بالأمان والاطمان كما فعل لما شق من القاهرة . - وفي يوم الخميس عاشره
عمل السلطان الموكب بالقصر الكبير وأمر الأمراء والعسكر بلبس الشاش والقماش ،
فلما تكامل الموكب أخلع على المقرّ السيفي دولات باي من أركماس المعروف بالساق
أمير سلاح فقرّره أتابيك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأتابكي قرقاس
من ولي الدين بحكم وفاته ، وكانت الأتابكية شاغرة نحو أربعة أشهر ونصف
شهر من حين توفي الأتابكي قرقاس في ثالث عشرين شهر رمضان سنة ست عشرة
وتسعمائة ، وأخلع في ذلك اليوم على المقرّ السيفي سودون العجمي وقرّره في
أمرة السلاح عوضا عن دولات باي بحكم انتقاله إلى الأتابكية ، وأخلع على المقرّ
السيفي أركماس من طراباي ، وهو الذي ولي نيابة الشام قبل ذلك ، فقرّره في
أمرة مجلس عوضا عن سودون العجمي بحكم انتقاله إلى أمره السلاح ، وأخلع

(٧) دار النجاس : كذا في الأصل ، ولعله يقصد : دير النحاس . (٨) سحابة : سحابة

وأحضرت : وأحضرت .

على المقر السني سودون الدوادارى الذى كان نائب طرابلس وقرره رأس نوبة
 الثوب عوضا عن طراباى الشريفى بحكم وفاته ، فلبسوا هؤلاء الأربعة أمراء هذه
 (٨٤ ب) الوظائف السنية فى يوم واحد ، وكان لهم يوم مشهود وموكب ٢
 حافل . - وفى ذلك اليوم توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له ييسق
 اليوسنى ، وأصله من ممالك الأشرف أينال فيما يقال ، وكان لا بأس به . - وفى
 يوم الجمعة قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك سابع بشنس القبطى . - ٦
 وفى يوم الجمعة حادى عشره كانت ليلة سيدى إسماعيل الإنباى ببولاق ، وكانت
 من الليالى المشهودة فى القصف والفرجة وخرج الناس فيها عن الحدة ، وضربت
 نحو من خمسمائة خيمة فى الجزيرة التى طلعت تجاه بولاق ، وصنعوا هناك سوقا ٩
 بدكاكين مبنية ونقلوا إليه من سائر البضائع الفاخرة ، وكانت ليلة هادئة من الفتن
 والشرور . - وفى يوم السبت ثانى عشره ابتدأ السلطان بضرب الكرة فى الميدان
 واجتمع سائر الأمراء المقدمين وهم بالشاش والقماش ، والأوزان عمال والمغانى ١٢
 على جارى العادة . - وفى يوم الأحد ثالث عشره جاءت الأخبار من الغربية بقتل
 شيخ العرب عيسى بن يوسف المعروف بابن جميل ، وكان من أعيان مشايخ
 الغربية وكان فى سعة من المال ، فقتلوه أشر قتلة وقتلوا ولده معه وجماعة من ١٥
 حاشيته ونهبوا أمواله وأغنامه ، ولم تنتطح فى ذلك شاتان ، (٨٥ أ) وكان فى
 تلك الأيام الفتن قائمة بالشرقية والغربية وإقليم الصعيد ، والامر لله . - وفى يوم
 الاثنين رابع عشره أخلع السلطان على شخص يقال له أجود بن مستقار وهو ١٨
 ابن عم هيجار فقرره فى أمرة الينج عوضا عن هيجار بحكم وفاته ، وقد سعى
 يحيى بن سيج بأن يعاد إلى أمرة الينج كما كان فلم يوافق السلطان على ذلك . -
 وفى يوم الأربعاء سادس عشره جاءت الأخبار من الغربية بأن الجوينلى قبض على ٢١
 جماعة من العربان الذين قتلوا عيسى بن جميل ، فحاشهم فى مكان مضيق وأرسل
 يُعلم السلطان بذلك ، فرسم السلطان للأمير طومان باى الدوادار بأن يخرج من

- يومه على جرائد الخيل ويتوجه إلى الغربية ، فخرج تحت الليل وصحبته خاير بك
الكاشف أحد المقدمين وآخرين من الأمراء والعسكر . - وفي يوم الخميس
٣ سادس عشره نفق السلطان الجاهلية على العسكر وشرع كل من أخذ جامكيته
يقول له : عبي يركك للسفر ، وأشيع بين الناس أنه يعين أربع تجاريد ، وانفض
الموكب على ذلك . - وفي هذا الشهر رسم السلطان بعمارة قنطرة الخروبي
٦ وعلاها مقدار ثلاثة أذرع ، وكذلك قناطر السباع ، فإن قد كان حصل لها تشعث
(٨٥ ب) وآل أمرها إلى السقوط . - وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه ضرب
السلطان الكرة بالميدان ، ففي ذلك اليوم تقطر من على القوس بهادر الغوري
٩ أحد الأمراء الطبلخانات وكان من خواص السلطان ، فلما تقطر أغمى عليه فزل
إلى داره وهو محمول على بغل وقد انقطع نخاعه ، فلما وصل إلى داره مات من
وقته ، وكان من المتكبرين وعنده الشم الزائد فعند موته من الغرائب ، فكان كما
١٢ يقال في المعنى :

- فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يُمسى ويصبح آمناً وقد نُسيجت أكتفاه وهو لا يدري
١٥ وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه نزل السلطان من القاعة وتوجه إلى نحو
طُرا ونصب له هناك وطاقا عظيما ، وكان معه بعض أمراء مقدمين ، فإن الأتابكي
دولات باي كان مريضا على خطّة ، وكذلك سودون العجمي أمير سلاح ، وكان
١٨ الأمير طومان باي الدوادار مسافرا نحو الغربية بسبب فساد العربان مما تقدم
ذكره من قتل عيسى بن جميل ، وكان سبب نزول السلطان إلى هناك قبل إنه
عرض المركب الكبير الغليون الذي عمره في بولاق عند الرصيف ، فلما كل
٢١ زيتونه (٨٦ آ) بالصناجق والطوارق والمكاحل وتوجهوا به إلى طُرا وعرضوه
على السلطان في البحر ، وأرموا قدّامه بالمدافع ذهابا وإيابا كما فعل قبل ذلك
لما عرض المراكب الأخرية ، وقد تقدم ذكر ذلك فدلّ هناك أممطة حافلة وابتهج

- في ذلك اليوم ، وكان يوما مشهودا ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، فلما رجع من طرا
رجع من البحر فأحضروا له الحراقة التي يكسر فيها السدّ فنزل بها ، ونزل الأمراء
والعسكر في عدّة مراكز ، واستمرّ حادرا في البحر حتى طلع من رأس الجزيرة ٣
الوسطى من تحت قصر ابن العيني ، ثم طلع من هناك إلى القلعة وشقّ من سوق
جامع ابن طولون ، وكان يوما بالسلطاني . - وفي يوم الجمعة خامس عشرينه كانت
وفاة الأتابكي دولاباى من أركماس المعروف بالساقى ، وكان أصله من مماليك ٦
الأشرف قايتباى ، وقد ساعدته الأيام حتى ولى عدّة وظائف سنّية منها نيابة حلب
ونيابة الشام ونيابة طرابلس ، ثم حضر إلى مصر وولى أمرة السلاح في دولة
الأشرف قانصوه الغورى وأقام بها مدّة طويلة ، ثم بقى أتابيك العساكر بالديار ٩
المصرية بعد وفاة الأتابكي قرقاس من ولى الدين ، فأقام في الأتابكية (٨٦ ب)
خمس عشرة يوما ومات ، فإنه ولى يوم الخميس عاشر صفر ومات ليلة الجمعة خامس
عشرينه ، فكانت مدّته في الأتابكية خمسة عشر يوما لا غير ، وقد قلت في معنى ذلك : ١٢
إنّ دولاباى لما أن رَقَا أمرة الكُبراء وَلَّى مُسرعا
جاء للمنصب يحكى زائرا ثم ما سلّم حتى ودعا
وكانت جنازته حافلة ونزل السلطان وصلى عليه ، ثم توجهوا به إلى تربة ١٥
العادل طومان باى فدُفِنَ بها فإنه كان قرابته ، وكان الأتابكي دولاباى أميراً
جليلا جميل الصورة مليح الهيئة طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية
أسود الشعر شاباً في عنفوان شبابه ، مات وله من العمر نحو من أربعين سنة ، ١٨
فكثّر عليه الأسف والحزن من الناس فإنه كان ليّن الجانب قليل الأذى لا يُنسب
إليه خير ولا شرّ ، وكان مشغولا بملاذّ نفسه ، وكان مدّة توعّكه خمسة أيّام حتى
أشيع بين الناس أنه [مات] مشغولا ، وكان موته فجأة ، وخلف من الأولاد صبيّين ، قيل ٢١
وبنات أيضا ، وظهر له من الموجود أشياء كثيرة ما بين مال وقماش وبرك وغير
ذلك مما لا ينحصر ، فكان بينه وبين موت الأمير طراباى دون الشهرين ، وقد توفى

في مدة يسيرة (٢٨٧) من الأمراء المقدّمين ثلاثة كانوا نوابغ الأمراء وهم :

الأتابكي قرقاس من وليّ الدين وطراباي رأس نوبة النوب والأتابكي دولاباي ،

هذا غير ما توفي من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، انتهى ذلك . - وفي يوم

السبت سادس عشرينه ظهر المعلم على الصغير أحد معاملي اللحم ، وكان له

مدة وهو محتفيا ، فقابل السلطان في ذلك اليوم وقيل أخلع عليه كامليّة

بصمور . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه حضر الأمير طومان باي اللودار ،

وكان توجه إلى نحو الغرية بسبب فساد العربان ، وقد خرج إليهم على جرائد

الخليل ثانيا ، فلما وصل إلى هناك هربت العرب من وجهه فتبعهم إلى قريب

السباح ، فلم يظفر بأحد منهم وقاسى من المشقة ما لا خير فيه ، فلما رجع وطلع

إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل إلى داره في موكب عظيم . -

وفي أثناء هذا الشهر وقع حريق مهول عند قنطرة الأمير حسين ، وكانت ليلة

١٢ شعت قام فيها ريح عاصف ، فاحترق تلك الليلة نحو من أربعين دارا ، وكان

ذلك وقت المغرب ، فلعبت النار في البيوت وأعجب الناس طفيها ، واستمرت على

ذلك أياما ، وذهب للناس جملة أموال وقاش (٨٧ ب) وبضائع وغير ذلك . -

١٥ وفي أواخر هذا الشهر تشحّط القمح وارتفع سعره إلى أشرفى كل أردب

بعد ما كان كل أردبين بأشرفى ، وسبب ذلك أن النيل كان في العام الماضي

خسيسا وشرق غالب البلاد ، ثم حدث أمر الفأر تسلّط على الجرون وصار

١٨ يقرض القمح والشعير وهو في سنبله ، وهذا الفأر أمرٌ من الله تعالى لا يقدر

أحد على رده ولا يطاق لكثرتة . - ووقع في هذا الشهر من الحوادث أشياء

كثيرة ، انتهى ذلك .

٢١ وفي ربيع الأول في يوم الاثنين سادسه أخلع السلطان على جاني بيك

دودار الأمير طراباي رأس نوبة النوب ، وقرّره في نظر الديوان الشريف

- المفرد لمشاركة الأمير طومان باي الدوادار الكبير في الأستاذارية ، وهذه مصادرة لجاني بيك في أخذ ماله بحسن عبارة وأقرب طريقة . - وفي يوم السبت حادي عشره عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا ، واجتمع به القضاة الأربعة ٣ والأمراء ، ولم يكن تقرر أحد في الأتابكية من بعد الأمير دولات باي إلى يوم تاريخه . - وفي ذلك اليوم توفي القاضي تاج الدين بن القاضي شمس الدين نصر الله المعروف (٢٨٨) بابن النجار ، وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت ، ٦ تولى والده القاضي شمس الدين الوزارة في دولة الأشرف أبنال سنة تسع وخمسين وثمانمائة فأقام بها مدة يسيرة وعُزل عنها ، ومات القاضي تاج الدين وهو في عشر السبعين ، وكان لا بأس به . - وفي يوم الثلاثاء رابع عشره جاءت ٨ الأخبار من بلاد الغرب بأن صاحب جربة انتصر على الفرنج . نصرة عظيمة ، وغنم منهم غنائم كثيرة ، وقتل منهم نحواً من سبعة آلاف إنسان ، وأسر منهم جماعة كثيرة ، ثم بعثوا للسلطان مكحلة نحاس كبيرة وأشياء كثيرة من أنواع ١٢ الهدية وشخصين من أسرى الفرنج وعليهم آلة السلاح ، فشكر لهم السلطان ذلك وسرّ به هذه النصرة التي وقعت لهم . - وفي يوم الأربعاء خامس عشره توفي الشهاب أحمد المحلاوي مؤذن السلطان ، وكان حسن الصوت مطبوعاً في فته ١٥ مقاتلاً على الدخول ، وكان لا بأس به ، ومات وقد ناف عن الأربعين سنة من العمر ، وقيل جاوز الخمسين ، ومما يُحكى عنه أنه كان عبيلاً لا يطقنه النساء ، وقد تزوج نحواً من مائة امرأة ، وقد قلت في ذلك مداعبة لطيفة : ١٨
- قالت نساء المهلي (٨٨ ب)
 'مؤذن لا يصلّي كأنما هو ديك'
- وفي يوم الجمعة سابع عشره في ليله توفي الرئيس شمس الدين محمد القوصوني ، ٢١ وكان علامة في فن الطب ، فريد عصره في ذلك ، وكان رئيساً حشماً في سعة من المال ، وكان لا بأس به . - وفي يوم السبت ثامن عشره دخل قاصد

(١٣) أسرى : أمراء . (١٩) . . . : ثلاث كلمات رأى الحق إمامها ، ويمكن الرجوع إليها في طبعة إستانبول .

إسماعيل شاه الصوفي فأنزلوه في بيت قاني باى سُلِّقَ الذى فى رأس الرملة عند سوق الجُلَّاق ، فاستقرّ هناك إلى أن يطلع إلى القلعة ويقابل السلطان ، وفى ذلك اليوم رسم السلطان للأمراء والعسكر بأن يخرجوا إلى المطرية ويلاقوا القاصد ففعلوا ذلك ، وخرج الجُلم الغفير من العسكر حتى ضاق بهم رجب الفضاء ، ولكن وقع من السلطان فى ذلك اليوم غابة الخفّة وهو أنه نزل وسبّر إلى نحو المطرية فوقف عند تربة الملك العادل طومان باى ليرى القاصد والعسكر عن بُعد ، فانهقد هناك الغبار فلم يتمكن السلطان من رؤية القاصد والعسكر فرجع إلى القلعة ، فعَدّ هذا من النوادر الغريبة ، فلما طلع إلى القلعة دخل إلى القصر الكبير ليرى القاصد من الرملة وهو داخل إلى بيت قاني باى سُلِّقَ ، وكان ذلك غابة الخفّة من السلطان .

وفى يوم الاثنين (٢٨٩) عشرينه عمل السلطان الموكب بالحوش بغير شاش ولا قاش ، وجلس على المصطبة الجديدة التى أنشأها بالحوش ونصب على رأسه السحابة الزركش ، ورسم بتزيين باب الزردخاناه فزيّنه بالصناجق السلطانية والشطافات وآلة السلاح من بركستوانات وزرديات وأطبار وسيوف وغير ذلك ، فلما تكامل الموكب واجتمعت الأمراء أذن إلى قاصد إسماعيل شاه الصوفي بالطلوع إلى القلعة فطلع من بيت قاني باى سُلِّقَ الذى بالرملة ، وطلع صحبته المهمندار ووالى القاهرة ، فلما مثل بين يدى السلطان قبل الأرض وباس رجل السلطان ، ثم قرئت مكاتبتة بين يدى السلطان ، ثم إن القاصد قدم للسلطان مصحفًا شريفًا وسجادة برسم الصلاة ، فقبل السلطان ذلك المصحف وأخذه ، ثم أحضر القاصد صندوقًا لطيفًا ففتّح بين يدى السلطان فوجد به رأس شخص من ملوك التتار يسمى أزيك خان وهو الذى قتله الصوفي وأخذ بلاده ، فرسم السلطان بدفن تلك الرأس ، ثم أحضر القاصد صحبته قوسًا عريضًا عرضه نحو شبر ، فندب السلطان شخصًا من الزردكاشية ، وهو الزردكاش الثانى ، يقال له الأمير يوسف ، فجذب القوس بحضرة (٨٩ ب) السلطان فكسره وذلك بعد نزول

- القاصد ، وكان ذلك الموكب حافلا من المواكب المشهودة . - وفي ذلك اليوم
 أدخل السلطان على المقر السيقي طومان باي الدوادار الكبير وقرّر أمير الحاج
 بركب المحمل ، وأدخل على شخص من الأمراء العشرات يقال له بكّ بتاي وقرّر ٣
 أمير الحاج بالركب الأول ، وكان هذا بكّ بتاي أصله من ممالك الأتابكي أذربك
 وولّى نيابة القدس وصار من الأمراء العشرات . - وفي يوم الجمعة رابع عشرينه طلع
 ابن أبي الرداد ببشارة النيل وجاءت القاعدة ستة أذرع سوى ، وكانت في العام ٦
 الماضي أرجح من ذلك . - وفي يوم الاثنين سابع عشرينه عمل السلطان الموكب
 بالشاش والقماش ، وأدخل على المقر السيقي سودون العجمي واستقرّ به أتابك العساكر
 بالديار المصرية عوضا عن دولات باي من أركاس بحكم وفاته كما تقدم ، فنزل ٩
 من القلعة في موكب حافل وكان له يوم (٩٠ آ) مشهود ، وكانت الأتابكية شاغرة
 من حين توفي دولات باي . ولما قرّر سودون العجمي في الأتابكية قلت في ذلك :
 أميرنا الأكبر المشهور بالعجمي وجوده في النوري قد آل للعَدَم ١٢
 تقول مصر لأنّ ولّوه سلطنة يا ضعة الناس بين العرب والعجمي
 وفي ذلك اليوم حضر الرئيس حامد المغربي وصحبته جماعة من الفرنج
 نحو من مائتي إنسان وجدّهم يتعبثون بسواحل البرلس فقبض عليهم وشكّهم ١٥
 في زناجير ، وشقّ بهم من القاهرة وطلع بهم إلى القلعة : فلما عرّضوا على
 السلطان أمر بسجنهم حتى يحرّر أمرهم فيما يكون . - وفي يوم الثلاثاء ثامن
 عشرينه عزم السلطان على قاصد الصوفي في الميدان وضرب الكرة هو والأمراء ١٨
 المقدّمين قدّامه ، فلما انتهى ضرب الكرة دخل السلطان إلى البحرة التي أنشأها
 بالميدان ، فلما جلس عليها طلب قاصد الصوفي وأضافه هناك ضيافة حافلة وألبسه
 سلارى صوف فستق بصمور من ملاييسه ، ثم عاد إلى المكان الذي أنزلوه به . - ٢١

وكان السلطان وكل به جماعة من الخاصكية يمنعون من يدخل إليه من الناس قاطبة ،
ولا يمكنون أحدا من جماعة القاصد يخرج إلى الأسواق ولا يجتمع بأحد من الناس ،
٣ ثم إنه في هذه المدة ركب مرة وصحبته أزدمر المهندار فرار الإمام الشافعي
والإمام الليث رضي الله عنهما (٩٠ ب) ثم عاد إلى المكان الذي عد له . -
ومن النكت اللطيفة ما أشيع بين الناس أن القاصد لما قابل السلطان أول مرة
٦ وصحبته رأس أزيك خان ملك التتار والقوس العريض المتقدم ذكر ذلك ، فلما
قرئت مطالعة الصوفي بين يدي السلطان وجدوها مكتوبة باللغات الأعجمية
فأحضروا من قرأها وهو شخص شريف يقال له الشيخ حسين من أبناء العجم ، ثم
٩ وجدوا ضمن تلك المطالعة هذين البيتين : الحمد لله ، ولما أرسل الصوفي
في كتابه بهذين البيتين إلى السلطان أرسل إلى سليم شاه بن عثمان أيضا بهذين
البيتين وهو يقول :

١٢ نحن أناس قد غدا شأننا حُبَّ عليّ بن أبي طالب
يعينا الناس على حبه فلعنة الله على العائب
فاجابه ابن عثمان عن ذلك :

١٥ ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقيت بالصاحب
كذبتوا عنه وعن ابنته فلعنة الله على الكاذب

وأرسل يهدأ أهل مصر لما قتل أزيك خان ملك التتار بهذين البيتين وهما :

١٨ السيف والخنجر رحمانا أف على النرجس والآس
مُدَامَنَا من دم أعدائنا وكأسنا جُمُجُمَةُ الرَأْسِ

وكان لما حَزَّ رأس أزيك خان ملك التتار جعل جمجمة (٩١ آ) رأسه كأسا

٢١ يشرب فيها الخمر في المقامات كما قيل عنه ، انتهى ذلك .

(٢١) بعد « انتهى ذلك » تكرر في الأصل ذكر البيتين السابقين .

وقد أشيع في بلاد الصوفى بأن السلطان قد اشتغل بما أنشأه في الميدان من
غرس الأشجار وشتول أنواع الأزهار والرياحين ، فقصدوا يُنكثوا عليه بذلك ،

وهذا من نوع التهكم على السلطان ، فأجبت عن ذلك بقولى : ٣

بالسيف والخنجر نُنْفِي العدى وكم لنا في الحرب من بأس

نَسْلِبُ بالرُّعْبِ عقول الورى وعقلنا وافر في الرأس

وقد عمل في ذلك جماعة كثيرة من الشعراء عِدَّة مقاطيع على أنواع مختلفة ، ٦

وقد قلت أيضا :

ندفع بالصدى كيد العدى ونرفض الباغي الذى يأسى

ومن نراه زاغ عن شرعنا جوابه بالسيف في الرأس ٩

وقيل أن السلطان لم يعجبه شيئا من هذه الأجوبة التى أجابت بها الشعراء

ولمّا أعجبه قول صنى الدين الحلّى فكتبه عن جواب الصوفى ، وهو قوله :

ولى فرس للخير بالخير مُلْجِمٌ ولى فرس للشرّ بالشرّ مُسْرِجٌ ١٢

فن رام تقويمى فلانى مُقَوِّمٌ ومن رام تعويمى فلانى مُعْوَجٌ

وقلت (٩١ ب) أيضا بخلاف ما تقدّم من المعنى من زيادة فيها :

بالسيف والخنجر نُنْفِي العدى وكم لنا في الحرب من بأس ١٥

وليس شُرْبُ الدم في شرعنا بجائز والندم للأسى

من يغيض الصديق أو صحبته فذاك أشقى الخلق في الناس

إن كان قد ضلّت عقول لكم فعقلنا الوافر في الرأس ١٨

ومن مخترعانى قولى في أشكال الشطرنج ملتزما القافية على المعنى بما تقدّم :

عساكر الصوفى إن قرّرت فرختهم مكشوف للناس

ونفسهم قد أوجزت خيفة من عزمنا مع شدة البأس ٢١

وفيلهم قد صار ناموسةً مذ قابل الأسدَ بأفراس
ودسّتهم نصباً على رُقعةٍ إن ديدبوا ميرمادهم خاسي
فإن مشى من جيشنا ببندق يموت شاه طايح الراس
وقول أيضاً في مديح السلطان :

سلطان مصر لم يزل شأنه على ملوك الأرض ذو باس
أعيذهُ من شر أعدائه بسورة الفتح وبالناس
عسكره يوم الوغى طعنهم فاق على طاعون عمواس
وإن أتاه الخارج المعتدى يجعله جسماً بلا راس
٩ يُنسى الورى طاعون عمواس

وقال الأشموني :

يراعنا الرمع وقرطاسنا صدر عدو منكسر الباس
مدادنا من دمه خطنا تاريخ (٢٩٢) طعن مذكر الناس
وقال ابن الحجتار :

يا قاتلاً أفً على نرجس أفً على الباغي على الناس
فإن خير الناس من لا يرى شرب دم المسلم في الكاس
وللناصري محمد بن قانصوه من صادق :

العدل والحلم لنا حيلةٌ حيكت مع القوة والباس
وسنة المختار طرز لها وذكرنا ناج على الراس
وقوله أيضاً :

نحن نجسوم والسما ملئنا يهدى بنا من ضلّ في الناس

كم من مُريدٍ صار من شُهْبنا شبه مُريدٍ وهو ذو باس

وقال الشريفي :

مخارس السنّة بسّاتنا نقطع منه هامة الراس ٢
والدم لا يُشربُ في شرعنا لكنّ فينا قوة الباس
والعلم ثمّ الحلم من شأننا كذا الحجى كالجلجل الراس
وفي ميادين الوغى عزمنا يعجب منه سائر الناس ٦

وقواه أيضا :

السّب لا يُنسبُ من شأننا لكلّ سُني من الناس
وجيشنا كالرمل تعداده ولم يرعنا بعثة الراس ٩

وقال على الغزى :

نحن أسود الحرب غاباتنا رماحنا للطعن والباس
وخيلنا تُسرع في سَوْفها شدّت لحرب المعتدى القاسى ١٢
وسيفنا الهندى رقا للوغى يَمْسَحُ للكفّ مع الراس
فدأبنا يوم لِقَتِ العدى ويوم للرجس والآس
والمجد لا ينسب إلاّ لنا مقامنا (٩٢ب) الأشرف عباسى ١٥
من خالف السنّة في شرعنا رُدَّ على أعقابهِ خاسى

لابن العاقل :

تِلاوة القرآن ربحاننا نشق منه خير أنفاسى ١٨
شرابنا الذكر به يَرْتَوى ستاء قلب غافل قاسى
والعدل والإنصاف من دأبنا من أجل ذا سُدنا على الناس

ثناؤنا بين الورى نشره
والحمد لله على أننا
من أظهر الغدر لنا فالجفا
ومن أتنا مؤخليا وده

وقال آخر :

صحابة المختار ساداتنا
نزهننا وصل طراد العدى
ومن أسى يئأس من عفونا

٩ وقال الشريف العباسي :

وسنة المختار خير الورى
العدل والإنصاف ربحانا
وشربنا من صفو توحيدنا
وشأننا الحلم على من جنى

وقال شهاب الدين البُحرى المالكي :

السيف والخنجر ربحان منى
والعادل المنصف يا ذا الحجا
شربنا الذِكر بكاس هنا

١٨ وقال الشيخ ناصر الدين بن الطحان :

أسد الوغى فرساننا كم سقت
ومن يزغ عن أمرنا طاغيا

(تاريخ ابن عباس ج ٤ - ١٥)

وقوله أيضا :

بقوة السطوة والبأس

شجعانُ مضرمُ أسود الوغى

خُصَّ بهم عن سائر الناس

وفخرهم بالسيف والرمح قد

وقوله أيضا :

وشدة البطشة والبأس

شمُّ الرياحين يزيد القوى

لَعَنُ الدما كالكلب في الرأس

والفتك في الحرب هو الفخر لا

وقال الفقيه موسى بن قيساطة :

وكأسكم جمجمة الرأس

إن كان جبَّد السيف ريحانكم

أفٌ عليكم أرذل الناس

وشربكم من دم أعدائكم

بخدمة البيت فلا بأس

نحن تشرقنا على غيرنا

وليس نخشى قط من خاسي

أعدائنا من تحت أقدامنا

وقال الشيخ جمال الدين السلموني :

حيجناك محتاجٌ إلى الآس

أفٌ على أفك يا خارجاً

رفضك شمُّ الورد والآس

ما أنت إلا جُعَلٌ على

لنور الدين بن حشيش :

وكأسكم جمجمة الرأس

إن كان ضرب السيف ريحانكم

أفٌ عليكم أرذل الناس

وشربكم من دم أعدائكم

(٩٣ ب) وللناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

في وسط النّام والآس

السمر والبيض غيرآس لنا

إن لم يكن في الناس ذا بأس

وحملنا سترٌ لمن قد جنّى

(٢٠) ستر لمن قد جنّى : ستر من جنّى .

محمود الحليلي :

العز والسطوة ربحاننا لا من شذى الفرجس والآس
شربنا التوحيد لا من دم يُشرب من جمجمة الراس
وقال إسماعيل :

خدمة بيت الله والمصطفى كلاهما لي نوره كاسي
وميلء ذاك الكاس توحيد من شرفنا بالملك في الناس
وصرت في مصر عزيز بها لا أختشى من كيد خناس
كنانة الله فن شأنها أهلكه ذا الأيد والباس

٩ وقد نظم في هذا المعنى جماعة كثيرة من فضلاء العصر فوق الماتى
إنسان ، وقد جمعوا بين الغث والسمين ، وهذا ما وقع عليه اختياري من هذا المعنى
بحسب ما تيسر لي من المقاطيع الرقيقة من هذه الأجوبة والخنجر المقدم ذكر ذلك
١٢ في أول المقاطيع من هذا المعنى ، فن ذلك قولي :

من عاب للزجس والآس أف عليه في الورى آسي
ومن يكون السيف ربحانه لا رافة في قلبه القاسي
١٥ من كان شرب الدم من شأنه وكأسه جمجمة الراس
فذاك كالكلب العتور الذي لا يختشى في الناس من باس

انتهى ما أوردناه من هذا المعنى و (٩٤ آ) يقرب من واقعة هذين البيتين اللذين
١٨ أرسلهما الصوفي في معنى : السيف والخنجر ربحاننا ، فقد تقدم أن هلاكو ملك
التار لما استولى على بغداد وأخربها وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل سائر
أمرائه ، فلما فعل ذلك ببغداد طمع في أخذ مصر فأرسل كتابا إلى سلطان مصر

وإلى أمرائه وذكر فيه ألفاظا فاحشة من وعد ووعد وتهديد لهم بالقتل ، وذكر في ذيل كتابه هذين البيتين وهما :

أين المفرّ ولا مفرّ هارب ولنا البسيطان الثرى والماء ٣
ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت في يدنا الأمراء والخلفاء
وقال بعد ذلك :

ستعلم ليلي أيّ دين تدأبنت وأيّ غريم بالتقاضى غريمها ٦
وكان سلطان مصر يومئذ المظفر قطز المعزى ، فلما سمع ذلك جمع العساكر وخرج إلى هلاكو بعد أن وصل إلى أطراف البلاد الشامية فتحارب معه ، فانكسر هلاكو كسرة مهولة وغنم منه عسكر مصر أشياء كثيرة من سلاح ٩ ودواب وغير ذلك ، وقد أوضحنا ذلك في أوائل ابتداء الدولة التركية في الجزء الرابع من التاريخ انتهى ذلك ، فالصوفي بالنسبة إلى هلاكو لا شيء ، وقد قال القائل :
لو كلُّ من قال ناراً أحرقتْ فه لما تنفّوه باسم النار مخلوق ١٢
انتهى ذلك .

وفي ربيع الآخر (٩٤ ب) أمر السلطان بحفر الخليج ثانی مرة ورسم للأمير أنصباى حاجب الحجاب بأن يتوجه إلى قناطر الأوز ويباشر حفر هذا الخليج بنفسه ، ١٥ فتوجه إلى هناك وأقام به وضرب له الخيام واهتم بحفر الخليج من القنطرة الجديدة إلى قناطر الأوز إلى سد الحشب الذى عند نای وطان ، فاحتفل بحفره إلى أن كاد أن ينبع الماء من أرضه وأحضر الجراريف والأبقار ، ولكن حصل من هذه الحركة غاية الضرر وهو أن السلطان رسم بأخذ خراج الحصص والرزق قاطبة التى تُروى من هذا الخليج ، فأخذوا منهم خراج سنة كاملة وتحصّل من هذه الجهة نحو من خمسين ألف دينار على ما قيل ، فصُرِف منها البعض على حفر الخليج وحمل ٢١ الباقي إلى الخزائن الشريفة وحصل للمقطعين الضرر الشامل . - وفيه أمر السلطان بعمل جسر في خليج الزربية ، فوضعه عند قنطرة مؤرودة الجبس ،

- فامتعت المراكب من الدخول إلى الزربية ، وحصل لسكان الجزيرة الوسطى غاية الضرر . ولم يُسكن من بيوتها في هذه السنة إلا القليل وبارت من الكرى الذى جرت به العادة ، وكانت تتزاحم الناس على كراها ولا تلتحق . وكان الثائم في عمل هذا الجسر ابن فرّوش شيخ جهات المطرية ، وقد حسّن للسلطان بأن يسدّ خليج الزربية من جهة بولاق ، ويصير الماء (٩٥ آ) يدخل بعزم من تحت قصر ابن العيني الذى بالمنشية ويدخل إلى الخليج الناصرى ليمكث الماء في الخليج حتى تروى منه أراضي المطرية والبلاد التى تحتها . - وفي يوم الثلاثاء خامسه كان ختام ضرب الكرة بالميدان ، فلما انتهى ذلك أحضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدّامه ، ووقع في ذلك اليوم خصمانية بين الممالك في لعب الرمح وكان قاصد الصوفى حاضرا ، فلما انقضى أمر الكرة طلع السلطان من الميدان إلى الحوش وجلس بالمقعد الذى أنشأه هناك ومدّه به أسمطة حافلة ، وكانت الأمراء حاضرين ، وانشرح السلطان في ذلك اليوم ، وكان يوما مشهودا . - وفي يوم الأربعاء ثالث عشره نزل السلطان وتوجّه إلى نحو خليج الزعفران وكشف على حفر الخليج الذى رسم به ، وكان معه جماعة من الأمراء المقدمين وبعض خاصكية ، فلما نظر إلى ما حضروه من الخليج لم يُعجبه ومقت الأمير أنصبأى حاجب الحجاب فيما صنعه ، ثم توجّه من هناك إلى تربة العادل التى بالريدانية فأقام بها إلى بعد العصر ، وجرب هناك مكاحل ، ومدّه له بركات بن موسى اختسب هناك مدّة حافلة ، ثم ركب بعد العصر وطلع إلى القلعة . - وفي يوم الخميس رابع عشره قبض نائب الغيبة بالشرقية على شخص من العربان العصاة يقال له (٩٥ ب) أحمد بن شكّر وكان من شرار المفسدين ، فلما قبض عليه سلخ جلده وحشاه تبنا وأرسله إلى السلطان ، فمروا الناس لذلك فإنه كان من كبار المؤذنين وكان يشوش على المسافرين ففرح به كلّ أحد من الناس ، فكان كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

وفي يوم الأحد سابع عشره نزل السلطان أيضا وتوجّه إلى تربة العادل

وجربوا قدّامه مكاحل غير تلك المقدّم ذكرها . - وفي ذلك اليوم توفي أيديكي
حوادار سكين ، وقد بقي من الأمراء العشرات ، وكان لين الجانب قليل الأذى وكان
لابأس به . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره جلس السلطان في المقعد الذي بالميدان ٣
وساقت الرماحة قدّامه وهم لابسون الأحمر والخوذ كما يفعلون عند دوران الحمل
في رجب ، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام متوالية ، وكان المعلم تمر الحسنى أحد المقدّمين
الألوف فساقوا أحسن سوق ، وكان قاصد الصوفي حاضرا فتعجب من ذلك غابة ٦
العجب . - وفي هذا الشهر أمر السلطان بهدم خان الخليلي وقد ملكه بطريق
شرعى ، فلما هدمه أنشأه إنشاءً جديداً وجعل به الخواصل والدكاكين ، وزاد
في تزخرفه جداً . - وفي أواخر هذا الشهر (٩٦ آ) توفيت الريسة إنعام ٩
ريسة خوند الخاصكية ، وكانت من أعيان مغاني البلد ، وكانت لابأس بها ،
انتهى ذلك :

وفي جمادى الأولى في يوم الاثنين ثانيه كان ختام سوق الرماحة ، وأخلع ١٢
السلطان على المعلم والأربعة باشات على جارى العادة ، وكان يوما مشهودا . -
وفي يوم الجمعة سادسه أخلع السلطان على قاصد الصوفي وأذن له بالعود إلى بلاده ،
فسافر في باكر النهار ، ولم يعلم ما أجابه به السلطان عن جواب تلك البيتين التي
تقدم ذكرهما في معنى : السيف والخنجر ريمحنا ، ولم يكتب له شيئا مما أجابوا به
الشعراء ، وفي مدة إقامته بمصر وكتل به السلطان جماعة من الخاصكية ومنعوه
من الاجتماع بالناس قاطبة . - وفيه قبض السلطان على المعلم على الصغير وأخيه ١٨
المعلم أحمد والمعلم خضر المعاملين في اللحم ، فلما قبض عليهم وضعوهم في الحديد
وسجنهم بالعرقانة ، وسبب ذلك أن ديوان الدولة كان في غاية الانشعاع واللحوم
معطلة وانكسر للعسكر نحو من ثلاثة أشهر لم يصرف فيها لحم لحوم ، وقد جرى ٢١
بسبب ذلك ما لا خير فيه ، وسيأتى الكلام على ذلك في موضعه . - وفي يوم

(١) تلك المقدّم ذكرها : هو لى المقدم ذكرهم . (٨) أنشأه : أنشأه .

الأربعاء جمادى عشرة تسلسل النيل في الزيادة بعد (٩٦ ب) ما كان قد أشرف على الوفاء ، فرسم السلطان لحاجب الحجاب والوالى بأن يتوجهها ويكبسها على المتفرجين الذين في الخيام بالروضة ، فتوجهها إلى الروضة أنسابى حاجب الحجاب ووالى القاهرة ، فلم يشوشوا على أحد من المتفرجين ونادوا بالأمان والاطمان وأن أحدا لا يتجاهر بالمعاصى ، وخرقوا بعض خيام ، وكان يوما مهولا ، وسبب ذلك أن النيل كان قد أشرف على الوفاء وبقي عليه من الوفاء خمسة أصابع فزاد في تلك الليلة أصبعين وتأخر عن الوفاء ثلاثة أصابع ، ثم زاد من بعد ذلك أصبعين وتأخر عن الوفاء يومئذ أصبع واحد فضج الناس من ذلك ، وأشيع بين الناس أن الروضة كثر فيها الفسق والمعاصى ، فعند ذلك رسم السلطان لحاجب الحجاب والوالى بكبس الروضة ، فتوجهوا إلى هناك وكبسوا على الناس الذين بالخيام ولم يفحشوا كل الإفحاش في ذلك ، وكان السلطان قبل ذلك توجه إلى المقياس وصلى هناك ودعا إلى الله تعالى بالوفاء ، ثم إنه رسم للقضاة الأربعة بأن يتوجهوا إلى المقياس ويأتوا به ، وقرؤوا هناك ختمة ، ومدت أسمطة حافلة ، واجتمع هناك أعيان الناس من العلماء والفقهاء وغير ذلك من مشاهير الناس . - ثم في يوم (٩٧ ت) الخميس ثلثي عشره نزل السلطان إلى المقياس ، فقدّموا له الحرقاة المعدة لكسر السند فنزل بها وتوجه إلى المقياس ، فطلع من على القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، فأقام هناك إلى بعد الظهر ومدت هناك مدة حافلة ، ثم نزل من المقياس في الحرقاة وشق من بر الروضة ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت ، ولا سيما كانت ليلة وفاء النيل وكانت الروضة في غاية البهجة وهى محببة بالخيام ، فكان له يوم مشهود ، فاستمرت شاققا في البحر حتى طلع من عند قصر ابن العيني ، فلما طلع إلى القلعة أوفى النيل في تلك الليلة ، وكسر في يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى الموافق لخامس عشر مسرى ، فاستبشر الناس بنزول السلطان إلى المقياس وكونه أوفى النيل تلك الليلة بقدمه إلى

المقياس . - وفيه نزل السلطان وتوجه إلى نحو قناطر الأوز وكشف على الحفر الذى
حفره أنسابى حاجب الحجاب ، وشق من بطن الخليج فلم يُعجبه القطع فأمر
بإعادته ثانيا ففعلوا ذلك . - فكان كما قيل فى المعنى :

مولاي إن النيل لما زرتَه حيّاك وهو أبو الوفا بالأصبع
أرختي عليه السر لما جئتَه خجلا ومدّ تضرّعا بالأذرع

(٩٧ ب) وكان النيل قد توقف عن الوفاء على أصبع واحد فأوفى تلك الليلة ٦
وزاد عن الوفاء أصبعتين ، وكان مع السلطان لما نزل إلى المقياس الأتابكي سودون
العجمي والأمير أركماس أمير مجلس والأمير طومان باي الدوادار الكبير ، وغير
ذلك من الأمراء المقدمين والعشرات ، فلما وفى النيل علقوا السر في شبّاك ٩
القصر الذى أنشأه السلطان على بسطة المقياس ، ثم رسم السلطان للأتابكي سودون
العجمي بأن يتوجه ويفتح السد على العادة : فنزل في الحراقة وأتى للمقياس وخلق
العمود ثم توجه إلى فتح السد ، وكان له يوم مشهود ، وهذا أول فتحه للسد وهو ١٢
في الأتابكية فأظهر في ذلك اليوم أنواع العظمة ولكن لم يصل في ذلك إلى من
تقدمه من الأتابكية ، فلما فتح السد قدموا له فرسا بسرج ذهب وكنبوش : ثم
طلع إلى القلعة وأخلع عليه السلطان خلعة حافلة على العادة ، وقد سرّ الناس ١٥
بوفاء النيل قاطبة بعد ما كان قد تسلسل في الانكسار وتشحطت الغلال فجاء
الفرج من عند الله تعالى ، فكان كما قيل فى المعنى :

إنّ بحرَ النيل قد وفى لنا ما عليه من قديم قُرا ١٨
وقضانا الدين إلّا أنه حين (٩٨ آ) وفى ما عليه انكسرا

ومما وقع في يوم فتح السد من الوقائع المبهولة أن الناصري محمد بن العلاء
على بن خاص بيك توجه إلى دار عند قنطرة سنقر ليتفرج هناك على قتال الرُعر ، ٢١
فأما قعد في تلك الدار اجتمع فوق سطحها نحو من مائتي إنسان بسبب
الفرجة ، فهجم عليهم طائفة من المماليك وطلعوا فوق السطح فوقع بهم على من

في الدار فقتل من المالك سبعة أنفس وقتلت امرأة صاحبة الدار وجاريتها ومن كان عندها من العيال ، ثم وقع سقف الدار على الناصري محمد بن خاص بك ٣ فنصّب عليه الخشب هو وولده فلم يضّر ذلك لكن حصل له تشويش في بعض أعضائه وانزعاج وكانت سلامته على غير القياس هو وولده ، ومات من جماعته شخص يسمى أحمد كُنِينُوا وكان من أولاد الناس وهو حواله يتقاضى أشغاله وكان لا بأس به فرجع ابن خاص بك إلى بيته وهو محمول ودفن أحمد كُنِينُوا في ذلك اليوم ، وكان عدة من قتل في ذلك اليوم تحت الردم سبعة عشر إنساناً ما بين رجال ونساء ، وكانت حادثة مهولة لم تكن لأحد في اكتلاء (٩٨ ب) ٩ والمقدّر كائن ، كما يقال في أمثال الصادح والباغم حيث يقول :

والمرء لا يدرى متى يمتحنُ فإنه في دهره مرّتهنّ

وقوله أيضاً :

١٢ وليس في العالم ظلمٌ جارٍ إذ كان ما يجزى بحُكم الباري

وفيه أفرج السلطان عن أبي البقا ناظر الاسطبل بعد ما قاسى شدائد ومحنًا وضرب بين يدي السلطان وصور ، فطلع على الدين ناظر الخاص وتسلمه من قدام السلطان وضمنه في ثمانية آلاف دينار ، فأخلع عليه السلطان ونزل إلى داره واستمرّ يورد ما قرّر عليه من المال . - ومن الوقائع أن السلطان قبل وفاء النيل أمر بعمل جسر على خليج الزربية من عند قنطرة مَوْرَدَة الحبس حتى يحوش الماء ويدخل إلى الخليج الناصري وتروى منه جهات المطرية ، فلما صنع هذا الجسر حصل لسكّان الزربية غاية الضرر وامتنعت عنها المراكب من نحو بولاق وصار ماء الخليج راكداً ، فلم يسكن بالزربية بيت في هذه السنة ولا عمل بها مقصف ولا فُتِح بها دكان وآل أمرها إلى الخراب ، وكان القائم في عمل هذا الجسر ابن قَرُو شيخ جهات المطرية حتى يحوش الماء من الخليج (٩٩ أ)

- الناصري ، وكان النيل في هذه السنة عالياً فلم يحتاج إلى عمل هذا الجسر . - وفي هذا الشهر منع السلطان جماعة من المباشرين أن لا يسكنوا في بركة الرطلى وضيق عليهم في ذلك : وقال لهم : أنتم تضيئون مالى في بركة الرطلى فلا يسكن أحد منكم بها ، فلم يسكن بها أحد من المباشرين في هذه السنة حتى ولا القضاة فكانت بركة الرطلى في هذه السنة في غاية الانهمال وقلة البهجة ، حتى ولا بيوت الجسر لم يسكن بها إلا القليل ، وقد أشيع بين الناس أن السلطان يقصد سد فم البركة ويمنع المراكب من الدخول إليها فحصل للناس غاية المشقة بسبب هذه الإشاعات ، فلم يكن لهذا الكلام صحة ولكن لم يسكن بها أحد من المباشرين في هذه النيلية ، وقد تقدم ما هو أشيع من ذلك أن الملك الظاهر جقمق أمر بسد خوخة باب الجسر ومنع الناس من سكنته ، فسدت خوخة باب الجسر وأقامت وهي مسدودة أياماً حتى تكلم ناظر الخاص يوسف مع السلطان في أمرها فرسم بفتحها على العادة . - وفي يوم الخميس تاسع عشره حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ملك الكرج ، فأكرمه السلطان وقرأ مطالعته وأوكله في الخوش ، وجلس على المصطبة التي أنشأها (٩٩٠ ب) عوضاً عن الدكة بالحوش . - وفي يوم الأحد رابع عشرين مسرى زاد الله في النيل المبارك بعد الوفاء ثمانية أصابع دفعة واحدة ١٥ فعد ذلك من الزوائد ، وقد بلغ إلى ثمانية عشر ذراعاً قبل مضي مسرى . - وفي ليلة الثلاثاء رابع عشرينه أشيع بين الناس أن المعلم على الصغير معاملة اللحم قد تسحب من السجن المسمى بالعرفانة التي هي من داخل الخوش السلطاني ، ١٨ قيل أنهم نقبوا حائط السجن ونزلوا في حبال إلى تحت القلعة ، وكان بالعرفانة جماعة من المعلمين وهم المعلم على الصغير وأخوه المعلم أحمد والمعلم خضر وأخوه المعلم محمد ، فأما المعلم على الصغير لما تدلى في الحبل انقطع به فزل على ضلعه ٢١ فانكسر فأغمى عليه واستمر باركاً مكانه حتى قبضوا عليه ، ثم في صبيحة ذلك قبضوا على المعلم خضر والمعلم أحمد أخى على الصغير وآخرين منهم ، فلما عرضوا

- على السلطان وبخهم بالكلام واشتد غضبه عليهم ورسم بتسليمهم إلى الوالى . -
- ٣ وما وقع للسلطان في أمر المصادرات من الغرائب أنه في أوائل دولته قبض على شموال اليهودى الصيرفى وعاقبه وعصره هو وزوجته ، واستخرج منه فوق الخمسمائة ألف (١٠٠ آ) دينار ، حتى أخذ رخام بيته الذى فى حارة زويلة فوضعه فى مدرسته ، واستمر يعاقب شموال هو وزوجته حتى ماتا تحت العقوبة ،
- ٦ انتهى ذلك . - وفى يوم الثلاثاء المذكور قبض السلطان على شمس الدين بن عوض وعلى ولده ووكل بهما فى الجامع الذى بالحوش ، وكان شمس الدين بن عوض رأس المرافعين فى المباشرين قاطبة وهو غير مُحَبَّب للناس . - وفى يوم السبت ثامن عشرينه فيه ثارت فتنة كبيرة من الممالك الجلبان وركبوا وطلعوا إلى الرملة وهم بزموط وكبورة ، وكان سبب ذلك أن اللحم الذى كان يصرف للممالك فى كل يوم تعطل بواسطة المعلم على الصغير والمعلم خضر بسبب ما تقدم لهما . وكان العليق أيضا معطلا ، فما طاقوا الممالك ذلك ثارت الفتنة من كل جانب وركبوا على السلطان ، وقصدوا قتل الوزير يوسف البدرى فهرب وعيَّب من بيته ، ثم إن الممالك طلبوا من السلطان نفقة لكل مملوك مائة دينار ، وكان للممالك مدة يقصدون الثوب على السلطان فما صدقوا بأمر اللحم راعلين فجعلوا ذلك حجة ، فلما ثارت هذه الفتنة اضطربت أحوال القاهرة وروَّع الناس قاشهم (١٠٠ ب) وغُلقت الأسواق والدكاكين خوفا من النهب كما فعلوا للممالك قبل ذلك من أمر النهب كما تقدم لهم ، فبات الناس على وجل . - فلما كان يوم الأحد صبيحة ذلك خشى السلطان من اتساع الفتنة فنادى للممالك بأن يفتح عليهم لكل مملوك مائة دينار فى أول شهر رجب ، فلما سمع الممالك ذلك خمدت الفتنة قليلا وسكن الحال بعد ذلك الاضطراب . - وفى هذا الشهر أفرج السلطان عن القاضى شرت الدين الصغير ناظر النولة وكاتب الممالك وكان له مدة وهو فى الترسيم بجامع القلعة ، وأفرج عن عبد الكريم بن الجيعان وابن عمه محمد بن

- صلاح الدين وكانا في الحديد وهما في الترسيم بجامع القلعة . وأفرج [عن]
علم الدين المتحدث في الخزائن الشريفة ، وأفرج عن المعلم يعقوب اليهودى وبانوب
النصراني الكاتب في الخزانة ، فلما أفرج عن هؤلاء وزع عليهم أربعمائة ألف ٢
دينار ، فقرّر على عبد الكريم بن الجيعان وابن عمه محمد خمسين ألف دينار ، وقرّر
على شرف الدين الصغير عشرين ألف دينار ، وقرّر على علم الدين خمسين ألف
دينار ، وقرّر على المعلم يعقوب اليهودى مائة وأربعين ألف دينار ، (١٠١ آ) ٦
وأفرج عن شمس الدين بن عوض وعن ولده وقرّر على شمس الدين بن عوض
مائة ألف دينار ، وقرّر على بانوب النصراني عشرين ألف دينار ، وهذا على ما
أشيع بين الناس إن كان صحيحا ، فليل كتبوا خطوط أيديهم بذلك . ٩
وفي جمادى الآخرة في يوم الخميس ثالثه نزل السلطان من القلعة وشق من
القاهرة وقداّمه ولده ، فزيّنت له القاهرة ، واستمرّ حتى نزل في جامعته الذي أنشأه
في الشرايشين فكشف عليه وعلى المدرسة ، فدلّ له هناك الأمير خاير بيك مدّة ١٢
حافلة ، وأنعم في ذلك اليوم على صوفية المدرسة لكل واحد منهم وأنعم على
البوابين والفرّاشين وأبّتام المكتب ، ففرّق في ذلك اليوم نحواً من خمسمائة
دينار بأشرفي ، وأنعم على مشايخ الدرس لكل واحد بعشرة أشرفية ، وحضر قدّامه ١٥
قراء البلد والوعاظ ، وكان له موكب حافل ومشت قدّامه الأمراء الرؤوس النوب
بالعصى من باب زويلة إلى الجامع ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء وانطلقت له
الزغاريت من الطيقان ، ولم يقع له من حين عمرّ الجامع والمدرسة أنه نزل وكشف ١٨
على عمارتهما سوى هذه المرة ، وكان له يوم مشهود . - ومن الحوادث في ذلك
اليوم أن السلطان لما طلع إلى المدرسة تراجمت الناس (١٠١ ب) على سلم
المدرسة فوق الإفريز الرخام الذي كان على السلم فانتعبط من تحتها شخص كان ٢١

تحت السلم^١ فانكسرت رجله ، وحصل للجماة آخرين الضرر الشامل بسبب ذلك ، وكان معه من الأمراء الأتابكي سودون العجمي وأركاس أمير مجلس والأمير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والأمير طومان باى الدوادار قريب السلطان ، وآخرين من الأمراء المقدمين والعشرات ، والجسم الغفير من الخاصكية والحمدارية ، انتهى ذلك

٦ وفيه توفى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له أزيك الشرفى وكان يعرف بأزيك اليهودى ، وكان غير مشكور السيرة . - وفى يوم السبت خامسه (١٠٢٢) نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو المطرية ، ثم رجع ودخل من باب النصر وأتى إلى خان الخليل وكشف عن العمارة التى أنشأها هناك ، وقد ملك خان الخليل وهلمه وأنشأ عمارة جديدة . - وفى يوم الاثنين رابع عشره عمل السلطان الموكب فى الحوش بالشاش والقماش وأخلع على الأتابكى سودون العجمي خلعة الأنظار ، وكذلك سودون الدوادارى رأس نوبة النوب . - وفى يوم الخميس سابع عشره عرض السلطان المعلم على الصغير وأخاه المعلم أحمد والمعلم خضر وكانوا فى الترسيم مدة ، فلما عرضوا على السلطان قرّر عليهم اثنى عشر ألف دينار وألزمهم بأن يحضروا ذلك فى تلك الساعة وكان يوم الجامكية ، فقالوا ما نقدر على ذلك ، فحتم السلطان منهم فأمر بضربهم بالمقارع فضربوا ضربا مبرحا حتى أشرفوا على الموت ، ولم يقدر أحد من الأمراء يشفع فيهم ، وقد قيل فى المعنى :

ومن خدم السلطان أكرم نفسه ولكنه عما قليل أهانها
كمن عبد النيران لم ينتفع بها ولم يلق إلا حرها ودخانها

(٥) . . . : أورد ناسخ المخطوط هنا خبرا رأى الحق إمامه ، ويمكن الرجوع إليه فى طبعة إستانبول .

- وفى يوم الأحد عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى نحو المطعم السلطاني ،
فخرجوا هناك قدّامه عدّة مكاحل (١٠٢ ب) فصيح منها بعض شيء ، ثم عاد إلى
القلعة . - وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه توجه السلطان إلى سدّ أبى المنجا ٣
ففتح بحضرته ، وكان يوما مشهودا ، ثم توجه من هناك ونزل فى الحراقة إلى نحو
المقياس قدّ له هناك الزينى بركات بن موسى المحتسب مدّة حافلة ، فأقام هناك إلى
بعد الظهر ، ثم نزل فى الحراقة وأتى إلى بولاق فكشف عن المراكب التى أنشأها ٦
هناك ، ثم عزم عليه الأمير خاير بيك الخازندار فى السبكية التى ببولاق قدّ له
هناك مدّة حافلة ، فأقام هناك إلى بعد العصر فركب وشق من على جزيرة النيل
من بين الغيطان ، واستمر شاققا حتى طلع من على قنطرة باب البحر وشق من ٩
المقص ، ثم أتى إلى باب القنطرة وكشف على الربيعين اللذين أنشأهما هناك ، ثم شق
من سوق مرجوش إلى القاهرة وخرج من باب زويلة وطلع من هناك إلى القلعة ،
وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية . - وفى يوم السبت سادس عشرينه رسم ١٢
السلطان بتوسط تسعة أنفار ، منهم مشايخ عربان ومنهم جماعة كانوا نقبوا حائط
المقشرة وقصدوا التسحب من هناك فأدركوهم وقبضوا عليهم ، ثم وسطوهم فى
أماكن شتى . - وفى هذا الشهر عمّ النيل أراضى الديار المصرية وتطنبت ١٥
منه (١٠٣ آ) الخليلجان ، وكانت الهجة فى هذه السنة للخليج الحاكى
لكون أن السلطان علاّ قنطرة الحروبى وقنطرة باب القنطرة وصار يدخل من
تحتها المراكب الكبار المسترة بالدلتور ، فصار الناس ينزلون فى المراكب ويشقون ١٨
الخليج الحاكى إلى عند قنطرة السدّ ويرجعون ، فحصل للمتفرجين بهجة ثانية ،
ونظم الشيخ بدر الدين الزيتونى فى هذه الواقعة بديعيّة كلها غرر وذكر فيها
ما جددّه السلطان من قناطر وعمائر وغيطان وغير ذلك من التذكار الحسن ٢١

بالديار المصرية وغيرها من الجهات ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى القصيدة التى نوردها هنا وهى هذه :

- | | | |
|----|------------------------------|-------------------------|
| ٢ | قد جدّد الغورى سلطاننا | قناطر للأجر والخير |
| | أكّرم به من ملك أشرف | مويد بالعزّ منصور |
| | على الخليج الحاكى وضّعها | قد شاع فى طول وتقصير |
| ٦ | قناطر الوزّ لقد أقبلت | تزهو ببشنين وفرفور |
| | كذا بنى وابل معمورة | بأمره من غير مأمور |
| | وجدّدت قنطرة بعدا | بالكحل قد ضاءت من النور |
| ٩ | قنطرة الحاجب تجديده | والعين للحاجب ذو نور |
| | فاق على الخروب فيما بنى | من ضيق بُنيان وتحقير |
| | وكان فى تجديدها حكمة | لم يحتكها صاحب السور |
| ١٢ | قنطرة الباب ترى فوقها | باباً بها يسمى بتقدير |
| | خلا (١٠٣ب) بناها صار فى وسعة | يدخل فيها كل شسختور |
| | بعُدّة القلع وإن شاء فى | مستّر فيها يدلّوز |
| ١٥ | لا يقطع الموصول مع مُنشدٍ | غنّى على دُفّ وطنبور |
| | وكل عواد نرى عوده | صحبته جنّكلى وسنطير |
| | ناصيا أعرب فى رفعها | لمركب فى الكسر مجرور |
| ١٨ | والموسكى صلح بنيانها | بسُرعة منه على الفؤور |
| | كذا حسين صار مع سنقر | بناهما فى مصر كالطُور |
| | وباب خرّق حار لما رأى | قنطرة فاقت على السور |

- طُقِرَ دَمْرُ شَيْدَ بِنْيَانِهِ كَذَا عُمَرُ شَاهٍ بَعْدَ تَأْخِيرِ
وَكَمْ سَبَاعٍ قَادَهَا نَصْرُهُ تَسْلَسَلَتْ مِنْ غَيْرِ تَنْكِيرِ
وَمَنْ بَكَى فِي السُّدِّ يَوْمَ الْوَفَا يَجِبُ قَلْبٌ غَيْرُ مَنْكُورِ ٣
فَهُوَ نَهَارُ الْكَسْرِ مَعَ جَبْرِه مَا بَيْنَ مَكْسُورٍ وَمَجْبُورِ
وَجَسَّرَ الْبَحْرَ بِزَرْيَةِ فَجَاءَ جِسْرٌ غَيْرُ مَشْكُورِ
وَانْقَطَعَتْ لَذَاتِ سَكَانِهَا مِنْ مُقْلَعٍ يَأْتِي وَمَحْدُورِ ٦
وَجَدَّ الْمِقْيَاسَ حَتَّى غَدَا يَزْهَوُ بِمَنْظُومٍ وَمَثُورِ
وَمَجْرَةُ الْمِيدَانِ انْشَاءً عَقُودَهَا دُورٌ عَلَى دُورِ
مِيدَانِهِ يَحْكِي لَنَا جَنَّةً مَسَاكِنَ الْوُلْدَانِ وَالْحُورِ ٩
أَغْصَانَهُ هَبَّ عَلَيْهَا الْهَوَى مِنْ كُلِّ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورِ
أَطْيَارُهُ فِي دَوْحِهَا غَرَّدَتْ مِنْ كُلِّ مَسْمُوعٍ وَعَصْفُورِ
وَكُلَّ سَنٍّ ضَا حَكٍّ مُطْرِبٍ وَكُلَّ حَسُونٍ وَزَرْزُورِ ١٢
وَبَلْبَلٍ هَيْجٍ بِلْبَانِنَا وَكُلَّ قُمْرَى وَشَحْرُورِ
وَمَنْ هَزَارَ بَاتٍ مَعَ أَلْفِهِ مَطُوقًا (١٠٤ آ) بِالْوَصْلِ مَسْرُورِ
وَفَاخَتْ فِي شُكْرِهِ دَائِمًا فِي ضَيْقَةِ الْأَقْفَاصِ مَأْسُورِ ١٥
وَبَحْرَةُ هَبَّ عَلَيْهَا الْهَوَى جَعَلَهَا تَنْقِيشَ تَصْوِيرِ
فِي جَمْعٍ تَصْحِيحٍ نَرَى مَاءَهَا وَبِالْهَوَى فِي جَمْعٍ تَكْسِيرِ
وَعُمَرُ الْقَلْعَةِ صَارَتْ بِهِ أَمَاكِنًا عَامِرَةً الدُّورِ ١٨
وَقَدْ حَوَى فِي مِصْرٍ مِنْ جَامِعِ فَرْدٍ بِذِكْرِ اللَّهِ مَعْمُورِ
وَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ وَصَهْرِيحِهَا وَالْمَاءِ وَالْكِزَانِ وَالزَّرِيرِ
كَأَنَّ بَرْدَ الثَّلَجِ فِي مَائِهِ لِكُلِّ عَطْشَانٍ وَمَحْرُورِ ٢١
وَفِي طَرِيقِ الْحَجِّ كَمْ مَنَهْلٍ

وعين بازان جرى ماؤها تجديدها أمنا من الغور
 فالله ينصره ويُبقي لنا أيامه أمنا بلا جور
 وصلّ ياربّ على المصطفى مُنقِذُنَا من كلّ محذور
 صلاةُ زيتونٍ يَرى نشرها أطيب من مسك وكافور
 والآل والأنصار مع محبه أهل الثنا والفضل والخير
 ما أقبل الصبح بأنواره وأدبر الليلُ بديجور

انتهى ذلك . -

وفي رجب في يوم مستهله توجهت طائفة من الممالك الجلبان إلى
 ٩ شونة السلطان ونهبوا أشياء كثيرة من الشعر ، فعزّ ذلك على السلطان ، وكانت
 الممالك مُتَقَحِّمة على الشرّ وأشيع أمر الركوب وكثر القال والقليل بين
 الناس بسبب ذلك . - وفي يوم الجمعة (١٠٤ ب) ثالثة ، الموافق لسابع عشرين
 ١٢ توت القبطي ، ثبت النيل المبارك على تسعة أصابع من عشرين ذراعا ، وكان نيلا
 جيّدا لكن كان حبّ البرسيم غاليا وتناهى سعره إلى خمسة أشرفية كل أردب ،
 وارتفع سعر سائر الغلال ، واستمرّ النيل ثابتا إلى أواخر ربابه . - وفي يوم الأحد
 ١٥ خامسه قوى أمر الإشاعة بركوب الممالك ووزع التجّار ما كان عندهم من
 القماش وغلقت الأسواق قاطبة ، وسبب ذلك أن السلطان رجع عن أمر النفقة
 بعد أن نادى في القاهرة للعسكر بأن النفقة مع جامكية شهر رجب ، فلما رجع
 ١٨ عن ذلك أشيع أمر الركوب . - وفي يوم الأحد خامسه عرض السلطان الممالك
 في الحوش وهم بمالكة الجلبان فقط ، فلما عرضهم وبخهم بالكلام وقال : أنا أخلع
 نفسي من السلطنة وولّوا من تختاروه ، فأقام يعرض الممالك إلى بعد العصر قال
 ٢١ الأمر لي أن وقع الاتفاق على أنه ينفق على ممالكه المشتراوات فقط وأن النفقة
 تكون أربعين دينارا فامتنعوا الممالك من ذلك ، فتكلم بعض الأمراء مع السلطان

(٩) الشير : الشيرة . (١٠) والقليل : والقليل .

(تاريخ ابن لياس ج ٤ - ١٦)

بأن تكون النفقة خمسين دينارا وهم يقول : ما أقدر على ذلك ، فانفصل المجلس على أنه ينفق عليهم لكل مملوك خمسين ديناراً ، ثم إن السلطان شرع في بيع أملاك ورزق مما كان أوقفهم على مدرسته (١٠٥ آ) بسبب تحصيل المال لأجل النفقة ، ٣ وأظهر أن الخزائن مشحونة من المال وأنه عاجز عن تحصيل المال . - وفي ليلة الثلاثاء رابع عشره فيها خسف جرم القمر خسوفا فاحشا ، وأقام في الخسوف نحو من خمسين درجة حتى اظلمت الدنيا ، ولم ينجل إلى قريب التسبيح ، وفي ٦ واقعة حال الخسوف يقول بعض الشعراء :

كأنما البدر وقد شانهُ خُسُوفه في ليلة البدر
وجهٌ مليح حسن وجهه جارت عليه ظلمة الشعر ٩

ثم إن السلطان أرمى على التجار قاطبة شاشات وأزرا وأثوابا صوفا ، وأرمى على السوق زيتا وعسلا وزيبيا وأصناف بضائع يخسرون فيها الثلث ، وصاروا يستحثونهم في سرعة الثمن لأجل النفقة ، فَعَلَّقت الأسواق بسبب ذلك وأقامت وهي ١٢ مغلقة أياما ، ثم إن السلطان أرمى على بعض جماعة من الأمراء المقدمين رزق مشتراواته وحثمهم في سرعة قبْض ثمن ذلك ، وأرمى على جماعة من أعيان أولاد الناس مثل ذلك وحثمهم في سرعة قبْض ثمن ذلك ، ومن جملة أولاد الناس الناصري ١٥ محمد بن خاص بك ، وغيره من أولاد الناس أيضاً ، وحصل للناس الضرر الشامل بسبب هذه النفقة ، ثم إن السلطان نفق على ممالكه المشتراوات فقط ولم يعط الممالك القرانصة شيئا ولا ممالك الأشرف قايتباي ولا الممالك السيفية ، فنفق ١٨ على ممالكه لكل (١٠٥ ب) مملوك خمسين دينارا ، فعز ذلك على الممالك القرانصة وكثر القال والقليل في ذلك ، وأشيع أمر الركوب على السلطان بسبب ذلك ، فلم يطلع من يدى الممالك القرانصة شيئا وراحت على من راحت ، وأكمل السلطان ٢١ النفقة على ممالكه ولم يعط القرانصة شيئا . - وفي يوم الأحد سادس عشرينه

(١٠) الشعر : الشعر . (١١) زيتا وعسلا وزيبيا ... يخسرون فيها : زيت وعسل وزيبب ...

يخسروا فيهم .

تشحط اللحم من القلعة وأقام أياما لم يُصرف للعسكر لحم سوى للممالك الذين
في الطباق فقط ، فذهبوا للممالك القرائضة اللحم وهو طالع إلى القلعة ففعلوا
ذلك مرتين في هذا الشهر ، انتهى ذلك . ٢

وفي شعبان في يوم الخميس مستهله أخلع السلطان على الأمير يوسف الناصري ، الذي
كان نائب حماة وولى نيابة ملطية وحماة ونيابة قلعة حلب ثم حضر إلى الديار المصرية ،
فقرره في شادية الشراب خاناه ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين توجه الأمير
أبرك مملوك السلطان إلى حلب وأعيد إلى نيابة قلعتها كما كان وذلك قبل أن يلى نيابة
طرابلس . - وفي هذا الشهر تشحط اللحم البقرى والضاني أيضا واضطربت أحوال القاهرة ،
وكان سبب ذلك أن السلطان قد أرمى على الجزارين ثيران الأكرة وأقامهم عليهم
كل ثور بأربعين دينارا ، فهربوا الجزارون من هذه الرماية وتعطل بيع اللحم
(١٠٦ آ) البقرى والضاني ، فأقامت المدينة معطلة أياما حتى تراجع الأمر قليلا ،
وكانت لحوم العسكر معطلة نحو من أربعة أشهر لم تُصرف بسبب ما جرى للمعلم
على الصغير والمعلم خضر كما تقدم . - وفي يوم السبت عاشره نزل السلطان
من القلعة وتوجه إلى نحو تربة العادل وجرب هناك مكاحل . ثم عاد إلى القلعة
١٥ من يومه . - وفي يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان وشق من القاهرة وتوجه
إلى خان الخليل وكشف عن عمارته التي أنشأها هناك ، ثم توجه إلى باب الفتوح
وكشف عن عمارة الأتابكي قرقاس التي أنشأها هناك . ثم عاد إلى القلعة . -
١٨ وفي يوم الثلاثاء عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى نحو بولاق وكشف على
المراكب التي عمرها هناك . ثم نزل في الحراقة وتوجه إلى المقياس وجلس
في القصر الذي أنشأه على بسطة المقياس وأقام هناك إلى بعد العصر ، ومد له هناك
٢١ الزيني بركات بن موسى المحتسب مدّة حافلة . ثم صلتى العصر وعدى من المقياس
إلى بر مصر وطلع إلى القلعة وشق من الصليبة في موكب حافل . - وفي يوم
الجمعة ثالث عشرينه . الموافق لسابع عشر هاتور القبطى : فيه قلع السلطان النياض
(ه) نائب حماة : جاءت في الأصل بعد « المصرية » في نفس السطر . ■ ملطية : ملاطية .

ولبس (١٠٦ب) الصوف . - ثم في يوم السبت صبيحة ذلك نزل السلطان وتوجه إلى نحو مدرسته التي بالشرابشين ، فدلّ له هناك الأمير خايرييك الخازندار مدة حافلة فأكل منها ، ثم ركب وطلع إلى القلعة . - وفيه أنعم السلطان على الأمير ٣ أربك المكحل بتقدمة ألف كما كان أولا ، وكان من حين شفع فيه قرقد بيك بن هنان وحضر من دمياط وهو طرخان ، وأنعم على قانصوه الفاجر بتقدمة ألف أيضا . - وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى المقياس وقرأ ٦ هناك ختمة ومدّ سهاطا حافلا ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، وعدّى من هناك إلى نحو بولاق فكشف على المراكب ثم عاد إلى القلعة .

- وفي رمضان كان مستهلّه يوم السبت فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة ٩ بالشهر ، وطلع الوزير يوسف البدرى إلى القلعة والزينى بركات بن موسى المحتسب ، وطلعوا باللحم والخبز والدقيق والسكر وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ، وكان السلطان في الميدان فأخلع عليهما ، وكان يوما مشهودا . - وفيه وزّع السلطان ١٢ على اليهود السمرة نحو ما سبعين ألف دينار فتشكّوا من ذلك ، وسبب توزيع هذا المال (٢١٠٧) أن المعلم يعقوب اليهودى لما صادره السلطان قرّر عليه مائة ألف دينار فشكا من ذلك وأظهر العجز ، فرسم السلطان بأن طائفة اليهود السمرة ١٥ والرُبّان تساعد المعلم يعقوب في هذه المصاهرة ، فتوزّعوا ذلك [على] السمرة والرُبّان والقراء وجماعة من التجّار اليهود ، فحصل لهم الضرر الشامل قاطبة ، وقيل تضاعفت هذه المصادرة إلى دون المائة ألف دينار . - وفي هذا الشهر جاءت ١٨ الأخبار من البلاد الحلبية والشامية بأن الموت قد كثّر في الأبقار فأت منها ما لا يحصى ، وقد وقع مثل ذلك بالديار المصرية في أيام الخلفاء الفاطميين . - وفي يوم الأحد تاسعه نزل السلطان من القلعة وصحبته ولده ، فتوجه إلى نحو المطعم السلطاني ٢١ وجلس على المصطبة التي هناك ، فأرموا قدّامه رماية بالطيور والكلاب والشرح في ذلك اليوم . - وسيّّر إلى قبة الأمير يشبّك التي بالمطرية ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . - وفي يوم الخميس ثالث عشره حضر إلى الأبواب الشريفة قانصوه خازندار ٢٤

الأمير أزدحر الدوادار الكبير كان ، وكان السلطان قرّر قانصوه هذا في نيابة
 هينتاب فسعوا عليه حتى عُرِّل ورجع إلى مصر وهو (١٠٧ ب) معزول ، بعد
 ٢ أن سعى في ذلك بحال له صورة فأقام مدة يسيرة وعُرِّل عنها . - وفيه تغيّر
 خاطر السلطان على الرئيس كمال الدين بن شمس المزين وكان من خواصه ، فنعاه
 من الطلوع إلى القلعة ورسم له بأن يتوجّه إلى بلاده ويقيم بها . - وفي يوم
 ٦ الأحد سابع عشره توفي الأمير عبد اللطيف الزمام ، وكان أصله من خُدّام
 الأشرف أيتال ، وكان ديناً خيراً ليتن الجانب قليل الأذى ، وكان قد كبر سنّه
 وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر ، وكان رومى الجنس أبيض اللون طويل
 ٩ القامة نحيف الجسد . - وفي يوم الأربعاء تاسع عشره تغيّر خاطر السلطان على
 القاضي أبي البقاء ناظر الاسطبل ومستوفى الخاص ، فوضعه في الحديد وعراه
 من أثوابه وكشف رأسه وكان ذلك في قوّة البرد ، فسلمه إلى الوالى في ذلك
 ١٢ اليوم ونزل من القلعة وهو ماشى عريان مكشوف الرأس في الحديد ، وحلف
 السلطان بحياة رأسه أنه لا يلبس أثوابه ولا عمامته حتى يُغلق ما قرّره عليه من
 المال ، ورسم للوالى بأن يُقعده على البلاط من غير فرش ، وهذه ثانی نكبة وقعت
 ١٥ لأبي البقا مع السلطان وكان مظلوماً مع السلطان في هذه الواقعة ، فإن أمره كان
 رائجاً وله (٢١٠٨) دواليب قصب بدمياط تسد ما عليه فوضع السلطان يده
 على الدواليب وطلب منه بعد ذلك المال الذي قرّره عليه ، فحصل له الضرر الشامل
 ١٨ بسبب ذلك ، فكان كما يقال في المعنى :

يا من يرى خِدْمَةَ السلطان عمدته هل أرش ذلك إلاّ الهِمّ والهرم
 فقلبه وجِلّ والنفس خائفة وعرضه عَرَضٌ والدين مُلْتَم
 ٢١ هذا إذا كان في أيام دولته فكيف بالمرء إن زلّت به القدم

وفيه نفق السلطان الكسوة على العسكر وكانت في غاية الانشعاعات من تعطيل
 المباشرين . - وفي يوم السبت ثاني عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة شخص من

أمراء عربان الشام يقال له محمد بن ساعد ، وكان من العصاة لم يدخل قط تحت طاعة السلاطين ولا نواب الشام ، وكانوا يخشون من بأسه ، فحضر في دولة الغورى إلى الديار المصرية وصحبته مقدمة حافلة إلى السلطان ما بين مال وخيول ٢ وسلاح وغير ذلك ، فعلى حضور ابن ساعد إلى مصر من جملة سعد السلطان قانصوه الغورى وكيف دخل تحت طاعته ، وقد قيل في المعنى :

أيا ملك العصر لا زلت في عزّ وتأيد ونصرٍ وفي
صارمك المشهور ماضى الشبا ونورك بالسعد لا ينطى ٦

وفي يوم الأحد ثالث عشرته نزل السلطان من القلعة (١٠٨ ب) وصحبته ولده ، فتوجه إلى المقياس وأقام به ساعة ، ثم نزل في الحراقة وأتى إلى بولاق ٩ وكشف على المراكب التي عمرها هناك ، ثم ركب من هناك وأتى إلى قنطرة الحاجب فطلع من عليها ودخل من باب الشعرية ، ثم أتى إلى باب القنطرة وكشف على الربع الذى عمره على القنطرة من الجهتين ، وخرج من باب القنطرة وشق ١٢ من سوق مرجوش ، ثم شق من القاهرة وطلع من باب زويلة إلى القلعة ، وكان في نفر قليل من العسكر ، ومشى الوالى وروثوس النوب قدّامه بالعصى والزيفى بركات بن موسى المختسب من بولاق إلى القلعة . - وفي يوم الأربعاء سادس ١٥ عشرته نزل السلطان وسيّر إلى جهة المطرية ثم عاد إلى القلعة . - وفي ذلك اليوم كان ختم البخارى بالحوش السلطاني في خيمة كبيرة وحضر القضاة الأربعة ومشايخ العلم ، وفُرقت الصرر على من له عادة من الفقهاء ، وأُخلع على القضاة الأربعة ومن ١٨ له عادة من العلماء ، وكان ختمًا حافلاً . - وفي هذا الشهر كان سعر الحلوى المشبك والمنقوش في غاية الارتفاع بموجب غاو السكر والفستق فرفعت هذه القصيدة إلى القاضي بركات بن موسى المختسب بمعنى أنواع الحلوى وذكرت فيها (١٠٩ آ) ٢١ أشياء لطيفة فن ذلك قولى :

لقد جاد بالبركات فضل زماننا
 حَكَمها شِفاه الغانيات حلاوةً
 ٢ فلا عيب فيها غير أنْ مُحِبِّها
 فكم سِتَّ حسن مع أصابع زبيب
 وكم كمكعة تحكى أساور فضة
 ٦ كفوف من الحلوى غدت مبسوطة
 وكم قد حلا في مصر من قاهرية
 وفي ثوبه المنفوش جاء برونق
 ٩ وقد صرت في وصف القطايف هائماً
 فيا قاضياً بالله محتسباً عسى
 بأنواع حلوى نشرها يتَضَوَّعُ
 ألم ترفى من طعمها لست أشبعُ
 يُبَدِّدُ فيها ماله ويُبْذِعُ
 بها كل ما تهوى النفوسُ مجمعُ
 وكم عَقْدَةٌ حَلَّتْ بها البسط أجمعُ
 لكم بدعاء صالح تَتَضَرَّعُ
 كذلك المشبك وصله ليس يُقَطَّعُ
 فيا حَبْلًا أنواره حين تَسْطَعُ
 ترانى لأبواب الكنافة أقرعُ
 تُرَخِّصُ لنا الحلوى نطيب ونرتعُ

انتهى ذلك . - وفي يوم السبت تاسع عشر منه أعرض ناظر الخاص خلع العيد
 ١٢ على السلطان وهي مزفوفة على رؤوس الحمالين ، وكانت في هذه السنة في غاية
 الوحاشة . وهي من القماش القطنيات الملون التي مثل العنكبوت وغالبها بلا طرز ،
 ولم يعطوا لأحد عادته غير أصحاب الوظائف فقط ، فحل (١٠٩ ب) عند الناس
 ١٥ كسر خاطر وراحت على من كان له عادة بخلة في العيد ، وكان ناظر الخاص
 في هذه السنة في غاية الانشحات والمطل للناس . - وفي يوم الأحد ، وهو
 الثلاثون ، غمى الهلال ولم يُرَ ، وكان في أوائل رمضان جاءت الأخبار بأن أهل
 ١٨ الإسكندرية ودمياط والمحلة قد صاموا يوم الجمعة ، فكان يمكن أن يحيى رمضان
 ناقصا بناء على أن غالب البلاد قد صاموا يوم الجمعة ، وكان الصيام في مصر
 يوم السبت ، وكان ذكر في التقاويم على أن رمضان يحيى ناقصا فجاء تماما ، فقامت
 ٢١ الأشلة على قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، وقالوا : قد فطرنا في أول
 رمضان وصومنا في يوم العيد ، وقال :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد

أفطرت في رمضان وصُمت في يوم عيد

وقال آخر :

٢ إن قاضينا لأعْمَى أم على عمْدٍ تعامَى
سرق العيد كأنَّ الـ . . عيْد من مال اليتامَى

وقد وقع مثل ذلك في أيام الهروى وكان سببا لعزله من القضاء .

وفي شوال كان مستهلَّ الشهر يوم الاثنين ، وكان موكب العيد حافلا ، فأخلع
على الأمراء وأرباب الوظائف وكانت الخلع سُبَّة من السُّبَب . - وكان القاضي كاتب
(١١٠) السر محمود بن أجا متوَعَكَا في جسده وكان له مدَّة وهو منقطع في داره
فحصل له الشفاء ، فدخلتُ إليه في يوم العيد وسلِّمتُ عليه وهنَّيته بالعيد وبالشفاء
وقدَّمتُ إليه هذين البيتين ، وهما :

قد عمَّ بالعیدین فَرَحات الوری بشفائکم وبعید فطر أشرفا
١٢ فالشكر لله الذى عافاكوا لما توسَّلنا بآيات الشفا

وكان حاضرا في المجلس جماعة من الأعيان فطربوا لذلك ، ولى فيه قبل ذلك

من المديح وقد صرَّحتُ باسمه بما وافق التورية في المعنى ، وهو قولى :

١٥ يا قاضيا شأنه الأسرار يكتُمها لا يعلم الناس جوداً فيك موجودُ
فالناس تُحَمَّد من فعل تسود به وأنت في سائر الأفعال محمودُ

وفي يوم السبت سادسه نزل السلطان وتوجَّه إلى المقياس ، وصنع له الزينى

بركات بن موسى المحتسب طواجن بورى ومأمونية وحلوى وأشياء مؤتقة ، فأقام ١٨

هناك إلى بعد العصر ، وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية . - وفي يوم الثلاثاء

تاسعه نزل السلطان وتوجه إلى خان الخليلي وكشف على عمارته التى أنشأها

هناك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه ، وقد أضرَّ الناس كثرة نزول السلطان وتعطلت ٢١

أحوال الرعيَّة من عدم المحاكمات في (١١٠ ب) أشغال الناس وقد قلَّت العلامة

- على المراسيم ، فكان السلطان يقعد نحواً من أربعين يوماً لا يمكس فيها قلماً ، ولا يُعَلِّم على مرسوم ، حتى عَزَّت العلامة جداً وأُيِّعت ، وكان السلطان يكره المحاكمات ويكره العلامات على المراسيم ، وكان دأبه الركوب في كل يوم والاشتغال بروية التنزه والرياضات دائماً . - وفي يوم الاثنين ثامنه حضر إلى الأبواب الشريفة أبرك نائب طرابلس ، وهو من ممالك السلطان ، وكان ولي نيابة قلعة حلب ، ثم حضر إلى القاهرة في سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، فلما حضر قرّره السلطان في شادية الشراب خاناه عوضاً عن ولده لما توفى ، فأقام بمصر نحواً من شهر وعاد إلى حلب وقرّر في نيابة قلعتها ، ثم ولي نيابة طرابلس فتغيّر خاطر السلطان عليه فأرسل خلفه فحضر ، فلما قابل السلطان لم يخاطبه ولا أخلع عليه ، ثم نزل في مكان عدّ له . - وفي يوم الاثنين خامس عشره جلس السلطان في الميدان جلوساً عاماً ، ثم عرض كسوة الكعبة الشريفة والبرقع ومقام إبراهيم عليه السلام والمحمل الشريف ، فشقوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود . - وفيه ظهر بالقبة التي أنشأها السلطان في مدرسته تشقّقاً فاحشاً حتى آلت إلى السقوط ، فأمر بهدمها (١١١٦) فهُدمت من سُفلها ، ثم علّقوها ورمّوها رمّاً حافلاً ، وقد تقدّم أن المئذنة التي بالجامع هدمت قبل ذلك وأعيدت ثانياً . - وفي يوم الخميس ثامن عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل زائد ، وكان له يوم مشهود حتى ارتجت له القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل الأمير طومان باي الدوادار الكبير ابن أخى السلطان ، وبالركب الأول الأمير بيك باي أحد الأمراء العشرات الذي كان نائب القدس قبل ذلك ، وفي هذه السنة حجّ جماعة كثيرة من الأعيان منهم الأمير خاير بيك أحد المقدمين الألوفاً الذي كان كاشف الغريبة قبل ذلك ، وحجّ الشرفي يونس بن الأفرع نقيب الجيوش المنصورة ، وغير ذلك جماعة من الرؤساء بالديار المصرية ، وحجّت في هذه السنة زوجة الأمير طومان باي ابنة

- الأمير أفردي الدوادار والدتها بنت خاص بيك ، وحجّت أيضا زوجة الأتابكي
سودون العجمي ، وغير ذلك جماعة من مشاهير الستات . وحجّ شيخ العرب
الأمير أحمد بن بقر ، وحجّ حسام الدين بن بغداد وجماعة من مشايخ عربان
هواره . وغير ذلك من الأعيان . - وفي يوم الاثنين ثلثي عشره حضر إلى
الأبواب الشريفة بخشاي حاجب حجاب دمشق ، وكان ولي نيابة صفد (١١١ب)
ونياية حماة ثم ولي نيابة طرابلس ثم بقي بعد ذلك حاجب حجاب دمشق ،
وكان صهر الأتابكي دولات باي قرابة العادل ، فحضر إلى الديار المصرية بطالا ،
فعيّن له السلطان لما حضر تقدمة ألف وصار يقف مع الأمراء المقدمين . -
وفي يوم الاثنين تاسع عشره رسم السلطان بتوسيط أربعة أنفار قد سرقوا
وقتلوا ووجب عليهم القتل ، فوسطوهم في الرملة . انتهى ذلك .
وفي ذي القعدة في يوم الأربعاء ثانيه نزل السلطان وتوجّه إلى المقياس وأقام
به إلى بعد العصر ، وطلع وشقّ من الصليبة في موكب حافل . - وفي يوم الخميس ١٢
ثالثه قبض السلطان على شمس الدين بن عوض ووكل به بجامع القلعة إلى أن
يكون من أمره ما يكون . - وفي يوم الاثنين رابع عشره نزل السلطان وتوجّه
إلى المقياس ، وعزم على الأمراء المقدمين قاطبة . وجلس هو وإيّاهم في القصر
الذي أنشأه على بسطة المقياس . ومدّ لهم في ذلك اليوم أسمطة حافلة ، ونصبت
الأمراء لهم صواوين على شاطئ البحر الذي تجاه الجزيرة ، وأغدق عليهم في ذلك
اليوم بأشياء كثيرة من حلوى وفاكهة وغير ذلك ، فأقام هناك إلى قريب العصر
ثم نزل في الحراقة وتوجّه إلى بولاق . (١١٢ آ) ونصّب له في الحراقة سحابة
أطلس أصفر ، وقيل أنه ألبس الأمراء المقدمين في ذلك اليوم لكل واحد منهم
سلاوي ما بين وشقّ وصمّور ، وكان ذلك اليوم بالسلطاني . - وفيه أحضروا ٢١
بين يدي السلطان شخصا من الشحاتين الجعيدية ، وجدوا معه مائة وسعين
دينارا وهم ضرب الأشرف برسباي . فقال له السلطان : من أين لك هذا الذهب ،
فقال : ورثتهم من أمي ، فأخذ السلطان منه ذلك الذهب وسلّمه إلى محمد مهتار ٢٤

الطشتخاناه ، ورسم بأن يشتري للشحات من ذهب جوخة وقيصا وعمامة وأن
يصرف له في كل يوم نصفين فضة يأكل بها حتى تفرغ فلولسه ، فلم يرض
الشحات بذلك وصار يقول : عييدولي ذهبي ومالي حاجة بكسوتكم ، واستمر
الذهب تحت يد محمد المهتار .

وفي ذي الحجة في يوم الاثنين خامسه فرق السلطان الأضحية على العسكر ،
وقطع لجماعة كثيرة من الفقهاء والأيتام ، وضيقوا كُتّاب المالك على الناس
في هذه السنة في تفرقة الوصولات إلى الغاية ، وراحت الأضحية في هذه السنة
على كثير من الناس . - وفي يوم الثلاثاء خامس عشره ركب القاضي (١١٢ ب)
كاتب السر محمود بن أجا وطلع إلى القلعة ، وكان له مدة خمسة أشهر لم يركب وهو
منقطع في داره فركب في ذلك اليوم ، وأخلع عليه السلطان كاملة مخمل أحمر
بصمور ، ونزل إلى داره وهو في غاية العظمة . وقد قلت في ذلك :

١٢ سيدي أنت معدن التشريف بلرتم منزّه عن خسوف
فابق واسلم ودّم وعش في شفاء لألوف من كل عصر ألوف

وفي هذا الشهر نادى السلطان على الفلوس الجدد والعق بأن الرطل منهم
ثمان عشرة نقرة ، وضرب فلوسا معاددة تخسر فيهم السوق الثلث . وهم في غاية
الخفة ، فصارت البضائع تباع بسمرين ، سعر بالفلوس الجدد وسعر بالفلوس
العق . - وفي يوم الثلاثاء خامس عشره المذكور أعلاه توفي الشيخ علاي الدين
الملة على العجمي الشافعي شيخ تربة جاني بك نائب جدة . وكان من أعيان علماء
الشافعية ، وله شهرة في مصر بين العلماء . وكان لا بأس به . - وفي يوم الخميس
سابع عشره رضى السلطان على أبي البقا ناظر الاسطبل . وأخلع عليه واستمر
٢١ على وظيفته كما كان بعد أن قامى شدائد ومحن : وقد تقدم ذكر ذلك . -
وفيه توفي القاضي نور الدين الأشعوني ، وكان من أعيان نواب الشافعية بقمية الناس

(٨) الثلاثاء : كذا في الأصل ، ويلاحظ أن الخامس عشر من ذي الحجة سنة ٩١٧ يوافق يوم
الخميس ، كما يلاحظ اختلاف التواريخ الواردة فيما يل لأيام هذا الشهر .

- وله شهرة بين النواب ، وكان لا بأس به . - (١١٣ آ) وفيه أذن السلطان للخليفة المنفصل المستمسك بالله يعقوب ، والد المتوكل على الله محمد ، بأن يركب إلى صلاة الجمعة ويسير ويزور القرافة ، وكان من حين انفصل من الخلافة وولى ٣ ولده وهو مختفى في داره لم يركب ولم يجتمع بأحد من الناس ، حتى أذن له السلطان في الركوب . - وفي يوم الخميس عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد على دولات وصحبته مقدمة حافلة للسلطان ، فن جملتها ممالك وخيل وجمال ٦ بخاني ، ومن جملة ذلك خيمة كبيرة منقوشة بحريز ملون صفة أشجار مزهرة وعليها أطيّار ، ومن جملة المقدمة خركاه خشب مدهونة بماء ذهب ولازورد وألوان غريبة وهي منقوشة هيئة وحوش كاسر ومكسور ، ولهذه الخركاه غشى ٩ جوخ أزرق مقصص ، ولها أطناب وعراوى حريز أحمر ولها باب خشب موشق وعليه ضبة ، ولتلك الخركاه بساط مدور على قدرها منقوش صنعة غريبة لم يعمل مثله ، وكانت هذه الخركاه من تحف حسن بيك الطويل فوصلت إلى اسمعيل ١٢ الصوفي والصوفي أرسلها إلى على دولات وعلى دولات أرسلها إلى السلطان ، فكانت هذه الخركاه والخيمة من جملة التحف الغريبة (١١٣ ب) فأمر السلطان بتصميمها في الحوش للفرجة ، وأوكب في ذلك اليوم لأجل القاصد موكبا حافلا بغير ١٥ شاش ولا قاش . - وفي أواخر هذه السنة توفي القاضي شمس الدين المتوفى أحد نواب الشافعية . - وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه حضر مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وكان أشيع بين الناس عن الحجاج أخبار مهولة فبطل ذلك ١٨ حين جاء المبشر وكان من أهل الفضل . - وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه عزم السلطان على قاصد على دولات في الميدان ، وجلس هو وليّاه على البحرة التي في البستان ، ومدّ له هناك مدّة حافلة ، وقد عزم عليه قبل ذلك مرة أخرى ٢١ فأقام عنده إلى بعد الظهر في الميدان ، ثم انصرف القاصد وطلع السلطان إلى القلعة ،

(١٦ - ١٧) وفي أواخر ... الشافعية : وردت في الأصل قبل « فأمر » في

سطر ١٤ . (١٨) فبطل : ويطلب .

والبس القاصد سلارى بصمور من ملايسه . - وفي يوم الخميس تاسع عشرية
 رسم السلطان بتسمير ثلاثة أنفار ، قيل أنهم سرقوا حجرة من حجورة السلطان
 ٣ تسوى نحو مائتى دينار ، فسمروهم ووسطوهم ، وقيل إن الحجرة سرفت وهى
 فى الربيع فى برّ الجزيرة . - انتهى ما أوردناه من أخبار هذه السنة ، وقد خرجت
 عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة لم يقع فيها طاعون ولا فتى ، غير أن كان
 ٦ البرد فيها شديدا ووقع فيها عدة أيام أفرط فيها البرد حتى جمدت المياه (١١٤ آ)
 وصارت جليدا ، وأحرق غالب الأشجار ، ووقع فيها تشحيطة فى سائر الغلال
 وتناهى سعر القمح إلى أشرفين كل أردب ، وكذلك الشعير والفول وجميع
 ٩ الحبوب كانت مشتطة فى أسعارها ووقع الغلاء فيها أيضا ، حتى وقع الغلاء فى أصناف
 الخضرا أيضا ، [و] فى سائر البضائع من السكر والعسل والزيت والسمن والسيرج حتى
 الزيت الحار والزبيب والأرز وسائر الأصناف حتى البرسيم وغير ذلك .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وتسعمائة

١٢

فيها فى الحرم كان مستهلّ الشهر بالجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة يهتون
 السلطان بالعام الجديد . - وفى يوم الأحد ثالثه نزل السلطان من القلعة ، وصحبته
 ١٥ ولده ، فتوجّه إلى القرافة وزار الصالحين ، ثم توجه من هناك إلى شاطئ البحر
 فشقّ من عليه وطلع من على الصليبة إلى القلعة . - وفى يوم الاثنين رابعه أخلع
 السلطان على قاصد على دولات وأذن له بالسفر إلى بلاده . - وفى يوم الثلاثاء
 ١٨ خامسه نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطرية ، وكان يوما ماطرا مغيمًا ، فنزل من
 هناك فى قبة الأمير يشبّك التى بالمطرية ، فأقام (١١٤ ب) بها إلى أواخر النهار ثم
 عاد إلى القلعة . - وفى يوم الأربعاء سادسه توفى الشيخ شمس الدين محمد
 ٢١ الغزّلى خطيب جامع السلطان الذى فى الشراشين ، وكان من أهل العلم والفضل
 وكان علامة فى الخطب فصيحًا فى عبارته ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الجمعة
 ثامنه توفى القاضي عزّ الدين عبد العزيز بن الأمانة أحد نواب الشافعية ، وكان

- لأبأس به . وهو ابن أخى القاضى جلال الدين بن الأمانة . - وفى يوم السبت
تاسعه طلع الرئيس كمال الدين بن شمس الميزين وقابل السلطان : وقد تقدم القول
بأنه قد تغير خاطره عليه ومنعه من الطلوع إلى القلعة . فاختفى هذه المدة ولم
يعلم له خبر : فطلع فى ذلك اليوم وصحبته فقراء من مقام سيدى إبراهيم الدسوقي
رضى الله عنه وهم يذكرون ومعهم أعلام ومصاحف فدخلوا الخوش . وكان
السلطان عرض فى ذلك اليوم ممالك كتابية وأخرج منهم خرجا على جارى
العادة : وكان فى ذلك اليوم فى غاية السودنة . فلما دخلوا تلك الفقراء عليه وهم
على هذه الهيئة فازداد سودنة : فلما وقفوا بين يديه فرأى كمال الدين بن شمس
وعليه إحرام (١١٥ آ) صوف أبيض وهو بطليسان وعذبة فى عمامته . فلما رأى
ذلك نهر الفقراء الذين معه وشتتهم ، ثم التف إلى كمال الدين بن شمس ووبخه
بالكلام وشمته وسبه سباً فاحشاً وقال له : أنا ما قلت لك لا تربني وجهك فأنا
ما شوتت عليك ولا صادرتك فما تروح عنى بشحم كلاك غبت وجئت إلى
شيخ من المشايخ متى بقى لك سر وبرهان ، ثم إن السلطان رسم بتسليمه إلى الوالى
يعاقبه ، ثم فى ثانى يوم أشيع بين الناس أن السلطان أرسل كمال الدين إلى المنشرة ،
فما أحد شكر كمال الدين على ذلك ، وكان عدم مقابلته له أصوب . وكان كمال الدين
من خواص السلطان ويكتبه وقت الظهر إذا نام ، ثم تغير خاطره عليه ، وكان
سبب ذلك أن السلطان حصل له قرو فى محاشمه فقصده كمال الدين فى محاشمه
عدة مرار ، فبلغ السلطان أن كمال الدين قد شرع يقول للأمراء والناس أن السلطان
بقى قليط ، فتغير خاطره عليه بسبب ذلك وقبل كان كمال الدين يلبس الأمراء
والمياشرين على لسان السلطان ، فكثرت فيه المرافعات من كل جانب وسقط
نجمه من السماء . - وفى يوم (١١٥ ب) الأحد ، وهو يوم عاشوراء ، فيه نزل
السلطان وتوجه إلى نحو المقياس وجلس فى القصر الذى أنشأه هناك ، وكان معه
جماعة من الأمراء ، فأقام هناك إلى قريب المغرب ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى
الغاية ، ومد هناك أسمطة حافلة وأحضر بين يديه مغانى وأرباب الآلات ، ثم إن

- شخصاً مضحكاً يقال له على باى الذى يعمل غفريتا فى المحمل ، فقام رقص . ثم
سحب الوالى كرتباى فرقصه ، ثم سحب أمير آخور ثانى أقبای الطويل فرقصه ،
٢ ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقصه ، ثم سحب عبد العظيم الصيرفى
فرقصه ، وكان جسيماً فضحك عليه السلطان ، ونثروا بين يديه أشياء من أنواع الورد
والزهر والفاكهة ومجامع الحلوى فتخاطف ذلك الممالك ، وابتج فى ذلك اليوم ،
٦ ثم عدى أواخر النهار من الروضة وطلع من عند قصر ابن العيني الذى بالمنشية ،
وطلع من هناك إلى القلعة . - وفى يوم الاثنين حادى عشره حضر إلى الأبواب
الشريفة قُصّاد من عند ملوك الفرنج الفرانسة ، وكانوا هذا القُصّاد من رؤساء
٩ الفرنج ، فأرسل لهم السلطان خيولاً يركبونها من بولاق إلى القلعة ، فلما طلّعوا
أوكب لهم السلطان (١١٦ آ) بالحوش ، وزينوا لهم باب الزردخاناه وباب القلعة
بالصناجق واللبوس وآلة السلاح ، فلما طلّعوا إلى القلعة فكانوا نحواً من خمسين
١٢ نفراً ، ومن أعيانهم اثنين لابسين ثياب مخمل كفى ، فى أرقابها سلاسل من ذهب ،
فلما أن وقفوا بين يدى السلطان أظهروا التعظيم ثم باسوا له الأرض ، فلما قرؤوا
كتابهم انصرفوا وأنزلوهم فى بيت كاتب السر أبو بكر بن مزهر الذى فى بركة الرطلى ،
١٥ ونزل نائب المهندار صحبتهم ، وشقوا من القاهرة ، وكان ذلك يوماً مشهوداً . -
وفى يوم الخميس رابع عشره توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له تمر
الذى كان كاشف الجيزة فيما بعد . وكان موته فجأة . - وفى هذا الشهر قرر
١٨ السلطان قاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميلى
فى خطابة جامعته الذى بالشرابشين . عوضاً عن شمس الدين الغزى بحكم وفاته ،
فلما سعى الشرفى . يحيى فى الخطابة رسم له السلطان بأن يخطب به حتى يسمع
٢١ خطبته ، وكان ذلك فى أول جمعة فى السنة ، وخطب قاضى القضاة الشافعى كمال الدين
فى ذلك اليوم فى جامع السلطان ، فلما خطب الشرفى يحيى بالسلطان أعجبه (١١٦ ب)
خطبته فقرره فى خطابة جامعته عوضاً عن الغزى . - وفى يوم الخميس
(٩) خيولاً يركبونها : خيول يركبونها . (١٧) فيما بعد : فيما بعد تمر . (٢٣) جامعته : جامعته .

حادى عشرينه دخل أمير الحاج بالركب الأول وهو الأمير بكباى ثم فى يوم السبت
ثالث عشرينه دخل المحمل إلى القاهرة مصبته أمير الحاج طومان باى اللوادار
الكبير ، فطلع إلى القلعة وأطلع عليه السلطان فوقانى بطرز يلبغاوى عريض ، ٢
وأطلع على من حجّ معه من الأعيان وهم الأمير خاير بيك كاشف الغريبة أحد
المقدمين ، والشرقى يونس نقيب الجيوش المنصورة ، وشيخ العرب أحمد بن بقر ، وغير
ذلك من مشايخ العربان ممن كان فى الحجاز ، ومنهم ابن بغداد وآخرون من ٦
الأعيان ، فنزل الأمير طومان باى فى موكب حافل وقد آمه الأمراء المقدمين قاطبة ،
وكان له يوم مشهود ، وقد رجع من هذه السفرة والناس عنه راضية ، وأشيع
عنه أخبار حسنة مما فعله فى طريق الحجاز من وجوه البرّ والإحسان وفعل ٩
الخير وحمل المتقطعين والصدقات بطول الطريق على الفقراء والمساكين ، فشكر له
الناس ذلك . - وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه ورد على السلطان (١١٧ آ)
أخبار رديّة من البحيرة بأن العربان قد جالت هناك وقتل بينهم عمّال ، وقد آل ١٢
أمر تلك الجهات إلى الخراب ، وقيل تحالفت سبع طوائف من العربان بأن
يكونوا كلمة واحدة على العصيان ، فلما تحقق السلطان ذلك عيّن جماعة من الأمراء ،
فلم يباذروا بالعزم إلى ذلك ، فحقن منهم وقال : أنا أخرج إلى ذلك بنفسى ، فشرع ١٥
فى ذلك اليوم بعرض السنيح والخيول والجمال والسقاين ، ورسم بعمل إحراقه
نفظ على أنه يتوجه من هناك إلى ثغر الإسكندرية ، فقوى عزمه على ذلك وأقام
يعرض أشياء كثيرة فى الميدان إلى بعد العصر ، وما يُعلم ما بعد ذلك . - وفى ١٨
يوم الجمعة تاسع عشرينه جاءت الأخبار من البحيرة بأن عرب عزالة وغيرهم
من العربان قد أظهروا العصيان وزحفوا على البلاد وأفسدوا الزروع ونهبوا
المغل ، وأن شيخ العرب الجويلي معهم فى المحاصرة ، وطرّدوا كاشف المنوفية وغيره ٢١
عن البلاد ، فلما تحقق السلطان ذلك عين لهم تجريدة وبها من الأمراء الأمير

(١٢ - ١٤) وقيل . . . العصيان : جاءت فى الأصل قبل « وفى يوم الثلاثاء » فى سطر ١١ .

طومان باى الدوادر الكبير قريب السلطان الذى كان فى الحجاز ، وعين أيضا
الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد المقدمين ، وعين الأمير علاّن الدوادر الثانى
أحد المقدمين ، وآخرين من الأمراء والعسكر ، فصلّوا صلاة الجمعة (١١٧ ب)
وخرجوا على جرائد الخيل ، فرجت لهم القاهرة ، فخرج الدوادر ومن معه من
الأمراء ونزلوا بإنبابة حتى يتكامل خروج بقية العسكر ، وقد كثر الكلام
وزادت الإشاعات بسفر السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، وأنه أرسل يقول للخليفة
والقضاة الأربعة : جهزوا لكم يرق حتى تخرجوا مصبى إلى ثغر الإسكندرية ،
وكذلك أعيان المباشرين ، فاضطربت الأحوال بسبب ذلك . - وفى يوم السبت
سلخه جلس السلطان بالميدان ، وعرض جماعة من العسكر فكذب منهم نحوًا من
ماتى مملوك ، وأمرهم بسرعة الخروج مع الدوادر إلى البحيرة ، وكتب طائفة
من المماليك إلى جهة الفيوم والهنسا ، فبينما السلطان يعرض العسكر فورد عليه
١٢ قصاد من عند نائب حلب ، وأخبروا بأن أوائل عسكر إسماعيل شاه الصوفى قد
وصل إلى البيرة ، وأن جماعة من عسكر البيرة التفت على عسكر الصوفى ، فتأكد
السلطان فى ذلك اليوم لهذه الأخبار واضطربت أحواله بين أمر العربان الذين
١٥ جالت وبين أمر الصوفى ، والله الأمر فى ذلك . - وفى هذا الشهر طلع قاصد
ملك الفرنج بتقدمة حافلة للسلطان ما بين أوانى بلور مزيكة (١١٨ آ) بذهب ،
وجالين عليهم جوخ وغمل وتماسيح مذهب ، وقيل وذهب عين ، وغير ذلك أشياء
١٨ حافلة تصلح للملوك . - وفى أواخر هذا الشهر أخلع السلطان على شرف الدين
ابن روق وقرّره فى نظر الخزائن الشريفة وجعله مستوفيا على أولاد الجيعان ، وقد
سعى فى ذلك بخمسة آلاف دينار فاستخفوا الناس عقله على ذلك الذى يستوفى
على أولاد بنى الجيعان وهذه غاية الخفّة ، وأشيع أنه متحدث فى وكالة بيت المال
أيضا ، وغاية الأمر أن كان معه مال فأذهبه فى البطال على شيء لا يظهر له منه
نتيجة ، وكان ساعيا قبل ذلك فى قضاء الشافعية بمصر فاتمّ له ذلك ، وقد خفّ

(٢٢) الأمر : أمر .

(تاريخ ابن لياس ج ٤ - ١٧)

- وركب الخيل وطاش في الحال . - وفي أواخر هذا الشهر توفيت الست بنت خوند بنت الملك المؤيد شيخ ، وهي بنت الأمير يشبك الفقيه الذي كان دوا دارا كبيرا فمبا بعد ، وكانت من أعيان الستات . ٢
- وفي صفر بطل سفر السلطان إلى نغر الإسكندرية بموجب ما ورد عليه من أخبار الصوفي فتأكد لذلك . - وفي يوم الاثنين ثانيه خرج الأمير قانصوه ابن سلطان جركس أحد المقدمين والأمير ماماي جوشن ، فتوجها إلى نحو الهندسا والقيوم ، وخرج صحبتهما (١١٨ ب) نحو من مائتي مملوك . - وفي يوم الخميس خامسه رسم السلطان بشنكله شخص من الغلمان زعموا أنه أحرق بيت أستاذه لأجل النهب ، فاحترق في ضميمته عدة بيوت وربوع ، فلما قبضوا عليه أعرضوه ٩ على السلطان فرسم بأن يشنكل ويعلق في مكان أحرقه ، ففعلوا به ذلك . - وفي يوم الاثنين تاسعه توفيت الرئيسة خديجة أم خوخة ، وكانت من أعيان المغاني الدكة ، ولها في هذا الفن اليد الطويلة ، وقبل ذلك بأيام قلائل توفيت الرئيسة ١٢ بلدرية بنت جريعة وكانت من أعيان المغاني أيضا ، ولها شهرة بين المغاني بذلك . - وفي يوم الخميس ثاني عشره توفي الأمير طوخ المسمى أحد الأمراء الطبلخانات ، وأصله من ممالك الأشرف قايتباي وقيل أن أصله كان من ممالك تتم نائب ١٥ الشام ، وكان لا بأس به عشرة لطيف الذات . - وفي يوم الاثنين سادس عشره حضر الأمير طومان باي الدوا دار ، وكان قد توجه إلى البحيرة بسبب فساد العربان كما تقدم ذكر ذلك . - وفي يوم الجمعة عشرينه عرض السلطان ١٨ العسكر في الميدان باكر النهار ، فعين من فرسانهم جماعة يتوجهون صحبة الجنوئي شيخ جهات البحيرة ، ورسم السلطان إلى العسكر بأن يقيموا بالبحيرة إلى (١١٩ آ) بعد وفاء النيل . - وفي يوم الثلاثاء سابع عشره غيب القاضي شرف الدين ٢١

(٧) وخرج نحو من مائتي مملوك : خرج نحو من مائتين مملوكا || الخميس : الاثنين .

(٩) ضميمته : كذا في الأصل ، ويعني ما يضم إلى البيت مما يجاوره . (١٤ - ١٥) توفي . . .

قايتباي : جاءت في الأصل بعد « نائب الشام » في سطر ١٦ .

- الصغير كاتب الممالك ، فلما غيب اختفى جميع أقاربه حتى غلمانهم وحاشيته ، فرسم
السلطان للقاضي بركات بن موسى أن يكبس على داره ويفحص عن أمره ، وقد
٢ اشتد الأمر في طلبه جدا ، وسبب ذلك أن كان عليه تقاسيط من المال على
الجوامك في كل شهر فلم يثر بذلك فغيب واختفى . - وفي يوم الاثنين ثالث
عشرينه فيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ملك الفرنج البنادقة ، فكان له يوم
٦ مشهود ، وأوكب السلطان في ذلك اليوم وزين باب الزردخاناه باللبوس والسلاح ،
ثم طلع القاصد وصحبته مقدمة حافلة نحو من مائة حمال ما بين أواني بلور وجوخ
ومحمل وأثواب مخمل تماسيح ومشقق وحرير أطلس وغير ذلك أشياء حافلة ، فطلع
٩ القاصد وهو راكب على فرس وقدّاه سبعة أنفس من أخصائه وهم راكبون
على خيول والباقي مشاة ، فكانوا نحو من خمسين إنسانا من جماعة القاصد الذين
جاؤوا مصحبه ، وكان القاصد رجلا شيخا بذقن بيضاء وهو جسيم وعليه وقار ، وكان
١٢ لابسا خلعة جرد ذهب على حرير أصفر فطلعوا إلى القلعة (١١٩ ب) وقابلوا
السلطان ثم نزلوا إلى مكان عدلهم ، وأشاعوا أن قاصد ملك الفرنج قد جاء يسمى
عند السلطان في فتح القيامة التي بالقدس الشريف ، وكان السلطان أغلق بابها
١٥ ومنع الفرنج من الدخول إليها بسبب ما تقدم منهم . - وفي ذلك اليوم أطلق
السلطان شيخ العرب بقر بن الأمير أحمد بن بقر ، وكان له مدة طويلة وهو
في البرج بالقلعة ، فأفرج عنه في ذلك اليوم وكان له نحو من اثنتي عشرة سنة
١٨ وهو في البرج بالقلعة مقيّد ، فشفع فيه أبوه الأمير أحمد بن بقر وضمنه حتى أطلقه
السلطان . - وفي يوم الجمعة سابع عشرينه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ،
ووافق ذلك ثامن عشر بشنس القبطي ، وقد أبطأ في قلع الصوف هذه السنة
٢١ بموجب أن الوقت كان رطباً . - ومن الحوادث في أواخر هذا الشهر أن قد
سُرق من سوق الباسطية ثلاثة دكاكين ، وكذلك من الصباغة ، فراح على التجار
(٤) فلم يثر بذلك : كذا في الأصل ، ويعنى لم يتم بذلك . (١٤) القيامة : القامة .
(١٧) اثنتي عشرة : اثناء عشر .

جملة أموال لها صورة ولا يُعلم من فعل ذلك ولا نُقِبَ لهم حائط ، وراحت على من راح . - وفي يوم السبت ثامن عشرينه أرسل الأمير قانصوه بن سلطان جركس الذى توجه إلى الصعيد فبعث ثمان رؤوس من عرب عزالة (١٢٠٠) ٣ منهم شخص يسمى خضر بن كروان وكان من كبار المفسدين ، وقيل هو الذى كان سببا فى قتل ابن جميل ، وقد تقدم ذكر ذلك . - وفي يوم الأحد تاسع عشرينه رسم السلطان بعرض السادة الأشراف ، وسبب ذلك أن السلطان قصد ٦ أن يخرج عنهم شيئا من الجهات الموقوفة عليهم مثل بركة الحبش وبلقش وغير ذلك من الجهات ، وكان القائم فى مرافعتهم الشريف بن مُصَبِّح دلال الأملاك ، فالتزم بأن يُوفّر للسلطان من هذه الجهات فى كل سنة عشرة آلاف دينار ، ٩ فرسم السلطان بعقد مجلس بالقضاة الأربعة بسبب الأشراف ، وقد طعنوا فى أنساب جماعة منهم ، وهذه من جملة الوقائع الفاحشة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٢

وفى ربيع الأول طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فكان فى ذلك اليوم عقد مجلس بين يدى السلطان بسبب بنت يشك الدوادار زوجة قانى باى قرا أمير آخور كبير وبنت جافى بيك حبيب زوجة الأمير دولات باى قرموط . - وفى ١٥ ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية الخامسة التى جدّدها لأجل الممالك التراكمة وأولاد الناس الذين نزلهم ، فقيل إنه عوّق جوامك جماعة منهم وقطعها . - (١٢٠٠ ب) وفى يوم الخميس رابعه ظهر بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب الممالك ، وكان ١٨ له مدة وهو مختفى كما تقدم ذكر ذلك . - وفى يوم الاثنين ثامنه أخلع السلطان على مملوكه أبرك وأعادته إلى نيابة طرابلس كما كان أولا ، فنزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الأمراء . - وفى يوم تاريخه رسم السلطان بنقل المكاحل التى ٢١ سبكها فى المسبك الذى بجوار الميدان ، فأمر بأن يتوجهوا بها إلى نحو تربة العادل حتى يجربها هناك ، فوضعهم على عجل وسحبهم الأبقار فنزلوا بهم من الصليبة ،

- فرجت لهم الأسواق وصاروا يتصلّبون بين الدكاكين فما خلصوا إلا بعد جهد كبير ، فلما وصلوا إلى بيت الأمير تاني بيك قرا الذي عند حمام الفارقاني فانخسف بإحداهم سراب هناك ، فوقعت تلك المكحلة الكبيرة في السراب فأعجب الناس طلوعها ، وأقامت على ذلك إلى قريب المغرب وهي على حالها ، وقيل أن السلطان سبك نحواً من سبعين مكحلة ما بين كبار وصغار من نحاس وحديد ، فكان منهم أربعة كبار فقبل وزن كل واحدة منهم ستمائة قنطار شامى ، فكان طول كل واحدة نحواً من عشرة أذرع ، فحصل في ذلك اليوم غاية المشقة بسبب ذلك ، وكان صحبة المكاحل الأمير مغلباى الشرفى (١٢١ آ) الزردكاش فما قاسى في ذلك اليوم خيراً من التعب الزائد والمشقة . - وفي يوم الثلاثاء تاسعه توفي الأمير دولات باى قرموط أحد الأمراء المقدمين ، فنزل السلطان وصلى عليه وكان له جنازة حافلة ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباى ، وكان موصوفاً بالشجاعة ، وكان من أعيان المقدمين ، وتولى من الوظائف ولاية القاهرة ثم بقى مقدم ألف ، وقد توفي من الأمراء المقدمين خمسة في مدة يسيرة ، وكانوا من أجلّ الأمراء وأعظمهم ، وقد قلت في ذلك :
- ١٥ إذا صفّاه الدهرُ يوماً عن ذلك الصفو يرجع
هل من لييب تراه بأيسر العيش يقنع
فكم نرى لأمر من مصرع بعد مصرع
- ١٨ وفي يوم الخميس حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى ، وصادف ذلك أنه جاء في ليلة الجمعة فاجتمع القضاة الأربعة في ذلك اليوم بالحوش السلطاني ، وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وكان مولداً حافلاً على جارى العادة . -
- ٢١ وفي يوم الأحد رابع عشره نزل السلطان وسير إلى نحو المطرية وكشف على المكاحل التي توجهوا بهم إلى هناك حتى يجربوهم ، فلما توجه إلى هناك أقام ساعة وعاد إلى القلعة سريعاً . - وفي يوم الاثنين خامس (١٢١ ب) عشره خرج الأمير طومان باى الدوادار وسافر إلى جهة الصعيد بسبب ضمّ المقل ؛ وسافر
- ٢٤

معه جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ، وكان صحبته الأمير خاير بيك الكاشف أحد المتقدمين ممن كان من مضافاته ، فخرج في موكب حافل وكان له يوم مشهود . - وفي يوم الخميس ثامن عشره أرسل نائب سيس إلى السلطان ٢ عشرة رؤوس وعليهم طراير حمراء ، وزعموا أنهم من عسكر الصوفى كانوا يفسدون في البلاد ، فقبض عليهم نائب سيس وحز رؤوسهم وأرسلهم إلى السلطان ، فلما عرضوا عليه رسم بإشهارهم على رماح فاشهروهم في القاهرة ثم علقوهم ٦ على باب النصر وباب الفتوح ، وقد قويت الإشاعات بأن الصوفى متحرك على البلاد ، وأن قاصده واصل إلى السلطان . - وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه أخلع السلطان على الأمير تمر الحسنى المعروف بالزردكاش أحد الأمراء المتقدمين وقرره ٩ في أمرة الحاج بركب المحمل ، وأخلع على الأمير يوسف الناصرى شاد الشراب خاناه الذى كان نائب حماة فيما تقدم وقرره في أمرة الحاج بالركب الأول فتشكى من ذلك فلم (١٢٢ آ) يُقبَل . - وفيه رسم السلطان لكاشف الشرقية وكاشف ١٢ الغربية بأن ينزلوا على البلاد ويستخرجوا من الفلاحين الحمايات والشيخة وقدم الكشاف عن سنة ثمان عشرة وتسعمائة الخراجية قبل أن تدخل ، وقبل أن تنزل النقطة وينادى على النيل ، فحصل للمقطعين غاية الضرر وصارت الكشاف تنزل ١٥ على البلاد وتكبس على الفلاحين ويستخرجون منهم الأموال بالضرب والذى يهرب يقبضون على نساءهم وعلى أولادهم ، فخرّب غالب البلاد ورحلت عنها الفلاحون ، فصار الذى تخرب بلاده من المقطعين يأخذون جامكيتته في نظير الحماية والشيخة ، ١٨ وصارت الكشاف يستخرجون المال من البلاد ، وجانى بيك يستخرج من المقطعين بالقاهرة ، فضاع الخراج بينهما ، والذى يكون مسافرا من المقطعين يرسمون على زوجته وأولاده ووصيته حتى يأخذون منهم الحماية ، وكان القائم في ذلك جانى بيك ٢١ الذى كان دودار الأمير طراباى رأس نوبة النوب ، وقد بقى الآن ناظر الديوان المفرد، فتوع في أيامه أنواع المظالم التى [لم] يُسمع بمثلها فيما تقدم، ومن العجائب

(١٢٢ ب) أن المغل كان قائما على أصوله في الأرض لم يحصد بعد ، والعسكر لم
 يقلعوا الصوف ، وصار جاني بيك يكبس على بيوت الأمراء العشرات بالطواشية
 ٣ ويقبض منهم الحماية بالعسف ، ويرسم على الخاصكية ويدعهم في التراسيم بسبب
 الحماية والشيخة وقدم الكشاف ، ولا يعرف إن كانت البلاد خرابا أو عامرة ،
 فجرى على المقطعين ما لاخير فيه من المغارم والبهدة . - وفي يوم السبت
 ٦ في العشر الثالث من هذا الشهر ابتداء السلطان بضرب الكرة فلعب هو والأمراء
 بالميدان . - وفي يوم الاثنين رابع عشرينه قبض السلطان على المهتار حسن
 الشراب دار ، ورسم عليه وختم على بيوته وحواصله ، وقرّر عليه عشرين ألف
 ٩ دينار فأورد من ذلك نحواً من ثمانية آلاف دينار ، وقسط الباقي عليه في كل
 شهر ألف دينار على الجوامك ، وكتب عليه بذلك التزام ، واستمرّ في الرسم حتى
 يغلق ما كتب عليه ، وكان سبب مصادرة المهتار حسن أن شخصا من غلمان
 ١٢ الشرايخانة يقال له أبوالخير الأسمر رافع المهتار حسن عند السلطان ، وقال له
 أن لما قتل الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباي أحضر نجاراً وصنع عدة
 مفاتيح للحواصل التي بالقلعة وأخذ منها ما قدر عليه ، (١٢٣ آ) ومن جملة ذلك
 ١٥ مسكرجة زمرد وحمل ما أخذه على بغل من بغال الحمارة ، فلا زال السلطان
 يفحص عن حقيقة هذا الأمر ، فأحضر النجار الذي صنع المفاتيح فاعترف
 بذلك وأحضر الحمارة الذي حمل الحوائج من القلعة فاعترف أيضا بذلك وقال :
 ١٨ ما أعرف ما كان في العلب الذي حملتهم ، فعند ذلك قبض السلطان على المهتار
 حسن ورسم عليه وشكته في الحديد وقرّر عليه عشرين ألف دينار ، فأورد منها
 سبعة آلاف دينار وكسور وحلف أنه لا يملك غيرها ، فلم يقبل منه السلطان ذلك
 ٢١ واستمرّ في التوكيل به حتى يغلق ما قرّره عليه ، ثم بعد ذلك بمدة فعل [ذلك]
 بمهتاره الحاج على مهتار الخيل وقرّر عليه مالا نحو ذلك ، ورسم عليه حتى يرد ما
 قرّره عليه من المال ، وقيل أنه عرض ما كان في تسليمه من السروج المغروق

والكتايبش فوجد ذلك قد نقص منه أشياء كثيرة . - وفي أثناء هذا الشهر قبض السلطان على شرف الدين بن روق الذي كان قد سعى في استيفاء الخزائن الشريفة ، فلم ينتج أمره في ذلك ولا عرف يياشر في مصطلح الخزائن ولا عرف ٢ يكتب وصولات الرجعات ، وكان رجلا أهوج وعنده خفة ورهيج فلم يرث له أحد فيما جرى عليه ، فلما قبض عليه السلطان سلمه (١٢٣ ب) إلى الزينى بركات ابن موسى المحتسب وكان ابن روق هذا زوج أخت علم الدين [الذى] كان ٦ متحدثا في الخزانة ، فلما قبض السلطان على علم الدين واختفى فضمنه ابن روق في عشرين ألف دينار ، فلما قبض السلطان على ابن روق طلب منه ما ضمنه بسبب علم الدين ، وكان ابن روق يُشْتَهَم بسعة المال ، وكان قصده يسعى في قضاء الشافعية ٩ فأنتم له ذلك ولم يساعده الزمان على ذلك ، وكان من أعيان الشافعية ولكن كان أرسل قليل الحظ ، كما يقال :

١٢ إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح بها يركضُ
فلا رُشدَ إلا بتوفيقه وإن مخض الرأى من يمحضُ
فن ذا يدبرنا غيره ومن يبرمُ الأمر أو يتنقضُ

وفي يوم الاثنين تاسع عشرين حضر جماعة من الأمراء الذين كانوا توجهوا ١٥ إلى نحو بلاد الصعيد بسبب فساد العربان ، وكان الذى توجه من الأمراء المقلمين قانصوه بن سلطان جركس والأمير ماماي جوشن ، وغير ذلك من الأمراء العشرات والمماليك السلطانية ، فلما طلوعوا إلى القلعة أخلع السلطان على الأمراء ١٨ المقدمين ونزلوا إلى دورهم .

وفي ربيع الآخر في يوم الأحد سادسه نزل السلطان وتوجه إلى نحو تربة العادل التى بالريدانية ، وجلس هناك ونصب له سحابة واجتمع حوله الأمراء ٢١ على المصطبة (١٢٤ آ) وحضر الجُم الغفير من العسكر ومن الناس المتفرجين ، ثم جربوا قدّامه مكاحل كبار وصغار التى كان سببهم بالميدان ، فكان عدتهم

سبع وخمسين مكحلة ، فلم يُخطئ منهم سوى واحدة وقيل اثنان ، والذي
صَحَّ من المكاحل فيهم من عدت حجرة إلى قريب بركة الحاج ، فانشرح السلطان
في ذلك اليوم إلى الغاية ، وأقام هناك إلى بعد العصر ونصب له خيمة كبيرة وهي
الخيمة التي أهداها إليه على دولات وقد تقدم ذكر ذلك ، ومدَّ هناك أسمعطة
حافلة وكان يوما مشهودا . - وفي ذلك اليوم طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ،
وجاءت القاعدة ستة أذرع ، أنقص من العام الماضي بذراع . - ولما عاد السلطان إلى
القلعة طلع من بين التراب ولم يشقَّ من القاهرة . - وفي يوم السبت ثاني عشره
حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير تمر باي الهندي أحد الأمراء العشرات ، الذي
كان قد توجه قاصدا إلى الصوفي شاه إسماعيل ملك العراقيين ، وكانت مدة غيبته
في هذه السفرة نحو من سنتين ، وقد قاسى شدائد ومحن ، وماتت خيوله وجماعة
من غلمانته ومن الخاصكية الذين كانوا مصحبه ، ولم ينصفه الصوفي ولا أكرمه ، وقيل
لم يقابله غير مرة واحدة ولم يكتب له (١٢٤ ب) الجواب عن مطالعة السلطان
التي أرسلها إليه ، وأرسل جوابه محبة قاصده ، فلما نزل تمر باي إلى خانقة
سرياقوس أرسل عرف السلطان أن قاصد للصوفي جاء مصحبه وقاصد من عند ملك
الكرج ، فعيّن السلطان الزيني بركات بن موسى المحتسب بأن يلاقيهم ويمدَّ لهم
هناك مدة ، فتوجه إلى الخانكاه ومدَّ لهم هناك مدة حافلة ، فلما دخل قاصد
الصوفي أنزلوه في بيت قاني باي سلق الذي في رأس الرملة عند سويقة عبد المنعم ،
وكان مع هذا القاصد نحو من مائة إنسان من جماعة الصوفي ، وقيل إن هذا
القاصد شديد البأس أغلظ على نائب حلب في القول لما قدم عليه . - وفي ذلك
اليوم ضرب السلطان الكرة في الميدان ، فتتظفر في ذلك اليوم الأمير سودون
الدوادري رأس نوبة النوب ، فنزل على كتفه فانصدع فتألم لذلك . - وفي يوم
الاثنين رابع عشره طلع قاصد الصوفي إلى القلعة وقابل السلطان ، فأوكب السلطان
بالخوش من غير شاش ولا قاش ، وجلس على المصطبة التي أنشأها ونصب

- السحابة الزركش: وحضر الأمراء المقدمون واجتمع العسكر، وأمر بأن يزيّن باب
الزردخاناه فزيّنه في ذلك اليوم بآلة السلاح (١٢٥٠) والصناجق واللبوس ،
فخرج القاصد من بيت قاني باي سلق وصحبته أزدحر المهندار والأمير كرتباي ٢
والى القاهرة ، فطلع القاصد وصحبته تقدمة إلى السلطان فكانت نحواً من أربعين
حمّالاً ، عليها من الفهود سبعة وقيل كانوا تسعة فأت منهم اثنان ، فلما طلّعوا بهم
إلى القلعة جعلوا عليهم أجلال حرير ، ومن جملة هذه التقدمة طوالة خيل ، ٦
ومنها حمّال عليه فضيّات ما بين أباريق فضّة وشرابات وطاسات ذهب ، ومنها
حمّالين عليها زرديات وخوذ خاصّ وأثواب مخمل ملوّن ولبوس خيل مكفّته ،
ومنها حمّالين عليها أفواس حلقة ، وحمّالين عليها شقق حرير برصاوى مقصب ، ٩
وحمّالين عليها بعلبكي ، وغير ذلك أشياء كثيرة ما بين سجاجيد روى
ومديات وغير ذلك ، فلما طلع القاصد بين يدي السلطان وكانوا اثنين ، قيل هما
من أعيان أمراء الصوفي ، فباسوا الأرض للسلطان ثم تقدّما وباسوا ركة السلطان ، ١٢
وقدّما إليه مطالعة شاه إسماعيل الصوفي ، فلما قرئت بين يدي السلطان بحضرة
الأمراء وجد فيها ألفاظ يابسة وكلام فجّ ، فلم ينشرح السلطان لذلك وظهر
في وجهه الكظم ، ثم نزل القاصد من عند السلطان إلى المكان (١٢٥٠ ب) الذى ١٥
عُدّ له ، ثم في عقيب ذلك اليوم طلع قاصد ملك الكرج ، وصحبته تقدمة حافلة
للسلطان ما بين صمور ووشق وسنجاب وصوف ، وغير ذلك أشياء حافلة . —
وفيه تغير خاطر السلطان على الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن الأمير أسنبقا ١٨
الطيارى الكلبكى أمير شكار ، فلما تغير خاطره عليه قبض عليه وأودعه في الترسيم
وقرّر عليه ألف دينار فأغلظ على السلطان في القول ، فحنق منه فرسم بنيه إلى
قوص ، فلم يحسر أحد من الأمراء أن يشفع فيه ، وكان الناصرى محمد عنده شمم ٢١
زائد ورقاعة فلم يرث له أحد من الناس ، فكذب وصيته وتوجه إلى نحو الصعيد ،
والذى أكله كُرْكى تقاياه بَلَشون . — وفيه في يوم الأحد عشرينه نزل السلطان
-
- (٦) طوالة : طوالت . (٧) أباريق : أبريق . (٨) مكفّته : مكفّته . (٩) أفواس :
أفواس . (١٠) سجاجيد : سجاجيد .

وتوجه إلى نحو تربة العادل ، وجلس على المصطبة التي هناك ، وجربوا قدامه
بقية المكاحل المقدم ذكرهم ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، ومدّ هناك سماطا
٣ حافلا ، ونصب له هناك وطاقا ، واجتمع عنده جماعة من الأمراء المقدمين ، ثم
ركب بعد العصر ودخل من باب النصر وشقّ من القاهرة ، وارتفعت له الأصوات
بالدعاء ، وكان له يوم مشهود - . وفيه في يوم الثلاثاء ثالث عشرينه حضر إلى
٦ الأبواب (١٢٦ آ) الشريفة طراباي أخو الأتابكي قيت الرجبي ، وكان مسجوناً
بقلعة دمشق ، وكان سبب نفيه إلى هناك أنه في سنة تسع وتسعمائة خلاّ الأمير
أزدمر الدوادار طالعا إلى القلعة فلما وصل إلى باب القلعة أرمى عليه من الطبقة
٩ ثلاث فردات نشاب ، وقد تقدم ذكر ذلك ، فلما بلغ السلطان ذلك نفاه إلى
دمشق وسجنه بقلعتها ، فاستمرّ هناك حتى شفع فيه الأمير طومان باي الدوادار . -
وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له طراباي ، وكان طراباي هذا ولي الأتابكية
١٢ بحلب ، ثم حضر إلى مصر وسعى في نيابة صفد بمال له صورة حتى تولاهما من
يشبك ، واستقر نائبا بصفد عوضا عن جان بردى الغزالي بحكم انتقاله إلى نيابة
حماة ، وكان طراباي هذا من ممالك يشبك من حيدر الذي ولي حماة . - وفيه
١٥ في يوم الخميس رابع عشرينه نادى السلطان في القاهرة أن لا أمير ولا جندي
يركب بغدّارة في سرجه ومن فعل ذلك لا يلوم إلا نفسه ، وكان سبب ذلك
أن مملوكا من ممالك السلطان تشاجر مع شخص من الممالك يقال له جانم ، وكان
١٨ أصله من ممالك الأمير طراباي رأس نوبة النوب ثم بقي مملوك سلطان ، فلما
تشاجر معه سلّ عليه الغدّارة وضربه على يده قطعها ، فوقف ذلك المملوك
للسلطان (١٢٦ ب) ويده مقطوعة فشقّ ذلك على السلطان ونادى في ذلك اليوم
٢١ بأن لا أحد من العسكر يركب بغدّارة قط ، فرجعوا الممالك عن ذلك ، ورسم
للأمير مغلباي الزردكاش بأن يكتب قسائم على الصنّاع أن لا يصنعوا لأحد من
الممالك غدّارة ، وكان بهذه الغدّارات يحصل من الممالك الضرر الشامل . -

وفيه في يوم الجمعة خامس عشرينه رسم السلطان لأزدمر المهندار بأن يأخذ قاصد الصوفي وجماعته ويتوجه بهم إلى جامع السلطان أنذى أنشأه في الشراشيين ، فيصلون الجمعة هناك ، فلما حضروا بالجامع اجتمع به القضاة الأربعة وأعيان ٣ الناس وجماعة من الأمراء ، فخرج قاضي القضاة المالكي يحيى بن الدميري ، وكان قرر قبل ذلك في خطابة جامع السلطان ، فصعد المنبر وهو لابس السواد، وخطب خطبة بليغة ، وذكر فيها مناقب الإمام أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان ٦ بالجامع يوم مشهود ، واجتمع به قراء البلد والوعاظ . - ومن النوادر الغريبة أن قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن الدميري لما ولي القضاء لبس له طوقا ، وهذا بخلاف زى القضاة ، ولا يُعلم حجته في ذلك . - وفيه رسم (١٢٧ آ) ٨ السلطان إلى الزينى بركات بن موسى المحتسب بأن يتسلم شرف الدين بن روق الذى كان ولي التحدث على الخزانة الشريفة ، فتسلمه على عشرين ألف دينار ، فلما تسلمه شكه في الحديد ونزل به من القلعة حتى يكون من أمره ما يكون . - ١٢ وفيه [في] يوم السبت سادس عشرينه أدخل السلطان على قاصد ملك الفرنج الفرانسة وأذن له بالسفر . - وفيه عزم السلطان على قاصد ملك الكرج ومد له سباطا بالبحرة التى بالميدان ، وأدخل عليه وأذن له بالسفر . - وفيه في يوم الأحد سابع ١٥ عشرينه عزم السلطان على قاصد شاه إسماعيل الصوفي فجلس معه في المربيع الذى بالميدان وفرجه على لعب الكرة ، ثم دخل به إلى البحرة التى ببستان الميدان ، وأظهر في ذلك اليوم أنواع العظمة بمحضرة القاصد ، ومد له هناك أسمطة حافلة ، ١٨ حتى أدهشه مما رأى في ذلك اليوم من حسن النظام وتزايد العظمة . - وفيه في يوم الاثنين ثامن عشرينه حضر قاصد ابن رمضان أمير التركمان وعلى يده مقدمة حافلة للسلطان . - ومن العجائب أن في هذا الشهر اجتمع عند السلطان ٢١ نحو من أربعة عشر قاصدا ، وكل قاصد من عند (١٢٧ ب) ملك على انفراده ، فمن ذلك قاصد شاه إسماعيل الصوفي ، وقاصد ملك الكرج ، وقاصد ابن رمضان

- ٣ أمير التركمان ، وقاصد من عند ابن عثمان ملك الروم ، وقاصد يوسف بن الصوفي خليل أمير التركمان ، وقاصد صاحب تونس ملك الغرب ، وقاصد من مكة ، وقاصد الملك محمود ، وقاصد ابن دُرْغُل أمير التركمان ، وقاصد من عند نائب حلب ، وقاصد من عند حسين الذى توجه إلى الهند ، وقاصد ملك الفرنج الفرنسية ، وقاصد البنادقة ، وقاصد على دولات ، وغير ذلك قصّاد من عند جماعة من النواب . -
- ٦ وفيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه كان ختام ضرب الكرة بالميدان ، وكانت جماعة من هؤلاء القصّاد حاضرين ، فلما انتهى ضرب الكرة قام السلطان وطلع إلى الحوش وجلس بالمقعد ، وأحضروا قدامه ثيران يتناطحون وكباش ، ومدّ فى ذلك اليوم أسمطة حافلة وعزم على الأمراء المقدمين قاطبة وكذلك القصّاد ، فلما صلتى الظهر خرج وأحضر ممالك يلعبون بالرمح فوق بينهم فى ذلك اليوم خصمانية ، حتى تعجّبوا القصّاد من ذلك ، وكان يوما مشهودا بالحوش ، فاستمروا على ذلك
- ١٢ إلى بعد العصر فنزلت الأمراء وانفضّ (١٢٨٢) ذلك الجمع . - وفى يوم الأربعاء سلخه نزل السلطان وتوجه إلى نحو المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، وعاد إلى القلعة . وفى جمادى الأولى طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر . - وفى ذلك اليوم طلع قاصد صاحب تونس وصحبته مقدمة حافلة للسلطان ، قيل إنها قومت بعشرة آلاف دينار ، وهى ما بين قاش فاخر وخيول وسلاح وغير ذلك ، فأخلع عليه السلطان كاملية صوف بصمور ونزل من القلعة . - وفيه طلع قاصد
- ١٨ ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مطالعة للسلطان ، فأشيع بين الناس أن ابن عثمان أبا يزيد ضعيف على خطة ، وقد نزل عن الملك إلى ولده الصغير الذى يسمّى سليم شاه وصار ممتلكا على بلاد الروم عوضا عن أبيه أبى يزيد ، فجاء القاصد
- ٢١ ببشارة ذلك . - وفى ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية الخامسة التى استجدّها برسم الممالك التراكمة وأولاد الناس ، كما تقدم ذكر ذلك . - وفى يوم الجمعة ثانى هذا الشهر وردت الأخبار بوفاة السلطان المعظم المنفخّم المغازى المجاهد

المرباط ملك الروم وصاحب مدينة الروم بالقسطنطينية العظمى وما مع ذلك من الفتوحات ، وهو السلطان أبو يزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد خان ابن أبي يزيد المعروف بيلدرم بن (١٢٨ ب) أورخان بن أرذَن علي بن عثمان ٣ ابن سليمان بن عثمان الأكبر الذى مات شهيدا بالغزاة ، وكان مولد السلطان أبا يزيد سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، وولى على ملك الروم وجلس على سرير الملك يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وأقام فيه إلى ٦ سنة ثمان عشرة وتسعمائة فقدمت الأخبار بوفاته يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى من هذه السنة ، فكانت مدة ولايته على مملكة الروم نحو من ثلاث وثلاثين سنة إلا أشهر ، وفتح فى أيامه عدة مدن من بلاد الفرنج ، وانتشر ذكره بالعدل فى سائر ٩ الآفاق ، وكان من خيار ملوك بني عثمان قاطبة ، ولما مات خلف من الأولاد المذكور ثلاثة وهم قُرُقْد بيلك وكان أكبرهم ، وأحمد بيلك ، وسليم شاه الذى عهد له بالملك بعده ، فتولى على ملك الروم فى حياة والده أبي يزيد ، وقد جاءت الأخبار ١٢ بولايته على مملكة الروم قبل وفاة أبيه ، فلما تحقق السلطان وفاته بكى عليه وأظهر الحزن والأسف ، ثم صلتى عليه صلاة الغيبة بالقلعة ، فلما شاع الخبر بموته فى ذلك اليوم بين الناس فصلوا عليه صلاة الغيبة بعد صلاة الجمعة فى الجامع ١٥ الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون (١٢٩٩) وفى جامع السلطان الذى بالشرابشين وغير ذلك ، وقد حزنوا عليه الناس فإنه كان قامعا للفرنج لا يفتر عن الجهاد فيهم ليلا ولا نهارا ، وكان به نفع للمسلمين ، انتهى ذلك . - وفى يوم ١٨ الأحد رابعه أشيع بين الناس بموت أمير مكة الشريف قايتباى ، وبموت الشيخ عامر صاحب اليمن وكان من خيار ملوك اليمن ، وبموت الخوaja عيسى القارى وكان من أعيان تجار مكة وهو فى سعة من المال وله شهرة زائدة . - وفى يوم ٢١

(٣) أورخان : اورجان . بن أرذَن على : كذا فى الأصل ، ولعله يقصد « أرطغرل » ،

ويلاحظ أن الترتيب المعروف للاسماء هو : أورخان بن عثمان بن أرطغرل بن سليمان .

- الاثنين خامسه طلع الأمير بيارس بن الأمير أحمد بن بقر شيخ العرب إلى
السلطان وقابله ، فأخلع عليه ونزل إلى داره ، وكان له مدّة طويلة وهو عاصى على
السلطان فقابله فى ذلك اليوم . - وفيه طلع الأمير خاير بيك الخازندار أحد
الأمراء المقدمين إلى القلعة ، فأخلع عليه السلطان كاملة بصمور ، ونزل إلى داره
فى موكب حافل وصحبته الأمراء ، فزُيّنَت له القاهرة ، وسبب ذلك أنه كان قد
مرض مرضا خطرا وأشرف فيه على الموت ثم شفى من ذلك . - وفى يوم الأربعاء
سابعه نزل السلطان إلى المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، وكان النيل قد قارب
الوفاء فزاد فى تلك الليلة أربعة وعشرين أصبعا فى دفعة واحدة ، فنفاءلوا (١٢٩ب)
الناس بنزول السلطان إلى المقياس . - وفى يوم الخميس ثامنه جلس السلطان
فى الميدان ، وأحضر قصّاد الصوفى وأخلع عليهم كوامل مخمل أحمر كفوى بصمور ،
وعلى بقية جماعته سلاريات صوف مُفَرَّية ما بين صمور ووشق وسنجا ، ودفع
إليهم جواب كتابهم ، ولكن كتب إلى الصوفى فى جوابه عبارة ألفاظها يابسة
فى الكلام ، وكان الصوفى أرسل إلى السلطان فى كتابه ألفاظا فاحشة فأجابه بمثل
ذلك وزيادة ، وهذا أول ابتداء وقوع الوحشة بين السلطان وبين شاه إسماعيل
الصوفى ، وكان الصوفى قد حصل منه فى حقّ قاصد السلطان الأمير تمر باى الهندى
لما توجه إليه غاية الفُحْش به . - وفى هذا الشهر وقعت نادرة وهو أن أشيع بين
الناس أن رودس قد فُتحت على يد المسلمين بحيلة من غير قتال ولا حرب ، فقويت
الإشاعات بذلك ، وهمّ أن يلقى السلطان الكوسات فى ذلك اليوم ويزيّن القاهرة ،
وكان سبب ذلك أن شخصا من ابناء الشام جاء إلى شخص من مماليك الأمير خاير
بيك كاشف الغريبة أحد الأمراء المقدمين ، وكان هذا المملوك شادا فى بلد تسمى
زُفْتَة ، فجاء إليه ذلك (١٣٠ آ) الرجل الشامى ودفع إليه عدّة مطالعات ، وقال له :
هذه من عند الأمير محمد بيك قرابة السلطان الذى أشاعوا قتله ، وقد ظهر أنه

فى قيد الحياة وقد تمحّل على أهل رودس حتى أخذها منهم وملكها وأسر
 أهل المدينة بجيلة ، وأن الأمير محمد بيك قد وصل إلى الطينة وأرسل يطلب
 فرسا وقاشا ، فأخذ المملوك منه المطالعات وحضر إلى عند السلطان ، فلما
 قرأ تلك المطالعات انصاع لذلك الكلام وظن أنه حق ، فأخلع على ذلك المملوك
 خلعة ، وفرّق على الأمراء مطالعاتهم ، وهم أن يدقّ الكوسات لهذا الخبر ، وأرسل
 صحبة ذلك المملوك فرسا وبقجة فيها قماش ، وكذلك الأمير طُفْقُطْبَاي نائب القلعة ،
 والأمير أنصباي حاجب الحجاب ، فأخذ المملوك القماش والخيل ومضى ، ثم ظهر
 فى عقب ذلك أن هذا الكلام كذب مصنوع ، فعين السلطان يحيى بن نُكَّار دوادار
 وإلى القاهرة بأن يتوجه خلف ذلك المملوك ويُحضّره ويُحضّر الرجل الشامى
 الذى دفع إليه المطالعات ، فغاب أيّاما وأحضر المملوك وما أخذه من الخيول
 والقماش ، وأحضر ذلك الرجل الشامى الذى جاء (١٣٠ ب) بالمطالعات ، فلما
 حضر بين يدى السلطان حزن عاياه بالكلام فاعترف أنه صنع تلك الكتب
 افتعالا عن الأمير محمد بيك ، وأن شدة الفقر أحوجته إلى ذلك ، فقال له السلطان :
 كنت أنت وقفت إلى وطلبت منى شيئا كنت أنعم عليك به ، ثم عراه بين يديه
 ليضربه بالمقارع فوجد فى أجنبه أثر الضرب بالمقارع ، فسأله عن ذلك ، فاعترف
 أنه كذب مرة أخرى على خاير بيك نائب حلب فضربه بالمقارع وقطع أنفه ، ثم
 إن السلطان ضربه بين يديه وبعثه إلى المقشرة من يومه ، واستعاد الخيول والقماش
 من ذلك المملوك الذى أتى بالمطالعات ، انتهى ذلك . - وفيه أنعم السلطان على
 تمر باى الهندى [الذى] توجه قاصدا إلى الصوفى بأمره طبلخاناه ، وكان قبل أن
 يسافر أمير عشرة . - وفى يوم الجمعة تاسعه تلاقى ماء النيل ودخل إلى الزريبة ،
 وكان له يوم مشهود ، وكان السلطان فى العام الماضى سدّ خليج الزريبة وعمل
 له جسرا من عند قنطرة موردة الحبس ، فلم تسكن بيوت الزريبة فى العام الماضى ،

ولم يدخل خليجها المراكب على جارى العادة بالغلال ، فوجدوا فم الخليج
(١٣١ آ) قد تربى فيه الطين نحو من سبعة أذرع ، فرسم السلطان بإبطال ذلك
٣ الجسر ، ففرح به سكان الزربية . - وفى يوم السبت عاشره أخلع السلطان على
قاصد ملك الكرج وأذن له بالسفر إلى بلاده . - وفى يوم الاثنين ثانى عشره
كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى فى أول يوم من مسرى وفتح السدّ فى اليوم
٦ الثانى منها ، ووقع مثل ذلك فى دولة الأشرف قايتباى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة
أن النيل أوفى فى آخر يوم من أبيب وفتح السدّ فى أول يوم من مسرى ، فلما
أوفى فى هذه السنة زاد عن الوفاء عشرة أصابع من النراع السابع عشر ، فعُدّ
٩ ذلك من النوار ، وفى اليوم الثانى من بعد الوفاء زاد النيل اثنى عشر أصبعا ،
وزاد فى اليوم الثالث ستة عشر أصبعا فغلت سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع من
ثمانية [عشر] ذراعا ، حتى عُدّ ذلك من النوار الغربية ، فلما أوفى النيل
١٢ رسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فتوجه
وفتح السدّ وكان له يوم مشهود ، وقد قيل فى المعنى :

النيل زاد زيادة قد أذنت من كل بأسفة النخيل بقلعها

١٥ فلكم به من مركب فى الجوّ قد أسمى عمود الصبح صارى قلعها

وفى يوم الثلاثاء ثالث (١٣١ ب) عشره نزل السلطان إلى المقياس وبات
به ، وكانت ليلة البدر فبات بسطح القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، ومدّ
١٨ هناك أسمطة حافلة ، وقرأ ختمة وحضرت سائر قرّاء البلد والوعاظ ، وأقام هناك
إلى اليوم الثانى وطلع بعد العصر ، وكانت ليلة الجامكية ، وهذا أول بيانه عن
القلعة ، ولم يقع له من حين ولى السلطنة أنه بات عن القلعة سوى هذه الليلة ،
٢١ وكان ولده المقرّ الناصرى محمد صحبته ، قبل أنه قرأ فى تلك الليلة عشرين ختمة
بالجنية ، وانشرح تلك الليلة إلى الغاية ، ثم فى اليوم الثانى نزل السلطان من المقياس
فى الحرّاقة وتوجه إلى بولاق ، وكان الأمير خاير بيك الخازندار عليلا وهو مقيم
٢٤ فى البيت المعروف بالسبكية ، فطلع عنده السلطان وأعادته فدّ له خاير بيك هناك

مَدَّة حافلة ، فأكل منها ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . - وفي هذا الشهر
تأهى النيل فى الزيادة إلى اثنى عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا ، وذلك قبل
دخول النوروز بستة عشر يوما ، حتى عُدَّ ذلك من النواذر ، فأخصبت الفواكه ٣
فى هذا الشهر جدًّا ، حتى البطيخ الصيفى والعبدلى والعنب والرمان وسائر الفواكه ،
لكن الزبيب كان غاليا وتأهى سعره إلى خمسة أشرفية (١٣٢ آ) كل قنطار ،
وصاروا يخلطون مع الأقسام العجوة ، وكانت أصناف الغلال جميعها مشططة ، وسائر ٦
البضائع من السبرج والزيت والزيت الحار والسمن مشططة فى السعر ، وكذلك
سائر الأجبان حتى السكر والقطر ، وتشحط اللحم الضانى والبقرى ، وغلا سعر
الأرز ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى . ٩

وفى جمادى الآخرة فيه تغير خاطر السلطان على الزينى بركات بن موسى
المحتسب ، وسبب ذلك أنه حصل بينه وبين الجمالى يوسف البدرى الوزير تشاجر
بحضرة السلطان ، فخرج الزينى بركات على البدرى فى القول قدام السلطان ١٢
وأساء عليه ، فحق السلطان من الزينى بركات وأمر بالقبض عليه ، ووكل به ألباس
دوادار سكين وشخصا آخر من دوادارية السكين ، فأطلعوه إلى طبقة الحوش ،
ورسم له السلطان بأن يقيم له حساب أربع سنين عن الجهات التى كان يتكلم عليها ، ١٥
فاستمر فى الرسم ثمانية أيام وهو فى كل يوم يدفع إلى ألباس ورفيقه مائة دينار ،
ولم يحسر أحد من الأمراء أن يكلم السلطان فى أمره ، فلما كان يوم السبت تاسع
هذا الشهر أفرج السلطان عن الزينى بركات وألبسه كاملية صوف بصمور ، ونزل ١٨
من القلعة فى موكب حافل ، ومعه جماعة من أرباب (١٣٢ ب) الدولة ، فزُيِّنت
له القاهرة ووقدت له الشموع والقناديل على الدكاكين ، وتخلق الناس بالزعفران ،
حتى زُيِّنت له بيوت بركة الرطلى بالشدود الحرير الأصفر والكوامل الحرير ٢١
الملون فغلقت فى الطيقان ، وانطلقت له النساء بالزغاريت ولاقته الطبول
والزمرور ومغانى النساء ، وكان ساكنا ببركة الرطلى فى أيام النيل ، وكان

(٦) الأقسام : الأقسام . (٢٢ - ٢٣) ولاقته ... النساء : كتبت فى الأصل بعد « بركات »

الزبني بركات محبباً للناس في أيام ولايته على الحسبة ، ولما قبض السلطان عليه
رثوا له الناس ، وكانت الأعداء شذعت عليه أن السلطان يقصد شنقه مثل على بن
٢ أي الجود ، فنجاه الله تعالى من ذلك ، وقد هنيته لما خلص بهذين البيتين وهما :

تاب إليك الدهر مما جنى من فعله في حُكمه الجابر
فما نجا من شر كيد العدى سوى الفقى المحتسب الصابر

٦ وقيل إن السلطان قرّر عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار ، وقيل أربعين ، يقوم

بشيء من ذلك في كل شهر على الجوامك . - ومن الوقائع الشنيعة أن الوالى
قبض على شخص من الأتراك يقال له دمرداش ، وكان مُشيداً على دار البطيخ

٩ التى بباب النضر ، وقد غمز عليه أنه ينبش على القبور ويأخذ رؤوس الموتى ولحمهم
ويبيع ذلك للفرنجة يعملون منه المومية ، وقيل السم ، فلما قبضوا عليه وجدوا عنده

من عظام الموتى أشياء كثيرة من جماجم وأعضاء ، فحملوا ذلك في قفاف على حمير
١٢ وطلعوا بها (١٣٣ آ) إلى السلطان حتى شاهد تلك العظام ، فلما وقف

دمرداش المذكور بين يدى السلطان ، سأله عن أمر هذه الجماجم ، فقال : هذه من
قبور النواويس تأتبنى به العربان فأصنع منهم المومية وأبيع ذلك في بلاد الفرنج ،

١٥ ثم وجدوا على العظام لحماً طرياً ، وشهدوا عليه الناس أنه في كل يوم يتوجه إلى
الصحراء وينبش قبور الموتى الجُدد ويأخذ لحمهم وعظمهم يبيع ذلك على

الفرنج ، فلما تحقق السلطان ذلك أمر بشنقه ، فسمّروه على جمل وأشهروه
١٨ في القاهرة حتى أتوا به إلى داره بالقرب من دار البطيخ فشُنق هناك ، وكان

له يوم مشهود ، وقد تقدم مثل هذه الواقعة بعينها في دولة الأشرف برسباى ،
وذلك أن رجلاً أعجمياً كان بمصر ينصب على النساء والأطفال ويقتلهم وينزع

٢١ لحمهم عن عظمهم ، ويبيع اللحم على الفرنج كل قنطار بخمسة وعشرين ديناراً ،
فلما غمز عليه قبض عليه السلطان وأشهره في القاهرة وقطع يداه وعلقها في رقبته

ثم وسّطه ، وكان ذلك في سنة سبع وعشرين وثمانمائة . - وفي يوم الأربعاء
٢٤ ثالث عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه من بين الكيمان إلى أن وصل إلى

السواقى التى فى الهدنة ، فنزل من هناك فى الغراب الذى عمره ، ثم انحلر إلى المقياس (١٣٣ ب) وطلع إلى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، ثم إن السلطان عزم هناك على الأمراء قاطبة من المقدمين والطبلخانات والعشرات وغالب ٢ العسكر ، فنصب الأمراء لهم خياما على شاطئ البحر الذى تجاه برّ الجيزة ، فبات السلطان تلك الليلة فى المقياس هو والأمراء قاطبة ، فدّ له هناك القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا أسمطة حافلة ، وما أبقي فى ذلك ممكنا من أطعمة فاخرة ٦ وحلوى وفاكهة وسكر حريف وأقساماء وبطيخ صينى وأجبان مقلّى فى الطواري ، وعمّ ذلك على سائر الأمراء قاطبة ، ومن كان مصعبه السلطان من المباشرين وأرباب الدولة ، فألبسه السلطان هناك كاملية مخمل أحمر بصمور من ملايبسه . ٩ وشكر له السلطان ما صنعه من ذلك ، فكان مصروف تلك الأسمطة نحواً من سبعمائة دينار ، وعزم السلطان هناك على القضاة الأربعة وأعيان الناس ، واجتمع هناك قرّاء البلد قاطبة والوعاظ ، ثم إن السلطان أوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة ١٢ باطنا وظاهرا ، وعلّق أحمالا بقناديل فى القصر الذى أنشأه على شرفات المقياس ، فتناديل فى أحمال وأمشاط ، حتى أوقد جامع المقياس والمثدنة ، ثم إن سكّان برّ مصر وبرّ الروضة علّقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال (١٣٤ آ) والأمشاط بطول ١٥ البرتين ، حتى أوقدوا المربع الذى أنشأه السلطان للسواقى تجاه برّ الروضة ، ثم أحضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمره وأصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار فأرسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسى فى البحر ، وعلّقوا ١٨ فى صواريه القناديل فى الأمشاط ، فكان الذى وقّد فى المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت وعشرة آلاف قنديل ، ثم صنع السلطان فى تلك الليلة إحراقة فكان مصروفها نحواً من مائة وسبعين دينارا مثل إحراقة نפט المحمل التى كانت تُصنع بالرملة ٢١ قدّام القلعة ، فشقّوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف وقدّاهم الطبول والزمر ، فكان عدّة قلاع النفط خمسين قلعة ، والمواذن ستين مثدنة ، وأزيار عشرة ، وجُرر

أربعين جرة، وصواريخ كبار ثلاثمائة، ومأويات ألفا ومائتين، وشجرات عشرة ،
وتنانير عشرين ، وقطع ألفين ، وشعل أربعين ، فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ
البحر أنزله في خمسين مركبا ، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البهظلة ، ورسم
السلطان للأمراء المقدمين بأن يحضروا طلبخاناتهم في مراكب عند المقياس ، ففعلوا
ذلك ، فكان حس الطبول والزمور مع الكوسات مثل (١٣٤ ب) صوت الرعد
القاصف ، فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذي أنشأه
على بسطة المقياس ، والأمراء حوله ، وأحرقوا قدّامه النفط ، وكان النيل في ثلاثة
أصابع من عشرين ذراعا ، وكانت ليلة البهر ، فكانت تلك الليلة ، فدُقت كوسات
السلطان مع كوسات الأمراء المقدمين ، وهم أربعة وعشرون مقدّم ألف ، فقاموا
في صعيد واحد عند إحراق النفط ، فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ،
ولم يقع لأحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة ، ولا للمؤيد شيخ ولا للناصر فرج
ابن برقوق ، وقد وقع للأمير جاني بيك نائب جدّة أمير دوادار كبير أنه لما أنشأ
القبة التي في منشية المهراني وكلت أوقد فيها تلك الليلة وقدة حافلة ، وأحضر
مراكب وعلّق فيها أحمالا بقناديل وركّز صواري قدام القبة وعلّق فيها قناديل
في حبال ، وكانت له ليلة حافلة ، وذلك في آواخر سنة سبع وستين وثمانمائة وقد
تقدم ذكر ذلك في دولة الظاهر خُشقدم ، ولكن لم تعادل ليلة وقعت للأشرف
الغوري فلما كانت من الليالي المشهودة في القصف والفرجة ، وقد بلغ كرى
كلّ مركب في تلك الليلة خمسة دنانير وأكثر من ذلك ، والمراكب التي هي مرسية
(١٣٥ أ) على البرّ انشجنت بالخلايق ، فأخذوا على كلّ رأس أربعة أنصاف
فتحصّل من ذلك جملة مال للنواتية ، وكان بطول الليل والى القاهرة يدور
في مركب وينادي للناس بالأمان والاطمان وأن لا أحد يشوّش على أحد
ولا مملوك يعبث على امرأة ، فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت
الأصوات بالدعاء للسلطان ، ولكن عبث المالك في الطرقات على الناس

وصاروا يخطفون المهائم والشود ، وقتل مملوك امرأة في طريق مصر وقد
ساق الفرس فقوى رأسه عليه فداس امرأة راكبة على حمار فانت من وقتها ،
وغرقت مركب تلك الليلة بمن فيها من الناس ، وكانت ليلة كثيرة الاضطراب ٢
ماجت فيها الناس وخرجت البنت في خدرها حتى تنظر وقدة السلطان وحرارة
النفط ، فأقام السلطان في المقياس يوم الأربعاء ويوم الخميس إلى بعد العصر ثم
طلع إلى القلعة ، وكان ولده المقر الناصرى محمد صحبته وغالب الأمراء ، انتهى ٦
ذلك ، وقد نظمت هذه القصيدة في هذه الواقعة حيث أقول :

لم يسمح الدهر فيما جاد من فرج	كليلة سمحت للأشرف الغورى
فإن ترد وصفها أنشدت مرتجلا (١٣٥ب)	في وقدة الليل بالأملأك والدور ٩
من بر مصر ومقياس يقابله	كان التقابل بين النور والنور
حاكت مصابيحها ضوء النجوم إذا	ما أزهرت بالدجى في ليل ديجور
وكم رأينا قلاعاً في دخائرها	صوارخ بضياء في الجوّ منشور ١٢
كواكب النفط قد حاكت لنا قرا	بضوء زهر بدا في الماء منشور
قلوب أزياره صارت مفرقة	من وهج نيرانها في زى مقهور
وصوت باروده مثل الرعود إذا	ما صرّخوه يحاكى نغمة الصّور ١٥
وضاق رجب الفضاء في البحر من سفن	لما بدت في ازدحام كل شختور
وكم سمعنا مغمّن صوته طرب	يشدو على آلتى عود وطنبور
قالت لنا روضة المقياس ذا عجب	هل بعد يوم الوفا جبر مكسور ١٨
تاريخ سلطاننا فاق الملوك إذا	تفاخروا فهو تاج الكل بالدور
حفت عساكره من حوله زمراً	فكم سبا جمع أحزاب على الفور
لوعاش من أنشأ المقياس قال له	أنت الآن علينا خير مشكور ٢١
فلا الرشيد ولا المأمون ناسبه	في أمره ناهيا عن كل منكور

فأله يقيه في عزّ وفي شرف (١٣٦ ت) أعيّذه من شرار الناس بالطور
 ما غرد الطير في روض وناشده على الغصون هزار حول شحرور
 ٣ محمد بن إياس نظمه دررٌ وقد أضاءت بمدح الأشرف الغوري
 ثم الصلاة على المختار ما طلعت شمس الضحى واستنار الأفق بالنور
 انتهى ذلك .

- ٦ وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه أخلع السلطان على ناظر الخاص [وخرج] على
 المهجن وسافر إلى مكة ، وخرج صحبته جماعة من مصر يرومون الحج . - وفي يوم
 الخميس رابع عشرينه توفى قرّاكزُ الشريفي الفهلوان أحد الأمراء العشرات ،
 ٩ وكان غير مشكور السيرة . - وفي يوم الخميس ثامن عشرينه أشيع بموت علم
 الدين الذي كان متحدّثا في كتابة الخزانة ، وقد قاسى شدائد ومحنًا وصودر ،
 واستمرّ في المصادرة من سنة أربع عشرة وتسعمائة إلى سنة ثمان عشرة وتسعمائة ،
 ١٢ وضرب غير ما مرة وعُصِر وأخذ منه مال له صورة نحو من مائة وعشرين ألف
 دينار على ما قيل ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، وآخر الأمر مات وهو تحت العقوبة
 في الرسم . - وفيه قبض السلطان على تاج الدين بن كاتب الدواليب وسلّمه
 ١٥ إلى الزيني بركات بن موسى ، وسبب ذلك قيل عنه أن عنده لعلم الدين المذكور
 وديعة . - (١٣٦ ب) وفيه حضر الناصري محمد بن الشهابي أحمد بن أسنغا الطياري
 أمير شكار، وقد تقدم أن السلطان تغير خاطره عليه بسبب علم الدين جلبي السلطان
 ١٨ فرسم بنفيه إلى قوص ، فلما توجه إلى هناك كان الأمير طومان باي الدوادار
 مسافرا نحو الصعيد ، فلما وصل الناصري محمد إلى هناك تراسى على الأمير طومان
 باي بأن يشفع فيه عند السلطان ، فأرسل شفع فيه ، فرسم السلطان بعوده إلى مصر ،
 ٢١ فلما طلع إلى السلطان أخلع عليه ونزل إلى داره ، لكن غرم مالا له صورة . -
 وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه هجم المنسر ليلة السبت على سكّان الزريبة من

- المتفرجين ، فدخلوا المقاصف ونهبوا عثم الناس وقاشهم وعُبيتهم وقتلوا
 شخصا من الخفراء ، وكانت ليلة مهولة ، وراحت على من راح . - وفى يوم
 الجمعة المذكور صنع الأمير قانصوه بن سلطان جركس أحد الأمراء المقدمين ٢
 وقدة وإحراقه نطق فى بركة الفرايين ، مكان داره التى أنشأها هناك ، فكانت
 له ليلة حافلة وعزم على الأمراء عنده ، ونقل مراكب صغارا على جمال إلى بركة
 الفرايين فكانوا نحواً [من] ثلاثين مركبا أو دون ذلك ، وأمر سكان البركة ٦
 بأن يوقدوا فى بيوتهم القناديل والتُريّات والأمشاط ، فأوقدوا وقدة حافلة تلك
 الليلة ، ومدت أسمطة حافلة للأمراء ، ولم يقع قط فى (١٣٧ ت) بركة الفرايين
 ليلة مثل تلك الليلة فى الفرجة والقصف ، انتهى ذلك . ٩
- وفى رجب كان مستهلّه يوم السبت ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة
 بالشهر ، فحصل للقاضى الشافعى من السلطان بعض مقت ، وسبب ذلك أن قوس
 الهلال كان تلك الليلة لا يُرى ، ف قيل رآه بعض الناس ، وكان قوسه تلك الليلة على ١٢
 درجتين ونصف ، وكان عسير الرؤية وحكموا أرباب التقويم أنه لا يُرى تلك الليلة ،
 فثبت رؤيته على قاض فى الصليبية يقال له شمس الدين الأحمدي ، فلما طلعا
 القضاة إلى السلطان وقال للقاضى الشافعى : أحضر لى القاضى الذى ثبت عليه بروية ١٥
 الهلال على درجتين ونصف وهو غير ممكن الرؤية ، فنزل القاضى الشافعى كمال الدين
 الطويل وهو فى غاية التعفّيش وأشيع عزله . - وفى يوم الأربعاء خامسه نزل
 السلطان إلى المقياس وأقام به إلى أواخر النهار ، وكان بلغه مجيء الأمير طومان باى ١٨
 اللوادار من الصعيد ، فلما أن وصل بالمركب نزل إلى المقياس وسلم على السلطان
 هناك ، ثم فى ثانى يوم طلع ولبس خلعة حافلة ونزل إلى داره فى موكب حافل . -
 وفى يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على قاضى القضاة محيى (١٣٧ ب) الدين ٢١
 عبد القادر بن النقيب وقرّره فى قضاء الشافعية عوضا عن قاضى القضاة كمال الدين
 الطويل بحكم انفصاله عنها ، وهذه خامس ولاية وقعت لابن النقيب ، وقد سعى

- في هذه المرة بثلاثة آلاف دينار وقيل إنه نفذ منه في هذه الخمس ولايات نحو
 من سبعة وعشرين ألف دينار، غير ما سعى به للمتكلمين له على ما قيل . - وفي يوم
 الأربعاء ثاني عشره نزل [السلطان] إلى المطرية وأقام في قبة يشبك النوادر إلى
 بعد العصر، وأكل السباط هناك، ثم عاد إلى القلعة . - وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره،
 الموافق لأول يوم من بابه، ثبت النيل المبارك على ثمانية أصابع من واحد وعشرين
 ذراعا، واستمر في ثبات إلى نصف هاتور، وقد تقدم القول أن في سنة ثلاث
 وثمانين وثمانمائة في دولة الأشرف قايتباي، ثبت النيل المبارك على أحد عشر
 أصبعا من واحد وعشرين ذراعا، فكان أزيد من هذا بثلاثة أصابع . - وفي
 يوم الثلاثاء رابع عشرينه فرق السلطان على الممالك القرائصة الخيول التي
 كانت لهم في الديوان، فأعطى لهم عن كل فرس فحل خمسة آلاف درهم، والذي
 له فحل وإكديش ثلاثة آلاف درهم عن الإكديش وأعطاه فحلا مع الثلاثة
 ١٢ (٢١٣٨) آلاف، ومن حين تسلطن إلى يوم تاريخه لم ينفق على الممالك
 القرائصة ثمن خيول الرد سوى في هذا الشهر . - وفي يوم الأحد سلخ هذا
 الشهر نزل السلطان إلى المقياس وبات به، وكانت ليلة مستهل الشهر .
 ١٥ وفي شعبان طلع الخليفة والقضاة الأربعة إلى السلطان لينهوه بالشهر،
 فقيل لهم بأن السلطان في المقياس لم يطلع إلى الآن، فرجع الخليفة إلى داره، وقيل
 إن القضاة عدّوا له إلى المقياس وهنّوه بالشهر هناك، وكل هذا استخفاف بالناس،
 ١٨ ولم يكن له في ذلك اليوم شغل يقتضي فعاده في المقياس ذلك اليوم، فكان يوم
 تفرقة الجامكية الخامسة التي استجدّها . - وفي يوم الثلاثاء ثانيه نزل السلطان إلى
 الميدان وجلس فيه إلى قريب الظهر، ثم طلع إلى الدهيشة فلم يأكل السباط على
 ٢١ جرى العادة، وحصل له توعك في جسده ودخل إلى دور الحرم، وأقام فيه يوم
 الأربعاء والخميس، فكثرت القال والقيل بين الناس، وأشيع أنه قد أصابه
 القولنج، ثم خرج يوم الجمعة وصلّى في الجامع فأبطل ذلك القيل والقال . -

وفى هذا الشهر قبض السلطان على أقبای كاشف الشرقية ووكل به بالقلمة وتغير
خاطره عليه ، فنادى فى القاهرة (١٣٨ ب) كل من كان له ظلامة عند أقبای
كاشف الشرقية فعليه بالأبواب الشريفة ، وكان أقبای أفحش فى الشرقية غاية ٣
الإفحاش ، حتى ضج منه جميع المقطعين وكثرت فيه الشكاوى من العسكر ، ثم
رسم السلطان بنزوله إلى بيت نقيب الجيش حتى يرضى العسكر فيما أخذه من
البلاذ غير العادة ، فلم يُفد من ذلك وأرضى السلطان بمال وراح على المقطعين ٦
ما أخذه من بلادهم عن سنة ثمان عشرة الخراجية معجلا ، وفعل أشياء بالشرقية
لم يفعلها غيره من الكشاف . - وفى يوم الاثنين خامس عشره أخلع السلطان
على قانصوه العادل وقرره كاشف الشرقية عوضا عن أقبای بحكم انفصاله عنها ، ٩
وأخلع على جان بلاط الأشراف كاشف الغربية وأقره على حاله بالغربية ، وكان
أشجع عزله . - وفى يوم الثلاثاء سادس عشره رسم السلطان بالإفراج عن
شرف الدين يونس النابلسى الذى كان أستاذارا وعزل عنها ، وقد قاسى شذائد ١٢
ومحنا ، وأقام نحو من ثلاث سنين وهو فى الترسيم بالجامع الصغير الذى هو داخل
الحوش السلطانى ، وربما كان فى الحديد فى هذه المدة ، وضرب بين يدى السلطان
غير (١٣٩ آ) ما مرة ، وصدور وقرّر عليه مال له صورة يرد منه على الجوامك ١٥
فى كل شهر خمسمائة دينار . - وفيه كانت كائنة الخواجا شمس الدين الحلبى
مع السلطان ، وسبب ذلك أن السلطان كان صادره مراوا عديدة وأخذ منه جملة
مال ، فأرسل الحلبى إلى مكة كتابا بخط يده إلى شخص من أصحابه بمكة وذكر ١٨
فيه ما فعله به السلطان ، وأرسل يقول له : ادعوا على السلطان فى تلك الأماكن
الشريفة فإنه ما هو مسلم ولا فى قلبه رحمة قليل الدين ، فظفر بعض أعداء الحلبى
بهذا الكتاب فأوصله إلى السلطان ، فلما قرأه أحضر الحلبى وأطلععه على ذلك ٢١
الكتاب فأنكر الحلبى ذلك وقال : هذا ما هو بخطى ، فشهدوا عليه جماعة أن هذا
خطه ، فرسم السلطان عليه وشكّه فى الحديد ، وقصد عليه أن يثبت عليه كفرا كون

- أنه عمله قليل الدين وما هو مسلم ، ثم آل أمره على أن السلطان قرّر عليه مالا له صورة . - وفيه فرق السلطان إطلاقات الطين على الأمراء ، ولكن أحدث شيئا
- ٣ لم فعله أحد من الملوك قبله ، وهو أنه نقّص من إطلاقات الأمراء أشياء كثيرة وأخذ منهم الحلوان (١٣٩ ب) زيادة عن العادة ، فنقّص من إطلاق أمير كبير سودون العجمي مائتي فدان ، وكان قبل ذلك سلخ من إقطاعه جهات بنحو من
- ٦ عشرين ألف دينار كون أنه كان لين الجانب فاستضعفه ، ونقّص من إطلاق بقية الأمراء المقدّمين كل واحد مائة فدان ، ومن إطلاقات الأمراء الطبلخانات كل واحد عشرين فدانا ، ومن إطلاقات الأمراء العشرات كل واحد خمسة عشر
- ٩ فدانا ، وفرّق على أصحاب الوظائف لكل واحد أشرفين ، وبقية الممالك كل واحد أشرفيا ، وآخرين أشرفيا ونصف . - وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه نزل السلطان إلى المقياس وأقام به إلى آخر النهار ، ومدّ هناك سمطا حافلا ، ثم طلع إلى القلعة
- ١٢ بعد العصر . - وفي يوم الخميس خامس عشرينه أدخل السلطان على المعلم يعقوب اليهودي ، وقرّره متحدّثا على دار الضرب كما كان ابن نصر الله الذي تسحب كما تقدم ذكر ذلك ، فألبسه كاملية صوف أزرق بصمور ونزل من القلعة
- ١٥ وهو [في] غاية العظمة . - وفي يوم الجمعة سادس عشرينه ، الموافق لتاسع هاتور القبطي ، فيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف . - وفي يوم الأحد ثامن عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى المقياس ، ثم نزل في خرطوم الروضة (١٤٠ آ) ونصب
- ١٨ له هناك خياما وأقام إلى أواخر النهار ، وانشرح في ذلك اليوم ، وكان صحبته ولده المقرّ الناصري محمد وجماعة من الخاصكية ، وأشيع أن خرطوم الروضة أعجبه فأمر أن يُبنى هناك قصر بأربعة أوجه . - وفي أواخر هذا الشهر لم يعرض السلطان
- ٢١ المسجونين الذين في الحبوس على جاري العادة ، وكان له عادة يعرض من في الحبوس قبل رمضان بأيام قلائل ، ويطلق من المحاييس جماعة ، ويُنعم على المديونين بشيء ، ويصالح عنهم الغرماء ، ويفعل أشياء كثيرة من هذا النمط ،
- ٢٤ فلم يعمل في هذه السنة شيئا من ذلك وتغافل عن هذا الأمر .

وفي رمضان كان مستهلّه يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وجلس السلطان في الميدان وأعرض عليه الوزير يوسف البدرى اللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم وغير ذلك ، على جارى العادة ، وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ، فأخلع الوزير على الزينى بركات بن موسى المحتسب ونزلا من القلعة في موكب حافل . - وفي أوائل هذا الشهر عزّ وجود الحطب قاطبة ، وصار الناس يفتنون الجليّة والكرس وقشّ الغيطان ، وتعطلت مطابخ الأمراء بسبب ذلك ولا سيما في رمضان ، واستمرّ الحال على ذلك (١٤٠ ب) إلى أواخر الشهر . - وفي يوم الخميس ثلثى رمضان حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند ملك الهند ، وصحبته فيلان عظيما الخلقة ، وعليهما بركستوانات مخمل أحمر بمسامير كرف ، وعلى ظهورهما صناجق ، وعلى أنيابهما غلوف من الفولاذ ، فرجت لهما القاهرة لما دخلوا ، وكان السلطان في الميدان فعرضوا عليه وقد أمهما الطبول والزمر ، فتسارعا الفيلان قدّام السلطان في الميدان ، وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم رسم بأن يتوجهوا بهما إلى بيت الأتابكى تمرّاز الذى عند القيو فأقاما به ، وحضر محبة القاصد أولاد الخواجا عيسى القارى الذى توفى بمكة ، فقرر عليهما مائة ألف دينار ، فتشكّوا من ذلك فحلف بحق رأسه ما يأخذ منهم إلا مائتى ألف دينار ، فرجعوا من عنده وهم في أسوأ حال . - وفي يوم الأربعاء ثامنه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو المطعم الذى بالريدانية وجلس على المصطبة التى هناك ، وأطلقوا قدّامه الكلاب والصقورة والفهود ، وانشرح في ذلك اليوم ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . - وفي يوم الخميس تاسعه أخلع السلطان على المقرّ السيفى طومان باى أمير دوا دار وقرّره متحدّثا على ديوان الوزارة والأستادارية وسائر الدواوين قاطبة ، وأشيع أنه بقى نظام المملكة ، فتضاعفت عظمتة (١٤١ أ) جدّا ، واجتمع فيه عدّة وظائف سنّية ولا سيما لكونه قرابة السلطان ، فلما نزل من القلعة كان له يوم مشهود ، ونزل محبته سائر الأمراء وأرباب الدولة حتى الأقبال

- المقدم ذكرهم، وهي مزيّنة بالصناجق واللبوس، وقد أمهما الطبول والزمور. -
- ٣ وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربي وكان السلطان أرسله إلى بلاد ابن عثمان ليشتري أخشاب وحبال ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل نحاس وحديد وأخشاب وحبال، وغير ذلك أشياء كثيرة في مراكب موسوقة. - وفي يوم الجمعة عاشره حضر
- ٦ على الجركسي قاصدا من عند خاير بيك نائب حلب، وكان السلطان أنعم على الجركسي بأمرة عشرة بحلب وجعله حاجبا ثانيا هناك، وذلك لأجل خاطر خاير بيك نائب حلب، ويقال أن على الجركسي هذا كان أصل أبيه فرّانا، وكان على
- ٩ حسن الشكل فأخذه الأمير خاير بيك عنده بمقدارا ورباه صغيرا حتى كبر، فلا زال يرقى حتى بقى حاجبا ثانيا بحلب، والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجده. -
- وفيهِ كان ما وقع لرئيسة المغاني، وهي امرأة يقال لها هيفة اللذيذة، وقد رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من (١٤١ ب) المال ولها حُلّة للكبرى، فلما سمع السلطان ذلك قبض عليها وأقامت في الترسيم، وعُرضت للضرب غير ما مرة، وقرّر عليها خمسة آلاف دينار، فباعته الحلى وجميع ما تملكه وأوردت ألف دينار، وقد تكلم لها القاضي بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك، فقرّر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار تردّ في كلّ شهر مائة دينار على كلّ جامكية، وقد طفّل السلطان نفسه إلى مصادرات المغاني أيضا، والأمر لله. - وفي يوم الخميس
- ١٨ سادس عشره فرق السلطان الكسوة مع الجامكية، ولكن جعل كسوة أولاد الناس والممالك العواجز ألفي درهم، وصار لا يأخذ كسوة ثلاثة [آلاف] درهم سوى الممالك القرانصة وجلبانه فقط. - وفي ذلك اليوم حضر سيف نائب
- ٢١ كفتا، وأشيع أنه مات قتيلًا من بعض التراكمة. - وفي يوم الأحد تاسع عشره نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطرية، ثم دخل من باب النصر وشقّ من القاهرة ونزل في مدرسته وزار قبر أولاده، ثم أعرض الأيتام الذين بالمكتب ورسم

لهم بسكوة على العيد ، ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . - وفي يوم الاثنين
عشرينه أخلع السلطان على الشيخ خليل بن إسماعيل بن شبانة ، شيخ عربان
جبل نابلس ، وقرّره على عاداته في مشيخته بجبل نابلس (١٤٢ آ) وقد سعى ٣
في ذلك بمال له صورة . - وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصا من
النصارى يقال له عبد الصليب ، وهو من نواحي دلجة من الجهات القبلية ، فقيل
عنه إنه وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات فاحشة ، فشهدوا عليه جماعة ٦
بذلك وكتبوا به محضرا وثبت على قاضي الناحية ، فلما أحضروا النصراني إلى
بين يدي السلطان فاعترف بما قاله في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرضوا
عليه الإسلام فأبى ، فبعثه السلطان إلى بيت الأمير طومان باي الدوادار ، فعقد له ٩
مجلس فاعترف بين يدي القضاة بما قاله وصمّم على ذلك ، وقد بايع نفسه على عدم
تغيير دينه ، فحكموا القضاة بسفك دمه ، وثبت ذلك على بعض نواب المالكية
فأركبوه على جمل وهو مُسَمَّرٌ وأشهروه في القاهرة حتى أتوا به إلى عند المدرسة ١٢
الصالحية ، فضربوا عنقه تحت شباك المدرسة ، ثم إن العوام أحضروا له النار
والحطب وأحرقوا جثته في وسط السوق ، فلما دخل الليل أكلوا الكلاب عظامه
ومضى أمره . - وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه عرض السلطان خلع العيد ، ١٥
وكانوا في هذه السنة في غاية الوحشة ، وهم يحكم النصف عن كل سنة ، وتوقع
غالب الخلع وسبب ذلك أن (١٤٢ ب) ناظر الخاص كان مسافرا في الحجاز . -
وفي ذلك اليوم كان ختم البخاري بالقلعة ، وحضر القضاة الأربعة ، وفرت الخلع ١٨
والصرر على من له عادة ، وكان ختما حافلا بالحوش السلطاني في الخيمة المدوّرة . -
وفي يوم الخميس سلخ الشهر حضر الأمير حسين الذي كان توجهه باش التجريدة
التي توجهت إلى بلاد الهند ، وكانت مدة غيبة الأمير حسين في هذه السفرة نحو ٢١
من سبع سنين وثلاثة أشهر ، وتوجه إلى بلاد الهند واتفق هناك مع الفرنج
وكسروه ونهبوا ما كان معه من المراكب والسلاح ، وجرى عليه شذائد ومحن ،

- وهو الذى كان شادا على عمارة الصور والأبراج التى أنشأها السلطان بجدة وجاءت من أحسن المباني ، وكان الأمير حسين قرّر فى نيابة جدة فى هذه المدة ، وأظهر هناك الفتك والعظمة ، وجار على التجار فى أمر العُشر ، وأظلم الناس قاطبة حتى ضَجُّوا منه ، وتوجّه فى هذه المدة إلى جماعة من ملوك الهند ، ولما حضر الأمير حسين جاء محبته قاصد من عند الملك مظفر شاه بن الملك محمود شاه صاحب كُتباية ، الذى توفى إلى رحمة الله تعالى ، فحضر قاصد الملك مظفر شاه حتى يأخذ له من الخليفة تقليدا بولايته على كُتباية ، فأخلع السلطان على الأمير حسين وعلى قاصد ملك الهند ، ونزلا (١٤٣ آ) فى موكب حافل .
- ٩ وفى شوال كان العيد يوم الجمعة ، وخطب فى ذلك اليوم خطبتان ، وكان موكب العيد حافلا . - وفى يوم الاثنين رابعه طلع الأمير حسين بتقدمة حافلة للسلطان ، ومثلها مقدمة من عند قاصد ملك الهند صاحب كُتباية ، وكانت مقدمة الأمير حسين لها المنتهى من كل صنف فاخر . - وفى يوم الثلاثاء خامسه حضر القاضى علاى الدين ناظر الخاص ، وقد تقدم القول على أنه توجّه إلى مكة [لينظر فى أمر] من يلى أمرة مكة عوضا عن الشريف قايتباى الذى توفى ، فلما حضر ناظر الخاص حضر محبته ابن الشريف بركات ، وحضر محبتهم موزن عزورة أمير مكة وهو صبي صغير السن يقال له محمد أبو نُمى ، وحضر معه ابن عمه الشريف عرعر ، وحضر محبتهم قاضى قضاة مكة الشافعى والقاضى المالكى ، فلما أقبلوا قام لهم السلطان وأكرمهم غاية الإكرام وأخلع عليهم كواامل بصمور ، وعلى ناظر الخاص ، وقد لاقاهم لما دخلوا قضاة مصر الأربعة والقاضى كاتب السر ابن أجا وأعيان الناس ، فزّلوا فى مكان عُدّ لهم . - وفى يوم الأربعاء سادسه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك التى بالمطرية ، فأقام بها إلى ما بعد الظهر ، ثم عاد إلى القلعة . - وفى يوم الخميس رابع عشره جلس (١٤٣ ب) السلطان بالميدان وعرضوا عليه كسوة الكعبة الشريفة والبرقع ومقام إبراهيم عليه السلام والمحمل ، وشقّوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود . -

وفي يوم الاثنين ثامن عشره خرج الحاج من القاهرة وصحبتهما المحمل الشريف ، وكان أمير ركب المحمل تمر الحسنى أحد الأمراء المقدّمين ، وبالركب الأول يوسف الناصرى شاد الشراب خاتناه الذى كان نائب حماة ، وخرج مصحبتهما الأمير قطلوباي ٣ الذى قرّر باش المجاورين ، فكان لخروجهم يوم مشهود ، وظهر لهم أطلاب حافلة حتى رجّت لهم القاهرة ، وخرج قدام المحمل الأفيال الكبار وهى مزينة بالبوس ، وعلى ظهورهم الصناجق ، وقد أمهم الطبول والزمور ، وخرج قدام المحمل القضاة ٦ الأربعة وقضاة مكة الذين حضروا وابن الشريف أمير مكة ، وخرج قدام أمراء الحاج أعيان الأمراء ، وكان يوما مشهودا . - وفي يوم السبت ثالث عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو قبة مصطفى التى فى المرج والزيات ، وبات بها تلك الليلة ٩ وأقام هناك . - [وفى] يوم الأربعاء سابع عشرينه نزل السلطان إلى نحو تربة العادل وجلس هناك ، وجربوا قدامه عدّة مكاحل ، ثم أقام هناك إلى بعد العصر وعاد إلى القلعة . - وفيه توفى المعلم عبد القادر الشماخ ، وكان علامة فى فن التقيوم وأخبار ١٢ الفلك . - وفى أواخر هذا الشهر توفى الأمير أبنال (١٤٤٤) شاد العائم السلطانية ، وكان أصله من ممالك الأتابكى أربك من ططخ ، وأنعم عليه السلطان بأمرة عشرة ، وكان عنده من المقرّبين ، وكان عارفا بأمور الهندسة وأحوال البناء ، ١٥ وكان لا بأس به . - وفى هذا الشهر رسم السلطان بتجديد عمارة ميدان المهارة الذى بالقرب من قناطر السباع ، فشرع فى ذلك وأمر الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير بأن يتولى أمر العمارة ويباشر ذلك بنفسه ، فامتثل ما رسم به وأظهر ١٨ للعزم فى ذلك .

وفى ذى القعدة فى يوم الأربعاء خامسه نزل السلطان إلى نحو تربة العادل التى تجاه المطرية ، وجلس على المصطبة التى هناك ، وجربوا قدامه عدّة مكاحل ٢١ بأحجار كبار ، ثم توجّه إلى قبة يشبك التى هناك وأمر بعمارة فساقى وحفر بئر بسبب مرور المسافرين من هناك، وشرع فى فتح عمارة كبيرة وجعل الأمير تانى بيك

الحازندار أحد الأمراء المتقدمين شادا على هذه العماره ، فقدّروا على مصروف هذه العماره مالا جزيلا ، وما كان الوقت محتاجا إلى تلك العماره هناك . وتكلّموا بأنّه 'ينشئ' هناك قصرا عظيما ، وبحره طولها نحو من مائه ذراع ، وينشئ هناك غير ذلك أشياء كثيرة . - ومما وقع في هذه الأيام أن كلبه في الأذربكية ولدت أحد عشر كلبا في بطن واحدة (١٤٤ ب) فعّد ذلك من النوادر الغريبة . - وفي يوم الخميس سادسه حضر إلى الأبواب الشريفه أحد أولاد أحمد بيك بن عثمان ملك الروم . وهو شخص يسمّى سليمان بيك ، فلما حضر أكرمه السلطان وألبسه سلارى صوف بصمور من ملايبسه ، وقيل أن والده أحمد بيك فرّ من أخيه سليم شاه الذى تولى على مملكه الروم ، وقصد أنه يحضر إلى عند السلطان ، فبدا له من بعد ذلك أمر فتوجّه إلى عند شاه إسماعيل الصوفى وحضر ابنه إلى عند السلطان ، فما انشرح السلطان لذلك وخشى مما يأتى من هذه الحركه . - وفي يوم الاثنين عاشره أخلع السلطان على الأمير أقبای الطويل أمير آخور ثانى ، وعيّنه بأن يتوجه قاصدا إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، ليهنّيه بالملك ، وينسج مودّة بينهما ، فنزل أقبای من القلعه فى موكب حافل . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على الشرفى يونس بن الأقرع نقيب الجيوش المنصوره ، وقرّر عليه عشرين ألف دينار وكتب خطّ يده بذلك ، وكان سبب هذه الكاينه له أن يونس السيفى قيت الرجى كاشف منغلوط تغيّر السلطان عليه وقرّر عليه مالا له صورة وسلمه إلى يونس نقيب الجيش ، فلما نزل به إلى داره تسحب من عنده واختفى فتغيّر خاطر السلطان على (١٤٥ آ) نقيب الجيش ، وقال : ما أعترف الممال الذى عليه إلاّ منك ، فكان هذا سببا لكاينه نقيب الجيش مع السلطان ، وكان نقيب الجيش من وسائط السوء إذا وقف بين يدى السلطان ما يتحدث فى أحد من الناس بخير ، ويحصل للناس منه الضرر الشامل ، فكان يستحق كل سوء ، فلما جرى عليه ذلك شرع فى بيع أملاكه ورزقه وقماشه وخيوله ، وجاء عليه السلطان

- محيى وحش ، والمجازاة من جنس العمل . - وفي يوم الخميس ثالث عشره أخلع
السلطان على قاضى القضاة كمال الدين وأعادته إلى منصب القضاء ، وصرف عنه
محيى الدين بن النقيب ، وهذه ثالث ولاية وقعت لكamal الدين الطويل ، وقد نفذ ٢
منه فى هذه الثلاث ولايات فوق العشرة آلاف دينار ، وأما محيى الدين بن النقيب
فإنه تولى خمس ولايات ، فكانت مدته فى هذه الخمس ولايات سنة وتسعة أشهر
وثمانية أيام لا غير ، كما يقال فى المعنى :
- ٦ أعماله رُدَّتْ عليه بما جنى والدهر قد جازاه من جنس العمل
وفى يوم الأربعاء ثانى عشره نزل السلطان وكشف على العمارة التى فى الميدان ،
كما تقدم ذكر ذلك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . - وفى يوم الجمعة رابع عشره ٩
صلى السلطان صلاة الجمعة بالقلعة ، ثم ركب ونزل وشقّ من الصليبة فى موكب
حافل وقدّامه ثلاث طوایل (١٤٥ ب) خيول بسروج ذهب وكنابيش ، وقدّامه
من الأمراء الأمير طومان باى اللوادار الكبير فقط ، ومن الأمراء الطبلخانات ١٢
أقبای أمير آخور ثانى وكرتابای والى القاهرة ، وجماعة من الخاصكية والسلحدارية ،
[وعلى] رأسه تخفيفة صغيرة لمساء ، وعليه سلارى صوف فستقى بصمور ، وهو
راكب فرس بسرج ذهب وكنبوش ، وأشيع أنه يتوجه إلى نحو الأهرام ويقیم به ١٥
أياماً ، فنصب هناك وطاقاً ، وأشيع أنه يتوجه من هناك إلى القيوم كما وقع للأشرف
قايتباى نظیر ذلك ، فرجّت القاهرة لسفره على حين غفلة ، وماج العسكر الذى لم
يكن على يقظة من احتياج السفر ، ولما نزل السلطان من القلعة توجه إلى المقياس ١٨
وبات به ليلة السبت ، فلما طلع النهار عدّى من هناك وطلع إلى برّ الجزيرة وتوجه
إلى الوطاق الذى نصبه عند الأهرام ، وقيل إن السلطان أخذ معه جماعة من المغانى
وأرباب الآلات ، فنهى محمد بن عؤينة العواد وجلال السنطيرى والبوالقة وابن ٢١
الليمونى وغير ذلك من المغانى ، فلما توجه إلى الوطاق أقام به يوم السبت والأحد ،
ثم رحل عن الوطاق يوم الاثنين سابع عشره وقصد التوجه إلى نحو القيوم ،
وكان صحبته من الأمراء (١٤٦ آ) الأتابكى سودون العجمى وقاضى القضاة ٢٤

الحنفى عبد البر بن الشحنة وجماعة من الأمراء المقدمين ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية ، فتوجهوا على المهجن وساروا إلى الفيوم . - وفي يوم الاثنين المذكور فرقت الجامكية على العسكر في غيبة السلطان بباب القلة ، وحضر ذلك ٢ مقدم الممالك والأمير خاير بيك الخازندار والوزير يوسف البدرى ، وغير ذلك من الأعيان مثل القاضى بركات بن موسى المحتسب وغيره . - ومن الحوادث ٦ في عيبة السلطان قد حضر المقرّ علاى الدين بيك أخو سليمان بيك أولاد المقرّ الشهابى أحمد بن السلطان أبو يزيد بن عثمان ملك الروم ، وكان توجهه إلى زيارة بيت المقدس فلم يحضر صحبة أخيه سليمان بيك لما حضر ، فأنزلوه عند ما حضر ٩ في بيت الأتابكى تمرّاز الذى عند القبو إلى أن يحضر السلطان . - فلما توجه السلطان إلى الفيوم وجدها خرابا وشرق غالبا وقد تقطع الجسر الذى بها ، فلم يقيم بها السلطان سوى ليلة واحدة ، ورسم للأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء ١٢ المقدمين بأن يقيم هناك حتى يعمرّ الجسر الذى بها ، ثم إن السلطان رسم له بأن يفرد على البلاد التى هناك من إقطاعات ورزق على كل فدان طين (١٤٦ ب) عشرة أنصاف ، وقيل أفرد على المقطعين هناك ثلث ما لهم من ١٥ الخراج ، فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الضرر ، وكان قبل ذلك رسم السلطان بعمارة جسر أم دينار الذى بالجيزة ، فندب إلى عمارته الشرفى يونس نقيب الجيش وشخصا آخر من المباشرين يقال له جمال الدين ، فأفردوا على ١٨ البلاد والرزق والإقطاعات التى هناك فى إقليم الجيزة الثلث من الخراج ، فحصل للمقطعين [الضرر الشامل ، وصار يتعسف معهم] ويستخرج منهم المال ، وصار السلطان يعوّق جوامك الممالك الذين لهم إقطاعات فى إقليم الجيزة بسبب عمارة ٢١ هذا الجسر ، فأتى نقيب الجيش فى ذلك ممكنا من باب المظالم ولا سيما شدة عسفه فى المظالم السلطانية . - ثم جاءت الأخبار بأن السلطان قد قصد العود من الفيوم ، فخرج إلى تلقية أمير المؤمنين وهو المتوكل على الله محمد فلاقاه من

دهشور وهى بلد الخليفة ، فأقبل عليه السلطان وترحب به وبالغ فى إكرامه وتعظيمه وألبسه سلارى صوف فستق بصمور من ملابسه ، قيل أن مشترى صموره ثلثائة دينار ، وكان الخليفة لما توجه السلطان إلى الفيوم مرّ من على ٣ دهشور بلد الخليفة فقدم إليه الخليفة مهارة (١٤٧ آ) وأغناما وأبقارا وأشياء كثيرة من دجاج وأوز ؛ ومن أنواع الأكل قدور غسل نخل وجزر لبن وغير ذلك أشياء كثيرة ، فشكره ذلك ، ثم إن السلطان أتى إلى الوطاق الذى تركه منصوبا تحت الأهرام ومضى إلى الفيوم ، فلما نزل بالوطاق تسامعت به الناس فتوجهت إليه قضاة القضاة وهم كمال الدين الطويل الشافعى ومحيى الدين يحيى الدميرى المالكى والشهاب أحمد الشيشينى الحنبلى ، وخرج إليه غالب أعيان ٩ الناس ، فنزل السلطان بالوطاق يوم الأربعاء سادس عشرينه ، فأقام به يوم الأربعاء والخميس وأحرق هناك إحراقة نفط ثانية ، فلما كان يوم الجمعة عدّى السلطان من هناك ونزل بالمقياس فأقام به إلى يوم الأحد سلخ الشهر ، فتوجه إليه هناك ١٢ أولاد ابن عثمان الذين حضروا كما تقدم القول على ذلك .

فلما كان يوم الاثنين مستهل ذى الحجة عدّى السلطان من المقياس وأتى إلى بر مصر وركب من هناك ، ومشت قدّامه الرؤوس النوب بالعصى ، ومشى قدّامه الجم ١٥ الغفير من الخاصكية بغير شاش ولا قماش ، وركب قدّامه الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس والأمير طومان باى (١٤٧ ب) الدوادار الكبير وحاجب الحجاب أنصبأى ، وجماعة من الأمراء المقدمين والأمراء الطبلخانات ١٨ والأمراء العشرات وأعيان المباشرين من أرباب الوظائف ، وكان قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة مسافرا صحبة السلطان فركب قدّامه ، فألبس السلطان الأمراء المقدمين كوامل مخمل أحمر بصمور وهم أمير كبير وأمير مجلس والدوادار الكبير ، ٢١ وألبس بقية الأمراء المقدمين كوامل صوف بصمور ، وكذلك جماعة من الأمراء الطبلخانات من أرباب الوظائف ممن كان مسافرا مع السلطان ، وألبس قاضى

القضاة الحنفى عبد البرّ كاملة صوف أبيض بصمور وكان مسافرا معه ، وركب
 قدّامه العسكر قاطبة ، فشقّ من الصليبة مع طلوع الشمس وهو فى موكب حافل ،
 ٣ وعليه كاملة محمل أحمر بصمور ، وهو راكب على فرس بسرج ذهب وكنبوش ،
 وقدّامه ثلاث طوايل خيل بسروج ذهب وكنائيش ، وقدّامه حجورة بسروج
 بداوى ورُكب مغربى ، وكان قدّامه أربع نوب هجن فيهم نوبتين بأكوار زركش ،
 ١ وكان قدّامه الأفيال الكبار وعليهم البركستوان المحمل الأحمر ، وعلى ظهورهما
 الصناجق الحرير الملون ، وكان قدّامه طبلان وزمران والنغير (١٤٨ آ) البرغشى
 والطيردارية ، وقد شاهدتُ هذا كله بعينى ، وركب قدّامه أولاد ابن عثمان ملك
 ٩ الروم ، وركب قدامه جماعة من أولاد ابن قرمان كانوا بمصر ، وركب قدّامه جماعة
 من مشايخ عربان جبل نابلس ، وغير ذلك من الأعيان ، فاستمرّ فى هذا الموكب
 الحافل حتى طلع إلى القلعة . وهذه كانت أوّل سفرات السلطان ، وكانت مدّة غيبته
 ١٢ فى هذه السفرة سبعة عشر يوما ذهابا وإيابا ، ووقع له فى هذه السفرة أمور
 غريبة لم يقع للأشرف قايىبى مثلها لما سافر إلى القيوم ، وقد بلغنى ممن أثق به أن
 السلطان فتك فى هذه السفرة فتكا زائدا وأظهر أنواعا من العظمة ، وصار يمدّ
 ١٥ للأمراء بطول الطريق أسمطة حافلة وطوارى فاخرة ، فى كل يوم أربع مرار ،
 ما بين حلوى وفاكهة وأجبان مقلّى وجلاب وغير ذلك من الأسمطة الحافلة ، ولا
 يمنع من يأكل على السماط من الغلمان وغيرهم ، وكان يطوف على العسكر بالسكر
 ١٨ فى قِرب مع السقايين ويسقيهم السكر بالطاسات ، وأحكوا عنه أشياء غريبة من هذا
 النمط ، ورتّب العليق لخيول العسكر بطول الطريق ، وكانت هذه السفرة على
 سبيل التنزّه ، وقد أشيع بين الناس أن السلطان توجه إلى (١٤٨ ب) هناك
 ٢١ بسبب مطلب وُجد هناك ، والأصحّ أنه توجه بسبب الكشف على الجسر الذى
 هناك ، وهو جسر اللاهون ، وجسر آخر هناك ، فإنه كان تقطّع حتى شرق منه
 إقليم القيوم ، فلما توجه السلطان إلى هناك صار يتصيّد فى جهات القيوم ودخل

- عليه جملة تقادم من مشايخ العربان وغيرها ، وقد بلغني ممن أثنى به أن السلطان فرق على الأمراء الذين كانوا معه من التقادم التي دخلت عليه ، فأعطى الأتابكي سودون العجمي ثلاثمائة دينار وفرنسين وخمسين رأس غنم وخمس بقرات ، ٣ وأعطى الأمير أركماس أمير مجلس مائتي دينار وفرنس وأربعين رأس غنم وأربع بقرات ، وأعطى الأمير طومان باي الدوادار الكبير مثل ذلك ، وأعطى الأمير أنصباي حاجب الحجاب مثل ذلك ، وأعطى لبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم ٦ مائة وخمسين دينارا وفرنسا وبقرتين وأربعين رميسا ، هذا خارجا عن الأوز والدجاج ، وأعطى للأمراء الطبلخانات لكل واحد منهم أربعين دينارا ، وللأمراء العشرات لكل واحد منهم عشرين دينارا ، وفرق عليهم أغناما بحسب مقام كل واحد منهم ، وأنعم على جماعة من الخاصكية من (١٤٩٦) أرباب الوظائف بحسبما يختاره ، ثم أنعم على من كان معه من المغاني لكل واحد منهم بعشرين دينارا وحنئين صوف بسنجاب ، وهذا على ما نُقِلَ ولم ألزم صحة ذلك ، ثم إن السلطان ١٢ ألبس الأمراء المقدمين عند عودهم إلى القلعة لكل واحد من أرباب الوظائف كاملة مخمل أحمر بصمور ، وألبس بقية الأمراء المقدمين كوامل صوف بصمور ، وألبس قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة كاملة صوف أبيض بصمور ، وألبس جماعة ممن ١٥ كان معه من أرباب الوظائف لكل واحد منهم كاملة صوف بصمور ، وقد تقدم القول على ذلك ، فلما طلع السلطان إلى القلعة دخل إلى الميدان وكان مستهل الشهر فطلعت القضاة إلى الميدان وهنّوه بالشهر ، ثم نزلوا صحبة قاضي القضاة الحنفي ١٨ عبد البر بن الشحنة ، وهذا ملخص ما وقع للسلطان في هذه السفرة إلى الفيوم ، وفي يوم الأربعاء ثلثه نزل السلطان إلى قبة يشبك التي في المطرية وكشف على العمارة التي أنشأها هناك . - وفي يوم الخميس رابعه ابتداء السلطان ٢١ بتفرقة الأضحية على العسكر ومن له عادة . - وفي ذلك اليوم رسم السلطان بشق ابن حمادة شيخ العرب بالقليوبية ، فشُتق على قنطرة الحاجب . - (١٤٩ ب)

وفى يوم الأربعاء عاشره كان عيد النحر ، وكانت الأضحية فى هذا العيد فى غاية الانشحات من الغنم والبقر وذلك بسبب تسلط المالك الأجلاب على الفلاحين الذين يحضرون البقر والغنم ، فكانوا المالك يخرجون إلى المطرية وإلى الخانكاه ويخطفون الغنم غصبا ، فحصل للناس غاية الضرر بسبب ذلك ، حتى الفهم كان مشحوتا والخطب فى هذا العيد . - وفى يوم الاثنين خامس عشره أخلع السلطان على شخص من الأتراك يقال له جان بلاط وقرره فى نيابة كختا ، فخرج فى ذلك اليوم إلى محل نيابته بكختا ، وخرج بطلب لطيف . - وفى يوم الأحد حادى عشرينه نزل القاضى بركات بن موسى المحتسب ونادى على الفلوس الجدد بأن تكون الفلوس الجدد والعق بالميزان وهى بنصفين الرطل ، فوقف حال الناس بسبب ذلك . - وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه اظلم الجو وثار ريح عاصف واشتد البرد ، وكُسفت الشمس فى ذلك اليوم كسوبا فاحشا ، وكان ذلك قبل العصر بأربع عشرة درجة وأقامت فى الكسوف نحو ساعة . - وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه أمطرت السماء بردا (١٥٠ آ) غزيرا مثل الحصا التى فى الصحراء : - وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة خصبة نتج فيها الزرع وأفلح فيها البطيخ العبدلى والبطيخ الصواصلى وسائر الفواكه ، ووقع فيها الرخاء ، وكان فيها النيل عاليا وثبت فيها ثباتا جيدا ، وكانت سنة هادئة من الفتن والشرور ، ولم يظهر فيها الطاعون بمصر بل ظهر بغير الإسكندرية ورشيد وبعض السواحل ولم يدخل منه إلى مصر شئ . - انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ثمان عشرة وتسعمائة على خير .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وتسعمائة

٢١ وكان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، ففیه فى المحرم طلع أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد والقضاة الأربعة للتهنئة بالعام الجديد . - وفى ذلك اليوم أمطرت السماء (١) هذا : هذه . (٩) تكون الفلوس : يكونوا الفلوس .

مطرا غزيرا وفيه حصا وهبت رياح عاصفة . - وفي يوم السبت رابعه نقلت الشمس إلى برج الحمل وهو أول فصل الربيع ، فلما نقلت الشمس إلى برج الحمل ظهر الطاعون بمصر ومات به جماعة من الأطفال والعبيد والجوار ، فخرجت طائفة من الألواحية وتوجهوا إلى بلادهم فرارا من (١٥٠ ب) الطعن وقد فشى أمره . - وفي يوم الأحد خامسه نزل السلطان إلى قبة يشبك التي بالمطرية وأقام بها إلى أواخر النهار ، وكشف على العمارة التي أنشأها هناك ، وانشرح في ذلك اليوم ، وطلع إلى القلعة بعد العصر . - وفي يوم الثلاثاء سابعه كانت كايته قرقاس المقرى وذلك أنه قد اتهم بقتل امرأة ومملوك ، وسبب ذلك أنه كان ساكنا عند غيط المرستان في زقاق الكحل ، فطلعت غلمانا وعبيده إلى هذه المرأة والمملوك وفي أيديهم السيوف وزعموا أنهم منسر ، فضربوا المرأة والمملوك زوجها ، وقطعوا آذان ابنتها وأخذوا منها الحلق ، فماتت البنت في ليلتها ، فلما طلع النهار وجد في المرأة والمملوك جروح بالغة ، حتى قيل وُجد فيه ست عشرة ضربة بالسكاكين ، فحملوهما على أقفاص حمالين وأعرضوهما على السلطان ، فقال له المملوك والامراة : ما لنا غرماء سوى قرقاس المقرى وغلمانا ، وكان هذا المملوك ساكنا بالقرب من بيت قرقاس المقرى في زقاق الكحل . فلما تحقق السلطان ذلك شك قرقاس المقرى في الحديد وسلمته إلى الوالى هو وغلمانا ، ورسم له بأن يعاقب الغلمان والعبيد حتى يقرّوا على من فعل ذلك . - وفي ذلك (١٥١ آ) اليوم أعرض السلطان الأمير بنخشبای الذى كان كاشف البهنسا ، وأعرض أغاته الأمير قنبك الشيخ أحد الأمراء العشرات ، وكان له مدة وهو محتفى لأمر أوجبه ، فلما أعرضوهما على السلطان شك الأمير بنخشبای في الحديد وسلمته للوالى ، وكذلك الأمير قنبك الشيخ ، واستمروا عند الوالى حتى يكون من أمرهما ما يكون . - ثم إن السلطان حل بعد ذلك في أمر قرقاس المقرى ، ولم يأخذ بيد المملوك الذى تجرح ولا بيد المرأة التي ماتت ابنتها لما قطعوا

- آذانها ، وراحت على من راح . - وفي يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على شخص من مماليكه يسمّى جان بردى وقرّره في نيابة طرسوس ، وكان من
- ٢ الأمراء العشرات . - وفي يوم الأحد تاسع عشره كان فيه فطر النصرى ، فنزل السلطان في ذلك اليوم إلى قبة يشبك التي بالمطرية وأقام بها إلى أواخر النهار ، وعزم على جماعة من الأمراء ومدّة هناك أسبحة حافلة وانشرح في ذلك اليوم ،
- ٦ ثم عاد إلى القلعة قبل غروب الشمس ، وكان يومًا حافلاً . - وفي يوم الاثنين عشرينه كان أول يوم في الخميس وهو عيد النصرى ، فكانت النصرى في هذا العيد في غاية النكد بسبب (١٥١ ب) ما قرّر عليهم السلطان من المال ، وهو نحو من عشرين ألف دينار ، وذلك بسبب أنهم يشتري لهم جوار للخدمة ، فتغيّر خاطر السلطان عليهم ومنعهم من ذلك ، وقد ترافعوا في بعضهم فحتق منهم السلطان وصادرهم وضيّق عليهم ، فكانوا في هذا العيد في غاية الضرر . - وفي يوم الاثنين
- ١٢ المذكور وقعت زلزلة خفيفة ، واستمرت تعاود الناس ثلاث مرار والأرض تضطرب اضطرابًا ظاهرًا ، وكان هذا كله دلائل على تزايد أمر الطاعون ، فلما دخلت الخميس تزايد أمر الطاعون وقتل في الناس فتكا ذريعًا ، ثم إن بعض الحكماء أشار على السلطان بأن يلبس في أصابعه خواتم ياقوت أحمر فإنه ينفع لمنع الطاعون ، فأخرج من الذخيرة فصين ياقوت أحمر مشمّنة وصاغهما على ذهب خاتمين ، وصار يلبسهما دائمًا ويجلس في المواكب وهو لابس تلك الخواتم
- ١٨ في أصابعه ، حتى عدّ ذلك من النوادر ، ولا سيما من سلطان تركى . - وفي يوم الثلاثاء حادى عشرينه ثارت رياح عاصفة ، وقام في الجوّ رعد شديد وبرق وأمطرت السماء مطرًا غزيرًا ، وذلك بعد نقل الشمس إلى برج الحمل بأيام عديدة . -
- ٢١ وفي يوم الأربعاء ثانى (١٥٢ آ) عشرينه دخل أمير الحاج بالركب الأول وهو يوسف الناصرى ، وصحبته الأمير خاير بيك العلای المعمار باش الخاورين . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه دخل المحمل إلى القاهرة صحبة الأمير تمر التردكاش

أحد الأمراء المقدّمين ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل من القلعة في موكب حافل ، ولكن كان الثناء الحسن من الحجاج بالركب الأول للأمير يوسف الناصري ، ولم يثنوا الحجاج عن الأمير تمر أمير الحمل خيرا وشكوا من بُخله ٣ في الطريق ، الحجاج قاطبة . - وفي يوم الجمعة في الرابع والعشرين منه أمطرت السماء حصا قدر البندق وذلك وقت صلاة الجمعة ، حتى أعاق الناس عن دخول الجامع من شدة الأمطار والوحل ، وذلك بعد نقل الشمس إلى برج الحمل ، فعُدّ ذلك ٦ من النواذر . - وفي يوم الاثنين سابع عشرينه خرج الأمير طومان باي اللوادار الكبير وتوجّه إلى نحو جهات الصعيد بسبب مساحة الأراضي وضمّ المغل ، فنزل من القلعة في موكب حافل وطلب طلبا حريبا ، وكان له يوم مشهود . - وفي ٩ يوم الثلاثاء ثامن عشرينه (١٥٢ ب) نزل السلطان وعدّى إلى المقياس وأقام به إلى أواخر النهار ، وأشيع بين الناس أنه عمر مركبا ببولاق على صفة المركب القديم المسماة بالذهبية ، فلما فرغ منها العمل أمر بأن تزين بالصناجق ويضعوا فيها ١٢ الطبول والزمور والنفوط وتجيء وهى على هذه الهيئة من بولاق إلى تحت المقياس حتى يشاهدها السلطان وهو بالمقياس ، فانشرح السلطان في ذلك اليوم إلى الغاية وابتهج ، ثم صلى العصر وعدّى وطلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود . ١٥ وفي صفر تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية وحصل للناس غاية الرعب ، فهرّب قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة أولاده من أمر الطاعون فأخرجهم إلى نحو جبل الطور ، وله بذلك عادة بأنّه يُهرّب أولاده الصغار إلى جبل الطور ١٨ في أيام الفصول ويسلمون من الطاعون ويحوا بعد مضي الفصل وهم سالمون ، لا يفقد منهم أحدا حتى ولا من عياله ، ويقال إن تلك الجهات لا يدخلها الطاعون ، ثم إن القاضي عبد البرّ حسنّ للسلطان عبارة بأن يرسل ولده إلى هناك فلم ٢١ يوافق على ذلك ، ثم إن الأمير قانى باي أمير (١٥٣ آ) أخور كبير لما رأى

(٩) طلبا حريبا : طلبا حربي . (١٩) ويحوا ، أى ويحيون .

قاضي القضاة عبد البر أرسل أولاده إلى الطور ، فقامت زوجته بنت الأمير يشبك الدوادار على أمير آخور وقالت له : أرسل ولدي صحبة أولاد القاضي ، فعمل لها سنيح وخرجت في محفة وابنها صحبتها ، ثم عمل مثل ذلك الأمير جان بردى الذي كان باش المجاورين فأرسل ولده صحبة ابن أمير آخور ، ثم إن الأمير نوروز تاجر الممالك أرسل ولده وسراريه صحبة ابن أمير آخور ، ثم إن أنصباى حاجب الحجاب أرسل جماعة من ممالكه إلى هناك ، وكذلك الأمير تمر الزردكاش أحد المتقدمين ، وتبعهم جماعة من أعيان الناس على ذلك وأرسلوا أولادهم إلى الطور خوفا عليهم من الطعن ، وهذا شيء لم تفعله الأمراء قط سوى في هذا الفصل من عظم ما وقع في قلوب الناس من الرعب من هذا الطاعون ، ومع أنه كان خفيفا جدا بالنسبة إلى الطواعين المتقدمة ، انتهى ذلك . - وفي هذا الشهر أمر السلطان بهدم القبة التي أنشأها بمدرسته التي في الشرايشين وكانت قد تشققت وآلت إلى السقوط ، فهدمها عن آخرها (١٥٣ ب) ثم أعادوها ثانية . - وفي يوم الأربعاء سابعه كانت وفاة قاضي القضاة الحنبلي ، وهو شهاب الدين أحمد بن علي ابن أحمد الشيشيني الحنبلي ، وكان علامة في مذهبه من أهل العلم والفضل ، ومولده سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وكان قد شاخ وكبر سنه وناف عن السبعين سنة من العمر ، ومات بالطاعون ، وصلى عليه في الجامع الأزهر ، وكانت جنازته حافلة . - وفي يوم الخميس ثامنه توفي الأمير تغرى برمش السيفي كسباى الششمانى المؤيدى المعروف بالرماح ، وكان تغرى برمش رئيسا حشما تولى الوزارة غير ما مرة وأقام بها مدة طويلة : وكان قد طعن في السن وذهل في عقله ، وقد باشر ديوان الوزارة أحسن مباشرة . - وفي يوم السبت عاشره نزل السلطان وتوجه إلى الميدان المهارة الذى بقناطر السباع وكشف على العمارة التي أنشأها بالميدان ، ثم توجه من هناك إلى الروضة وأقام بالمقياس ذلك اليوم . - وفي ذلك اليوم كان عقد مجلس

- بالمدرسة الصالحية ، وحضر قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة
الحنفى عبد البر بن الشحنة وقاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيى بن الدميرى ،
وكان (١٥٤ آ) هذا العقد المجلس بسبب شرف الدين بن روق ، ومن ملخص ٣
واقعة أنه كان رجلا أهوج ، وعنده خفة ورهيج ، وكان السلطان حاططا عليه
بسبب علم الدين الذى كان متحدثا على الخزانة وقد تقدم القول على ذلك ، وكان
شرف الدين بن روق صهر علم الدين زوج أخته ، فلما جرى لعلم الدين ما تقدم ٦
ذكره فضمنه شرف الدين بن روق فى ما تأخر عليه من المال الذى قرره عليه
السلطان ، فلما مات علم الدين رسم السلطان على ابن روق وطالبه بما على علم الدين
وجرى على ابن روق بسبب ذلك شذائد ومحن يطول شرحها ، ثم إن ابن روق ٩
وقع من لسانه بكلمات فاحشة فى حق قضاة العصر وغيرهم من الناس حتى
قيل عنه إنه قال : لم أستكمل الآن أحدا من القضاة ولا غيرهم بأن أصلى خلفه ،
فضبطوا عليه ذلك ، فلما أحضره فى المدرسة الصالحية ففجر على قاضى القضاة ١٢
الحنفى عبد البر بن الشحنة وعلى قاضى القضاة المالكى يحيى بن الدميرى ، وكان
شرف الدين بن روق من أهل العلم والفضل بارعا فى أصول الدين ، فلما أفحش
فى حق عبد البر بن الشحنة ، فعززه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، ١٥
(١٥٤ ب) وسطحه على ظهره فى وسط المدرسة الصالحية ، وضربه على رجله
بعض عصيات بسبب إساءته على قاضى القضاة عبد البر ، فلما جرى ذلك كادت
العوام أن ترجم عبد البر بن الشحنة وتعصبوا إلى ابن روق ، ثم انفض ذلك ١٨
المجلس مانعا ، وكان السلطان قائما فى أن يثبت على ابن روق كفرا ويضرب عنقه
فلم يتم له ذلك ، وكان قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل قائما فى الباطن
مع ابن روق ، فلما بلغ السلطان ذلك مقت انقاض الشافعى بسبب أنه لم يوافق ٢١
على إتلاف ابن روق ، فلما انفض المجلس من الصالحية تسلم القاضى بركات المحتسب
ابن روق ومضى به إلى بيته ليعاقبه ، فوضعه فى الحديد وحصل له غاية البهدة
فى ذلك اليوم ، حتى قيل إن ابن موسى ضربه فوق المائة عصاة ، واستمر عنده ٢٤

- في الحديد حتى يستخلص منه المال الذي ضمن فيه علم الدين ، وقبل إن شرف الدين ابن روق لما عرضوه على السلطان فكلمه بكلام فاحش حتى حنق منه السلطان ٢
- وقصد أن يوقع فيه فعلا ويؤتلفه ، فلم يتم له ذلك . - وفي يوم الأربعاء رابع عشره توفي القاضي شرف الدين يحيى الأنصارى نقيب قاضي القضاة الحنفى ، وكان من (١٥٥ آ) أعيان نواب الحنفية ، وكان لا بأس به . - وفي هذا الشهر تزايد ٦
- أمر الطاعون وفنك في الممالك وفي العبيد والجوار والأطفال والغرباء ، وصار يوما يزيد ويوما ينقص ، وتناهد ورقة التعريف في هذا الشهر بعدة من يموت في كل يوم ، فبلغت إلى ثلاثمائة وخمسة وستين إنسانا ممن يرد التعريف ، والعادة ٩
- في الفصول الكبار أن الواحد من التعريف بعشرة ممن لا يرد التعريف ، فلما تزايد أمر الموت فُتحت مغاسل السبيل على جارى العادة في الفصول المتقدمة . -
- ومما أحدثه السلطان من أبواب المظالم في هذا الفصل أنه رسم للأمير مغلباى الزردكاش ١٢
- بأن يأخذ من موجود من يموت من الممالك السلطانية ممن له جامكية ، فيرسم على وصى الميت حتى يحضر بسيف مسقط بفضة وزردية وخوذة وتركاش ، فصار الزردكاش يرسم على زوجة المملوك الذى يموت حتى يأخذ منها ما ذكرناه ، ١٥
- ثم رسم للأمير آخور كبير بأن يأخذ من يموت من الممالك ممن له جامكية وعليق فيأخذ من وصيته فرسين أو ثمنهما ، والخاصكى ثلاثة رؤوس خيل وبغلة ، وأصحاب الوظائف ممن يموت منهم فيأخذ من وصيته خمسة (١٥٥ ب) رؤوس ١٨
- خيل وبغلة ، فيرسم على الوصى وزوجة الميت حتى يأخذ منها ما ذكرناه ؛ وما هو أعظم من هذا كله أنه رسم إلى ألماس دوادار سكين بأن يأخذ من يموت من ممالكه الأجلاب خمسون دينارا ، وهى النفقة التى كان قد نفقها عليهم ، وبأخذ ٢١
- من الجمدار عشرين دينارا ، فأطلق في أوصياء الممالك النار وصاروا يمتنعون من الوصية ، فما طاق العسكر ذلك وكادت أن تنشأ من ذلك فتنة كبيرة ، فأقام الحال على ذلك أياما ثم رجع عن بعض شيء من ذلك ، وهذا الأمر لم يقع قط من ملك (١٦ و ١٧) رؤوس : أدوس . (٢١) أوصياء : أوصية . (٢٢) تنشأ : ينشئ .

قبله ولا أحدث هذه المظلمة ؛ فلما تزايد أمر الموت رسم السلطان بشيل الذكك
 التى على أبواب الحكام ، ومنع النقباء قاطبة من على أبواب الأمراء أبواب الوظائف ،
 ٣ ووقع له أيضا مثل ذلك فى سنة عشر وتسعمائة لما وقع فيها الطاعون فرسم
 بشيل الذكك ومنع النقباء قاطبة ، وهذا ثالث فصل وقع فى أيامه فإن الطعن
 وقع فى أيامه سنة تسع وتسعمائة ، وكان خفيفا جدا وتناهى فيه ورقة التعريف
 إلى مائة إنسان ممن يرد التعريف ، ثم اختفى الطعن وغاب ثمانية أشهر وظهر ٦
 فى سنة عشر (١٥٦٦) وتسعمائة وتناهى فيه ورقة التعريف إلى أربعمائة
 وخمسة عشر إنسانا ممن يرد التعريف ، ثم وقع الطاعون فى أيامه فى هذه السنة
 وهى سنة تسع عشرة وتسعمائة ، ومن العجائب أن هذه الطواعين التى ذكرناها ٩
 يستمر الطعن فيها عمالا حتى تنزل النقطة ويزيد النيل ، وقد تناهى فيه ورقة
 التعريف إلى ثلاثمائة وخمسة وستين إنسانا ممن يُريد التعريف ، انتهى ذلك . -
 وفى يوم الأربعاء المقدم ذكره نزل السلطان وتوجه إلى العمارة التى أنشأها ١٢
 فى المطرية وكشف عليها ، ثم عاد ودخل من باب النصر وشق من القاهرة ، ثم
 طلع إلى مدرسته وكشف عن القبة التى بها ، وقد تقدّم القول على أنها قد
 تشققت وآلت إلى السقوط فأمر بهدمها عن آخرها ، وقد رممها ثلاث مرار ولم ١٥
 يفد من ذلك شيئا ، فلما شق السلطان من القاهرة أسمعته العوام الكلام بسبب
 تشحيط الخبز وغلوه الدقيق ، وكان القمح الجديد قد وصل وأشيع بين الناس
 أن السلطان يشتري القمح ويرسله إلى الشام فإنه كان بها غلاء عظيم ، حتى قيل ١٨
 وصل فيها كل أردب قمح إلى سبعة (١٥٦٦ ب) أشرفية ، وكذلك حلب أيضا ،
 فكان يشتري القمح من مصر ويرسله إلى البلاد الشامية ، فانشحطت القاهرة من
 الخبز والدقيق بسبب ذلك وكادت أن تكون غلوة مع وجود القمح الجديد ، فلما ٢١
 شق السلطان من القاهرة تسيبت عليه العوام بالكلام المنكى وقالوا له جهارا : الله

(٧) عشر : تسع . (٧ و ٨) أربعمائة وخمسة عشر إنسانا : أربعة مائة وخمسة عشرة إنسان .

(١٨) يشتري ، يعنى : يشتري .

بهلك من يقصد الغلاء إلى المسلمين ، فسمع ذلك بأذنه فتتكد في ذلك اليوم وطلع
 إلى القلعة من بين الدروب ولم يشق من باب زويلة . - وفي يوم الأحد ثامن
 ٣ عشره توفي الرئيس الأصيل العريق ، وهو سليمان بيك بن أحمد بيك بن السلطان
 أبو يزيد بن عثمان ملك الروم ، فلما بلغ السلطان وفاته تأسف عليه فإنه كان
 حسن الشكل جميل الهيئة ، وكان حضر إلى مصر فرارا من عمه سليم شاه لما تولى
 ٦ على مملكة الروم ، وقد تقدم القول على ذلك ، فتوفي ببولاق في المكان الذي
 أنزلوه به فأخرجت جنازته من هناك ، ومات بالطاعون ، فصنع له السلطان كفارة
 قدام جنازته ، وأخرجوا قدام جنازته خيوله وهي مقصوصة الأذنان وقد ألقبوا
 ٩ سروجها ، ووضعوا عمامته على نعشه ، وكسروا أقواسه ووضعوها (٢١٥٧) على
 نعشه ، وهذه على طريقة بلادهم ، فنزل السلطان وصلى عليه ، وعتب الأمراء
 الذين لم يمشوا قدام جنازته من بولاق ، ثم توجهوا به إلى الصحراء فدفنوه في تربة
 ١٢ البجاسي . - وفي أثناء هذا [الشهر] عرض السلطان محابيس الحجرة من النساء
 وأطلق من كان بها من النساء ، وهن زوجة رمضان المهتار وسريته وقد سجنوا
 بسبب خوند أم الملك الناصر ، وأطلق تحفة التي كانت دوادارة خوند أم الناصر ،
 ١٥ وأطلق أم معين الدين بن شمس الذي كان وكيل السلطان وجرى عليه ما جرى ،
 وأطلق فاطمة بنت عاقولة وكانت سجنبت بسبب بنت خوند بنت المؤيد شيخ ،
 وأمرها مشهور ، وأطلق زوجة القاضي هاني وكانت مسجونة على دين ، ولم يعرض
 ١٨ من في الحبوس من الرجال واستمر الحال على ذلك . - وفي ذلك اليوم توفي الأمير
 سودون من حيدر ، ويعرف أيضا سودون الفقيه ، وكان من الأمراء العشرات ،
 وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباي . - وفي ذلك اليوم توفي القاضي كمال الدين
 ٢١ محمد الأبو تيجي ، وكان من أعيان نواب الشافعية ، وكان في سعة من المال ، وكان
 لا بأس به . - وفي يوم الاثنين سادس عشرته نادى السلطان بمنع بيع النبيذ
 (١٥٧ ب) والحشيش والبوزة ، ومنع النساء الخواطي من عمل الفاحشة ، واستمر
 ٢٤ شهر المنادة بذلك ثلاثة أيام متوالية ، وكان قد ترايد أمر الطاعون وصارت الناس

كل من يموت له بنت عروسة يجعل على نعشها شربوش الحلى مع الطرحات ،
ويضعون عصافير الحلى في أرجل النعوش ، فعُدَّ ذلك من النوادر . - وفي يوم
الخميس تاسع عشرينه فيه أحضرت جثة كاشف الغريبة وهو الأمير جان بلاط ، ٣
وأصله من ممالك الأشرف الغورى ، وكان من الأمراء العشرات ، فلما أحضرت
جثته دفن بالقرافة . - وفي ذلك اليوم توفى مغلباى دوادار سكين ، وكان من
أعيان الخالصكية . - ومن الغرائب ما وقع في أواخر هذا الشهر ، وذلك أن ٦
في يوم الخميس المذكور بعد انفضاض الموكب ، نزل الزينى بركات بن موسى ناظر
الحسبة الشريفة من القلعة ، وقدّامه مشاعليّين ينادون في مصر والقاهرة حسبما
رسم به المقام الشريف بإبطال المشاهرة والمجامعة ، وإبطال المكوس قاطبة التي ٩
كانت مقرّرة على السوق وعلى أصحاب البضائع من المتسبّين قاطبة حتى على
الطواحين التي في القاهرة قاطبة ، ورسم بإبطال ما كان يؤخذ على مشترى كل
أردب من الغلال موجب ، فكان يؤخذ على كل (١٥٨ آ) أردب قح نصف ١٢
فضة ثم صارت نصفين موجب ، وكيلة فتصل إلى ثلاثة أنصاف على كل أردب ،
واستمر ذلك على سائر مشترى الغلال ، فلما رسم السلطان بإبطال ذلك ارتفعت
له الأصوات بالدعاء ثم انطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكانت ١٥
الأسعار قد غلت في سائر البضائع بموجب ذلك وصارت تباع المثل مثلين ولا
يقدر أحد يزجر البيّاعين على ذلك فإنه أمر سلطاني ، وكان متحصّل هذه
الجهات في كل سنة فوق الأربعين ألف دينار ، بل أكثر من ذلك مما كان ١٨
من مشاهرة وغير ذلك من مكوس ، وكان السلطان يحيل بهذا القدر جماعة من
الأمراء عوضا عن الإقطاعات ، وهذا كان أشد الظلم على الناس قاطبة أمر هذه
المشاهرة والمجامعة ، وكان بإبطال ذلك في أيام السلطان من المعائب التي لم ٢١
يسمع بمثلها ، وسبب ذلك أن الطعن كان كل يوم في ترايد وكان السلطان موهوما
على نفسه ، وقد أشيع بين الناس أنه رأى مناما بأن النجوم قد تساقطت

من السماء إلى الأرض ، ثم بعد ذلك سقط القمر ، فأول ذلك فإن النجوم هي
العسكر والقمر هو الملك ، فعند ذلك أخذ في أسباب إظهار العدل وإبطال شيء
من المظالم ، والله الحمد على ذلك . - وفي يوم الجمعة سلخ هذا الشهر (١٥٨ ب)
قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وذلك في حادى عشر بشنس القبطى ، وكان
الوقت رطباً .

- ٦ وفى ربيع الأول كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع الخليفة والقضاة للتهنئة
بالشهر ، ففى ذلك اليوم أخلع السلطان على العزى عز الدين بن قاضى القضاة
شهاب الدين أحمد الشيشينى الحنبلى وقرّره فى قضاء الحنابلة عوضاً عن أبيه بحكم
وفاته ، وكان شاباً حسن السيرة لا بأس به ، وقد سعى فى هذه الوظيفة جماعة
من الحنابلة منهم شهاب الدين الفتوحى وغيره فلم يوافق السلطان على ذلك ،
وأرسل يقول لعز الدين : أورد ألف دينار والبس وظيفة أهلك ، ففعل ذلك . -
١٢ وفى يوم الاثنين ثالثه نزل الزينى بركات بن موسى المحتسب وأشهر المتناداة
عن لسان السلطان بتسجير البضائع حتى الدقيق ، فعزّ ذلك على السوق وغلقوا
الدكاكين أياً ما واضطربت بسبب ذلك القاهرة ، ثم امتثلوا ذلك وسكن
١٥ الاضطراب . - وفى يوم الثلاثاء رابعه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة
من العسكر وعيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى الغربية ، فإن العربان من حين
مات جان بلاط الكاشف اضطربت أحوال الغربية ، (١٥٩ آ) وكان السلطان
١٨ لما توفى جان بلاط الكاشف أخلع على أخيه وولاه على كشف الغربية عوضاً عن
أخيه ، فلما توجه إلى هناك فزعت عليه العربان وطردوه وقتلوا خاصكى كان
صحبه وجماعة من البلاصية ، فلما بلغ السلطان ذلك عيّن لهم تجريدة وخرجت
٢١ على الفور . - وفى يوم الأربعاء خامسه توفى شخص من الأمراء العشرات

(٢) بعد « والله الحمد على ذلك » كتبت العبارة الآتية على الهامش بخط يخالف الخط فى
الأصل : أقول فى تفسيره ما وقع بعد سنتين من هلاك السلطان النورى وعسكره على يد السلطان سليم وملكه
لمصر . (٢٠) البلاصية : البلاصية .

(تاريخ ابن لياس ج ٤ - ٢٠)

- يقال له جانم البواب ، وكان أصله من مماليك الأشرف قانصوه الغورى ، وكان لا بأس به . - وفى يوم السبت ثامنه توفى الرئيس الأصيل العريق علای الدين على بيك أخو سليمان بيك بن أحمد بيك بن السلطان أبى يزيد بن عثمان ملك الروم ، ٣ وقد تقدّم ذكر وفاة أخيه سليمان فتبعه أخوه علای الدين على بيك ، وكان ترابهما بمصر ، وماتا بالطاعون ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل وصلى عليه ، ومشت الأمراء قدّام نعشه ، وأخرجوا قدّامه كفّارة كما فعلوا بأخيه سليمان ، ٤ ودفن على أخيه بالصحرَاء . - وفى يوم الأحد تاسعه نزل السلطان إلى مدرسته التى أنشأها بالشرابشين فقام بها إلى آخر النهار ، ونصب له سحابة على سطح المدرسة حتى يكشف على عمارة القبة التى هُدمت وأعيدت ثانيا . - وفى يوم الاثنين عاشره (١٥٩ ب) جاءت الأخبار بوفاة مصر باى أخى جان بلاط الذى قرّر فى كشف الغربية عوضا عن أخيه جان بلاط ، فلم يتم فى كشف الغربية بعد أخيه إلا أياما ومات ، فلما مات أخلع السلطان فى ذلك اليوم على شخص ١٢ يقال له ألامس الساقى ، فقرره فى كشف الغربية عوضا عن مصر باى الذى توفى كما تقدم . - وفى يوم الثلاثاء حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى على العادة ، ولكن كان الطعن عمالا والناس فى غاية النكد ، ومات بالطاعون ١٥ من العسكر ما لا يحصى . - وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد ابن عثمان بأن سليم شاه الذى تولى على مملكة الروم بعد أبيه أبى يزيد بن عثمان ، وقد وقع بينه وبين أخيه قُرُقُد شقيقه وهو الذى حضر إلى مصر كما تقدم ، فلما وقع بينهما احتال عليه حتى حضر إلى عنده فقتله وقيل خنقه بوتر ، وأشيع أيضا أنه قتل أخاه أحمد بيك الذى حضروا أولاده إلى مصر وماتوا بالطاعون كما تقدم ، وأشيع أنه قتل جماعة من وزرائه ، وقد صار ملك الروم فى اضطراب وربما يخشى عليه من الفرنج ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وقد فنى أكثر أولاد ابن عثمان ، وكان ابن عثمان ماسك زمام البلاد لطرد الفرنج عنها . - وفى يوم السبت (١٦٠ ت) خامس عشره توفيت ابنة السلطان ٢٤

الأشرف جان بلاط ، فصل عليها السلطان ودفنت في مدرسة أبيها التي بباب النصر ،
 وكان لها من العمر نحو من اثنى عشرة سنة ، وكانت جنازتها حافلة . - وفي ذلك
 ٣ اليوم نزل السلطان إلى مدرسته وكشف على عمارة القبة ، وأقام هناك إلى بعد
 العصر ، ومد له الزيني بركات بن موسى هناك مدة حافلة ، ونصب له السلطان
 سحابة على سطح المدرسة ، ونظر إلى عمارة القبة واستحث البنائين على سرعة
 ٦ البناء . - وفي هذا الشهر تزايد أمر الطاعون وقتك في الماليك حتى صار يموت
 منهم في كل يوم نحو من خمسين مملوكا ، وكان قوة عمله بعد الحماسين وظهور
 الثريا ، ونزلت النقطة والطن عمال . - وفي يوم الاثنين سابع عشره احتجب
 ٩ السلطان في الدهيشة ولم يخرج إلى الناس ، وتزايد به ذلك العارض الذي في عينه
 وأشيع بين الناس أن جفونه ارتخت على عينه ، ولم يحضر تفرقة الجامكية وكثر
 القال والقبيل بين الناس ، فلما كان يوم الجمعة لم يخرج السلطان إلى صلاة
 ١٢ الجمعة ، فلما انقضت (١٦٠ ب) صلاة الجمعة دخل قاضي القضاة الشافعي
 والأمراء المقدمون وسلموا على السلطان وهو في الدهيشة فأسقامهم سُكِّرا ، ثم
 سلموا عليه وانصرفوا . - وفي يوم السبت ثاني عشرينه حضر هجان من مكة
 ١٥ في مسافة تسعة أيام وأخبر بأن الفرنج قد ملكوا كمران وأنهم ييحصروا
 مدينة سواكن ، وأن الشريف بركات أمير مكة خرج إلى جدة هو وباش
 المجاورين وجماعة من الماليك المجاورين الذين هناك بمكة ، وأقاموا بجدة خوفا
 ١٨ على البندير من الفرنج أن يهجموا عليه ، فأرسلوا يعلمون السلطان بذلك ، فلما
 جاء هذا الخبر تنكد له السلطان إلى الغاية ولا سيما كان منقطعا في الدهيشة
 بسبب عينه ، فحصل للناس بهذا الخبر غاية النكد . - فلما كان يوم الجمعة خرج
 ٢١ السلطان وصلى صلاة الجمعة ، فلما خرج قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل
 ورقى إلى المنبر خطب خطبة بليغة في معنى هذه النازلة التي وقعت بسبب الفرنج
 وأخذهم لعدة بلاد من سواحل اليمن ، فلما أقامت الصلاة قال المؤذنون : القنوط

(١٥) ييحصروا ، يعني : يحاصرون .

عقيب الصلاة ، فلما صلتى قاضى القضاة صلاة الجمعة قنط فى الركعة الأخيرة من (١٦١ آ) صلاة الجمعة ، فنقط السلطان والأمراء ومن فى الجامع قاطبة ، فعدّ ذلك من النوادر . - وفيه نزل السلطان إلى الميدان وجلس به وأمر بعرض ٣ العسكر الذين استجدّهم فى الطبقة الخامسة ، فأعرضهم وهم لابسون الزرديات والخذوفى أوساطهم السيوف ، وكان منهم رماة بالبندق الرصاص ، فلما أعرضهم كتب منهم جماعة نحواً من ثلاثمائة إنسان ، وعيّن باشهم الأمير أركماس أمير ٦ مجلس ومعه الأمير قانصوه أبو سنة أحد المقدمين ، وعيّن معهم جماعة من المماليك السلطانية ، ورسم لهم بأن يتوجهوا إلى السويس ويقيموا به بسبب عمارة المراكب التى عمرها السلطان هناك . - وفيه عيّن السلطان الأمير حسين بأن ٩ يتوجه إلى جدّة ويستقر فى نيابتها على عادته ، وعيّن الأمير خشقدم شاد الشون بأن يتوجه إلى جدّة ويقيم بها لأجل الكشف على أخبار الفرنج وغير ذلك . - وفيه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة من الزردكاشية ورماة البندق الرصاص ١٢ والنظمية ، وعيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى جدّة صحبة الأمير خشقدم ويقيموا بها إلى أن يعيّن (١٦١ ب) لهم السلطان تجريدة . - وفيه صلى السلطان صلاة الجمعة ودخل إلى الدهيشة واجتمع هو والأمراء وضرّبوا معه مشورة فى أمر الفرنج ١٥ الذين تسلّطوا على جهات اليمن ، فأشيع بين الناس أن السلطان عيّن فى ذلك اليوم أربع تجاريد إلى جهات معلومة ، فأقاموا الأمراء عند السلطان فى ضرب هذه المشورة إلى قريب العصر وتخفّفوا من ثيابهم ، وكان مجلساً حافلاً ، ١٨ ووقع فيه بعض جدال بين السلطان وبين الأمراء بسبب من يسافر منهم . - وفيه تزايد أمر الطاعون وفتك فى الناس فتكا ذريعاً ، حتى بلغت ورقة التعريف فى يوم واحد ثلاثمائة وخمسة وستين إنساناً ، خارجاً عن من " يخرج من ٢١ المغاسل والأسبلة ، فيقال إن ورقة التعريف فى أيام الفصول الواحد فيها عشرة ، فعلى هذا يقاس أن كان يموت فى كل يوم ثلاثة آلاف وكسور ، وصار يزيد يوماً وينقص يوماً ، وكان أكثر فتكه فى الجوار والعبيد ٢٤

- والممالك والأطفال . - وفيه توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له ورديش من قانصوه ، وتوفى سيدى يحيى بن الأمير تانى بيك قرا الأينالى أمير مجلس كان ، وكان شاباً لا بأس به ، فكان بينه وبين وفاة أخيه سيدى محمد ثمان سنين . - وفيه توفى شخص من الأمراء العشرات (١٦٢ آ) يقال له تمرار من أقبای وكان أصله من ممالك . - وفيه توفى شخص من أولاد ابن قرمان أمير التركمان يقال له مصطفى بن حزة ، وكان مقبلاً بمصرفات بالطاعون . - وفيه سُرقَت عملة ثقيلة من بيت الشهابى أحمد بن الجيعان ، وكانت عملة بنحو خمسة آلاف دينار ، فاتهموا بها جماعة من الجيران منهم ابن أيتال باى دودار سكين وجماعة من الغلمان ، فلما بلغ السلطان ذلك رسم للوالى بأن ينزل إلى بيت ابن الجيعان ويحرر أمر هذه العملة ويفحص عن من فعل ذلك ، فلما حضر الوالى إلى هناك وحزق على جماعة ممن اتهم بذلك فظهر من ذلك العملة أشياء كثيرة ، منها بشبخاناه عنبر ومخدرات عنبر وصحون صينى ، وحاس أصفر مكفت وفواتى مقفولة لم يعلم ما فيها ، وغير ذلك من مقاعد والخفة ، واستمر الوالى يحضر فى كل يوم إلى هناك ويقرر من فعل ذلك والعملة يظهر منها شيئاً بعد شيء ، حتى ظهر غالبها فى عدة أيام متفرقة . - وفى أواخر هذا الشهر رسم السلطان بإبطال مولد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وسبب ذلك أن العربان كانت تائرة فى البلاد ، والطعن كان عمالاً فى القاهرة ، والأحوال مضطربة من كل وجه ولا سيما بتوَعك السلطان (١٦٢ ب) بعينه ، والإشاعات قائمة بإثارة فتنة كبيرة ، انتهى ذلك .

- وفى ربيع الآخر فى يوم الاثنين ثانیه أخلع السلطان على الأمير قانصوه كُرَّت أحد الأمراء المقدمين وقرّره فى أمره ركب المحمل ، وأخلع على الأمير طومان باى حاجب ثانى وقرّره فى أمره الحاج بالركب الأول ،
- (٢) ورديش : كذا فى الأصل ، ولطه ورديش . (هـ) ممالك : كذا فى الأصل ، ولم يذكر الاسم الذى يتلوها .

- وكان من الأمراء الطبلخانات . - وفي تلك الليلة نزلت النقطة وكان عيد ميكائيل . -
- وفي ذلك اليوم كان وفاة على الجركسى ، وكان من أخصماء خاير بيك نائب حلب ،
- فحضر إلى مصر في بعض أشغال نائب حلب فأتى بالطاعون بمصر ، وكان رقى في أيام ٢
- خاير بيك نائب حلب حتى بقى حاجبا ثانيا بحلب ، وهى فى منزلة أمرة طبلخاناه
- بمصر ، قلت وكان أصل على الجركسى هذا ابن فرآن ، وكان فى صغره مليح الشكل
- فحظى عند الأمير خاير بيك حتى بقى عنده بجمقدارا ، فلما قرّر خاير بيك فى نيابة ٦
- حلب سعى له عند السلطان فى الحجوية الثانية بحلب وصار من جملة الأعيان
- بمصر وحلب ، وكان حضر إلى مصر وتوجه إلى الحجاز فحجّ ورجع من الحجاز
- وأقام بمصر مدة يسيرة ومات مطعونا ، وكانت له جنازة حافلة . - وفيه أبطل ٩
- السلطان ضرب الكرة بسبب ذلك المعارض الذى حصل له فى عينه ، ولأجل أن
- الطعن كان (١٦٣) عمّالا ، وكان غالب الأمراء فى نكد بسبب فقد أولادهم . -
- وفيه تزايد بالسلطان رخو فى جفونه ، فجمع الأطباء والكحالين وعقدوا له مجلسا ١٢
- بسبب ذلك الرخو الذى فى جفونه ، فاجتمع رأى الحكماء والكحالين على أنهم
- يقصّوا من جفنه ما طال ، فلم يوافق السلطان على ما قالوه من قصّ جفنه ، فطلعت
- إليه امرأة تركية وقالت له : أنا أداويك من غير أن أقصّ جفنك بشيء من الفولاذ ، ١٥
- فأقامت عند السلطان مدة وهى تعالج فى عينه . - وفى يوم الاثنين تاسعه جلس
- السلطان فى شبّاك الأشرفيّة التى بجوار الدهيشة ، وأعرض جماعة من المماليك
- السيفية وغير ذلك من أولاد الناس ، وكتب منهم نحوا من ثلاثمائة مملوك بأن ١٨
- يتوجهوا إلى السويس محبة الأمير أركاس أمير مجلس والأمير قانصوه أبوسنة ،
- بسبب الكشف على المراكب التى عمرها السلطان هناك واستعجال سرعة العمل
- فى ذلك ، ثم إن السلطان عين الأمير مغلباى الزردكاش الكبير وعين معه ثلاثين ٢١
- إنسانا من الزردكاشية بأن يتوجهوا إلى نحو السويس محبة المكاحل التى يرسلها
- السلطان إلى هناك ، وعين معهم جماعة من النجارين والحدادين ، وعين معهم

- جماعة من الرماة (١٦٣ ب) بالبندق الرصاص وجماعة من النبطية ، ورسم لهم بأن يخرجوا إلى هناك بسرعة من غير نفقة فتضربوا من ذلك ، ثم بلغ السلطان أن الممالك المتعنين إلى السفر قد صمموا على عدم السفر ، وكان منهم فاصرية وظاهرية وأشرفية وعادلية وغير ذلك . - فلما كان يوم الثلاثاء عاشره نزل السلطان إلى الميدان وجلس به ورسم بعرض الممالك المعبئة إلى السفر ، فلم يطلع منهم في ذلك اليوم أحد ، فبلغ السلطان أنهم قالوا : نحن نسافر بلا نفقة نموت في البرارى بالجوع والعطش ، فتنكّد السلطان في ذلك اليوم إلى الغاية وقام من المجلس سريعا ، وكان في غاية التشويش بسبب عينه ، وأشيع في ذلك اليوم الركوب على السلطان . - وفي يوم الأربعاء حادى عشره نزل السلطان وتوجه إلى المطرية وكشف على العمارة التى أنشأها هناك ، ثم أقام في قبة يشبك التى هناك إلى بعد العصر ثم عاد إلى القلعة . - وفي يوم الخميس ثالى عشره جاءت الأخبار من عند نائب حلب بأن إسماعيل شاه بن حيدر الصوفى ملك العراق قد خرج عليه بعض أعدائه من ملوك التتر ، فتحارب معهم فانكسر الصوفى وقُتل من عسكره نحو من ثلاثين ألفا ، (١٦٤ آ) وأن الصوفى جرح وفقد ولم يعلم له خبر ، فكاتب السلطان بهذا الخبر سبعة من النواب ، فلما سمع السلطان هذا الخبر سرّ به . - وفيه توفى الرئيس عبد القادر القطبى ، وكان من أعيان الأطباء . - وفي يوم الجمعة ثالث عشره نزل السلطان وتوجه إلى المقياس وصلى هناك صلاة الجمعة ، وتوجه إلى هناك قاضى القضاة الشافعى وخطب به في جامع المقياس وصلى صلاة الجمعة هناك ، وأقام بالمقياس إلى بعد العصر ، ثم عاد إلى القلعة ، فزاد به رخصو الجفون في عينيه وأشيع بين الناس أنه قد مى وغارت عينه ، فاحتجب أياما عن الناس في القبة الأشرفية ، وكثر القال والقليل بين الناس بسبب ذلك ، فتسلطت الناس في هذه المدة من المراسيم لأجل قلة العلامة وعدم المحاكمات ، حتى أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يخلع نفسه من الملك ويوتى ولده عوضا عنه

- لأجل العلامة على المراسيم والمحاكمات ، فلم يتم تلك الإشاعة التي أشيعت بين الناس بذلك ، ومما بلغني من بعض أخصاء السلطان أنه لما تزايد به هذا العارض في عينيه واضطربت به الأحوال ، فكان يقف في شباك قبة الأشرفية بطول الليل ويتضرع ٢ إلى الله تعالى ويقول : يا من (١٦٤ ب) لا يوصف بالظلم والجورى ، ارحم عبدك قانصوه الغورى ، ثم يقول : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وكان يكثر من قول : يا بصير يا بصير ، وقد خشى مما شاعت به ٦ أعداؤه ، ونسى ما قدمت يدها ، وقد قلت فى معنى ما وقع له :
- سلطاننا الغورى غارت عينه لما اشترى ظلم العباد بدينه
- لا زال ينظر أخذ أرزاق الورى حتى أصيب بأفة فى عينه ٩
- وفيه شاوروا السلطان على إعادة الدكك التى على أبواب الحكام فلم يوافق على إعادتها ، وقال : أنا تركت ما كان على الحسبة من المجاعة والمشاورة وكانت بنحو ثلاثين ألف دينار فى كل سنة فكيف ما تبطل الأمراء ما كان يحصل لهم ١٢ من أمر الدكك ، وكان الطعن قد أخذ فى التناقص قليلا . - وفى يوم الاثنين سادس عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر . - وفى ذلك اليوم طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ، وجاء القاع ستة أذرع وستة عشر أصبعاً ، فلما نفق السلطان ١٥ الجامكية لم يحضر تفرقة الجامكية إلى آخرها ، وكان ذلك اليوم فى غاية التشويش من عينه . - وفيه توفى شخص كان من العوانية الخوارج ، يقال له محمد بن طاهر ، يرافع الناس عند السلطان ، فلما وقع الطاعون بمصر طعن ابن طاهر هذا ومات ١٨ (١٦٥ آ) بالطعن ، فأراح الله تعالى المسلمين منه ، فعُدَّ موته من حسن الزمان ، ومما وقع له فى المرافعة أنه رافع امرأة جارية بيضاء يقال لها زوجة أبنال باى ، وكانت ساكنة فى درب الحجر بالقرب من قنطرة سنقر ، فرافعها بأن عندها مالا وديعة ٢١ لبعض الأمراء فطمعت عليه ، فلما سمع السلطان ذلك أرسل قبض على تلك المرأة ورسم عليها عشرة آلاف دينار ، فباعت جميع ما تملكه وأوردت من ذلك

- شيئا ، فلما رأت أنها لم تقدر على ما قرّر عليها من المال وصارت في الترسيم
فشنت نفسها بيدها تحت الليل ، ووقعتها مشهورة بين الناس ، ولو عاش ابن طاهر
٢ هذا لظهر منه للناس غاية الضرر ، فعجل الله تعالى بروحه إلى النار ، كما يقال :
زبانية النيران تكره وجهه ومنه استعاذت مُذْ رآته جهنم
ويقال إن ابن طاهر هذا كان من أقارب ابن علم الدين رأس باش الأوجاقية . —
٦ وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه قويت الإشاعة بالركوب على السلطان ، ولم يفتح
في ذلك اليوم باب السلسلة ولا باب المدرج ولا باب الميدان ، ووزعت الأمراء
قماشهم وغالب الناس ، واضطربت الأحوال على السلطان وضاق به الأمر حتى صار
٩ يدعو على (١٦٥ ب) نفسه بالموت ، ثم إن السلطان أرسل خلف الأتابكي سودون
العجمي وبقية الأمراء ، فلما طلّعوا إلى القلعة جلس السلطان معهم في الدهشة
وعينه مرفودة بخرقه بيضاء ، ثم التفت إلى الأمراء وقال لهم : بلغني أنكم بتوزعوا
١٢ قماشكم ، فقالوا له : نعم قد بلغنا أن المالك الجلبان يقصدون قتلنا ونهب بيوتنا
فلما سمعنا ذلك وزعنا قماشنا ، فلما سمع السلطان ذلك أحضر مضحفا وحلف
عليه بأنه لا يخونهم ولا يغدرهم ولا يمسك منهم أحدا ، ثم إنه حلف الأمراء أيضا
١٥ بأنهم لا يخامروا ولا يركبوا عليه ، فحلفوا بذلك على المصحف ، ثم قامت الأمراء
من عنده وانفض المجلس ، فلما نزلت الأمراء رسم السلطان للوالى بأن ينادى
في القاهرة للناس بالأمان والاطمان والبيع والشراء ، وأن أحدا من الناس لا ينقل
١٨ له قاشا من مكان إلى مكان ، ومن فعل ذلك شُنق من غير معاودة ونُهب ما معه
من القماش ، وأن لا يملوكا ولا غلاما ولا عبدا يمشى من بعد المغرب بسلاح ولا
مملوك يعبث على سوق في دكانه ولا متسبب ، ثم بعد ذلك قبض الوالى على غلام
٢١ الأمير مامى جوشن أحد الأمراء المقدمين ، فلما قبض عليه بالليل وجد معه أبغال
محملة قماش فاخر ، فأخذ (١٦٦ آ) منه القماش وأمر بشنقه حتى شفع بعض من
كان مع الوالى من الأمراء حتى أطلقه ، وقيل عرض على السلطان فأمر بضربه

بالمقارع فشفع فيه بعض الأمراء ، وكان المولى في مدّة نوحك السلطان يطوف
 في القاهرة من بعد العشاء ومعه جماعة من الخاصيّة نحو من مائتي إنسان ،
 وكان غالهم لابس زرديات وفي أيديهم رماح ، فيطوف في كل ليلة المدينة والحارات ٣
 والأزقة ويقبض على من يجده يمشى من بعد العشاء . - ومن الحوادث أن
 جماعة من الصناع دخلوا إلى الزردخاناه ليصحنوا البارود ، فصعد منه الدخان
 فاحترق سقف الزردخاناه وعمت فيه النار ، فاضطربت القلعة لذلك ، وكان السلطان ٦
 في شباك الأشرفية فقام واختفى من عظم الدخان ، فاحترق من الصناع ثلاثة أنفار
 حتى ذاب لحمهم عن عظمهم من النار فنزلوا بهم إلى بيوتهم فقاموا ثلاثة أيام
 وماتوا الثلاثة قاطبة ، فتفاءلوا الناس بأن حرق الزردخاناه فأل على السلطان . - ولما ٩
 تزايد بالسلطان ذلك العارض في عينه طلع الخليفة وسلم عليه ، فأشيع بين الناس
 بأن السلطان أرسل خلف الخليفة ليخلع نفسه من الملك ويولّي ولده ولم يكن
 لهذا (١٦٦ ب) الكلام صفة ، فاضطربت الأحوال لذلك ، فسلم الخليفة على السلطان ١٢
 ونزل إلى بيته ، فلما نزل خمدت تلك الإشاعات الفاسدة . - وفي يوم الثلاثاء
 رابع عشر ربه جلس السلطان في القبة الأشرفية وحضر عنده الأتابكي سودون
 العجمي وعلم على المراسيم وحكم وهو جالس في الشباك ، وأظهر أنه قد شفي من ١٥
 ذلك العارض وإلا لم حاذر على عينه الأخرى الذي كان ينظر بها ، وفي هذه الواقعة
 يقول محمد بن قانصوه من صادق :

شفاك الله يا ملك البرايا من الداء الموكل بالعيون ١٨
 وأذهب عنهما باللفظ منه سقاما محدثا رخو الجفون
 لتبقى في هناء بها قريرا قريبا والتحرك في سكون
 بمن لقتادة قد رد عينا وقال كأختكي في الحسن كوني ٢١
 ومن رمد بقلته عليّا شفي في الحمال من ألم مبین
 ثم إن جماعة من الكحالين قالوا للسلطان : ما تصعب عينك حتى تقطع ما طال

من جفنتك ، فامتنع السلطان من ذلك فأحضروا قدّامه أربعة أنفس بهم رغو
 في جفونهم ، وكان فيهم شخص يسمى سيّدى محمد بن منكلى بَغَا فقصوا جفنه
 بحضرة السلطان على أنه يشجعه على ذلك ، فلم يوافق السلطان على القصّ ، فأقام ٣
 الناصرى محمد بن منكلى بَغَا أياما وشغنى مما كان به في عينه وطلع إلى السلطان
 فرأى عينه وقد (١٦٧ آ) طابت . - وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه تزايد
 الأمر في الإشاعة بالركوب على السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك نزل إلى الميدان ٦
 وجلس به وأرسل خلف الأمراء قاطبة ، فلما طلّعوا إليه وبتّهم بالكلام وقال
 لهم : ما هذه الإشاعة التي تبلغني عنكم في أمر الركوب علىّ إن كان عندكم منّ ٩
 تسلطونه فأنا أحلى لكم القلعة وأنزل أقعد في جامعى إلى أن أموت ، فقاموا له
 الأمراء قاطبة وباسوا له الأرض واستغفروا له ، ثم التفت إلى الأمير أركماس أمير
 مجلس ووبّخه بالكلام ثم قال له : الزم بيتك ، والتفت إلى قانى باى قراى أمير آخور ١٢
 كبير ووبّخه بالكلام وأغلظ عليه في القول لأمر بلغه عنه في أمر الركوب ،
 ثم التفت إلى الأمير أنص باى والأمير تمر والأمير سودون الدوادارى والأمير علان
 ووبّخهم بالكلام لأمر بلغه عنهم ، ثم إن الممالك الجلبان صارت متفحمة على مسك ١٥
 الأمراء في ذلك اليوم ، فأنزلوا من القلعة وفي عينهم قطرة وقد ملثوا منهم رعبا ،
 فلما نزلوا من القلعة أشيع الركوب على السلطان ووزّعوا الأمراء قاشهم
 في الحواصل ، واشتدّ وجع عين السلطان وارتنى جفنه على عينيه واحتجب ١٨
 عن الناس في الأشرفيّة أياما ، وكثر القيل والقال بين الناس ، وأشيع أن السلطان
 قد (١٦٧ ب) عمى فصار يجلس في شباك الأشرفيّة قدر درجة حتى ينظروه
 الناس ، فكانت الكحالين يصنعون له رفاة على عينه وفي الرفاة لرق بعلوكات ٢١
 حتى يرتفع جفنه قليلا عن عينه وينظر الناس ما دام جفنه مرتفعا فإذا قلّعت تلك
 اللزق ارتنّى جفنه كما كان أولا . - وفي يوم الخميس سادس عشرينه توفى

- شخص من الأمراء العشرات يقال له جان بلاط من تغرى برضى ، وكان أصله من ممالك الملك الأشرف قايتباى . - وفى يوم الجمعة سابع عشرينه لم يخرج السلطان ولا صلى الجمعة ، وكثر الاضطراب بسبب ذلك . - وفى يوم السبت ثامن عشرينه ٣ فرّق السلطان على ممالكه سيوفا وزرديات ، وصاروا يباثون فى القلعة كلّ ليلة ومعهم آلة السلاح ، والإشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة وأن السلطان يقصد القبض على بعض الأمراء ، فأخذت الأمراء حذرهم من السلطان وصاروا لا يطلعون القلعة إلا قليلا ، وفى هذه المدّة أشيع بأن السلطان أرسل إلى ثغر الإسكندرية مراسيم بأن نائب الإسكندرية يضيّق على الظاهر قانصوه وهو فى السجن ويمنع عنه من كان يدخل إليه من الناس حتى من غلمانه (١٦٨ أ) ٩ الذين كانوا يدخلون عليه ، وصار الظاهر فى غاية الضنك ، وقيل إن الأمراء يقصدون عوده إلى السلطنة ، فأشيع ذلك حتى أرسل السلطان ضيق عليه . - وفى يوم الأحد تاسع عشرينه أراد السلطان بأن يظهر العدل بين الناس فجلس ١٢ فى شباك الأشرفية وأمر بعرض المحاييس الذين فى الحبوس ، فلما عرضوا عليه من فى الحبوس الأربعة أمر بعرض من فى البرج الذى بالقلعة ومن كان بالعرقانة التى بالحوش السلطاني ، فلما عرضوا عليه أمر بإطلاق جماعة منهم من كان بالعرقانة ١٥ وهم : الأمير تغرى بردى الترجان ، والجمالى يوسف بن أبى أصبع الحلبي وكان من جملة أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه وجرى عليه شذائد ومخنا ، وأطلق صهره عبد الرحمن ، وكان له مدّة طويلة وهو فى العرقانة ورسم السلطان بأنه لا يخلق له رأس ولا يقصّ له أظفار ، فلما خرج من العرقانة طال شعره حتى صار مثل شعر النساء فعجب منه الناس لما خرج ورأوا شعره ، وأطلق ابن الخولى المتحدث وكان مسجوناً بسبب الممالك الذين قُتلوا فى باب اللوق ، وكان من ٢١ أمراء الشام من فى المقشرة وبقية الحبوس جماعة كثيرة منهم الرئيس كمال الدين ابن شمس المزيّن وكان (١٦٨ ب) من أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه فسجنه فى المقشرة ، وأطلق الشيخ شمس الدين بن روق بعد ما جرى عليه شذائد ومخنا ٢٤

- وواقعه مشهورة ، وأطلق الخوارجا شمس الدين الحلبي التاجر ، وأطلق شخص
يسمى تمر باى أبو قورة الذى كان أمير الحاج بالركب الشاى وكسره الجازاني
٣ فغضب عليه السلطان لكونه فرط في أمر الحاج حتى نهب الركب الشاى فأقام
في البرج مدة طويلة نحو من عشر سنين ، وأطلق الأمير قنبك الشيخ أحد الأمراء
العشرات وكان في البرج لأمر أوجب ذلك ، وأطلق بخشباى الكاشف خازن دار
٦ الأتابكي قرقاس وكان تغير خاطر السلطان عليه فسجنه ، وأطلق تاني بيك ،
وشيوخ العرب عبد الدائم بن الأمير أحمد بن بقر وكان له مدة وهو في البرج
مقيّد بموجب عصيانه على السلطان فضمنه لأبيه وأطلقه وأخلع عليه ، وأطلق ابن
٩ فتوح برددار الأمير حسين نائب جدة وكان تغير خاطر السلطان [عليه] كونه
أحدث أشياء كثيرة من المظالم بجدة ، وأطلق يحيى بن أحمد بن قراكتز أحد
الزردكاشية وكان السلطان سجنه بالمقشرة لما هرب أبوه وواقعه مشهورة ، وأطلق
١٢ شخصا يسمى محمد سكيكر وكان أشيع عنه أنه قد قتل أباه فلما عرضوه على
السلطان أطلقه وقال : إذا كان يوم القيامة هو وأبوه يتحاكمان (١٦٩٦) بين
يدى الله تعالى ، وأطلق بدر الدين بن ثعلب قاضى أسيوط وكان مسجوناً على مال
١٥ فلما أطلقه من المقشرة سلمه للزيني بركات بن موسى حتى يغلق ما عليه من المال ،
وأطلق أخاه نجم الدين قاضى أسيوط أيضاً وولده محمد ، وأطلق شخصا شريفاً
كان من منفلوط وقد اتهم بقتل شخص ، وأطلق شهاب الدين المرقبي الذى كان
١٨ متحدثاً في أوقاف الزمامية وسجنه السلطان على مال ، وأطلق محمد بن العظمة الذى
كان ناظر الأوقاف وكان ناظر الخاص سجنه لكونه قد سعى عليه في نظر الأوقاف ،
وأطلق ابن الطحاوية أحد مشايخ عربان الشرقية ، وأطلق محمد بن سودون
٢١ السودونى وكان له مدة طويلة وهو في السجن بسبب إحضار مكتوب وقف ،
وأطلق الشراوى التاجر ، وفي ذلك اليوم أطلق جماعة كثيرة من مشايخ العربان
والمركبين والفلاحين والغلمان ممن كان عليه مال أو دين فسامحهم بذلك جميعه ،
(٦ - ٧) تاني بيك ، وشيوخ العرب : شيخ تاني بيك العرب .

وأطلق من كان في سجنه قاطبة دون من سجن في أيام غيره ، حتى الحرامية استتوبهم وأطلقهم ، حتى أصحاب الجرائم والزغلية والعمال ممن عليه مال منكسر ، فأطلق في ذلك اليوم واحد وثمانين إنسانا ، وأظهر العدل في ذلك اليوم جدا حتى ارتفعت له الأصوات بالدعاء وكبير من كان حاضرا في الحوش (١٦٩ ب) السلطاني من الجرم الغفير من الناس حتى سمعهم من الجبل المقطم ، وكان يوما مشهودا ، فانطلقت النساء له بالزغاريت في الحوش وضجت له الرعية بالأدعية السنية ، ثم في ذلك اليوم شاوروه على إعادة الدكك التي كانت على أبواب المحاكم فلم يوافق على ذلك وقال : الذي له حق يتوجه بغريمه إلى الشرع والحرامية يتوجهون بهم إلى بيت الوالى . - وفي ذلك اليوم أشهر السلطان المناداة للعسكر بالعرض ولا يتأخر منهم لا كبير ولا صغير ، فصار العسكر لا يدرون ما سبب هذا العرض ، وكان الطعن قد أخذ في التناقص عما كان .

- ١٢ وفي جمادى الأولى طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وجلس السلطان في المقعد الذى بالميدان ، وطلع إليه العسكر والأمراء قاطبة من كبير وصغير ، فلما قام الخليفة والقضاة وانصرفوا رسم السلطان بإحضار المصحف العثماني فتوجه لإحضاره ألماس دوا دارسكين ، فلما أحضره بين يدي السلطان تقدم القاضي ١٥ كاتب السر محمود بن أجا وحلف عليه الأمراء المقدمين قاطبة ثم الأمراء الطبلخانات ثم جماعة من الأمراء العشرات ، فحلفوا على المصحف العثماني بأنهم لا يخامروا على السلطان ولا يركبوا (١٧٠ آ) عليه ولا يثيروا فتنة بين الممالك ١٨ وبين السلطان ، فلما حلفوا حلف لهم السلطان أيضا على العثماني بأنه لا يغدرهم ولا يخونهم ولا يمسك أحدا منهم لا كبير ولا صغير ، ثم أحضروا الأمير أركماس أمير مجلس فحضر وهو بتخيفة صغيرة ، وقد تقدم القول على أن السلطان تغير ٢١ خاطره عليه وقال له : الزم بيتك أو توجه إلى دمياط ، فلما طلع رضى عليه السلطان وألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور من ملايسه وأقره في أمرة مجلس على عادته ،

فلما نزلت الأمراء التفت إلى العسكر وشرع يأخذ بخواطيرهم وقال لهم : أنا
مقتصر في حقكم لا توأخلوني ونحن أولاد اليوم فكل من كان له عليق مكسور
أو لحم مكسور أصرفه له ، ثم نادى للعسكر في الميدان بأن النفقة مع الجماكية لكل
مملوك ثلاثون ديناراً من كبير وصغير حتى أولاد الناس ، والأمراء المقدمين لكل
واحد منهم ألف دينار ، والأمراء الطليخانات لكل واحد مائتا دينار ، والأمراء
العشرات لكل واحد منهم مائة دينار ، فلما سمع العسكر ذلك ضجوا له بالدعاء
ونزلوا وهم في غاية الجبر من السلطان ، وكان سبب (١٧٠ ب) هذه النفقة
أن السلطان لما حصل له هذا العارض في عينه أشاعوا عنه أنه قد عي فاتفق
رأى الأمراء على خلعهم من السلطنة ، وذُكر للسلطنة جماعة من الأمراء ثم ذُكر
الظاهر قانصوه الذى بالسجن بئثر الإسكندرية ، وذُكر للسلطنة سييى نائب
الشام ، وذُكر أيضاً للسلطنة ابن السلطان وكان العسكر قاطبة مقلوباً على السلطان
بسبب أن لهم عليقاً مكسوراً وكذلك اللحوم ولم ينفق عليهم شيئاً لما نفق على
مماليكه ، وكانوا يشكون من خراب إقطاعاتهم من جور الكشاف ومشايخ العربان
ووزن الحمايات فضجوا من ذلك ، فكان كما يقال في أمثال الصادح والباغم
١٥ وهو قوله :

ومن أضاع جنده في السلم لم يحفظوه في لقاء الخصم
فالجنود لا يرعون من أضاعهم كلاً ولا يحمون من أجاعهم
وأضعف الملوك طراً عقداً من غره السلم فأقصى الجنوداً ١٨

فلما رأى السلطان أن العسكر قد تغلب عليه فتأذى لهم بالنفقة وشرع يستجلب
خواطيرهم مما تقدم منه قبل أن يقسع الخرق على الواقع . - وفى ذلك اليوم ظهر
محمد بن نصر الله الذى كان ناظر دار الضرب واختفى من السلطان مدة طويلة ،
فلما أظهر السلطان العدل في هذه الأيام فأرسل يطلب منه الأمان فبعث إليه
بمئذيل الأمان حتى (١٧١ ت) ظهر ، ثم بعده ظهر القاضي شرف الدين الصغير

كاتب الممالك وكان له مدة وهو مختفى من السلطان ، فلما طلع وقابله أخلع عليه ونزل إلى داره في موكب حافل ، وكان السلطان قد أرسل إليه مندبل الأمان حتى ظهر ولكنه لما أخلع عليه لم يعده إلى وظيفته في كتابة الممالك كما كان أولا ، ٣ ثم شرف الدين الجويني الذى كان مباشر الأمير أزدمر الدوادار وكان له مدة طويلة وهو مختفى فظهر بالأمان من السلطان . - وفي يوم الثلاثاء ثانيا ظهر المعلم على الصغير وأخوه المعلم أحمد ، العاملين في اللحم ، وكان المعلم على له مدة ٦ وهو مختفى من السلطان فنادى له بالأمان حتى ظهر هو وأخوه المعلم أحمد . - وفي يوم الأربعاء ثالثه جلس السلطان في شباك الأشرفية ونفق على الممالك الذين عينهم صبة الأمير خشقدم شاد الشون ، فنفق على كل مملوك ثلاثين دينارا ، ٩ ونفق لكل مملوك جامكية أربعة أشهر ، واستحشهم في سرعة الخروج صبة قاصد ملك الهند الذى حضر قبل تاريخه . - وفيه ظهر القاضي تقي الدين بن الرومى الحنفى وكان له مدة وهو مختفى بسبب ما وقع له من أمر الواقع الكفرى الذى ١٢ وقع فيه ، وكان السلطان منطلبه طلبا حثيثا ، فلما (١٧١ ب) أفرج السلطان عن المسجونين ظهر في هذه الحركة وقابل السلطان فعفى عنه . - وفي يوم الخميس رابعه شاوروا السلطان في إعادة الدكك التى على أبواب الأمراء الحكام ، وكان ١٥ السلطان لما تزايد أمر الطاعون رسم بشيل الدكك من على أبواب الأمراء كما تقدم ، فلما شاوروا السلطان على ذلك قالوا له : السلطان ما يبحكم شيء والأمراء ما يتحكم شيء وضاعت حقوق الناس عليهم ، فعند ذلك أشهر المنادة في القاهرة ١٨ بإعادة الدكك على أبواب الحكام وأن النقباء والرسل لا يجوروا على الأشخاص في غرامتهم لهم على حق طريقهم ، ولكن الجماعة والمشاورة التى كانت على الحسبة استمرت بطالة ، وكذلك المكوس التى كانت على القمح والبطيخ وسائر ٢١ الغلال أبطلها جميعها ، فبالت شعرى هل يتم ذلك أم لا ، ثم نادى في القاهرة أن كل من قهر أو ظلم فعليه بالأبواب الشريفة وأن لا ظلم اليوم ، فارتفعت الأصوات

له بالدعاء من الخصاص والعام ، وتمنّى كل أحد له البقاء على الدوام ، فكان كما يقال
في المعنى :

- ٢ لم يبق للجور في أيامكم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حَوَر
- فلما أظهر السلطان العدل شفّعوا عنده في الناصري محمد بن بنت جمال الدين ،
- وكان السلطان (١٧٢ آ) تغير خاطره عليه بسبب واقعة ابن قجق فرسم السلطان
- ٦ بنفيه إلى الواح ، فلما شفّعوا فيه رسم بإحضاره إلى مصر ، ثم رسم بإحضار يشبك
- حبلص الأيتالي وكان نفاه إلى الصعيد بسبب الأتابكي قيت الرجبي كونه كان
- عشيرته ، ورسم بإحضار إبراهيم بن السكر والليمون وكان تغير خاطر السلطان
- ٩ عليه ورسم بنفيه إلى مكة فلما شفّعوا فيه رسم بعوده إلى مصر . - ومما فعله
- من وجوه البرّ والإحسان أن وقف له القاضي فخر الدين بن العفيف الذي
- كان كاتب الممالك ، فلما وقف له شكاه من ضيق حاله فرسم له بجامكية
- ١٢ ألفي درهم في كل شهر وزبدتين لحم في كل يوم ، ورسم بإعادة جامكية الناصري محمد
- ابن الشهابي أحمد بن أسنبغا الطياري الذي كان أمير شكار وكان تغير خاطر السلطان
- عليه ورسم بنفيه إلى قوص وقطع جامكيته ، فلما رضى عليه أعاده إلى مصر
- ١٥ وأصرف له ما قطع من جامكيته ، ثم ذُكر له الشرفي يونس النابلسي الذي كان
- أستادارا وعُزل عنها فساحه بما بقي عليه من مال المصادرة ، وقيل إنه رتب له على
- الجوالي في كل شهر ثلاثة آلاف درهم ورسم له بإعادة بلد في نابلس كانت
- ١٨ أخذت منه في المصادرة ، بعد ما قاسى شدائد (١٧٢ ب) ومخنا فعتطف عليه
- ورتب له ذلك ، هذا على ما قيل وأشيع بين الناس ولم ألزم صحة ذلك ، وقيل إن
- السلطان فرّق في هذا الشهر نحواً من ثلاثة آلاف دينار على مجاوري جامع
- ٢١ الأزهر والزوايا التي بالقرافة والمزارات ، وفعل في هذا الشهر أشياء كثيرة من
- هذا النمط من وجوه البرّ والإحسان حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وأشيع
- بين الناس أن السلطان قد ردّ لبعض جماعة من أولاد الناس ما كان أخرجه

(١٣) الشهابي : شهاب . ■ أسنبغا : أسنفا .

عنهم من إقطاعاتهم ، وأوعد بردّ الجوامك التى قُطعت للنساء والأيتام بواسطة
الأتابكى قيت الرجبى أن يعيدها إليهم عن قريب ، ومما وقع لى أننى امتدحت
السلطان نصره الله تعالى بقصيدة سنية ومن جملة أبياتها هذا البيت :

قد أظهر العدل فى الرعايا وأبطل الجور والمظالم
هذا الذى عنه أخبرتنا طوالع النجم والملاحم
يُصَيِّرُ الشاة فى حماءه تمشى مع الأسد والضراغم
فلامونى الناس على قولى :

قد أظهر العدل فى الرعايا وأبطل الجور والمظالم
وكان السلطان فى قوة عسفه على الناس فى تلك الأيام فما عن قريب حتى
أظهر السلطان هذا العدل العظيم الذى (١٧٣) وقع منه فى هذه الأيام ، فكان
القال بالمنطق فى إظهار عدله وقد ألهه الله تعالى إلى ذلك . - وفى يوم السبت
سادسه جلس السلطان فى شباك الأشرفية وفرّق على مماليكه الذين أخرج لهم
الخيل والقماش وفرّق عليهم فى ذلك اليوم سيوفاً وأقواساً وتراكيش ونُشَاباً
وزرديات وكانوا نحواً من ثلاثمائة مملوك ، وفى اليوم الثانى فرّق على ثلاثمائة
أخرى . - وفى يوم الأربعاء عاشره ابتدأ السلطان فيه بتفرقة النفقة على الأمراء
المقدمين ، فأرسل أولاً إلى الخليفة المتوكل على الله ألف دينار على يد بلر العادلى
فراش الخزانة ، فلما أحضر للخليفة ألف دينار ألبسه كاملية صوف بصمور
وأعطاه خمسين ديناراً ، ثم أرسل للأتابكى سودون العجمى ألفى دينار ، وأرسل
لبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم ألف دينار ، وأرسل للأمراء الطبلخانات
لكل واحد منهم مائتى دينار ، وأرسل للأمراء العشرات لكل واحد منهم مائة
دينار . - وفى يوم الخميس حادى عشره ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة على
العسكر فأعطى لكل مملوك ثلاثين ديناراً . - وفى يوم الجمعة ثانى عشره خرج

الأمير خشقدم شاد الشون الذى تعين (١٧٣ ب) صحبة قاصد الهند . —
 وفى ذلك اليوم توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له شاهين ، وكان كاشف
 ٣ البحيرة . — وفى يوم الاثنين خامس عشره فرّق السلطان الجامكية على العادة
 ومعها النفقة ، فأعطى ثلاثين ديناراً لكل مملوك ، وأعطى للعواجز منهم عشرين
 ديناراً ، وللشيوخ الضعفاء منهم عشرة دنانير ، ونفق على المماليك الكتائية لكل
 ٦ مملوك خمسة دنانير ، ونفق على بعض جماعة من الأيتام ممن له جامكية أشرفى
 فأعطاهم أشرفين ، وأعطى لمن له جامكية ألف عشرة دنانير ، فقبل كان جملة هذه
 النفقة على ما قبل ثلاثمائة ألف دينار ، وقيل فوق ذلك ، حتى عُدّت هذه النفقة
 ٩ من النوادر الغريبة كونه أصرف ذلك بطيّب من خاطره من غير كُرّه منه ، فكان
 كما يقال فى المعنى :

كأنه فى العطاء بحر ندا وبذله النقد فيه تيار
 ١٢ إن استمال القلوب لأعجب لله عند القلوب أسرار
 قد راقب الله خشية وله عند اكتساب الثواب أوطار

ثم إنه فى يوم الثلاثاء سادس عشره نادى فى الحوش بأن كل من كان
 ١٥ قُطعت له جامكية من رجال أو نساء فيطلع فى أول الشهر حتى ينظر السلطان
 فى حالهم ويردّ لهم (١٧٤ آ) ما قُطع لهم ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء فى ذلك
 اليوم . — وفى يوم الخميس ثامن عشره رسم السلطان بأن يُبطل ما كان على
 ١٨ الخانكاه من المشاهرة والحجامة التى كانت على الحسبة . — وفيه أرسل السلطان
 للخليفة المنفصل المستمسك بالله يعقوب والد المتوكل على الله ، وقد تذكره السلطان ،
 فأرسل إليه نفقة خمسمائة دينار على يد الأمير طقطبى نائب القلعة ، ورسم
 ٢١ بأن أحدا لا يكلفه بشيء ، فلما نزل إليه الأمير طقطبى قال له : السلطان يُسلم
 عليك ويقول لك ادعوا له وابرى ذمته ولا تؤاخذه بما وقع منه فى حقك ، فكان

(١) الهند : الهندى . (٧) جامكية ألف : كذا فى الأصل ، ويعنى « ألف درهم » .

في حفظ نفس ، فقال له : والله أنا داعي للسلطان وخاطري طيب عليه وما حصل منه إلا خيرا ، وقد تقدم القول على أن السلطان لما ترفع سيدى خليل مع الخليفة يعقوب تعصب السلطان لسيدى خليل وقال للخليفة يعقوب : أنت ضعيف ٣ النظر فلا تصح ولايتك على المسلمين ، وكسر بخاطره وغرته مالا وخلعه من الخلافة بغير ذنب كما تقدم ذكر ذلك ، فلما حصل للسلطان هذا العارض في عينه فظن أن ذلك بخطيئة الخليفة يعقوب ، فأرسل الأمير طقطبى نائب القلعة وأحد ٦ الأمراء المتقدمين (١٧٤ ب) يتعطف بخاطره ويسأله له الدعاء وأرسل إليه خمسمائة دينار ، فعُدّ ذلك من النوادر . - وفي يوم الاثنين تاسع عشر منه نفق السلطان على أولاد الناس والتراكة الذين في الطبقة الخامسة المستجدة ، فأعطى ٩ لكل مملوك عشرة أشرفية ، وأعطى لجماعة منهم ثمانية أشرفية ، ونفق عليهم النفقة مع الجمامكية ، وفي ذلك اليوم فرق السلطان على مماليكه أتراسا وخوذا وكثرت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة ، انتهى ذلك . ١٢

وفي جمادى الآخرة طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان السلطان بالميدان ، ففرق في ذلك اليوم على جماعة من المماليك القرائضة خيولا نحو من ألف فرس ، وذلك لمن كان له فرس الديوان مديونا ومات . - ١٥ وفي يوم الخميس ثانية خرج الأمير أقبای الطويل أمير آخور ثانی الذي عينه السلطان بأن يتوجه قاصدا إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، فخرج بطلب حافل ، وهذا قط لم يتفق لقاصد قبله أنه خرج على هذه الهيئة الجميلة حتى عُدّ ١٨ ذلك من النوادر ، فشق ذلك الطلب من داخل الميدان حتى نظر إليه السلطان وهو جالس في المقعد الذي بالميدان . - وفيه حضر قانصوه العادلى كاشف الشرقية وصحبته (١٧٥ آ) شخص من أولاد شيخ العرب ابن قُراطم يسمى ٢١ صالح ، وهو من بني حرام ، فسلخ جلده وحشاه تبنا ، وأركبوه على فرسه وألبسه

- زمنه على رأسه وألبسه كبرة حرير ، وكان شاباً بجيل الهيئة فتأسف عليه الناس ، فلما أعرضه على السلطان شقّ ذلك عليه ولم يكن يرسم بسلخه قبل ذلك ، فلما جرى ذلك ثارت العربان في البلاد وقطعوا جسر الحلفاية فساح على الأرض في غير مستحقه وكان ذلك ليالى الوفاء . - وفي يوم الجمعة ثالثه خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة وهو بالشاش والقماش وكان له نحو من ستة أجمع لم يخرج ولم يصل الجمعة بسبب ذلك العارض الذى حصل له في عينه ، فشال الرفادة عن عينه وخرج وصلى الجمعة ، فسرّوا الناس لذلك وتخلّقت الخلدّام بالزعفران وكذلك الغلمان ، وكان شفاؤه على غير القياس ، وكانوا أشاعوا عنه أنه قد عمى لا محالة . - وفي يوم الأحد خامسه كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك رابع عشر مسرى ، فأوفى وزاد عن الوفاء خمسة أصابع من سبعة عشر ذراعاً ، وكان عرس النيل ، وفتح السدّ . يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة الموافق لخامس عشر مسرى ، وفي ذلك يقول القائل :

قد وفا النيل رابعا عشر مسرى فلا بشره (١٧٥ ب) قلوب العباد

جاء في وقته إذا قلت أهلا بحبيب قد جاء في الميعاد

- ١٥ فرسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فكان له يوم مشهود ، فلما عاد من فتح السدّ كان له موكب حافل ومشت قدّامه الأفيال الكبار وهى مزينة بالصناجق والطبول ، فطلع إلى القلعة فألبسه السلطان خلعة على جارى العادة . - وفي يوم السبت حادى عشره ركب السلطان ونزل من القلعة ، ولم يركب من حين حصل له ذلك العارض في عينه ، فلما ركب سبّر نحو المطرية وكشف على العمارة التى أنشأها هناك ، فقدّ له الزينى بركات بن موسى المحتسب هناك مدّة حافلة ، وأقام بقبة الأمير يشبك إلى بعد العصر ، ثم عاد إلى القلعة ولم يشقّ من القاهرة ، وكانت الناس شرعوا في الزينة على أنه يشقّ من القاهرة ، فطلع من بين التراب ولم يشقّ من المدينة في ذلك اليوم . - وفي

- يوم الاثنين ثالث عشره نزل السلطان إلى الميدان وجلس به ، وأخلع على الأمير حسين نائب جدة وأقره في نيابتها على عاداته وسافر من يومه . - وفي ذلك اليوم أعرض السلطان الأيتام من الرجال والنساء فردّ لجماعة منهم ما قطع من جوامعهم (١٧٦ آ) وذلك بحكم النصف ، فردّ منها شيئاً يسيراً . - وفي يوم الخميس سادس عشره جلس السلطان على الدكة التي بالحوش وحكم بين الناس ونفق الجامكية ، وكان له نحو من ثلاثة أشهر لم يجلس على الدكة ولا حكم بين الناس بالحوش على جارى العادة ، وقد هنيئته بهذين البيتين لما شئى من ذلك العارض الذى حدث له في عينه من رخو الجفون ، فقلت في ذلك مع إظهار التورية :
- ٩ بعافية السلطان قُرتْ عيوننا ونال الورى منه بلوغ المقاصد
وقالوا به عينٌ أصابت لعينه فلما شئى غارت عيون الحواسد
فلما قُروا على السلطان استحسنهما وابتهج بهما . - وفي يوم السبت ثامن عشره جاءت الأخبار بوفاة الناصرى محمد بن بنت جمال الدين أستاذار العالية ، وكان من أعيان أولاد الناس ، وجرى عليه شدايد ومحنا ونفاه السلطان إلى الواح بسبب جارية ابن قجق كما تقدم ذكر ذلك ، فلما أظهر السلطان العدل وأطلق من في السجون قاطبة فشفع بعض أخصاء السلطان في ابن بنت جمال الدين ١٥ فرسم بإحضاره من الواح ، فلما وصل إلى منفلوط مرض هناك ومات فدفن بمنفلوط ولم يدخل إلى مصر . - وفي يوم الاثنين عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة نائب (١٧٦ ب) طرابلس ، وهو أوبرك [مملوك] السلطان ، فحضر هو ١٨ وعياله بطلب من السلطان ، فاستمر بالقاهرة حتى يكون من أمره ما يكون . - وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى المطرية ، ثم فتح سدّ الأميرية بنفسه ، فدخل الماء إلى الملقّة ثم رجع وشقّ من باب الشعرية فانطلقت ٢١ له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت له الأصوات بالدعاء ، فطلع من على

الناصرية وقناطر السباع وشقّ من الصليبية ، ثم طلع إلى القلعة وهو في غاية السودة وقد وقفت له العوامّ وتسيّبوا عليه بسبب الفلوس الجدد، وقد وصل صرف النصف الفضة إلى عشرين من الفلوس الجدد ، وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس ، وتشحط الخبز من على الدكاكين في تلك الأيام ، وغُلقت الأسواق بسبب الفلوس ، وحصل للناس غاية الضرر . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفي طومان باى أمير دودار كبير ، وكان مسافرا في جهات بلاد الصعيد ، فحضر في ذلك اليوم وصحبته جماعة كثيرة من مشايخ عربان الصعيد والمدركين وجماعة كثيرة من الفلاحين والمزارعين وهم في الحديد بسبب (١٧٧ آ) ما تأخّر عليهم من المغل من أيام ابن ثعلب وغيره من المباشرين ، حتى قيل كان عليهم نحو من سبعين ألف أردب من القمح ، فلما طلع الأمير الدودار إلى القلعة ألبسه السلطان خلعة سنّية ونزل من القلعة في موكب حافل وقدّامه أمير كبير وبقية الأمراء المقدمين والجلم الغفير من العسكر ، فلما أعرضوا على السلطان ذلك الفلاحين والمزارعين وهم في الحديد فقال : ما بال هؤلاء ، فقالوا له : إن عليهم مغل منكسر من السنين الخالية من أيام ابن ثعلب وغيره نحو من سبعين ألف أردب ، فسكت ساعة وقال : اطلقوهم أجمعين فقد تركت ما عليهم لوجه الله تعالى ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وكان فيهم الشيوخ والضعفاء والعواجز والصبيان الصغار ، فأطلقوهم من الحديد أجمعين وهو ينظر إليهم ، حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ، فكان أحقّ بقول القائل :

فلإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواها

وفي يوم الأحد سادس عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو المطرية وكشف على العبارة التي هناك ، ثم أتى إلى قبة الأمير يشبك فأقام بها (١٧٧ ب) إلى بعد العصر ، فدّ له الزينى بركات بن موسى هناك مدّة حافلة فتعشى بعد العصر وطلع إلى القلعة . - وفي يوم الاثنين سابع عشرينه كان يوم النوروز وهو أول

السنة القبطية ، ففي ذلك اليوم قبض السلطان على شخص من الأتراك وقد نُقل عنه أنه كاتب نائب حلب وجماعة من التّوآب بأن السلطان قد عفى ولم صار ينظر شيئا ، فأرسلوا المكاتبات إلى السلطان ، فلما أحضر السلطان ذلك المملوك وأعرض ٣ عليه تلك المكاتبات فأنكر ذلك ، فلما قامت عليه البيّنة بذلك رسم السلطان بضربه فضرِب ضربا مبرحا وسجنه السلطان بالبرج حتى يقرّ على من ألجأه إلى ذلك من الأمراء فلم يقرّ بشيء ، انتهى ذلك . ٦

وفى رجب كان مسهّل الشهر يوم الخميس ، فجلس السلطان بالمقعد الذى بالحوش، وطلع إليه الخليفة والقضاة الأربعة يهنّونه بالشهر . - فلما كان يوم الأحد رابعه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، ومدّ ٩ له الزينى بركات بن موسى هناك مدّة حافلة فانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية ، وكان النيل يومئذ فى عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا . - وفى يوم الثلاثاء سادسه نزل السلطان (١٧٨ آ) وكشف على العمارة التى بالمطرية ، فلما عاد شقّ ١٢ من المدينة ودخل من باب النصر ، فلما أن وصل إلى مدرسته نزل عن فرسه ودخل إليها ، فتوشّحت الغلمان بالبندود الحرير الأصفر حتى توشّح بذلك جماعة من المباشرين ، فهاهم السلطان عن ذلك ، وأقام السلطان هناك إلى بعد الظهر ثم ١٥ عاد إلى القلعة . - وفى يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على الزينى بركات بن موسى وأقرّه فى الحسبة الشريفة على عادته ، وكان أشيع عزله بسبب اضطراب البلد لأجل الفلوس ، ثم إن السلطان أشهر المناداة فى القاهرة بأن الفلوس تصرف ١٨ بالميزان بعد ما كانت معاددة ، فخسر الناس فى هذه الحركة جملة مال له صورة . - ومن العجائب أن السلطان لما حصل له ذلك العارض فى عينه جاد مع الناس وأبطل المجاعة التى كانت على الحسبة والمشاهرة وأشياء كثيرة من المكوس مما ٢١ كان على القمح والبطيخ وغير ذلك ، فلما شقّ من ذلك العارض وشق من المدينة فضجّت له العوامّ بسبب الفلوس الجدد ، فلما طلع إلى القلعة حقن منهم ورسم

بإعادة المجاعة والمشاهرة والمكوس التي كانت على القمح والبطيخ وغير ذلك كما كانت وزيادة ، وقال : (١٧٨ ب) أنا أبطلت عنهم أشياء كثيرة بنحو ألفين دينار في كل شهر وهم يتضرّروا من الفلوس ، ثم إن السلطان شرع في مطالبة من كان عليه بواقي مال من المصادرات التي تقدم ذكرها وأعاد القاضي ابن ثعلب إلى المقررة بسبب ما تأخر عليه من المال ، وكان أشيع بين الناس أن السلطان لما كان عليلا بعينه سامح أرباب المصادرات بما عليهم من الأموال ، فلم يتم ذلك وشرع يطالب كل من كان عليه شيء من المال وقد ندم على ما فعله من إظهار العدل في تلك الأيام ، وقد قلت في معنى ذلك :

سلطاننا مُدَّ كان في ضعفه يمنحنا عدلا وإحسانا
فَمُدَّ شفاه الله من دائه أحدث ظلما فوق ما كانا

فكان الغال بالمنطق ، ورجع كل شيء إلى ما كان عليه من وجوه الظلم كما كان أولا . - وفي هذا الشهر قوى عزم النيل حتى قطع جسر أم دينار الذي بأراضي الجيزة وشرق غالب أرضها بسبب ذلك ، وكان السلطان أمر الوزير يوسف البدرى بأن يهتم بعمارة جسر أم دينار هذا ، فندب إليه شخصا من المباشرين يسمى جمال الدين ، فما أتى ممكنا في الظلم وأفرد على كل فدان بأراضي الجيزة ألف درهم ، فحصل على المقطعين بتلك النواحي ما لا خبر فيه وضاع عليهم (١٧٩ آ) خراج تلك السنة من أجل هذا الجسر ، ولم يفد من ذلك شيئا ، وشرق غالب الأراضي بالجيزة لأجل ذلك الظلم . - وفي يوم الأحد حادى عشره أشيع بين الناس أن شخصا من البرابرة قبض على فرس البحر من بعض جهات الصعيد وأحضرها بين يدي السلطان ، فلما أحضرت بين يدي السلطان فرح بها وقيل إنه أطلقها في البحرة التي في الميدان ، وقد أخبرنا بصفاتها إلياس أحد الأمراء الآخورية . - وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره توافع أحمد بن الصايغ برددار

(٤) تقدم ذكرها : وردت في الأصل بعد كلمة « المال » في سطر ٧ . (٢٢) برددار : بردادر .

- الزبني بركات بن موسى ، ترافع معه ، وكان الزبني بركات تشكى بأنه يخسر في تلك الجهات التي في تحدّته ، فقال أحمد بن الصايغ : على السداد ، فأخلع عليه السلطان كاملية وأشرك بينه وبين بركات بن موسى في التحدّث على البلاد التي في تقسيطه والحمايات ، ولم يشركه معه في التحدّث في الحسبة الشريفة . - وفي يوم الخميس خامس عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر ، فحسّت الجامكية تسعمائة دينار فغلّقها ابن الصايغ من ماله ، فكان هذا أول عكسه . - وفي يوم الجمعة سادس عشره توفي شخص من الأمراء العشرات يقال له مصرباى من يشبك . - وفيه ثبت النيل المبارك على أربعة أصابع من عشرين (١٧٩ ب) ذراعا وكان في العام الماضي غلّق العشرين ذراعا وزاد ثمانية أصابع من واحد وعشرين ذراعا ، واستمرّ في ثبات إلى نصف هاتور القبطى . - وفي يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك التي في المطرية ، ومدّ له هناك الزبني بركات بن موسى مدّة حافلة ، فتعشى هناك ثم طلع إلى القلعة . - وفي يوم الاثنين ١٢ تاسع عشره جلس السلطان بالمقعد الذى بالحوش ، وأخلع على شخص من الأمراء كان بطّالا يقال له جانم من ولى الدين ، واستقرّ به نائب طرابلس عوضا عن الأمير أبرك مملوك السلطان بحكم انفصالة عنها ، وجانم هذا تقدّم أنه تولى نيابة حماة ونيابة طرابلس قبل ذلك ، وكان السلطان عين نيابة طرابلس إلى الأمير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب فلم يوافق على ذلك وأبى ، فأخلع السلطان [على] جانم هذا وأقرّه نيابة طرابلس كما كان قبل ذلك ، وقيل إنه سعى في نيابة طرابلس بستين ألف دينار على ما قيل . - وفي يوم الخميس ثانى عشرينه احتجب السلطان ولم يخرج إلى الأمراء ، وأشيع أنه قد قصّ ما طال من جفنه وقطبوه له فتشوّش من ذلك . - فلما كان يوم الجمعة لم يخرج ولم (١٨٠ آ) يصلّ الجمعة ورسم للأمراء بأن لا يطلعوا إلى القلعة بسبب الصلاة ولا يكلّفوا خاطرهم فإن السلطان شارب في ذلك اليوم دواء ، فلم تطلع الأمراء في ذلك اليوم إلى صلاة الجمعة في القلعة . -

وفى ذلك اليوم توفى القاضى فخر الدين بن العفيف الذى كان كاتب الممالك وعُزل عنها ، فأقام مدة وهو بطل حتى مات ، وكان من أعيان المباشرين وقد قارب الثمانين سنة من العمر ، وقاسى شدائد ومحنًا وصودر غير ما مرة ، وكان أصله ٣ من أبناء الأقباط . - وفى ذلك اليوم رسم السلطان بفتح سدّ أبى المنجا ، فتوجه الأمير كرتباى الى القاهرة وفتح السدّ على العادة . - وفى يوم الأحد سادس عشرينه توفى الأمير نانق من نخشبای أمير شكار كان ، وكان أصله من مماليك ٦ الظاهر جقمق ، وكان من الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عرض السلطان الممالك الذين قرّره في الطبقة الخامسة ، وهو العسكر الملقق ، فرسم لهم بأن يعملوا يرقهم ويتوجهوا الى السويس لأجل حفظ المراكب ٩ التى أنشأها السلطان هناك ، فقالوا : نحن ما نساfer بلا نفقة ، فحق السلطان منهم وقال : أنا أسافر الى السويس بنفسى ، وقد (١٨٠ ب) تقدم القول على أن الفرنج قد زاد تشويشهم على التجار في البحر الملح وصاروا يخطفون البضائع ١٢ من المراكب ، وقد ملكوا كمران وهى من بعض جهات الهند ، وقد تكامل من مراكب الفرنج في البحر نحو من عشرين مركبا ، فكثرت الإشاعات بسفر السلطان ١٥ الى السويس ، انتهى ذلك .

وفى شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر على العادة ، فلم يجتمعوا بالسلطان وقيل لهم قد دخل الحمام ، وقد ١٨ حصل له الشفاء لما قطبوا له جفنه ، وكان السلطان يظن الهلال لا يرى تلك الليلة فدخل الحمام في ذلك اليوم . - وفى يوم السبت ثانيه نزل السلطان الى الميدان وشال الرفادة عن عينه وجلس وحكم بين الناس ، ورسم للعسكر بأن يُصرف لهم ٢١ العليق شعير ، وكان يصرف لهم العليق مُشمن فرسم لهم بأن يُصرف العليق شعير . - وفى يوم الاثنين رابعه طلعت الأمراء الى القلعة على العادة ، فخرج

لهم السلطان من الدُهَيْشة وهو ماشى على أقدامه وقد لبس التخفيفة الكبيرة
المسمّاة بالناعورة ، وهى الآن فى مقام التاج للملك مصر من حين تولوا بها الأتراك ،
وكانت التيجان يلبسونها ملوك الفرس من الأكاسرة ، فصارت التخفيفة الكبيرة ٣
التي بالقرون الطوال لسلطين مصر (١٨١ ت) هى التاج لهم ، كما كان التاج للملك
الفرس ، وقد جاء فى بعض الأخبار أن العائم تيجان الغرب ، وكان السلطان له
نحو من أربعة أشهر لم يلبس هذه التخفيفة الكبيرة ولا جلس [على] المصطبة التي ٦
يحكم عليها بالحوش ، فلما خرج تمشى وجلس على تلك المصطبة ، فباسوا له الأمراء
الأرض وهنّوه بلبس التخفيفة الكبيرة ، ثم أحضروا له بالدواة فعلم فى ذلك اليوم
على عدّة مراسيم ونفّذ عدّة محاكمات ، ثم قام وطلع إلى المقعد الذى أنشأه بالحوش ، ٩
فلما قام نثر على رأسه المعلم يعقوب اليهودى خفاف من ذهب وفضّة ، فتخاطفته
الخاصكيّة وتزاحوا على السلطان حتى كاد أن يقع من شدّة الازدحام ، فلما طلع
إلى المقعد أخلع فى ذلك اليوم عدّة كوامل صوف بصمور ، فأخلع على الرئيس ١٢
شمس الدين بن القيصونى ، وأخلع على الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحّال ،
وأخلع على الرئيس تقى الدين المنوفى الكحّال الذى قطب له عينه ، وأخلع [على]
الرئيس صلاح الدين الشامى ، وقيل رسم لكلّ رئيس منهم بمائة دينار ، ثم أخلع ١٥
على محمد مهتار الطشتخاناه كاملة حافلة بصمور ، وأخلع على علم الدين الحلبي
كاملة حافلة بصمور ، ثم إن خوند (١٨١ ب) زوجة السلطان أرسلت لكل واحد
من هؤلاء المذكورين كاملة حافلة بصمور ، ثم إن الحكماء صاروا يدخلون إلى ١٨
بيوت الأمراء المقدمين ويبدشرونهم بعافية السلطان فيخلعون عليهم الكوامل الحافلة ،
وكذلك أرباب الوظائف من المباشرين قاطبة وأخصّاء السلطان ، فدخل عليهم عدّة
كوامل بصمور حافلة ، وقد قلت لما شفى السلطان ولبس التخفيفة الكبيرة فى ذلك ٢١
اليوم فهشّيته بهذين البيتين وهما :

لما شفى السلطان من رمدٍ به بوسيلة من صاحب المعراج

فتفاءلت كل الأنام بأنه في المُلْك باقٍ يوم ليس التاج
وهناهُ الناصري محمد بن قانصوه من صادق بهذه الأبيات :

٣ يا ملكاً عدله أراتنا تبسماً في فم الزمانِ
وقد حبَّانا بحارَ جودٍ يَقْصُرُ عن عدِّها لسانِي
اهناً يبرء إلى بقاء مؤبداً مظهرها لتهاى
٦ لازلتَ للملْك ذا نظامٍ تُبدى به جوهرَ المعاني

وفي يوم الاثنين المقدم ذكره حضر الأمير أرزمك الناشف أحد المقدمين ، وكان
السلطان رسم له بأن يقيم في القيوم حتى يُعمَّرَ الجسر الذي هناك ، فأقام بالقيوم
٩ مدّة حتي انتهى ذلك العمل من الجسر ، فلما حضر أخلع (١٨٢ آ) عليه
السلطان كاملة بصمور حافلة ونزل إلى داره ، ولكن حصل منه غاية الضرر
[على كل من] كان له في القيوم رزقة أو إقطاع ، فأفرد عليهم ثلث خراجهم
١٢ في هذه السنة بسبب عمارة الجسر المقدم ذكره الذي سافر السلطان إلى القيوم بسببه ،
فجار الأمير أرزمك على أصحاب الرزق والإقطاع غاية الجور ، وراح على المقطعين
خراجهم في هذه السنة بسبب عمارة هذا الجسر . - وفي ذلك اليوم نزل الزيني
١٥ بركات بن موسى المحتسب وصحبته أعيان المباشرين وأرباب الدولة وهم موشّحون
بالحرير الأصفر لأجل عافية السلطان ، فشقّ من القاهرة وقداّمه الحكماء بالخلع ،
فنادى القاهرة بالزينة لأجل عافية السلطان ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء
١٨ وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، ثم إن الزيني بركات بن موسى
أشهر المناداة لسكان بركة الرطلي بأن يصنعوا بها وقدة حافلة ويزينوا الطيقان لأجل
عافية الملك ، فانطلقوا سكان بركة الرطلي بالزغاريت وعلقوا في الطيقان الشدود
٢١ الحرير الأصفر والكوامل الحرير الملون ، ودارت الطبول والزمور في المراكب
يهتوا أعيان الناس من سكان البركة بعافية السلطان ، ثم إن سكان البركة شرعوا
في أمر الوقدة فعلقوا في الطيقان أحمال وأمشاط فيها القناديل ، فاحتفلوا سكان

البركة (١٨٢ ب) بوقدة عظيمة ثلاث جمع متوالية وصارت في كل ليلة تدور المراكب بالمتفرجين ، ويقع بالبركة من القصف والفرجة ما لا يحصى وصفه ولا سيما قد صار أمرا سلطانيا ، وكان النيل في أواخره فخرج الناس في ذلك عن ٣ الحد ، وصار يقع في البركة كل ليلة أمور غريبة من سماع مغنى لطيفة ووقدة ونفوط تحرق وأشياء حافلة - وفي يوم الثلاثاء خامسه زينت القاهرة زينة حافلة ، حتى زينوا داخل الأسواق ، وهم سوق الشرب والباسطية وسوق الحاجب وسوق ٦ الفاضل وسوق جامع ابن طولون وسوق مرجوش وغير ذلك والوراقين وسوق الجواهره وغير ذلك من الأسواق ، وزينوا مصر العتيقة وبولاق حتى زينوا أسواق الخانكاه ، وزينوا حارة زويلة وخان الخليلي وغير ذلك من أسواق القاهرة ، ٩ ثم إن الأمراء المتقدمين وأرباب الوظائف من الأمراء الطبلخانات زينوا أبوابهم بالصناجق والخيام الحافلة مثل زينة العيد ، ثم إن الخليفة زين بابه بستور ضريح السيدة نفيسة رضي الله عنها ، ثم إن قضاة القضاة زينوا أبوابهم بالبشاخين المحمل ١٢ والنواميس الحرير ، ولا سيما قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة فإنه خرج في الزينة عن الحد فزين بابه بالبشاخين الزركش والعنبر (١٨٣ ت) فعُد ذلك من البدع المنكرة ، ثم إن الزينة أقامت سبعة أيام متوالية ، والكوسات عمالة كل ١٥ يوم نوبتين باكر النهار وبعد العصر وهى بالقلعة وعلى أبواب الأمراء المتقدمين ، ولم يقع قط بمصر مثل هذه الواقعة فى عافية سلطان ولا أمير ، وهذا من باب الوجاهة والزوكره للسلطان ، فإن قضاة القضاة زينوا أبواب المدارس التى يسكنون بها حتى باب المدرسة الصالحية وخانقاة بيبرس وغير ذلك من الأماكن الجليلة ، فأعاب بعض الناس على القضاة هذه الفعل ، وقد صنع قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة ردكا بأشجار وأحواض جلد على باب الخانقاة البيروسية فعُد ذلك من ٢١ البدع المنكرة ، وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

- لبرئك يا ذا الملك سرت نفوسنا وقد زُيِّت من بعد ما عطلت مصر
وأصبح ثغر الدهر مبتسما لنا وفي وجنة الدنيا غدا يُنظرُ البشر
- ٣ وكان سبب إيساع هذه الزينة أن الأخبار قد شاعت في البلاد الشرقية والغربية بأن السلطان قد عمى بعينه الاثنين ، فأراد السلطان إظهار هذه الزينة حتى يشاع في البلاد أن السلطان قد شفى وزال عنه الألم الذي كان في عينه ،
- ٦ فأمر بزينة القاهرة ودق الكوسات حتى يشاع ذلك (١٨٣ ب) بدق الكوسات بالقلعة وعلى أبواب الأمراء . - وفي يوم الخميس سابعه جلس السلطان على المصطبة بالحوش وعين في ذلك اليوم خمسة أنفوس من الأمراء المقدمين بأن يعملوا يرقهم ويتوجهوا إلى السويس ، ثم بطل ذلك فيما بعد ولم سافر منهم أحد ، وكان أشيع سفر السلطان بنفسه إلى السويس ولم يتم ذلك ، فشرع يقول للعسكر والأمراء : جهزوا يرقكم فإني أسافر نصف الشهر ، وصنع أربع محفات ، وجعل يعرض ثوب هُجَن وبغال وغير ذلك . - وفي يوم الاثنين حادى عشره جلس السلطان في الميدان وفرق لإطلاقات الطين على العسكر ، وكان غالب أراضي الجزيرة شراقي ، فردوا وصولات الإطلاقات وكادت أن تكون فتنة . - وفي يوم السبت
- ١٥ نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو قبة الأمير يشبك التي بالمطرية وبات بها ، ورسم لنقيب الجيش بأن يطوف على الأمراء المقدمين قاطبة ويعلمهم بأن السلطان يوكب من القبة ويشق من القاهرة ، وأرسل يعزم على الأمراء في القبة فحضر إليه
- ١٨ الأتابكي سودون العجمي والأمير أركماس أمير مجلس وبقية الأمراء المقدمين قاطبة ، فباتوا عند السلطان بالقبة ومدة لهم هناك أسمطة حافلة ، فلما كان يوم الأحد ركب السلطان من القبة (١٨٤ آ) وقد آمه الأمراء المقدمون قاطبة والأمراء
- ٢١ الطبلخانات والعشرات وأرباب الوظائف من المباشرين قاطبة وأعيان الدولة والعسكر قاطبة ، وكان السلطان قصده أن تحمل على رأسه التبة والطير فنهوه

- الأمراء عن ذلك وقالوا له : ما هي عادة أن السلطان إذا خرج إلى المطرية تحمل على رأسه القبة والطير ، فرجع عن ذلك ، ثم إن السلطان دخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل ، ولاقته طائفة اليهود والنصارى وبأيديهم الشموع موقدة ، وسارت قدّامه أرباب الوظائف من المباشرين وهم متوشحون بالحرير الأصفر ، وكذلك نقيب الجيش والوالى وأعيان الخدّام وولد السلطان ، ومشت قدّامه الرؤوس النوب بالعصى من باب النصر إلى القلعة ، ثم سُحبت قدّامه الجنائب بالكنائش الزركش ومشى قدّامه الأوزان والشبابة السلطانية والنفير البرغشى والمجامع السلطانية بالغشاء الحرير الأصفر ، ولم تلبس الأمراء ولا أحد من العسكر في هذا الموكب الشاش والقماش ، ولم يستطع السلطان لبس التخفيفة الكبيرة من العارض الذى في عينه بل كان في هذا الموكب بتخفيفة صغيرة مكسّى (١٨٤ ب) وسلارى بعلبكي أبيض ، ومشى قدّامه غالب الحاصكية من باب النصر إلى القلعة ، فكان له يوم مشهود ، واصطفقت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة عليه ، وتركزت له الطبول والزمور في عدة أماكن من القاهرة ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكانت القاهرة مزيّنة زينة حافلة منذ سبعة أيام ، وأوقدوا له الشموع والقناديل في الأحمال بالنهار على الدكاكين ، وأطلقوا له البخور في المحامر ، فاستمر السلطان في هذا الموكب الحافل على ما ذكرناه حتى طلع إلى القلعة ، وقد قلت في هذه الواقعة أبيات مواليا وهي هذه :
- سُلْطَانُنَا لَوْ كَحَاسِنٍ فِيهِ مَوْصُوفَةٌ وَلَوْ مَوَاقِبُ لَهَا أَوْقَاتٌ مَعْرُوفَةٌ ١٨
مُنْخَفِّ عَنَّا الرَّمْدُ بِالطَّافِ مَحْفُوفَةٌ أَوْكِبُ لَهَا أَوْقَاتٌ مَصْرٌ مَصْفُوفَةٌ
- ولما شقّ السلطان من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وقالوا له جماعة من العوام : ابطل عنا أمر الجامعة والمشاورة التي على الحسبة ، فلم يلتفت إلى كلامهم وتغافل عن ذلك . - ومن الحوادث في ذلك اليوم أن امرأة خرجت تنفرج على السلطان وكانت حامل ، فجاءتها ضربة على بطنها فنزل الولد من بطنها في الحال

- وماتت من يومها ، (١٨٥) فرجعت إلى بيتها في تابوت وذلك بالقرب [من] باب النصر . - ثم شرع كل أحد من أعيان المباشرين يقدم للسلطان تقادم حافلة ما بين ذهب وقماش وسكر وأغنام وغير ذلك ، وقدم إليه أيضا جماعة من الأمراء من أخصاء السلطان تقادم حافلة ما بين خيول وصوف ووشق وسنجاب وغير ذلك ، فأخلع عليهم في ذلك اليوم كواامل مخمل أحمر بصور ، والذي لم يقدم له شيئا لم يخلع عليه . - وفي يوم الاثنين حادى عشرينه عرض السلطان عسكر الطبقة الخامسة التي استجدتها ، فلما عرضهم عيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى السويس فشرع مقدم الممالك سنبّل يقول لهم : يا أغاوات عبتوا يركم حتى تسافروا إلى سويسة ، فضحك عليه الناس بسبب ذلك . - وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه صنع السلطان ستورا من حرير أسود بطرز مزركشة ، وكانوا نحو من سبعة ستور لبقية الأنبياء الذين هناك ، ولأجل ضريح سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، فشققوا من القاهرة وقدامهم الطبل والخليلة ، وكان لهم يوم مشهود ، وكان خادم حرم الخليل عليه السلام حاضرا فنزل قدّام الستور هو وجماعة من الفقراء . - وفي يوم الخميس رابع عشرينه دخلوا جماعة من الممالك الذين تعينوا إلى السويس (١٨٥ ب) على الأمير طومان باى الداودار وشكوا له سفرهم إلى السويس بلا نفقة وصمّموا على عدم السفر إلى السويس ، فطلع الأمير طومان باى وذكر للسلطان ما قالوه الممالك ، وكاد أن يقع من ذلك فتنة ، فلما سمع السلطان ذلك أمر بيطلان السفر إلى السويس وخشى من إقامة فتنة . - وفي يوم الجمعة نزل السلطان وعدى إلى الروضة ونصب له خياما على خرطوم الروضة وبات هناك ومدّ له الزينى بركات ابن موسى هناك أسمطة حافلة ، فأقام إلى يوم الأحد وطاب له ذلك المكان وانشرح به ، وكان صحبته مغانى وأرباب الآلات ، فطلع إلى القلعة يوم الأحد أواخر النهار . - وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه خرج الأمير جانم الذى قرّر في نيابة طرابلس كما تقدم ذكر ذلك ، فكان له يوم مشهود . - وفي يوم الخميس من أواخر هذا الشهر

(١٢) والخليلة : كذا في الأصل .

- كانت وفاة الأمير برد بليك تفاج ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباي ، وكان أميراً من جملة الأمراء المقدمين الألوف بالشام ، فأتى إلى مصر ليسعى في الحجوية الكبرى بالشام فلم يتم له ذلك فاستمرّ مقيماً بمصر ، وكان ٣ له مرتب على الذخيرة في كل شهر حتى مات وكان له مدة وهو عليل ؛ فلما مات كانت له جنازة (١٨٦٦) حافلة ومشيت قدامه خُشداً شينته من الأمراء وأخرجوا قدامه كفارة ، وكان لا بأس به . - وفيه نزل السلطان وسيّر إلى مصر العتيقة ٦ وشقّ من على ساحل البحر ، ثم طلع من على قناطر السباع وشقّ من الصليبية وطلع إلى القلعة ، فلما شق من الصليبية ضجّت له العوام بالدعاء وذكروا له أمر الفلوس الجدد وأن البضائع صارت تباع بسعرين ، فلما طلع إلى القلعة نادى ٩ في ذلك اليوم بأن الفلوس تكون بنصفين الرطل ، وكانت بثلاثة أنصاف الرطل ، فخسرت السوق في هذه الواقعة نحو الثلث من أموالها ، وكانت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس ، ففرح غالب الناس بهذه المناداة . - ١٢ وفي يوم السبت سلخ الشهر نزل السلطان إلى المطرية وتوجه إلى قبة يشبك وكشف على العمارة التي هناك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه ، انتهى ذلك .
- وفي رمضان كان مستهل الشهر يوم الأحد ، فجلس السلطان بالميدان وطلع إليه ١٥ الخليفة والقضاة الأربعة بهنونه بالشهر على جرّى العادة . - وفي ذلك اليوم طلع الوزير يوسف البدرى والزينى بركات بن موسى المحتسب باللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم وهم على رؤوس الحمالين وقدامهم الطبول (١٨٦٦ ب) ١٨ والزمور ، وشقّوا من القاهرة وكان لهم يوم مشهود ، فأخلع السلطان على الوزير يوسف البدرى والزينى بركات بن موسى ونزلوا إلى بيوتهم في موكب حافل ، ثم إن السلطان رسم للزينى بركات بن موسى بأن ينادى في القاهرة بتسعير ٢١ البضائع : بأن البطة الدقيق بسبعة أنصاف واللحم الضانى تسعة نقرة الرطل واللحم البقرى بستة نقرة الرطل ، وسعّر الأجبان والسيرج والزيت وغير ذلك

- من البضائع ، وأن النصف الفضة لا يُصرف بأكثر من اثني عشر درهما ، وأن
- ٣ الفلوس العتق والجلد بالميزان وكل رطل بنصفين . - وفي يوم الجمعة سادسه قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك ثامن هاتور القبطي . - وفي يوم
- الاثنين سادس عشره نفق السلطان الكسوة مع الجامكية على العسكر . - وفي ذلك
- اليوم كانت وفاة المعلم على الصغير أحد معاملى اللحم ، وكان رئيسا حشما في سعة
- ٦ من المال ، ولكن قاسى في أواخر عمره شدائد ومحا وصودر غير ما مرة ، وضرب بالمقارع على أجنابه بين يدى السلطان ، وسُجن بالعرقانة مدة وتسحب من هناك وتدلى بجبل فانقطع به ووقع على الأرض فانكسر ضلعه ، واستمر (١٨٧ آ)
- ٩ مختفيا مدة ، وسافر إلى الحجاز وهو مختفى ، ثم ظهر عندما أفرج السلطان عن أصحاب الجرائم كما تقدم ذكر ذلك ، فظهر واستمر عيلاما قاساه حتى مات ، وكان
- قد جاوز السبعين سنة من العمر ، وكان من أعيان المعاملين ناتجا بالسداد ، وقد
- ١٢ ذُكر في أيام الأمير أقبردى الدوادار بأن يلى الوزارة مثل البياى فلم يتم له ذلك . - وفي هذا الشهر أشيع بين الناس بأن الناصرى محمد بن أزدمر نائب
- حلب كان قد قتل في معركة ببلاد ابن عثمان ملك الروم ، وكان السلطان تغير
- ١٥ خاطره عليه فرسم بشنقه في حلب ، فلما بلغه ذلك فرّ إلى بلاد ابن عثمان فقتل هناك ، وكان غير مشكور السيرة في سائر أفعاله ، انتهى .
- وفي يوم الأحد ثانى عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى قبّة الأمير يشبك
- ١٨ التى بالمطرية وكشف على العمارة التى هناك ، فلما رجع دخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل . - وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه نزل
- السلطان وتوجّه إلى الروضة وأقام في خرطوم الروضة ، وأشيع بين الناس بأن
- ٢١ السلطان يقصد أن ينشئ هناك قصرا بأربعة وجوه . - وفي يوم الخميس سادس
- عشرينه كان ختم صحيح البخارى بالقلعة ، ونصب السلطان خيمة كبيرة (١٨٧ ب)
- بالخوش على العادة ، وحضر هناك القضاة الأربعة ومشايخ العلم وأعيان

الفقهاء ففرّقت عليهم الخلع والصرر لمن له عادة ، وكان ختما حافلا . - وفي يوم الأحد تاسع عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى نحو تربة العادل التي بالمطرية فجلس على المصطبة التي هناك وجربوا قدامه عدّة مكاحل بحجارة كبار ، فأقام ٢ هناك ساعة ثم عاد إلى القلعة . - وفيه عرض ناظر الخالص خلع العبد وكانوا في غاية الوحاشة . - وفيه نفق السلطان الكسوة والجامكية على عسكر الطبقة الخامسة .

وفي شوال كان عيد الفطر يوم الثلاثاء ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد وهو بالشاش والقماش ، وكان موكب العيد حافلا . - وفي يوم السبت خامسه نزل السلطان وعدّى إلى الروضة وبات بالمقياس تلك الليلة ، وأقام به يوم الأحد ٩ إلى بعد العصر ، ثم عدّى وطلع إلى القلعة وشق من الصليبية في موكب حافل وقدامه ولده وبعض أمراء ، وكان قدامه قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة وجماعة من الأمراء العشرات ، والأمير خاير بيك الخازندار أحد الأمراء المقدّمين وكان ١٢ صحبة السلطان في المقياس . - وفي يوم الاثنين سابعه توفي القاضي عرفات بن السجّان ، وكان من أعيان نواب الشافعية ، وكان لا بأس به . - وفي هذا الشهر أخلع السلطان (١٨٨٨ آ) على عبد العظيم الصيرفي وقرّره في التحدّث في أمر ١٥ الشون السلطانية وجهات الذخيرة ، فتعاضم عبد العظيم إلى الغاية وكبّر عمامته وصار من أعيان الرؤساء ، وركب الخيول ونسي ما جرى عليه من الضرب بالكسارات وعصر أكعابه بالمعاصير وحُرقت أصابعه بالنار ، فنسى ذلك كله ١٨ وصار في شمم عظيم . - وفي يوم السبت ثاني عشره نزل السلطان وتوجه إلى نحو قبّة يشبك الدوادار وبات بها ليلة الأحد ، ثم عاد إلى القلعة . - وفي يوم السبت المقدم ذكره وقعت كائنة عظيمة وهي التي عمّت وطمت ، وكان سبب ذلك أن ٢١ شخصا من نواب الحنفية يقال له غرس الدين خليل ، وكانت له زوجة حسنة

فهو بها شخص من نواب الشافعية يقال له نور الدين على المشالي واعتشر بها
 مدة طويلة ، فاتفق أن في ليلة السبت المقدم ذكره طلع غرس الدين خليل إلى
 الإمام الليث رضى الله عنه وبات به ، فأرسلت المرأة خلف نور الدين المشالي
 وأعلمته بأن زوجها خليل باث في الإمام الليث ، فاطمأن بذلك ثم أرسل إليها
 ما يلائم ، وكان بجوار بيت المرأة شخص تسميه الناس شُمَيْس ، وهو ابن أخت
 القاضي نور الدين الدمياطي ، وكان يهوى هذه المرأة وهي لم ترض به ، فلما تحقق
 أن نور الدين (١٨٨ ب) المشالي باث عندها تلك الليلة فصبر حتى طلع إليها
 نور الدين واستقر عندها في البيت ، فركب شمس الدين بن أخت الدمياطي وتوجه
 إلى الإمام الليث وأعلم خليل زوج المرأة بذلك ، فركب خليل من وقته وجاء إلى
 بيته فوجد الباب مقفولا ففتحه ودخل إلى البيت ، فوجد نور الدين وزوجته
 في الناموسية وهما تحت اللحاف متعانقان فقبض عليهما باليد .

فلما تحقق نور الدين المشالي أنه تعدى على خليل وطلع إلى بيته وفسق
 في زوجته فقصده تستر هذا الأمر فقال لخليل : أكتب لك عى مسطورا بألف
 دينار ولا تفضحنى بين الناس ، وقالت المرأة : خذ جميع ما في البيت من الأمتعة
 وستر هذه القضية والستر مطلوب ، فلم يوافق خليل على ذلك ، ثم أغلق عليهما
 الباب وأتى إلى دار حاجب الحجاب فقص عليه ما جرى له ، فأرسل حاجب
 الحجاب قبض عليهما ، فلما مثلوا بين يديه أقر نور الدين المشالي أنه طلع إلى
 بيت خليل وكان بينه وبين زوجته ما كان من أمر الزنا ، ثم إن حاجب الحجاب
 أحضر القاضي شمس الدين (١٨٩ آ) بن وحيش أحد نواب الشافعية فشهد على
 نور الدين المشالي بما أقر به على نفسه بالزنا وكتب خطه بذلك وكتب
 بذلك محضراً وثبت عليه ، ثم إن حاجب الحجاب عرى نور الدين المشالي وضربه

(١١) بعد كلمة « باليد » ورد في الأصل بيتان من الشعر رأى المحقق إهالهما ، ويمكن الرجوع إليهما

في طبعة إستانبول ص ٣٤١ م ١٠ . (٢٠) على نفسه . . . بذلك : جاءت في الأصل بعد « وضربه »
 في السطر التالي .

- ضرباً مبرحاً حتى كاد يهلك ، ثم ضرب الامراة على أكتاف المشاعلية ضرباً مبرحاً ،
ثم أمر بإشهارهما في القاهرة فأركب نور الدين المشالى على حمار وألبسه عمامته وأركب
الامراة أيضاً على حمار وأقبلوا وجوههما إلى خلف الحمار وطاقوا بهما في ٣
الصلبية والقاهرة وقناطر السباع ، وكان لهما يوم مهول ، ثم رجعا بهما إلى بيت
حاجب الحجاب ، فقررروا على الامراة مائة دينار لحاجب الحجاب فقالت الامراة :
أنا زوجى وضع يده على جميع مالى فلا أملك من الدنيا شيئاً ، فقالوا لزوجها : هات ٦
من مال زوجتك مائة دينار لحاجب الحجاب ، فلم يوافق على ذلك وامتنع فرسموا
عليه ، وكان لخليل ولد صغير يقرأ مع المقرّبين عند السلطان في الدهيشة ، فلما
رسموا على أبيه طلع إلى السلطان وذكر له ماجرى من أوّله إلى آخره ، فعند ٩
ذلك اتسع الخرق على الراقع وفشى الكلام بالمواقع ، فلما اتصل هذا الأمر بالسلطان
كان من الأمر ما سذكّره في موضعه . - وفي يوم رابع عشره (١٨٩ ب)
نزل السلطان إلى الميدان وأعرضوا عليه كسوة الكعبة والبرقع ومقام إبراهيم ١٢
عليه السلام والمحمل الشريف ، وكان يوماً مشهوداً . - وفي ذلك اليوم وقف
إلى السلطان بشخص قتيل يقال له قائم المّداف ، وكان من جملة الزردكاشية ،
فأنهوا أولاد القتل على أن بعض المماليك الأجلاب عزم عليه وأسكره ثم قام ١٥
إليه وخنقه بوتر حتى مات ، وكان بيد قائم هذا إقطاع ثقیل فقتلوه الجلبان بسبب
ذلك ، وكان له أولاد وزوجة فقُتِل ولم تنتطح في ذلك شاتان ، وحلّ السلطان
في أمره ولم يأخذ له بثأر . - وفي ذلك اليوم توفى الحاج رمضان مهتار الأشرف ١٨
قايتباى ، وقد قاسى في أواخر عمره أشياء كثيرة من شدائد وعمن ، وصودر غير
ما مرّة ، وضرب وعُصِر في أكعابه ، وباع بيوته في المصادرة وجميع ما يملكه ، وصار
يستعطي من الأمراء بالقصص ، وكان أصله من الصعيد ، وخدم الأشرف قايتباى ٢١
حين كان خاضكياً إلى أن بقى سلطاناً ، ورأى في أيامه من العزّ والعظمة ما لا رآه
غيره من المهاترة الذين سلفوا من قبله ، وكان بيده مهترّة الطشتخاناه الشريفة ونظر

- الكسوة الشريفة. والتحدث على جهات السلطان ، وكان غالب السعى لأرباب الدولة من بابيه ، ويقال كان (١٩٠ ت) متحصله في كل يوم نحو من أربعين ديناراً ،
- ٣ فسُلب ذلك منه جميعاً ومات فقيراً لا يملك من الدنيا شيئاً ، وكان قد شاخ وكبر سنّه ومات وهو في عشر الثمانين ، انتهى ذلك . - وفي يوم الأربعاء سادس عشره أرسل السلطان خلف القضاة الأربعة ، فلما حضروا بين يديه وبخهم بالكلام الفج وقال لهم : والله افتخرتم يا قضاة الشرع نوابكم شيء يشرب الخمر وشيء يزني وشيء يبيع الأوقاف ، وفي ذلك تسمية لقاضي القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة وكان هو المقصود بذلك الكلام ، ثم طلب المحضر الذى ثبت على القاضي شمس الدين بن وحيش ، فقال له ابن وحيش : أنا ثبت عندى رجمهما ، فانصاع السلطان لهذا الكلام وقصد بذلك إظهار العدل حتى يكتب ذلك في تاريخه أنه رجم من زنى في أيامه ، كما وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما عز وزينب الذى أمر النبي برجمهما ، فقال السلطان لابن وحيش : احكم برجمهما ، فقال ابن وحيش حتى يُنفذلى قاضى القضاة الشافعى ، فقال القاضى الشافعى : قد نفذت لك ذلك ، فانفصل المجلس على رجم المشالى والامراة وعلى أن يحفر لها حفرة ويُرجمها فيها ، ولو فعل السلطان ذلك في يومه لمشى أمر الرجم وقضى ذلك الأمر ، لكن عارض السلطان خروج المحمل (١٩٠ ب) وأمر الحجاج ، فأخّر هذه القضية لبعده خروج الحجاج . - فلما كان يوم الخميس سابع عشر شوال خرج المحمل من القاهرة في تجمّل زائد إلى الغاية ، وكان له يوم مشهود ، وحضر في هذه السنة ملكان من ملوك التكاثر ، فخرجوا في ركب وحدهم بعد خروج الحاجّ بأيام ورجعوا حبة الحجاج لما حضروا ، وخرج قدّامه القضاة الأربعة ، وكان أمير ركب المحمل قانصوه كُرت أحد الأمراء المقدمين ، وبالركب الأول الأمير طومان باى حاجب ثانى ، فخرجوا في موكب حافل وقدامهما الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء المقدمين . - فلما اشتغل السلطان بأمر خروج الحجاج فتعصّب لنور الدين المشالى

- شخص يقال له شمس الدين الزنكلوني أحد نواب الشافعية ، فكتب فتاوى على أن الرجل إذا زنى واعترف بالزنا ثم رجع عن ذلك الاعتراف فهل يسقط عنه الحد أم لا ، فدار بهذا السؤال على جماعة من العلماء ومشايخ الإسلام ، فكتب ٢ على ذلك السؤال الشيخ برهان الدين بن أبي شريف المقدسى الشافعى ، وكتب عليه جماعة آخرون من العلماء بمعنى ما أجاب به الشيخ برهان الدين بن أبي شريف أنه إذا رجع عن الإقرار يسقط الحد من رجم وغير ذلك من الحدود ، فلما بلغ السلطان ذلك اشتد غضبه على القضاة وقال : يا مسلمين (١٩١ آ) رجل يطلع إلى بيت رجل ويفسق في زوجته ويقبض عليه تحت اللحاف مع زوجته ويعترف الخصم بذلك ويكتب خطاً يده بما وقع منه يقولوا بعد ذلك له الرجوع ، فأمر بعقد مجلس بين يديه بالقلعة وأمر بأن القضاة الأربعة تحضر ومشايخ العلم قاطبة . فلما كان يوم الخميس رابع عشرين شوال حضر الأربعة قضاة وهم :
- ١٢ كمال الدين الطويل الشافعى وعبد البر بن الشحنة الحنفى ومحمى الدين يحيى بن الدميرى المالكى وعز الدين بن الشيشينى الحنبلى ، فجلسوا عن يمين السلطان وحضر شيخ الإسلام المنفصل عن القضاء زين الدين زكريا فجلس رأس الميسرة ، وجلس تحته الشيخ برهان الدين بن أبي شريف وحضر قاضى القضاة الشيخ برهان الدين ١٥ القلقشندى المنفصل عن القضاء ، وحضر الشيخ برهان الدين بن الكركى الحنفى ، وحضر غير ذلك من مشايخ العلماء جماعة كثيرة منهم الشيخ نور الدين الخلى والشيخ عبد الحق السبائى الشافعى وآخرون من المشايخ والفقهاء ، فلما تكامل ١٨ المجلس أخذ السلطان يتكلم مع الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، فقال لهم : كيف يكون رجل متزوج بامرأة ويطلع إلى بيته فيجد رجل أجنبى راقد مع زوجته تحت اللحاف ويعترف بالزنا ويقولوا (١٩١ ب) ٢١ له الرجوع ، فقال له ابن أبى شريف : شرع الله هذا ، وأرواه النقل في هذه المسألة ،

(١٢) ويحمى : ويحمى . (١٤) الميسرة : الميسر . (١٥) قاضى القضاة الشيخ :

والشيخ ، وردت قبل « القلقشنلى » في سطر ١٦

- فلم يلتفت إلى القول في ذلك وقال : أنا ما أنا ولا الأمر ولا النظر العام في ذلك ، فقال له ابن أبي شريف : نعم ولكن بموافقة الشرع الشريف وإن قتلتهما تلزمك ديتين عنهما ، فحقت منه وكاد أن يبطش به في المجلس ، ثم التفت إلى الشيخ زكريا وقال له : إيش قلت أنت في هذه المسألة ، قال : له الرجوع بعد الاعتراف وإذا رجع سقط عنه الحد ، فقال له السلطان : هذا يبقى في ذمتك ، فقال الشيخ زكريا : إيش كنت أنا هذا في ذمة الإمام الشافعي صاحب المذهب ، فذكر على أن السلطان قال له : أنت دهلت ما بقي لك عقل ، ثم التفت إلى قضاة القضاة وروبوهم بالكلام وقال : إئتوا الأربعة قوموا لا تروني وجوهكم قط ، فقاموا من ذلك المجلس وهم يتعشرون في أذيالهم ، وكان لهم يوم مهول ، فانفصل المجلس مانعا وحصل فيه كل سوء من مقت السلطان لهم ، ثم إن السلطان عزل الشيخ برهان الدين بن أبي شريف من مشيخة منبرسته وأشيع بنفيه إلى القدس ، وعزل محيي الدين يحيى بن الدميري من قضاء المالكية ومن خطابة جامعهم ، واشتد غضبه على (١٩٢ آ) قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة وكاد أن يبطش به ، وكان عنده من المقدمين الأخصاء ، وكان يبات عنده ثلاث ليالي في الجمعة وكان من ندمائه ، ويسافر معه إذا شوط ، وصار بيده الحل والعقد في أمور السلطنة ، فأقلب عليه كأنه لم يعرفه قط وكان بمنزلة جعفر البرمكي من هرون الرشيد ، الحمد لله . - ومما وقع في ذلك العقد المجلس بحضرة السلطان أن الشيخ نور الدين علي المحلى قال للسلطان : يا مولانا السلطان إن الذي صدر من مشايخ الإسلام بصحة الرجوع فهو الحق وهو نص ما نقله الإمام الشافعي وغيره من العلماء رضى الله عنهم أجمعين بعد القرار في أمر الزنا فلا عبرة بإقراره في ذلك ، فقال له السلطان : إن شاء الله تطلع إلى بيتك فتجد من يفعل في زوجتك الفاحشة كما فعل المشالي في زوجة خليل ، فقال له الشيخ نور الدين المحلى : عافانا الله من ذلك ، فشق كلامه على السلطان في الباطن ، وانفض ذلك المجلس من غير طائل ، وحصل للعلماء في ذلك المجلس غاية البهدة ولاسيما ما حصل للشيخ برهان الدين بن أبي شريف وأمره مشهور ، فكان كما يقال في المعنى :

- أجذر مُدَاخِلَةَ الْمُلُوكِ (١٩٢ب) وَلَانْكَنْ مَا عِشْتَ بِالتَّقْرِيبِ مِنْهُمْ وَانْقَا
فَالْغَيْثُ غَوْتُكَ إِنْ ظَمِئْتَ وَرَبَّمَا تَرَى بَوَاقُفُهُ إِلَيْكَ صَوَاعِقَا
- ٢ ويقال إن سبب تغيّر خاطر السلطان على قاضي القضاة عبد البرّ بن الشحنة
فإنه في أول الأمر وافق السلطان على أن الرجل والامراة يرجحان ، فلما أفتوا أنه
إذا رجع عن الإقرار يسقط عنه الحدّ فوافقهم عبد البرّ على ذلك ، فقال له
السلطان : أنت تقرّر معي شيئا وترجع عن ذلك كنت قلت لي هذا من الأول
٦ حتى عرفت أمر الرجوع بعد الإقرار ، فلما تحقق عبد البرّ أن السلطان متغيظ
عليه دار على الأمراء وكاتب السر بأن يشفعوا فيه عند السلطان ، ثم إن السلطان
رسم إلى يحيى بن نكار دوا دار الوالي بأن يسجن نور الدين المشالي الذي زنى ،
٩ فتوجه به إلى المقشرة وتوجه بالامراة إلى الحجرة ، انتهى ذلك . - وبعد مضى
الحجاج بخمسة أيام خرج ركب التكرور والمغاربة وعين معهم السلطان ثلاثة
من الدلّة يرشدونهم إلى الطريق فتوجهوا بهم من مخالصة غير مخالصة الحجاج ،
١٢ وفي هذه السنة حج الأمير بقر بن الأمير أحمد بن بقر شيخ العرب ، وحج
صحبته الجهم الغفير من الفلاحين . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع نزل السلطان
إلى الميدان وجلس به وأرسل أحضر شمس الدين الزنكلوني الذي دار على
١٥ العلماء بالفتوى بسبب نور الدين المشالي حين رجع عن (١٩٣آ) الإقرار ، فلما
حضر قال له السلطان : يازنكلوني حكمتك أنت بمشي وحكمي أنا يبطل ، ثم بطحه
على الأرض وضربه نحوا من ألف عصاة وضرب أولاده الاثنين كل واحد نحوا
١٨ من ستمائة عصاة ، وكان رفيقهم في هذه المسئلة ابن شريف الوكيل ، فلما بلغه ذلك
اختفى ، وكان المتعصّب عليهم في ذلك القاضي شمس بن وحيش وأوحى للسلطان
أن الزنكلوني وأولاده قد أسوا عليه وسبّوه فحرّض عليهم السلطان حتى جرى
٢١ ما جرى للزنكلوني ، ثم إن السلطان رسم بنى الزنكلوني إلى الواح فنزلوا

بالزئكلوني وأولاده وهم على وجوههم راكبين على حمير والدم يسيل من
أكماعهم . - وفي يوم الأربعاء سلخ الشهر أشيع بين الناس بأن الزئكلوني قد
٣ مات من شدة الضرب ، وأن أولاده في حال العدم . - وفي ذلك اليوم نزل
السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو قليوب ، وظن أن الشهر قد هلّ في ذلك اليوم
فنزل حتى لا يقابل القضاة ولا ينظر إليهم ، وقد كثرت الإشاعة بعزل القضاة الأربعة .
٦ وفي ذى القعدة كان مستهل الشهر يوم الخميس ، فطلع الخليفة وهناً في ذلك
اليوم ، فلما قام الخليفة من عنده ركب السلطان ونزل إلى دار البقر حتى لا يجتمع
على القضاة ، وكانوا القضاة قد جلسوا في الجامع فلم يجتمع عليهم السلطان (١٩٣ ب)
٩ ونزل سيّر ، فلما بلغ القضاة ذلك نزلوا من القلعة بخفتي حين . - ومن العجائب
أن من يوم عقد المجلس المقدم ذكره وحصل ما حصل على القضاة بسبب الفتوى
في أمر الرجوع ، فصّرّح السلطان في ذلك اليوم بعزل القضاة الأربعة ، فأقامت
١٣ مصر شاغرة نحواً من خمسة أيام لم يُعقد فيها عقد نكاح ولا وقع فيها أحكام شرعية ،
وأغلقت الشهود دكاكينهم قاطبة ، وتعطلت أحوال مصر واضطربت في تلك
الأيام إلى الغاية ، ورسم السلطان للوالى وقال له : كل من وجدته من الفقهاء وهو
١٥ سكران فاقبض عليه وأنا ألبسك كاملة مخمل بصمور وأركبك فرس بكنبوش ،
وأشيع بين الناس أن السلطان قال : لا يدخل على أحد من المباشرين وهو لا يس
عمامة ، من بُغضه في الفقهاء ، فكانت القراء إذا دخل أحد منهم على السلطان فيلبس
١٨ له زمط وعليه شدّ ملفوف ، وأشيع أن الزيني بركات بن موسى لبس له تخفيفة
ودخل على السلطان فضحك عليه ، وكذلك القاضي علاى الدين ناظر الخاص
لبس له تخفيفة ودخل على السلطان فقال له : بقيت مثل الممالك الجراكسة . -
٢١ ومن الحوادث في يوم مستهل هذا الشهر سقط ربع تجاه باب الوراقين على رأس
عطفة الخراطين ، فقتل تحت الردم شخص بيّاع جزر ، فأت هو والحمار من وقته

تحت الردم . - وفيه كثر الكلام بسبب (١٩٤٢) عزل القضاة ، فنزل
السلطان إلى الميدان ، فلما جلس به قام الأتابكي سودون العجبي والأمير
أركناش أمير مجلس والأمير طوماى باى الدوادار وغير ذلك من الأمراء المقدّمين ٣
والقاضي كاتب السرّ ، فقاموا في صعيد واحد وباسوا الأرض للسلطان ثم شفعوا
في القضاة الأربعة ، فلما سمع السلطان ذلك حتى على الأمراء وحلف بحياة رأسه
أنه ما يُعيد أحداً من القضاة إلى وظيفته وصمّم حل ذلك ، وقد قلت في ٦
هذه الواقعة :

سلطاننا عزل القضاة لحادث قد شاع في مصر وعمّ الأسميّة
مُنذ خالفوه وحاولوا عن أمره نفذ القضاة فيهم بعزل الأربعة ٩
ولم يتفق قط أن القضاة الأربعة يُعزلون كلهم في يوم واحد إلا في هذه
الواقعة التي جرت فعُدّ ذلك من الوقائع الغريبة . - ولما كان يوم الجمعة ثانيه
أرسل السلطان يقول للقاضي كاتب السرّ : ابصر لنا من يخطب ويصلي بنا صلاة ١٢
الجمعة ، فذكر له الشيخ علاى الدين الإخيمى الشهير بالنقيب ، وكان يخطب في جامع
الشيخ عبد القادر الدشوطى ، وكان علامة في الخطب والقراءة في المهراب ،
فلما ذُكر للسلطان قال : أعرفه ، وكان تقدّم للشيخ علاى الدين أنه خطب بالسلطان ١٥
قبل ذلك عدة مرار في أيام قاضى القضاة ابن أبى شريف وفي أيام قاضى القضاة
ابن فرفور ، وكان الشيخ علاى الدين (١٩٤ ب) له شهرة طائلة عند الأتراك ،
وكان علامة في الرى بالنشاب عارفا به وكان له اليد الطولى في ذلك ، وكان ١٨
عارفا باللغة التركية ، وقد حوى كل فن من علوم شتى وهو نادرة عصره ، فأرسل
القاضي كاتب السرّ خلف الشيخ علاى الدين فتوجه إليه الحاج على الأسمر
البردار ، فقال له : القاضي يقول لك اطلع واخطب بالسلطان ، وكان يومئذ علامة ٢١
عصره في أمر الخطبة ، فقيل إن الشيخ علاى الدين لما أراد أن يطلع يخطب
بالسلطان توجه إلى قاضى القضاة كمال الدين الطويل واستأذنه في ذلك قبل أن

يطلع ، فقال له : اطلع واخطب على بركة الله تعالى ، فطلع في ذلك اليوم وخطب
بالسلطان فشرح أمره بأن يلي القضاء ، وكان ذلك من الأمور الربانية والسرّة
المكنون ، وقيل في أمثال الصادح والباغم في المعنى :

الرزق بالحظ وبالتقدير وليس بالسعي ولا التدبير

ومنه :

تنال بالرفق وبالثبات ما لم تنل بالحرص والتعنى

- ١ وفي يوم الثلاثاء سادسه رسم السلطان بتوسيط مملوك من مماليكه وقد قتل
قتيلا ، فلما عرضوه على السلطان أراد ضربه بين يديه فتعترس قدام السلطان
- ٢ فحتمق منه فرسم بتوسيطه ، فوسطوه في الرملة . - وفي يوم الأربعاء سابعه
كانت كاتبة نور الدين المشالي والامراة ، وذلك أن السلطان رسم بشتقهما ، فأمر
يحيى (١٩٥ آ) بن نكار بأن يتوجه إلى دار الشيخ برهان الدين بن أبي
- ٣ شريف وينصب على بابه مشنقة ، وكان ساكنا في بيت أبي البقا بن الجيعان
في حارة أولاد الجيعان ، وكان السلطان تقصد ذلك عمدا بسبب المقت في حق ابن
أبي شريف لكونه أفتى بأمر الرجوع فاشتد غضب السلطان عليه بسبب ذلك ،
- ٤ وأشيع بنفيه إلى القدس بطالا ، فلما توجه يحيى بن نكار دوا دار الوالى إلى بيت ابن
أبي شريف ونصب المشنقة على بابه فظنوا عياله أن الشيخ هو الذى يُشَنَّق
فقاموا بالصراخ واللعن والبكاء ، ثم أسفرت القضية على شق نور الدين المشالي
- ٥ والامراة ، فنصبوا لها مشنقة على باب ابن أبي شريف وأحضروا نور الدين المشالي
من المقشرة وأحضروا الامراة من الحجرة وشنقوها على باب ابن أبي شريف ،
- ٦ ورسم السلطان بأن يُشَنَّقا في حبل واحد ويجعلوا وجه الرجل في وجه الامراة
فصلبت الامراة وهى يلزارها وعليها أثوابها مسبولة ، فلما شُنِّقوا جاءوا الناس
- ٧ أفواجا أفواجا يتفرجون عليهما من كل فج عميق ، وقد قلت في هذه الواقعة :
- ٨ لقد صلب السلطان من كان زانيا وأظهر في أحكامه مسلكا صعبا
فقلت لأرباب الفسوق تأدبوا فحد الزنا قد صار في عصرنا صلبا

(١٩٥ ب) وفي ذلك يقول الأديب محمد بن الصايغ :

أيا لهما من عاشقين عليهما قضي من قضى بالموت حتماً واشتقاً
فقلبيهما عند الحياة تألفا وجسميهما عند الممات تغلقا ٣
ببعضيهما متعلقان أولئكَ يكن لجسميهما روحان كانا تعانقا

وقد تقدم للأشرف قايتباي أنه صلب جارية بيضاء جركسية من جوار حريمه
وقد حملت من بعض مماليكه في طريق الحجاز ، فلما وضعت ذلك الجنين قتلتها من
خوفها ، فلما بلغ السلطان ذلك شنعها لكونها قتلت قتيلا ، فصلبها في طريق حدرة
ابن قميصحة عند درب نكار على شجرة عند الأحواض ، فصلبت بإزارها ،
وأما المملوك خصاه وقطع محاشمه ، فعُد ذلك من النوادر . — فأقام نور الدين المشالي
والامراة التي زنى بها يومان لم يدفنا ثم شاوروا السلطان في دفنها فأذن في ذلك ،
وكان لهما يوم مهول . — وفي ذلك اليوم أرسل السلطان يقول لناظر الخاص اطلع
غدا معك بأربعة تشاريف لأجل القضاء الأربعة . — فلما كان يوم الخميس ثامن هذا
الشهر طلب السلطان القضاة الذين عزم على ولايتهم فحضر الشيخ علاي الدين ابن
الشيخ جلال الدين الإخيمى النقيب والشيخ شمس الدين السمديسى إمام مدرسته
وموئدب ولده والشيخ جلال الدين عبد الرحمن (١٩٦ آ) بن الشيخ زين الدين ١٥
قاسم بن قاسم والشيخ شهاب الدين أحمد بن عز الدين عبد العزيز الفتوحى الشهير
بابن النجار ، فلما حضروا أفاض عليهم التشاريف وأحضر لهم أربعة بغال مكففة
بالعدد الفاخرة ، فقررّ الشيخ علاي الإخيمى في قضاء الشافعية عوضا عن القاضى
كمال الدين الطويل بحكم انفصاله عن القضاء ، وقررّ الشيخ شمس الدين السمديسى
في قضاء الحنفية عوضا عن القاضى عبد البر بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء ،
وقررّ الشيخ جلال الدين بن قاسم في قضاء المالكية عوضا عن محيى الدين يحيى ١٨
ابن الديميرى بحكم انفصاله عن القضاء ، وقررّ الشيخ شهاب الدين الفتوحى في قضاء

الحنابلة عوضا عن عز الدين الشيشيني بحكم انفصاله عن القضاء ، فأُخلع السلطان على الأربعة قضاة في ساعة واحدة حتى عُدد ذلك من النوادر الغربية ، فلما نزلوا من القلعة تلقاهم جماعة النوّاب من الأربعة مذاهب فكانوا نحوا من ثلاثمائة نائب ، فرجّت لهم القاهرة . - وفي القاضي علاى الدين الإخيمى يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

- ٩ قاضى القضاة علاى الدين أنت لها كفو لتنفيد أحكام بأحكام خليفة الشافعى فى الحكم صرت قدّم (١٩٦ب) جبرا إذا لاح كسر الدين كلام يعنى كالميرهم فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشهوداً ، فشقّوا من القاهرة فى موكب حافل ، وكان قدامهم العلاى ناظر الخاصّ وجماعة من أعيان الناس ، فاستمروا فى هذا الموكب حتى نزلوا بالمدرسة الصالحية النجمية كما جرت به العادة ، فاصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ولاقتهم الرسل مشاة يقولون : الدعا مولانا
- ١٢ السلطان بالنصر أدام الله أيامه ، ولم يقع قط فيما تقدم من الدول الماضية أن السلطان ولّى القضاة الأربعة فى يوم واحد ، فعُدّ ذلك من النوادر الغربية التى لم يُسمع بمثله قط ، وقد وقع فى أيام الظاهر خيّمه أنه ولّى قاضى القضاة صلاح الدين المكيى عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى ولّى قاضى القضاة بزهان الدين الدميرى عوضا عن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى فنزلوا من القلعة وعليهما التشايرى فى يوم واحد ، فعُدّوا ذلك من النوادر الغربية فلا سيما بولاية هؤلاء الأربعة فى يوم واحد ، وأعجب من هذا أن السلطان لم يأخذ من هؤلاء القضاة الذين تولّوا ولا الدرهم الفرد ، وقد فاته فى ولاية هؤلاء القضاة الأربعة نحو اثني عشر ألف (١٩٧آ) دينار ، فعُدّ ذلك من النوادر الغربية ولا سيما من الأشرف الغورى ، فكانت ولايتهم على وجه العز والإقبال من غير سعى ولا كلفة بخلاف ما وقع لغيرهم من القضاة فيما تقدم ، فعُدّ لهم ذلك من

جملة السعد ، وقد قلت في هذه الواقعة هذه الأبيات :

- إمام الورى ولتى قضاء لشرعنا فهم أربع وهى البدور الطوالع
فمنهم علاى الدين قاض معظم بدا نوره بن الورى [وهو] ساطع ٣
ومنهم إمام جيت شاع زهمده على مذهب النعمان لله طائع
ومنهم عريق الأصل من نسل قاسم أتى مالكى للموطأ تابع
ومنهم فقيه تابع لابن حنبل أنه فتوح العلم أولاه صانع ٦
بهم بنية الإسلام صحت وكيف لا تصيح وهم أركانها والطابع
فلا عجب إن وسع الله فى الهدى مذاهبنا بالعلم فالشرع واسع
وكان السلطان لما ولتى هؤلاء القضاة قرر معهم بأن يخفوا من نوابهم . — فلما ٩
كان يوم الجمعة طلع القاضى علاى الدين وخطب بالسلطان ، فلما انتهى أمر الصلاة
عرضوا على السلطان قوائم بأسماء النواب من الأربعة مذاهب ، فرسم للقضاة الأربعة
بمائة نائب للقاضى الشافعى أربعين نائبا (١٩٧ ب) وللقاضى الحنفى ثلاثين نائبا ١٢
وللقاضى المالكى عشرين نائبا وللقاضى الحنبلى عشرة نواب ، وقرر معهم أن لا يولوا
أحدًا من النواب إلا بإذنه ، فانفصل المجلس على ذلك . — وفى يوم السبت غاشره
نزل السلطان من القلعة وأشيع سفره إلى وادى العباسية ، فلما نزل توجه إلى قبة ١٥
يشبك التى بالمطرية فبات بها ، وكان صحبته الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء
المقدمين قاطبة ، خلا أمير آخور كبير وطقطباى نائب القلعة وخاير بك الخازندار ،
فكان معه الجم الغفير من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية ، فرجت ١٨
لهم القاهرة فى ذلك اليوم ، فأقام السلطان فى قبة يشبك إلى يوم الأحد فرحل
من هناك هو والأمراء قاطبة ، وكان صحبته من البرق والسنج ما يعادل سفر
البلاد الشامية .

٢١

- وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره توجه قاضى القضاة الشافعى علاى الدين
الإخيمى إلى درس المدرسة الصالحية النجمية ، وهو أول حضوره إلى الدرس ،
فخصدّر للتدريس بها فأبدى فوائد كثيرة وقواعد جلييلة مع الفصاحة وحسن ٢٥

التأدية ، فقال في ذلك صاحبنا الشيخ شمس الدين أبو اليُمن السنهوري وأجاد في ذلك حيث قال :

٣ لدرس الصالحية جثتُ حُبًّا إلى قاضي القضاة أي العلاء
علاء الدين الإخيمي فأبدي قواعدا من علوم مع ثناء
ولا عَجَب لما أبدي فإنَّ قواعد من تأليف العلاء
وقال الناصري محمد بن قانصوه :

٦ قاضي القضاة (١٩٨ هـ) علاء الدين أنت لها كفو لتنفيد أحكام بأحكام
خليفة الشافعي في الحكم ضرت قدُمُ جيرا إذا لاح كسر الدين كلام
٩ ولما تمَّ أمر القاضي علاء الدين في القضاء جاء على الوضع وافر الحرمة
نافذ الكلمة وله يد طائلة في معرفة أمور القضاء ، فكان كفوا لذلك ، وكان
ديتنا خيرا ما عهد له صبوة قط ، مطرح النفس عفيفاً عن الرشوة من حين كان
١٢ نائبا وإلى أن بقى قاضي القضاة ، فهو من أهل الفضل والدين ، ثم إنه قرّر الشيخ
محلي بأن يتولى أمور بابه بما يردُّ عليه من الفتاوى وغير ذلك . - وفي يوم الثلاثاء
المقدم ذكره كانت وفاة الأمير جانم السيفي قاني باي الفهلوان الذي كان دوا دار
١٥ الأمير يشبك من مهدي الدوادار ، وجانم هذا هو الذي أنشأ المدرسة اللطيفة التي
تجاه جامع قوصون ، وكان ديتنا خيرا لا بأس به ، وكان قد كبر وطعن في
السن . - وفيه حضر سيف تمارز نائب قلعة حلب ، وكان تولى نيابة قلعة البيرة
١٨ وعينتاب . - وفيه جاءت الأخبار من البحيرة (١٩٨ هـ) بوفاة الجويلي شيخ
مشايخ عربان البحيرة ، وكان محمود السيرة في اقامة لطرده العربان المفسدين عن
البلاد ، وكان في سعة من المال ، فلما مات تقرّر بعده ابن أخيه في مشيخة البحيرة -
٢١ وفي يوم الخميس خامس عشره فرقت الجامعة في غيبة السلطان ، فحضر الأمير
طقطباي نائب القلعة والأمير خايز بيك الخازندار وشمس الدين بن عوض وكتاب

(٦ - ٨) وقال ... كلام : جاءت في الأصل بعد « وأجاد في ذلك » في سطر ١

(١٩) اقامه : كذا في الأصل .

(تاريخ ابن لباس ج ٤ - ٢٢)

الممالك ، وفُترت الجامية على العسكر وحصل السداد في غيبة السلطان . - وفي يوم الجمعة سادس عشره كان السلطان مسافرا ، فلم يطلع القاضي الشافعي في ذلك اليوم ولم يصل بالقلعة بل صلى في جامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ، ولم يخطب ٣ هو به في ذلك اليوم - وفي يوم السبت سابع عشره عاد السلطان من تلك السرحة وقد وصل إلى العكرشا ثم عاد ، فكانت مدة غيبته في هذه السرحة ثمانية أيام ، وقد تكلفت الأمراء كلفة زائدة ، وكان أشيع أنه يسرح في البلاد الشرقية ويتوجه ٦ إلى وادي العباسة فلم يصح ذلك ، ولما رجع نزل بالوطاق بالريديانية وبات به ليلة الأحد وأحرق هناك إحراقه فقط ، فلما كان يوم الأحد أوكب السلطان من هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة (١٩٩ آ) ولبس التخفيفة الناعورة ، ٩ وركب قدّامه الأمراء قاطبة والمباشرين ولافته القضاة الأربعة من رأس الحسينة ، ولم تكن هذه عادة أن السلطان إذا خرج وشوط تلاقيه القضاة الأربعة ولكن عملوا ذلك خدمة له كونهم تولّوا جدد ، فشق من القاهرة في موكب حافل ، وكان ١٢ له يوم مشهود ، على حكم الموكب المقدّم ذكره قبل ذلك ، وقد انشرح في هذه السفرة وتصيد ودخل عليه تقادم كثيرة من كاشف الشرقية وشيخ العرب ، من خيول وبقر وغنم وغير ذلك ، ولكن حصل للمقطعين غاية الضرر وقد أفرد ١٥ الكاشف وشيخ العرب على البلاد خيولا وأغناما وأبقارا ومبلغا ، وحصل بسبب ذلك ما لاخير فيه ، وكان السلطان أخذ معه محفة على أنه يتوجه من هناك إلى السويس ، فلم يتم له ذلك ورجع عن قريب . - وفيه كانت وفاة الزيني فرج ١٨ أحد الأمراء المقدمين الألوف ابن بُرد بيك أحد الحجاب ورأس باش البريدية ، وكان من أعيان أولاد الناس ، وكان رئيسا حشما من ذوى العقول ، وقاسى في أواخر عمره شدائد ومحن وصور وأقام في الترسيم مدة طويلة ، وباع جميع ما يملكه ، ٢١ وكان شاخ وكبر سنّه (١٩٩ ب) وجاوز الثمانين سنة من العمر . - وفي يوم الاثنين سادس عشرينه توفيت نور كلدى الجركسية زوجة الأمير خاير بيك أحد ٢٤ المقدمين الذي كان كاشف الغربية ، وهي بنت أخت خوند الجركسية قرابة الملك

- الظاهر جقمق ، وكانت شابة جميلة حسنة ، فكان لها مشهد حافل ، ومشت قدّامها
الأمراء قاطبة ، وصُلّي عليها في سبيل المؤمني ، انتهى ذلك .
- ٢ وفي ذى الحجة كان مسهلّ الشهر يوم الجمعة ، فصعد الخليفة للتهنئة بالشهر ،
وصعدت القضاة الأربعة الذين تولّوا جدد ، فجلس كلّ منهم في منزلته على العادة ،
وكان السلطان في الميدان . - وفي يوم الاثنين رابعه رسم السلطان لنقيب
٦ الجيش بأن يقبض على أولاد الزنكلوني الذي مات تحت الضرب ، فشكّهما
في الحديد ، ورسم له السلطان بأن يرسلهما إلى جهة الواح في مكان يسمّى موط
وهو كثير العقارب والموام ، فقبض عليهما وأرسل صحبتهما متسفرا وأخذ منهما
٩ خمسة عشر ديناراً ، وقد كفى ما جرى عليهما . - وفي يوم الأحد كان
عيد النحر ، وكانت الأضحية مشتطة في السعر ولا توجد بسبب أذى الممالك
وخطفهم للأغنام والأبقار ، وأعجب من هذا أن الملح حرّج السلطان على بيعه
١٢ وحكره ، (٢٢٠٠) فعزّ وجود الملح حتى أبيع كل أردب ملح بثمانمائة درهم ،
وهذا قط ما اتفق فيما مضى من السنين ، وعزّ وجود الفحم حتى أبيع كل قنطار
بثمانية أنصاف ، وكذلك الشعشاع حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وكان
١٥ السلطان حرّج على بيع الخشب السنط بسبب عمارة المراكب ، وصاروا يقطعون
أشجار الناس من الغيطان غصبا باليد ويرسلونه إلى السويس لأجل عمارة
المراكب التي هناك ، وعزّ الكبريت أيضا حتى أبيع كلّ رطل بثمانية أنصاف
١٨ ولا يوجد إلا قليلا - وفي يوم السبت سادس عشره نزل السلطان باكر
النهار وعدّى إلى برّ الجزيرة ، وكان صحبته الأتابكي سودون العجمي وبقية
الأمراء المقدمين قاطبة والأمراء الطبلخانات والعشرات والجملّ الفقير من الخالصكية
٢١ والممالك السلطانية ، فنصب له وطاقا في المنية وأشيع بين الناس أنه يتوجّه من
هناك إلى جهة القيوم حتى يكشف على الجسر الذي عمره الأمير أوزمك الناشف ،
وكان تقدم له أنه في أواخر السنة الخالية توجه أيضا إلى القيوم ، ثم إن السلطان
-
- (٩) الأحد : أحد . (١٧) المراكب التي هناك : كتبت في الأصل بعد « إلا قليلا » في السطر التالي .

- أخذ صحبته محفة فتحقق عند الناس أنه لا بدّ أن يشوّط من هناك إلى مكان يختاره . - وفي يوم الاثنين (٢٠٠ ب) ثامن عشره نُفقت الجامكية على العسكر في غياب السلطان . - وفي أثناء هذا الشهر قُتل شخص من المماليك السلطانية ٣ يقال له برسبای حُدّاية ، وكان أصله من مماليك الظاهر خشقدم ، فوجلوه مذبوحا في داره هو وعبداه ولا يعلم مَنْ قتله ، ويقال إن بعض المماليك الأجلاب قتله لأجل إقطاعه ، وكان غير مشكور السيرة . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره جاءت ٦ الأخبار بأن السلطان لما توجه إلى برّ الجزيرة نزل بالمنية التي عند إنابة ، ثم توجه من هناك إلى المنصورية ونصب بها الوطاق هو والأمراء وأقام بها أياما ، وصار يركب من هناك ويسير ويتصيد ، وقيل إنه توجه إلى جسر أمّ دينار وكشف ٩ عليه ثم رجع إلى الوطاق . - ثم إنه في يوم الجمعة رحل من المنصورية وعاد إلى إنابة فأقام بها ذلك اليوم ، وكان أشيع بين الناس بأن السلطان يحرق هناك في ليلة السبت إحراقة نפט ، فتوجهت إليه الناس أفواجا أفواجا بسبب الفرجة فلم يصحّ ١٢ أمر النفط هناك ، وقد استخفت عقل السلطان جماعة من الأمراء في هذه التشوطة التي شوّطها في هذه الأيام الشتائية ، وقد حصل للأمراء والعسكر غاية الكلفة والمشقة من غير سبب يوجب ذلك ، وكان السلطان أخذ صحبته محفة وقويت ١٥ الإشاعة بين الناس (٢٠١ آ) بأن السلطان يتوجّه من هناك إلى الفيوم وقيل إلى نجر الإسكندرية فلم يصحّ ذلك . - فلما كان يوم السبت ثالث عشرينه صلى السلطان العصر بالوطاق ، ثم غدّى من هناك إلى بولاق وقصد التوجّه إلى القلعة ، ١٨ فطلع من على قناطر السباع وشقّ من الصليية ، وكان في موكب هين بخلاف ستة أنفس وهم : الأمير طومان باي الدوادر والأمير علان الدوادر الثاني أحد المقدمين والأمير أنصبای حاجب الحجاب والأمير تمر أحد المقدمين والأمير ٢١ خاير بيك الكاشف أحد المقدمين والأمير مامای جوشن أحد المقدمين وبعض أمراء عشرت وبعض خاصكية مشاة ، وكان قدامه جماعة من أرباب الوظائف من

أعيان المباشرين، خلا القاضي كاتم السر ابن أجا فإنه كان عليلا منقطعاً عن الركوب، وكان السلطان والأمراء بنخافيف صغار وسلاريات صوف بصمور، وكان قدام السلطان بعض جنائب ونوب همجن، وكان قدامه طبلان وزمران والنفير البرغشي ٢
فطلع إلى القلعة قبل المغرب بخمس درجات، فكانت مدة غيبته في هذه التشوطة ثمانية أيام. - وفي يوم السبت المقدم ذكره حضر مبشّر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة، وقد وصل من مكة إلى (٢٠١ ب) القاهرة في أحد عشر يوماً فعُدّ ذلك من التواذ، انتهى ذلك. - وقد خرجت هذه السنة المباركة عن الناس على خير وسلامة، وكانت سنة مباركة وقع فيها الرخاء في سائر الغلال، وأخصب فيها الزرع والفواكه والبطيخ، وكان النيل فيها عالياً وثبت إلى أواخر بابه، وكانت سنة مباركة غير أنها كانت كثيرة الحوادث، ووقع فيها الطاعون في أوائلها، وحصل فيها توعك للسلطان في عينه حتى أشرف على العناء ثم شفى من ذلك، وحصل فيها عزل للقضاة الأربعة في يوم واحد وولى السلطان أربعة قضاة عوضهم في يوم واحد، وكان السلطان أبطل الجامعة والمشاهرة التي كانت تؤخذ من جهات الحسبة ففرحوا الناس بذلك، ثم بدا للسلطان بإعادة ما أبطله من وجوه المظالم فشق على الناس ذلك، وكانت جهات الشرقية والغربية في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان لموت الجويل وجور الكشاف ومشايخ العربان، والأمر في ذلك كله إلى الله تعالى.

ثم دخلت سنة عشرين وتسعمائة

١٨

فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم الأحد المبارك، فكان الخليفة يومئذ الإمام المتوكل على الله محمد بن الإمام المستمسل بالله يعقوب بن الإمام المتوكل على الله عبد العزيز، وسلطان الديار المصرية (٢٠٢ آ) الملك الأشرف أبو النصر ٢١
قانسوه الغوري عز نصره، وأما القضاة الأربعة أئمة الدين فالقاضي الشافعي علاي الدين الإخمسى والقاضي الحنفي شمس الدين بن القيب محمد السمديسي

الإمام والقاضي المالكي جلال الدين عبد الرحمن ابن الشيخ زين الدين قاسم بن قاسم والقاضي الحنبلي شهاب الدين أحمد الفتوحى الشهير بابن النجار ، وأما الأمراء المقدمون فالأمير سودون من جاني بيك الشهير بالعجمي أنابيك العساكر ٢ بالديار المصرية والأمير أركماس من ولى الدين أمير مجلس ، وكانت أمرة السلاح يومئذ شاغرة ، وبقية الأمراء المقدمين على حكم ما ذكر في السنة الخالية ، وفي هذه السنة تكاملت عدة الأمراء المقدمين سبعة وعشرين مقدم ألف ، ويأتى الكلام على اسمائهم في مواضعه ، وذلك خارجا عن أمرة السلاح فإنها كانت شاغرة . - وأما أرباب الوظائف من المباشرين فالقاضي بلر الدين محمود بن أجا الحلبي صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وبقية المباشرين على حكم ما تقدم ذكره في السنة الخالية . - فلما كان مستهل الشهر طلع الخليفة والقضاء الأربعة للتهنئة بالعام الجديد ، فبالغ السلطان في إكرامهم وقام إليهم فسلموا ونزلوا إلى دورهم . - وفي يوم الثلاثاء ثالثه جلس السلطان بالميدان وعيّن إلى خاصكيته خوذا (٢٠٢ ب) ولبوس ١٢ خيل من خاصات البركستوانات ، وقبل ذلك بمدة فرّق عليهم سيوفا مسقطة بفضة وزرديات عال ، حتى فرّق عليهم التراكيش والقسى وقد اعتنى بهم بخلاف من تقدّمه من الملوك ، فإنه كان ينعم عليهم في الباطن والظاهر بالمال والإقطاعات ١٥ والقماش الفاخر وغير ذلك . - وفي يوم الأربعاء رابعه وُجد في سوق الغنم شخص من المالك القرائصة وهو قتيل ، وقد خُتق بوتر في رقبته وعروّه من أثوابه وأرموه على قارعة الطريق ولم يعلم من قتله ، فقبل إن ذلك من فعل المالك ١٨ الأجلاب بسبب إقطاعه وقد فعلوا مثل ذلك بجماعة كثيرة من المالك القرائصة بسبب إقطاعاتهم ، فقتلوا ولم تنتطح في ذاك شاتان ، وقد اضطربت الأحوال في هذه الأيام إلى الغاية وصارت المالك يقتلون من يلوح لهم عليه مضرب لأجل ٢١ إقطاعه ، وإذا عرضوا من يقتل على السلطان فيتغافل عن ذلك ، والأمر إلى الله تعالى . - وفي يوم الخميس خامسه تغيّر خاطر السلطان على الأمير جاني بيك

- الاستادار فقبض عليه وأودعه في الترسيم حتى يقيم الحساب ، فانتدب إلى عمل حسابه شمس الدين بن عوض والشرقي يونس النابلسي الذي كان أستاذارا ،
- ٣ فالزموا بأن يبقوا عليه في (٢٢٠٣) حساب الديوان المفرد خمسة وثلاثين ألف دينار ، فاستمر في الترسيم بالقلعة حتى يكون من أمره ما يكون ، وكان جاني بيك ظالما عسوفاً غير محبب للناس ، فلم يرث له أحد في هذه الكائنة التي وقعت له . -
- ٦ وفي يوم السبت سابعه تعطل اللحم الذي كان يطلع إلى طباق المالك الأجلاب فضجوا في ذلك اليوم وكادت أن تقع فتنة كبيرة ، وكان الوزير يوسف البدرى مسافرا في جهة البحيرة وديوان الدولة في غاية الاضطراب ، وقد تعطلت لحوم
- ٨ جماعة من المالك القراصنة نحو من ستة أشهر لم تصرف لهم من حين عزل المعلم على الصغير ومات عقيب ذلك ، فكثر الكلام في حق السلطان من المالك وربما ينتشى من ذلك فتنة ، وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة
- ١٢ وديوان الخاص في غاية الانشحات والتعطيل ، فإن بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه القطائع في السنة الحالية ، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحو من ست
- ١٥ سنين ، وكذلك جهة دمياط ، وكانت جهة البحيرة في هذه الأيام في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان من حين مات الجولي وولي ابن أخيه عوضه . - وفي يوم
- السبت المذكور نزل السلطان وتوجه إلى قبة الأمير يشبك (٢٠٣ ب) التي بالمطرية وأقام بها ذلك اليوم ، كل هذا من ضيقة حضرته من أجل هذه الأحوال
- ١٨ التي هي غير صالحة ، والأمر إلى الله . - وفي يوم الأربعاء حادى عشره جلس السلطان بالحوش وعرض جماعة من خاصكيته فقط وفرق عليهم خوزا نحو ثمانمائة
- ٢١ خوزة ، وفرق عليهم أيضا بركستوانات ما بين غملم ملون وفولاذ وذلك نحو ستمائة بركستوان ، وكان قبل ذلك بمدة يسيرة فرق عليهم زرديات وأتراسا ورمحا بسن وسيوفا مسقطعة بفضة وفرق عليهم أيضا تراكيش وقسيًا ونشابا ، وكان
- (٨) لحوم : نحوه . (١٢) بندر : بعد . (١٣) القطائع : كذا في الأصل ، ولعله يقصد البضائع . (١٩) غير صالحة : وغير صالحة .

ذلك بالزردخاناته من مواجيد الممالك الذين ماتوا في الفصل في السنة الحالية ، ولم يفرق موجودهم إلا في هذا الشهر . - وفي يوم الاثنين سادس عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر ، وفي هذا الشهر حسن ببال السلطان أن يضيف ٣ الطبقة الخامسة التي جددها برسم العسكر الملقق ، فوزع ذلك العسكر على الطباق الأربع كما كانوا في الأول ، وأبطل أمر الطبقة الخامسة ، وصار العسكر شيئا واحدا في تفرقة الجامكية . - وفي يوم الخميس تاسع عشره دخل الحاج إلى بركة ٦ الحاج ، فدخل الركب الأول وقد جدّ في السير أمير الحاج طومان باي حاجب ثاني فخرق (٢٠٤ آ) العوائد في دخوله في التاسع عشر من المحرم ، فدخل القاهرة وطلع إلى القاعة في يوم الجمعة عشرينه ، فأخلع عليه السلطان وشكره على ذلك . - ٩ وفي يوم السبت حادى عشرينه دخل المحمل الشريف إلى القاهرة وطلع أمير ركب المحمل الأمير قانصوه كرت أحد الأمراء المقدمين ، فأخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل إلى داره في موكب حافل ، ورجعا والحجاج راضية عنهما فيما ١٢ فعلاه في طريق الحجاز ، وفي هذه السنة رجع من الحجاز القاضي شمس الدين التتاي المالكي أحد النواب ، وكان مجاورا بمكة ثلاث سنين ، ورجع سيدى خليل ابن عم الخليفة ، وكان مجاورا بمكة فرجع وهو مريض على خطة لا يعي ، فلما ١٥ توجه إلى داره أقام بها إلى يوم الاثنين ثالث عشرينه وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، وهو خليل بن محمد بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله العباسى الهاشمى القرشى ، وكان رئيسا حشما بهي المنظر شائب اللحية ، وكان في عشر السبعين لما مات ، ١٨ فكان له جنازة حافلة ودفن على أبيه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وقد كبر سنه وشاخ ولم يل الخلافة لا هو ولا أبوه محمد ولا جدّه يعقوب ، وكان خليل هذا طامعا بأن يلى الخلافة فلم يقسم له ذلك وجاءه الموت على غرة ، ٢١ (٢٠٤ ب) فات وفي قلبه من الخلافة حسرة ، ففاته نيل الخلافة ، وعانده الدهر فيما أمله بخلافة ، وقد قلت في المعنى :

مات سيدى خليل بالقهر لَمَّا لم ينل بالخلافة التفضيلا
وتولّى عنه الزمانُ بِرَيْبٍ وكذا الدهر لا يراعى خليلا
٣ وكان سيدى خليل عنده رهج وخفة وكان أهوج في نفسه ، وقد جرى بينه
وبين ابن عمّه أمير المؤمنين المستمك بالله يعقوب بسبب الخلافة ما لا خير فيه ،
وقد تقدّم ما وقع لهما في سنة أربع عشرة وتسعمائة فما أبى سيدى خليل ممكنا
٦ في أذى ابن عمّه الخليفة يعقوب ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه ، ومات والعداوة
واقعة بينهما ، وقد كفى الله الخليفة يعقوب وولده محمد المتوكل على الله شرّ خليل
بصبرهما عليه ، انتهى ذلك ، وقد قيل في المعنى :

٩ اصبر على مضض العدو فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وفي يوم الاثنين ثالث عشرين المحرم فيه أخلع السلطان على الأمير طقطباى
١٢ نائب القلعة أحد الأمراء المقدمين وقرّره أمير حاج بركب المحمل ، وأخلع على
الركنى سيدى عمر بن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق وقرّره أمير
حاج بالركب الأول ، فبكى وشكى من ذلك وكان فقيرا لا يحمل حاله ذلك ، فلم يلتفت
١٥ السلطان إلى شكواه ولا رقى له ، وقد خالف السلطان العوائد القديمة (٢٢٥٥) في
لبس أمراء الحاج في شهر المحرم ، وكانت العادة القديمة بأن يلبسوا بعد المولد
في شهر ربيع الأول ، فبادر السلطان وألبسهما في هذا الشهر وعجل بذلك . -
١٨ وفي أواخر هذا الشهر جاءت الأخبار من مكة بوفاة قطلباى باش المجاورين ،
فلما تحقق موته أخلع السلطان على شخص من الأمراء الطليخانات يقال له جاني
بيك قرا وقرّره في باشية مكة عوضا عن قطلباى بحكم وفاته بمكة . - وفيه
٢١ أخلع السلطان على شخص من المالكين يقال له يونس وقرّره ترجانا عوضا عن
تغرى بردى الترجان ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين تغيير خاطر السلطان

على تغرى بردى كما تقدم ذكر ذلك ، وكان يونس هذا قبل ذلك من جملة
الزردكاشية ثم بقى نائب الترجمان ثم بقى ترجمانا كما كان تغرى بردى . - وفى
يوم الثلاثاء رابع عشرينه عرض السلطان جماعة من خاصكيته وعيّن منهم نحو ٣
من ثلاثمائة خاصكى ليتوجهوا معه إلى السويس بصحبته ، ثم عيّن بعد ذلك جماعة
من الأمراء المقدمين ليتوجهوا محبته إلى السويس ، فعين الأتابكى سودون العجمى
والأمير أركامس أمير مجلس والأمير طومان باى الدوادار قرابة السلطان ، وعين ٦
الأمير سودون الدوادارى رأس نوبة النواب ، والأمير أنصبای حاجب الحجاب
والأمير خاير بيك كاشف (٢٠٥ ب) الغربية أحد الأمراء المقدمين والأمير
علان الدوادار الثانى أحد الأمراء المقدمين ، وعين جماعة من الأمراء الطبلخانات ٩
من أرباب الوظائف منهم مغلباى الزردكاش ، وجماعة آخرين من الأمراء
العشرات ، فلما عيّنهم شقّ عليهم سفر السلطان إلى السويس لعدم الماء والكلفة -
وفيه نزل السلطان وعدّى إلى الروضة وأقام فى خرطوم الروضة ذلك اليوم ، وكان ١٢
نهار غيم فأنشراح فى ذلك اليوم ، وأحضر له الزينى بركات بن موسى هناك مآكل
فاخرة وأممطة حافلة ، فأقام هناك إلى بعد العصر وعدّى وطلع القلعة وشقّ من الصليبة
فى نفر قلائل من الخاصكية ، وكان محبته الأمير خاير بيك الخازندار أحد الأمراء ١٥
المقدمين وآخرون من الأمراء العشرات . - وفى يوم السبت ثامن عشره صلى
السلطان صلاة الفجر ، ونزل من القلعة فتوجه إلى الريدانية ونزل بالوطاق الذى
نُصب هناك ، وجلس بالخيم الشريف وخرج محبته الأمراء المعيّنون المقدم ذكرهم ، ١٨
فأقام السلطان بالوطاق من يوم السبت إلى يوم الأربعاء ، وقد قصد التوجه إلى نحو
السويس ليكشف على المراكب التى أنشأها هناك ، وكان محبته من المباشرين القاضى
شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرّ وأخوه كريم الدين وأولاد الملكى ٢١
كاتب الخزانة وأبو البقا (١٠٦ آ) ناظر الاسطبل وناظر الخصاص علاى الدين
وأولاد ابن فخيرة كُتّاب المالك وآخرون من أعيان المباشرين ، وأخذ السلطان

صحبته الصنّجى السلطانى والكوسات والطبول والزمور ، وأخذ صحبه محفة بغشى
 أطلس أصفر وطلباً حريياً ، ورسم للعسكر الذين صحبته بأن يأخذوا معهم اللبس
 ٤ الكامل من زرديات وبركستوانات وخوذ وغير ذلك من آلة السلاح ، فلما تحقق
 العسكر خروج السلطان ماجت القاهرة لخروجه وتكالب العسكر على مشرى
 قيرب وبقسماط وغير ذلك من احتياج السفر ، ولم يُعهد قطّ من سلطان أنه خرج
 ٦ إلى السويس وسافر على هذا الوجه ، ولما كان السلطان فى الوطاق أُخلع على
 شخص من الأمراء العشرات يقال له جاني بيك قرا فقرره باش المجاورين بمكة ،
 ولما نزل السلطان من القلعة شق من بين التراب حتى نزل بالوطاق ، فرسم للوالى
 ٩ بأن يشهر المناداة فى القاهرة عن لسان السلطان بأن لا مملوكا ولا ابن ناس ولا
 غلاما ولا عبدا يخرج من داره من بعد المغرب وأن لا أحدا يمشى بسلاح ولا
 مملوكا يغطى له وجه ولا يعبث على متسبب ، فلما أشهر النداء بذلك ارتفعت
 ١٢ الأصوات له بالدعاء ، فصار الوالى يكرّر هذه المناداة فى القاهرة ثلاثة أيام متوالية .
 وفى صفر كان مستهل الشهر (٢٠٦ ب) يوم الثلاثاء ، وكان السلطان مقبلاً
 بالوطاق فتوجه إليه الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فبالغ السلطان فى
 ١٥ إكرامهم ، ولا سيما أمير المؤمنين المتوكل على الله ، فإن فى ذلك اليوم توجه أبو بكر
 وأخوه أحمد أولاد سيدى خليل ابن عمّ الخليفة الذى توفى فرافعوا أمير المؤمنين
 المتوكل عند السلطان بسبب المرتب الذى كان لوالدهم خليل ، فإن الخليفة المتوكل لما
 ١ ولى الخلافة زاد فى مرتب سيدى خليل حتى قطع بذلك لسانه عنه ، فلما توفى سيدى
 خليل قرّر الخليفة ما كان زاده فى مرتب سيدى خليل لولده سيدى هرون ،
 فلما سمع السلطان كلام أولاد سيدى خليل تعصب للخليفة ونهر أولاد سيدى
 ٢ خليل وقال لهما : إذا زاد فى معلوم أبوكم شيء حتى قطع به لسانه عنه فلما مات
 أقول له اجعل الذى زدته خليل من بعده لأولاده أنا أحكم عليه فى شيء
 اخرجوا عني لا ترونى وجوهكم قط ، ثم قال : والله إن يرجع أحد منكم

يشكو من الخليفة عندى ما يحصل له معى خير اخرجوا من وجهى نزلتوفى ،
وكان الذى بالغ فى مرافعة الخليفة أبو بكر بن سیدی خليل وأخوه أحمد ، ثم قال
لهما : كونوا كلکم تحت طاعة ابن عم أبيکم ، فخرجا من بين يديه وهما يتعثران ٣
فى أذبالهما ، ونصر الخليفة المتوكل عليهما ، وقرّر (٢٠٧ آ) الخليفة ما كان زاده
لخليل وجعله لابنه هرون ، ولم يطلع من يد أولاد خليل فى حق الخليفة شىء ٤
وانتصف عليهما ، ورجع الخليفة من عند السلطان وهو فى غاية العزّ والعظمة ، ٥
ثم إن السلطان أقام بالوطاق إلى يوم الأربعاء ثانى الشهر ، فرحل من الريدانية
بعد الظهر وتوجه إلى الخانكاه فتعشّى هناك ، ثم رحل وقصد التوجه إلى نحو
السويس ، ورجع بقيّة الأمراء الذين لم يسافروا مع السلطان ، فلما رحل من ٦
الخانكاه جاءت الأخبار بأن الماء الذى حمله السلطان معه فى القرب قد فسد
جميعه من القرب كونها كانت جديدة فصار الماء أحمر كالدم وتتن ودود ، وكان
السلطان حمل معه نحو ثلاثة آلاف قربة ، ففسد ذلك الماء جميعه . - فلما كان ٧
يوم الجمعة رابعة أرسل السلطان إلى الأمير خاير بيك الخازندار والزينى بركات
ابن موسى الخنّسب بأن يرسلإليه جمال السقاين بالروايا والماء ، فعند ذلك قبض
الزينى بركات بن موسى على جمال السقاين الذين بالقاهرة فاخففوا بقيّة السقاين ٨
واخفوا الجمال ، فعند ذلك ماجت القاهرة واضطربت لأجل منع الماء واشتد
عطش الناس ، وصار الأمراء والعسكر الذين بالقاهرة ينقلون الماء فى الجرار على
ظهور الخيل والبغال ، وبقيّة الناس (٢٠٧ ب) ينقلون الماء بالجرار على ظهور ٩
الحمير ، واستمرت القاهرة أربعة أيام لم يُلح بها راوية ماء على جمل وقبض الزينى
بركات بن موسى على نحو مائة وعشرين جملا برواياها وأرسلها إلى السلطان ، فبلغ
بعد ذلك سعر كل قربة ماء نصفين فضة ولا توجد ، وصار الناس يشربون ١٠
من الصهاريج والآبار العذبة فى مدّة ذلك الاضطراب ، وقد قلت فى هذه الواقعة

مذعطلت مصر من سقا يلوح بها لما أحلّ بها السلطان بلواء
وقد بقينا لفقد الماء من ظما مثل البنات العذارى نشتهى الماء

٣ وقال آخر :

سبحان من يحكم في خلقه بعدله فيهم ولو شاء بطش
خوفهم بالجوع لم ينتهوا عذبهم من بعده بالعطش

٦ وفي يوم الأربعاء تاسعه جاءت الأخبار بأن السلطان عاد من السويس ونزل

ببركة الحاج ، فكانت مدة غيبته في هذه السفرة ثمانية أيام ، وقامى العسكر في هذه
المدة البسيرة غاية المشقة ، ومات لهم عدة بغال ووقع فيهم عطشة شديدة ، وتكلفتوا

٩ الأمراء والعسكر في هذه السفرة كلفة كبيرة ، فلما بلغ الخليفة والقضاة الأربعة

مجيء السلطان توجهوا إليه نحو بركة الحاج وذلك في يوم الخميس عاشر صفر ،

فلما سلموا عليه وهنّوه (٢٠٨ ت) بالسلامة بالغ في إكرامهم ، ثم توجه إليه

١٢ الأمراء والعسكر الذين كانوا بالقاهرة فخرجوا إليه قاطبة ، ولاقاه القاضي

كاتب السرّ ابن أجا وغير ذلك من الأعيان . - وكان من ملخص أخبار هذه

السفرة أن السلطان لما وصل إلى السويس كان يوم دخوله هناك يوما مشهودا ،

١٥ وطلب طلبا حافلا ما بين جنائب وهجن بأكوار زركش ، وكان صحبته محفّة

والكوسات والطبول والزمر ، وكان هناك الرئيس سلمان العثماني وجماعة من

العثمانية البحارة فقصده السلطان إظهار العظمة لأجل جماعة ابن عثمان حتى قيل

١٨ دخل العسكر إلى السويس وهو لا بيس آلة الحرب ، وكان جماعة ابن عثمان هناك

نحوا من ألفي إنسان ، فلما وصل السلطان إلى هناك كشف على تلك الأغربة التي

عمرها هناك وكانوا نحو عشرين غرابا ، فالذى انتهى منه العمل أنزلوه إلى البحر

٢١ الملح بمحضرة السلطان ، وكان ذلك اليوم هناك مشهودا ، وقيل كان مصروف

تلك الأغربة بما فيهم من مكاحل نحاس وحديد وغير ذلك من آلة السلاح
فصُرِف على ذلك من مال السلطان نحو أربعمائة ألف دينار وكسور على ما قيل ،
وكان الرئيس سلمان العثماني هو الشاد على عمارة تلك الأغربة وهو (٢٠٨ ب) ٣
المشار إليه في ذلك ، فلما حضر السلطان مد له هناك الرئيس سلمان مدّة حافلة
فأخلع عليه السلطان كاملة محمل أحمر بصمور وأنعم عليه بألف دينار ، وأخلع على
جماعة من التجارين والحدادين والقلافة لكل واحد خلعة سنية ، وقيل إن ٦
في ذلك اليوم احترق جماعة من الصنائع الذين يصحنون البارود فمات منهم نحو
عشرين إنسانا ، وقيل إن أثار تعلق في قلع غراب من الأغربة فأحرقتة عن
آخره ، فكان مصروف ذلك القلع نحو خمسمائة دينار لأن قلع بحر الملح بخلاف ٩
قلوع بحر النيل ، وأشيع أن السلطان عبث على بعض الأمراء فأنزلهم في الغراب
الكبير الذي يرسم الباش وكان به قاعة تحت المقعد الذي يجلس فيه الباش ، فرسم
للأمراء بأن ينزلوا إلى تلك القاعة فنزل الأمير سودون الدواداري رأس ١٢
نوبة النوب والأمير أنصباي حاجب الحجاب والأمير علان الدوادار الثاني
وآخرون من الأمراء ، فلما استقرّوا بتلك القاعة طلع الأمير طومان باي الدوادار
وأغلق على الأمراء باب الطابقة التي على تلك القاعة وتكاسل عنهم ساعة ؛ فظنوا ١٥
الأمراء أن السلطان قد قبض عليهم بهذه الحيلة التي (٢٠٩ آ) عملها عليهم
فأقاموا والطابقة مغلوقة عليهم نحو عشر درجات فضاق الأمر عليهم وساء بهم
الظن ، فعند ذلك جاء إليهم الأمير طومان باي الدوادار فقال لهم : من أراد أن ١٨
يطلع من الطابقة يُحضّر كل واحد منكم قنطار سكر للسلطان ، فما صدّقوا بذلك
وقالوا : السمع والطاعة ، ففتح لهم باب الطابقة فطلعوا وهم في غاية الاضطراب ،
وكانت إقامة السلطان في السويس ثلاثة أيام ، وقد أنشأ السلطان هناك خانا ودكاكين ٢١
وبعض دور وغير ذلك من الأبنية المفيدة ، وحفر هناك آبار وصنع عليها سواقي ،
فلما عاد السلطان إلى بركة الحاج أنعم على الأمراء الذين كانوا بصحبته فأنعم على

الأتابكى سودون العجمى بخمسائة دينار فى نظير كلفته وتعبه ، وأنعم على الأمير
 أركاس أمير مجلس بأربعمائة دينار ، وكذلك الأمير سودون الدوادارى
 ٣ والأمير طومان باى الدوادار والأمير أنصبأى حاجب الحجاب وبقية الأمراء
 المقدمين ممن كان صحبته ، وأنعم على الأمراء الطبلخانات ممن كان صحبته وهم قبلك
 رأس نوبة ثانى ومغلبأى الزردكاش (٢٠٩ ب) وآخرون من الأمراء الطبلخانات
 ٦ فأنعم على كل واحد منهم بمائة دينار فى نظير كلفته ، وأنعم على الأمراء العشرات
 ممن كان صحبته لكل واحد منهم بخمسين دينارا فى نظير كلفته ، ثم إن السلطان
 رحل من بركة الحاج ونزل بالريدانية . — فلما كان يوم السبت ثانى عشر صفر
 ٩ ركب السلطان من هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة فى موكب حافل بغير
 شاش ولا قاش ، وكان قدامه ولده المقر الناصرى محمد ، وهو لا بس تبع سلطانى ،
 ولا صنجق سلطانى ولا قبة ولا طير ، فلاقاه القضاة الأربعة من الريدانية ودخلوا
 ١٢ القاهرة قدامه ، ولاقاه سائر الأمراء المقدمين قاطبة والمباشرين ، وكان الأتابكى
 سودون العجمى ابنه ضعيف على خطة فدخل قبل السلطان واشتغل بولده ،
 وكان السلطان ألبس الأمراء المقدمين الذين كانوا صحبته كوامل مخمل أحمر بصمور ،
 ١٥ وشيء كوامل صوف بصمور ، فلما تحققوا الناس دخول السلطان اصطفوا له على
 الدكاكين بسبب الفرجة ، واصطف له الطبول والزمور على عدة دكاكين من القاهرة ،
 فشق من القاهرة وقدامه طبلان وزمران والنفير السلطانى ، وقدامه عدة نوب هجن
 ١٨ فيهم أربعة نوب بأكوار زركش والبقية بأكوار مخمل ملون ، وكان (٢١٠ ت)
 قدامه من الجنائب نحو أربعين فرسا بعضهم بكتنايش زركش وسروج مفرق ، وكان
 من جملة الجنائب بغال وحجورة بسروج بداوى وركب بداوى فعُد ذلك من النوادر ،
 ٢١ وكان قدامه عشر كاشات بأغطية حرير أصفر ، وكان قدامه محفة على بغال بغشى حرير
 أصفر ، فلما مشى الطلب والجنائب والأمراء جاء بعدهم السلطان وقدامه الخاصكية
 مشاة وروؤوس النوب والشبابة السلطانية والشعراء ، وكان لابسا تحفيفة صغيرة ملساء

وعليه سلارى صوف أبيض بوجه صوف أخضر ، فشق القاهرة في ذلك الموكب
وكان له يوم مشهود ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء ، فطلع من على
سوقة العزى من على مدرسة السلطان حسن وشق الرملة ثم دخل من باب ٣
الميدان بعد أن سلم على القضاة والأمراء وانفض ذلك الموكب ، فكانت مدة
غيبته في هذه السفرة ذهابا وإيابا ثمانية أيام منها إقامته في السويس ثلاثة أيام . -
وفي يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالميدان جلوسا عاما وحكم بين ٦
الناس إلى قريب الظهر ، وكان له مدة طويلة لم يحكم بين الناس من قبل أن يتوجه
إلى السويس . - وفي ذلك اليوم رسم بتوسيط شخصين من الغلمان قد سرقوا
زردتين لأستاذ بينهما (٢١٠ ب) في هذه السفرة ، فوسطهما في الرملة عند سوق ٩
الخليل . - وفي يوم السبت تاسع عشره فيه ثارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك
الأجلاب ، ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، ونهبوا الدكاكين التي في خرائب
التمر ، ونزلوا إلى بيت الأمير طومان باى الدوادر وأركبوه من بيته غضبا وطلعوا ١٢
به إلى القلعة وقالوا له : قل للسلطان يُنفق علينا كما نفق على الأمراء الذين
سافروا صحبته إلى السويس ، فاستمرت المماليك ثائرة بالقلعة وكثر القتال والقتل
بين الناس بسبب ذلك ، وأغلقوا باب السلسلة وباب الميدان في ذلك اليوم ، ١٥
وكان العسكر قاطبة له أربعة أشهر لم يُصرف لهم فيها لحم ولا عقيق ، ثم إن
السلطان نادى للعسكر بأن من كان له عقيق مكسور أو لحم مكسور يطلع إلى القلعة
يوم الاثنين فيُصرف له ذلك ، فلما كان الاثنين طلع العسكر قاطبة فلم يصرف ١٨
لهم سوى العقيق فقط واستمر اللحم موقوفا ، وكان ديوان المفرد في تلك
الأيام في غاية الانشحات ، والوزير يوسف البدرى مع المماليك في بغاية الذل
وهو مهتد منهم بالقتل في كل يوم ، وكان السلطان أخرج عن ديوان الوزارة ٢١
عدة جهات كانوا توسعة في الديوان منهم جهات قطيا وغير ذلك من الجهات ،
فأنتم (٢١١ آ) بجهات قطيا على الأمير قانصوه روح لو واستمر مقيما هناك
على تقدمته ، فانشحت الديوان إلى الغاية بسبب ذلك ، وكان العسكر كثيرا ٢٤

ولا سيما ما جددده السلطان من العسكر فى الطبقة الخامسة ، فانشحت الدواوين
من الجوامك واللحوم والعليق بسبب ذلك . - وفى يوم الاثنين حادى عشرينه
٣ كان أول الخمسين وهو يوم عيد النصارى وفطر [هم] . - وفى يوم الأحد
عشرينه جلس السلطان على المصطبة التى بالحوش ، وأحضر الوزير يوسف البدرى
ومباشرى الديوان ، وأحضر المعاملين والطباخين فعملوا حسابهم بحضرة السلطان ،
٦ فظهر لهم مال له جرم منكسر فى الديوان ، فرسم على المباشرين بجامع القلعة
وأقام فى عمل حسابهم إلى بعد الظهر ، وكان ذلك اليوم فى غاية النكد ، هذا
والممالك قائمة عند حفظ أنفسهم ، وقد أشيع بين الناس أمر الركوب على
٩ السلطان ، وقيل إن السلطان أحضر بعد العصر جماعة من أعيان خاصكيته وعتبهم
على هذه الأفعال الشنيعة فأغلظ عليه بعض الخاصكية وقال له : أنت الذى أشححت
الدواوين بهذا العسكر الكثير الذى جمعته وجعلت له طبقة خامسة وقطعت جوامك
١٢ الأيتام والنساء بسببهم وهم ما بين تراكمة وأعجام (٢١١ ب) وسويحانة وأساكفة
وأولاد ناس ملفقين شئ خياط وشئ بخانق ، فقال لهم : أنا ما جعلت ذلك
العسكر المستجد إلا أن يكون فداء لكم فى الأسفار والتجاريد ، فقالوا له الممالك :
١٥ هذا ما كان طريقة الملك الأشرف قايتباى وأنت الذى أشححت الدواوين حتى صار
اللحم ينكسر خمسة أشهر وكذلك العليق يُعطوه لنا من الشون قمح مسوس ما تأكله
الخليل والجامكية التى تُعطى لنا ما تكفانا لكراء بيت واسطبل وجامكية الغلام
١٨ ولكسوتنا والقماش كله غالى حتى الخلام ما يوجد والأقسمة صارت غالية كل
جرة بنصفين فضة فما نشج فى أيامك لا من اللحم ولا من الأقسمة ونحن جياعة
عربية ، فسكت السلطان ساعة ثم قال : لكم الرضا أصرف لكم اللحم المكسور
٢١ وكذلك العليق أصرفه لكم شعير مغريل وأجعل لكم الأقسمة كل جرة بنصف
فضة ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وانصرفوا من بين يديه وهم شاكرون وخمدت
تلك الفتنة قليلا ، وكانت الممالك الأجلاب عولوا على نهب بيوت الأمراء
٢٤ والمباشرين ونهب أسواق القاهرة والدكاكين وحرق البيوت ، فلطف الله تعالى

وجاء الأمر إلى سلامة والله الحمد ، ولو فعلوا ذلك لطلع ذلك من أيديهم وما كان
تنتطح في ذلك شاتان، ولكن الله سلم . - وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه (٢١٢ ت)
طلع الجناب الشرفي يونس ولد الأتابكي سودون العجمي إلى القلعة ، فأخلع عليه ٢
السلطان كاملية محمل أحر بصمور من ملايسه ، فنزل من القلعة في موكب حافل
وقدّامه سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وزيّنت له دكاكين حارته عند
قنطرة سُنقر ، وكان سبب ذلك أن الشرفي يونس كان مرض مرضاً عظيماً حتى ٦
أشرف فيه على الموت، ثم بعد ذلك بعث الله تعالى له بالشفاء فشفي من ذلك العارض
وطلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود ، وكان قبل ذلك أنعم عليه السلطان بأمرة
عشرة وصار من جملة الأمراء العشرات . - وفي ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية ٩
على عسكر الطبقة الخامسة ، وحدث في ذلك اليوم نادرة غريبة وهو أن الممالك
الأجلاّب وقفوا في الحوش وصاروا كل من قبض الجامكية من عسكر الطبقة
الخامسة يأخذون منه أشرفيا من الجامكية ويقولون له : نشرب به أقسمة ، ١٢
فيأخذون منه الأشرفي طوعا أو كرها ، فحصل لعسكر الطبقة الخامسة في ذلك
اليوم من الممالك الجلبان غاية البهدة وما قدر السلطان على منعهم من ذلك ،
وصاروا يخطفون الجامكية من يدي من يقبضها فمنهم من يأخذ منها أشرفيا ويعيد ١٥
الباقى إلى أصحابه، ومنهم [من] يأخذ الجامكية كلها ويهرب ، فأعجب أمرهم الرؤوس
النوب ، وحصل (٢١٢ ب) في ذلك اليوم غاية الضرر لعسكر الطبقة الخامسة :
وفي ربيع الأول كان مسهل الشهر يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة ١٨
لهيئة بالشهر ، وانفق في ذلك اليوم كان أول بشنس من الشهر القبطية فوافق
أن الشهر العربي والقبطي كانا في يوم واحد ، فعُدّ ذلك من النوادر . - وفي
يوم الخميس ثانيه أخلع السلطان على القاضي شرف الدين الصغير وأعادته إلى نظر ٢١
الدولة وكتابة الممالك كما كان أولا ، وجعل له التكلم في ثلث الوزارة مع
يوسف البدرى المتولى للوزارة ، فتضاعفت عظمة القاضي شرف الدين الصغير

إلى الغاية ، وكان له مدة طويلة وهو بطال محتفى في داره حتى رضى عليه السلطان وأعادته إلى وظائفه ، وقيل سعى في ذلك بثمانية آلاف دينار وخمسة آلاف أردب ٣ شعير ، فلما أخلع عليه نزل من القلعة في موكب حفل وقدمه أعيان المباشرين وغير ذلك من أعيان الناس ، وكان له يوم مشهود . - وفي يوم السبت رابعه فرق السلطان على الممالك رماحا بسبب لعب الرمح ، ثم نفق عليهم فأعطى لكل مملوك ستة أشرفية ثمن خام على جارى العادة ، وكان في السنة الخالية لم يعطهم شيئا ، فأعطاهم ستة أشرفية عن هذه السنة وما قبلها (٢٢١٣) حتى يرضيهم وهم غير راضيون بذلك والإشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة ، وصار الناس على رؤوسهم طيرة ، ووزعوا التجار قماشهم من الدكاكين خوفا من النهب . - وفي يوم الاثنين سادسه خرج الأمير طومان باى الدوادر الكبير إلى نحو بلاد الصعيد بسبب ضمّ المغل وجمع الأموال ، فأخلع عليه السلطان ونزل من القلعة في موكب حفل ، وصحبته الأمراء المقدمون وأعيان المباشرين ، وكان ذلك اليوم مشهودا . - وفي يوم الثلاثاء سابعه جلس السلطان على المصطبة بالحوش وفرّق على العسكر ثلاثة أشهر عن ثمن اللحم المنكسر لهم ، فغلق لهم إلى آخر سنة تسع عشرة وتسعمائة ، وصار لهم من أول سنة عشرين وتسعمائة ، وصار يستدعى طبقة بعد طبقة مثل تفرقة الجامكية . - وفي يوم الجمعة عاشره قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك عاشر بشنس القبطى ، وكان الوقت رطبا . - وفي يوم السبت حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى ، ونصب الخيمة الكبيرة بالحوش ، وحضر القضاة الأربعة الذين تولّوا عن قريب ، وهذا كان أول اجتماعهم في المولد النبوى بالقلعة ، وحضر الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء المقدمين ، فكان المولد في ذلك (٢١٣ ب) اليوم حافلا . - وفي هذا الشهر جاءت الأخبار من الجزيرة بأن عرب عزالة نازلين بالقرب من البدرشين ، فلما بلغ ذلك الأمير طومان باى الدوادر ركب من وقته وكبس عليهم ، فقبض على جماعة من مشايخهم وشكّهم

في الحديد ، وقيل كان عدتهم ، غير المشايخ المذكورين من أعيانهم وكانوا نحو ثمانية عشر إنسانا ، مائة خمسة وأربعين إنسانا وبعث بهم إلى السلطان ، فلما عُرِضُوا على السلطان قصد أن يكلبهم على أبواب القاهرة ، فمنعه بعض الأمراء من ذلك ٣ وقال له : متى أن قتلت هؤلاء العربان نهبتُ عرب عزالة لإقليم الجيزة عن آخره ، فرجع عن قتلهم وأمر بسجنهم في المقشرة . - وفي يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له قانصوه الفقيه ، وأصله ٦ من ممالك الأشرف قايتباي ، فقرره في نيابة عينتاب ، وقيل نيابة سيس ، وكان قبل ذلك في نيابة سيس ثم عُرِل عنها ، وكان مقبلا بمصر بطالا حتى أخلع عليه وولاه كما كان . - وفي يوم الجمعة سابع عشره نزل السلطان وعدى إلى الروضة وأقام ٨ بالمقياس وصلى هناك صلاة الجمعة ، فلما بلغ ذلك قاضى القضاة الشافعى علاى الإخيمى توجه إلى السلطان إلى المقياس ، فتوجه إليه وخطب به في جامع المقياس وصلى به (٢١٤ آ) الجمعة هناك ، ثم إن السلطان أقام في المقياس إلى بعد العصر ١٢ ونزل في مركب وشق على برّ الروضة وطلع من على الجزيرة الوسطى وأتى إلى القلعة . - وفي يوم السبت ثامن عشره فيه ابتداء السلطان بضرب الكرة في الميدان ، فطلع إليه الأمراء على جارى العادة ، ولكن كان السلطان مُخَصَّصًا ١٥ في جسده فلم يضرب الكرة إلا ضربا هينا حتى يقال إن السلطان ضرب الكرة في هذه السنة . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أخلع السلطان على الأمير أربك المكنى كامله صوف صينى بصمور ، وألبسه تخفيضة كبيرة التى ١٨ يسمونها الناعورة ، وكان من حين حضر من ثغر دمياط وهو بتخفيضة صغيرة ولم يدق على بابه طلبخاناه ، وكان كهية الطرخان ، فنجبر السلطان بقلبه في ذلك وأخلع عليه وأعادته إلى التقدم كما كان . - وفي ذلك اليوم المذكور حضر ٢١ قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، وكان السلطان بالميدان ، فلما قُرئ

(١ - ٢) وكانوا . . . إنسانا : جاءت في الاصل بعد « إلى السلطان » في سطر ٢ .

(١٣) برالروضة : بروضة . || الجزيرة : جزيرة . (٢١) عليه : عليه عل بانه .

على السلطان مطالعة ابن عثمان أشيع بين الناس أن ابن عثمان يقصد أن يمشى على شاه إسماعيل الصوفي صاحب العراقين ، فأرسل يعسلم السلطان بذلك وأن يكون ٢ هو والسلطان أمرا واحدا وقولا جازما على الصوفي (٢١٤ ب) حتى يكون من أمره ما يكون . - وفي ذلك اليوم توفى الخوaja شمس الدين محمد الحلبي وكان من أعيان التجار في سعة من المال ، ولكن جرى عليه شذائد ومحن في أواخر عمره ، وصودر وأخذ ماله غير ما مرة ، وقد تقدم القول بما وقع له مع السلطان من المصادرات ودخوله إلى المقشرة وهو في الحديد وأقام بها مدة ، وكان السلطان قصد أن يثبت عليه كفراً ويضرب عنقه وقد تقدم سبب ذلك في موضعه ، وقد مات قهراً بما وقع له . - وفيه توفى صاحبنا أبو الفضل الذي كان متحدثاً في نظر المواريث ، وكان ليين الجانب عشير الناس ، وكان لا بأس به ، ومات والناس عنه راضية . - وفي يوم السبت خامس عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعزم على ١٢ قاصد ابن عثمان وأضافه وأخلع عليه ، وأذن له بالعودة إلى بلاده وكتب له الجواب عن مطالعته . - وفي هذه الأيام اشتد أمر الحر ، فأقام السلطان في الميدان أربعة أيام بلياليها وهو في أرغد عيش ، وأطلق الماء في البحرة التي بالميدان ، وصار ١٥ يمدّ السباط هناك ويأكل هو وأخصائه فشق ذلك على بقية ممالكه ، فلما نزلوا إليه بالسباط خطفوه وكسروا الصحون الصيني ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد وقام (٢١٥ أ) من وقته وطلع إلى الدهيشة ، وكان قصده الإقامة في الميدان إلى ١٨ يوم الجمعة فنكدوا عليه الممالك .

وفي ربيع الآخر كان مستهل الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا بالشهر . - وفي يوم الاثنين رابعه حضر الأمير أرزمك الناشف ٢١ أحد المقدمين ، وكان له مدة وهو مقيم بالفيوم بسبب عمارة الجسر الذي هناك كما تقدم ذكر ذلك ، فلما كمل عمارته حضر إلى القاهرة فأخلع عليه السلطان كاملة حفلة بصمود ونزل إلى داره ومحبته جماعة من الأمراء . - وفي يوم الثلاثاء

- خامسه كانت وفاة شيخنا العلامة زين الدين عبد الباسط بن الغرسى خليل بن شاهين الصفوى الحنفى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من ذوى البيوت ، وكان من أعيان الحنفية ، وكان مولده سنة أربع وأربعين وثمانمائة فكانت مدة حياته نحو ست وسبعين سنة ، وكان له اليد الطولى فى الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان له اليد الطولى فى علم الطب ، وله عدة مصنفات نفيسة منها تاريخه الكبير المسمى بالروض الباسم ، وآخر دونه يُسمى نيل الأمل فى ذيل الدول ، وآخر فى التوفيات على الحروف المعجم ، وآخر فى علم الطب ، وغير ذلك فى الشروحات على كتب (٢١٥ ب) الحنفية ، وكان والده الغرسى خليل من أعيان الناس ولى الوزارة بالديار المصرية وولى عدة نيابات جليلة منها نيابة حماة ٩ وصفد والقدس الشريف ونيابة الإسكندرية وغير ذلك من النيابات الجليلة وكان فى مقام الأمراء المقدمين ، وأما الشيخ عبد الباسط رحمه الله كان صفته طويل القامة نحيف الجسد ، وكان يربى له ذوابة شعر فى رأسه على طريقة الصوفية ، وكان له أنف وافر جدا حتى أن بعض شعراء العصر قال فيه مداعبة لطيفة وهو قوله :
أدخلتُ فى منخره أصبعى وقلت : ماذا العضو سمّيه
فقال لى مستعجلا : منخرى قلتُ : أنا يا سيدى فيه ١٥
- وكان الشيخ عبد الباسط ضئيلا بنفسه وعنده يُبس طباع مع شمم زائد ، وكان معظما عند الأتراك والأمراء ، وكان عارفا باللغة التركية وفيه جملة محاسن ، وكان بقية السلف وعمدة الخلف ، وكان أصابه علة السل فأقام نحو سنة ١٨ ونصف وهو عليل منقطع فى داره حتى مات رحمة الله عليه . - وفى يوم الخميس سابعه نزل السلطان وتوجه إلى تربة العادل التى بالريدانية ، وجلس هناك على المصطبة ونصب له سحابة ، ثم جربوا قدامه مكاحل نحاس وحديد فكان (٢١٦ آ) ٢١ عدّتهم نحو أربع وسبعين مكحلة فصيح منهم شىء وتفرق شىء ، ثم إن السلطان

قام من هناك وتوجه إلى قبة الأمير يشبك التي بالمطرية فأقام هناك إلى بعد العصر ، وركب وعاد إلى القلعة وشق من القاهرة ودخل من باب الفتوح في نفر قليل من العسكر ، فلما شق من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء وقيل إنه فرّق في ذلك اليوم نحو مائة دينار وكسور على الفقراء والمساكين والمغانى الذين كانوا مصبته في القبة ، ثم طلع إلى القلعة . - وفي يوم الاثنين حادى عشره كان آخر مَضَى الخماسين ، وصادف أن في ذلك اليوم كان عيد ميكائيل ونزلت النقطة في ليلة الاثنين ، وقد مضت الخماسين على خير ولم يقع فيها الطاعون ولم يدخل إلى مصر ، وكانت الناس تلهج بوقوع الطاعون في هذه السنة ويكون أمراً عظيماً ، فوق بعض طعن في الشرقية وأقام أياماً وارتفع ولم يغش أمر الطاعون بمصر . - وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشره كانت ليلة سيّدى إسماعيل الإنبى رضى الله عنه ، وكانت من الليالى المشهودة وخرجت فيها الناس عن الحدّ في القصف والفرجة ، وضُرب في الجزيرة التي ببولاق نجاه الرصيف فوق الخمسمائة خيمة ، وكانت الناس في أمن ورخاء ، وكان في الرمل سوق حافل بدكاكين (٢١٦ ب) مبنية ونقلوا إليها أفخر البضائع ، وكثر هناك البيع والشرى على المتفرجين . - وفي يوم الخميس رابع عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أقبای الطويل أمير آخور ثاني الذي كان توجه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، فلما طلع وقابل السلطان أخلع عليه كاملة حافلة بصمور ونزل في موكب مشهود ، وحصل له جملة تقادم عظيمة من ابن عثمان ومن النّوّاب ما بين مال وخيول ومماليك وقماش وغير ذلك . - وفيه وقعت مرافعة مهولة بين الزينى بركات بن موسى وبين أحمد بن الصايغ ، وقصد ابن الصايغ أن يتسلم الزينى بركات بن موسى [على] ثلاثين ألف دينار ، واستمرت هذه المرافعة عمّالة بينهما حتى يكون من أمرهما ما سذكّره في موضعه . - وفيه جاءت الأخبار من مكة المشرفة بأن في حادى عشر صفر وقع سيل عظيم حتى دخل إلى الحرم ، ووصل الماء إلى عتبة البيت الشريف وغطى الحجر الأسود

ومقام إبراهيم ، وهدم عدة دور بمكة وغرق فيه من الناس ما لا يحصى ، وكان أمرا
من الأمور الموهولة ، وتقدم القول على أن في دولة الأشرف قايتباي وقع مثل هذا
السليل بعينه حتى عام المنبر الذي بالحرم وامتلاأت بثر زمزم بالماء وكان أيضا أمرا ٣
مهولا . - وفيه رسم السلطان للشهابي أحمد ناظر الجيش (٢١٧) المنفصل
بأن يطلع إلى الخدمة في كل يوم اثنين وخميس ويقف فوق ناظر الجيش
عبد القادر القصري ، فاستمر على ذلك مواظبا للخدمة وهو منفصل عن نظر ٦
الجيش ، ولم يعلم ما قصد السلطان بذلك . - وفي يوم الجمعة خامس عشره توفي
القاضي رضي الدين الإسحاق أحد نواب المالكية ، وكان موته فجأة ، وكان
رئيسا حثما من أعيان الناس ، وكان لا بأس به في نواب المالكية . - وفي يوم ٩
السبت سادس عشره ضرب السلطان الكرة بالميدان ، ثم بعد ذلك رسم للأمراء
بأن يتخففوا من ثيابهم ، ثم دخل هو وإياهم في البحرة التي في الميدان وخلي بهم
وضربوا مشورة في أمر التجريدة ، فوقع الرأي من الأمراء بأن العسكر يخرج من ١٢
مصر وقيم في حلب حتى يظهر ما يكون بين ابن عثمان والصوفي من الفتن ، وأن
العسكر لا يداخل بين الفريقين حتى يبدو من أحدهما القدرة إلى عسكر مصر ،
فأقاموا عند السلطان الأمراء في هذه المشورة إلى بعد الظهر ، وانفض المجلس على ١٥
ما ذكرناه من خروج العسكر من مصر وقيم بحلب يُحصتها من العدو حتى يكون
من هذه الفتنة التي بين ابن عثمان وبين الصوفي ما يكون ، فانفض المجلس على
ذلك . - وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره طلع الأمير أقباي الطويل القاصد بتقدمة ١٨
حفلة إلى (٢١٧ ب) السلطان ما بين خيول وممالك وسلاح وقماش وغير ذلك
أشياء فاخرة ، وقيل ذهب عين ما يعلم قدره وقد اختلّف فيه . - أقول ولما
صار شمس الدين بن عوض من جملة الرؤساء لم يخرج عن طبع الفلاحين الذي رُبّي ٢١
عليه ، فكانت عمامته عمامة الفلاحين وكلامه كلام الفلاحين كأنه فلاح قحف
كما جاء من وراء المحراث ولم ينظر في رياسته ، فكان كما يقال :

وَرُبَّ قَحْفٍ قَدْ أَقَى لَنَا بِهِ الدَّهْرَ غُلَطٍ
سَأَلَتْ عَنْهُ قَيْلٌ لِي هَذَا مِنَ النَّخْلِ سَقَطَ

٢ وقال آخر في المعنى :

فقيه ريف يقولُ : إني بَرَعْتُ في العلم والرواية
فقلت : لاشك أنت عندي تصلح للدرس والدراية

٦ انتهى ذلك ، وكان أصل شمس الدين بن عوض فلاحاً من فلاحين منية

مَسِيرٍ بالغربية ، وقيل من بانوب والله أعلم . - وفي يوم الثلاثاء المذكور بعد

العصر قبض السلطان على شمس الدين بن عوض وعلى ولده الصغير فوضعهما

٩ في الحديد ، وكان سبب ذلك أن الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد الأمراء

المقدمين كان متحدثاً على بعض بلاد في تقسيط ابن عوض ، فحصل بينه وبين

ابن عوض حظّ نفس بسبب ابن جُمَيْل أحد مشايخ الغربية وقد شفع فيه عنده

١٢ فلم يقبل شفاعته ، فقال الأمير خاير بيك للسلطان : أنا أثبت لك في جهة ابن عوض

(٢١٨ آ) مائة وخمسين ألف دينار ، فاعتدل السلطان على ابن عوض وشكّته

في الحديد هو وولده وأرسلهما إلى بيت الأمير خاير بيك ، ثم نقلهما من بعد ذلك

١٥ إلى بيت الزينى بركات بن موسى ، وكان الزينى بركات بلغه أن ابن عوض ساعى

القبض عليه فبادر إليه ابن موسى ، وأشيع بين الناس أن الزينى بركات بن

موسى التزم بما قرّر على شمس الدين بن عوض من المال وتسلمته ونقله إلى داره

١٨ وشرع في عقابه وضربه وعصره بالمعاصير في أصداعه وأكعابه هو وولده وتفنّن

في عذابهما تفنيّنا ، فلم يردّ ابن عوض من المال الذي قرّر عليه إلا اليسير ، وكلما

زاد في عقابهما لم يُفِدْهُ من ذلك شيئاً ، وكان شمس الدين بن عوض متكلماً على

٢١ عدة جهات من البلاد ، وقبض عليه السلطان ، وابنه متكلماً على كتابة الخزائن

الشريفة مع مشاركة أولاد الجيعان ، وكان ابن عوض من المقربين عند السلطان

فأخذ من الجانب الذي كان يأمن إليه . - وفيه غيَّب أحمد بن الصايغ لما رأى السلطان مائلاً إلى الزينى بركات بن موسى ولم يسمع فيه مرافعة ، فما وسعه إلا أن غيَّب خوفاً من ابن موسى ، وكان أحمد بن الصايغ باغياً على الزينى بركات بن موسى فإنه هو الذي أنشأه وكان بردداراً عنده ، فلما راج أمر أحمد بن الصايغ صار شريكاً للزينى (٢١٨ ب) بركات في جميع جهاته التي يتكلم عليها حتى الحسبة الشريفة ، فلم يقنع بهذا كله فقصده أن يشتري الزينى بركات من السلطان بثلاثين ألف دينار فلم يوافقهُ السلطان ٦ على ذلك ونهره ، فخاف وغيَّب واختفى مدة يسيرة وسيظهر بعد ذلك . - وفيه في يوم الجمعة ثاني عشرينه أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان وأذن له بالعود إلى بلاده ، وعيّن صحبته أينال باي دوا دارسكين ليوجهه إلى هناك ويكشف عن الأخبار ٩ الصحيحة ويُعلم السلطان بذلك ، وقيل إن السلطان أنعم على أينال باي بخمسمائة دينار لأجل عمل يرقه ، فخرج في ذلك اليوم على جرائد الخيل وقرّر معه السلطان أياماً معلودة ويردّ عليه الجواب عن الأخبار الصحيحة عن مشى ابن عثمان على ١٢ الصوفي ، فخرج قاصد ابن عثمان وأينال باي في ذلك اليوم . - وفي يوم الاثنين خامس عشرينه أخلع السلطان على شخص من أولاد ابن رمضان أمير التركمان يقال له سليم بيك ، فأخلع عليه وقرّره في أمرة التركمان عوضاً عن ابن عمه محمود ١٥ بيك في أمرة شقراياه . - ومن الحوادث أن شخصاً خياطاً يقال له نجا بن تمساح زندق صبيّاً صغيراً عمره نحو عشر سنين ، فزلقه في بيت في الجزيرة الوسطى (٢١٩ آ) فاستغاث الصبيّ فذبّحه ذلك الخياط وأرماه في بئر ، فلما ١٨ شاع أمره قبضت أمّ الصبي على الخياط وعرضته على السلطان فاعترف بقتل الصبي ، فرسم السلطان بشنق ذلك الخياط في المكان الذي قتل فيه الصبي ، وقيل رسم السلطان بأن تُقطع محاشمه وتُعلّق في عنقه وهو مشنوق ففعلوا به ذلك ، ٢١ وقد تقدم مثل هذه الواقعة لشخص طحان ورسم السلطان بأن يحوزقوه فخوزقوه

(٢) إلا أن غيَّب : إلا اغيب . (٩) ليوجهه : لتوجهه . (١٦) شقراياه : كذا في الأصل .

(١٧) راجع طبعة إستانبول ج ٤ ص ٣٧٨ س ١٧ و ١٨ . (٢١) تقطع : تقطعت .

- في المدابغ وقد تقدم القول على ذلك . - وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه
 طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل ، وأخذ القاع فجاءت القاعدة ستة أذرع واثني
 ٣ عشر أصبعاً وكانت في العام الماضي أرجح من ذلك ، وكانت زيادته في أول يوم
 حمسه أصابع . - وفي يوم الثلاثاء المذكور كانت وفاة القاضي فخر الدين والد
 القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة و كاتب الممالك ، وكان القاضي فخر الدين
 ٦ هذا من أعيان المباشرين وباشر ديوان قاضي باي أمير آخور كبير وغيره من
 الأمراء ، وكان رئيساً حثماً لا بأس به بين المباشرين .
- وفي جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم السبت ، فجلس السلطان بالميدان
 ٩ وطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوه (٢١٩ ب) بالشهر . - وفي ذلك اليوم كان
 ختام ضرب الكرة وختام خصمانية لعب الرمح ، فلما انقضى ضرب الكرة طلع
 السلطان إلى الحوش وجلس بالمقعد الذي به ومدّ هناك للأمراء مدّة حافلة وما
 ١٢ أبقي ممكناً من المآكل الفاخرة ، ومدّ عدّة طواري مؤنقة ما بين حلوى وفاكهة
 وسكر حريف وبطيخ صيني وأجبان مقلّ وجلاب وغير ذلك من المآكل ، وأحضر
 الأفيال الكبار والسباع والثيران والكباش برسم النطاح فتناطحوا بين يدي السلطان ،
 ١٥ وأقام هناك إلى بعد العصر وعنده الأمراء مجتهدين ، وكان يوماً مشهوداً . - وفي
 يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له
 ماماي الخازندار ، وأصله من ممالك السلطان ، فعينه بأن يتوجه إلى الشام وعيّن
 ١٨ صحبته الخوارجا يونس العادلي ، وسبب ذلك أن السلطان قوى عزمه على أن يزوّج
 ولده بابنة سييأي نائب الشام فأرسل هؤلاء الذين عيّنهم بالمهر وأنهم يعقدون
 العقد بالشام ، فلما توجهت إلى غزّة جاءت إليهم الأخبار بأن بنت سييأي نائب الشام
 ٢١ التي توجهت بسببها قد توفيت إلى رحمة الله تعالى ، فأرسلوا كاتباً السلطان بذلك
 وأن لنائب الشام بنتاً أخرى صغيرة ، فأرسل السلطان (٢٢٠ ت) يقول لهما
 ادفعا لنائب الشام المهر الذي أرسلناه واعقدا العقد على ابنته الصغرى ، فامثلوا
 ٢٤ ذلك . - وفي عقيب أخلع السلطان على شخص يقال له إبراهيم السمرقندي وعيّن

صحبتة خاصكيا ، بأن يتوجها إلى القدس والكرك في بعض المهمات السلطانية ، ثم بعد ذلك بطل سفرهما إلى تلك الجهات لأمر أوجب ذلك . - وفي يوم الخميس المذكور تغير خاطر السلطان على جاني بيك دودار الأمير طراباي الذي هو ٣ متحدث في الاستادارية الآن ، وكان السلطان أنعم على جاني بيك هذا بأمرة عشرة ، وكان سبب تغير خاطر السلطان على جاني بيك أن الأمير طومان باي الدودار أرسل مطالعة للسلطان وهو بالصعيد يشكو فيها من جاني بيك هذا أنه صار ٦ يعارضه فيما يرسم به ويعاكسه فيما يقوله في أمر الديوان المفرد ، وكان جاني بيك غير محب للناس لا يراعى من الأمراء أحدا ويأخذ الحماية من المقطعين معجلا قبل أن تروى البلاد ، فصار معه سنة معجلة من المقطعين من الحماية والشيخة ٩ دائرة في حساب الديوان المفرد وربما راحت على المقطعين ، ويرسم على الأمراء وأعيان الناس حتى يستخلص منهم جميع ما عليهم من الحماية في يوم واحد ، فضج منه (٢٢٠ ب) والأمراء والعسكر ، فلما تزايد ظلمه وعسفه بالعسكر والفلاحين ١٢ وضعفاء الناس أخذه الله تعالى من الجانب الذي كان يأمن إليه ، وكان عند السلطان من المقربين الخواص فأقلب عليه ما كانه يعرفه ، وهذا الذي وقع له بدعوة مظلوم : فكان كما قيل في المعنى :

ألا قولوا لشخص قد تقوى على ضعفى ولم يخش رقيه
بعث له سهاماً في الدياجى وأرجو أن تكون له مصيبه
فلما عزل جاني بيك من التحدث في الاستادارية كثرت فيه المرافعات وقال ١٨ له السلطان : اقيم الحساب بما قبضته من الأموال ، في مدة تحدثه في الاستادارية على ما قل ، ومن نوقش الحساب عذّب ، وقيل إن جاني بيك لما رأى أن الأمير طومان باي الدودار محطاً عليه سأل السلطان وبأس رجله بأن يعفيه من التحدث ٢١ في الاستادارية ، ولا زال يقسم عليه حتى أعفاه من التحدث في الاستادارية ،

- ولما عُرِّل جاني بيك وقف على البرماوى برددار السلطان والتزم بالسداد على الجهات التى كان جاني بيك متحدثا عليها وضمن ذلك فقصد السلطان أن يتخاطب عليه فقال له : ما ألبسُ خلعة حتى يجيء الأمير الدوادار ، واستمر متحدثا ٣
- في الاستدارية عوضا عن جاني بيك بحكم انفصاله عنها . - وفي يوم السبت ثامنه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك التى (٢٢١ ت) بالمطرية وبات بها وأقام يومين ، وسبب ذلك أن السلطان أنشأ هناك فساقى وقد تقدم ذكر ذلك ، فأطلق فيهم الماء في ذلك اليوم ، وانشرح السلطان لذلك إلى الغاية . - وفي يوم الاثنين عاشره أطلع السلطان على الزينى بركات بن موسى وقرَّر في أستاذية الذخيرة . ٦
- عوضا عن شمس الدين بن عوض بحكم انفصاله كما تقدم ، فنزل من القلعة في موكب حفل وقدَّامه أعيان المباشرين ، ورسم له السلطان بأن ينادى قدَّامه أن لا أحدا من الناس يحتمى عليه ولا يتجاها ، فزادت عظمة الزينى بركات وصار محسبا ٩
- وأستادار الذخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف السنية ، وكان الزينى بركات له سعد خارق وهو مسعود الحركات في أفعاله محببا للناس ، وأشيع بين الناس أن الزينى بركات تسلَّم ابن عوض على مائة وحسين ألف دينار ، فشرع في عقابه ١٥
- وضربه وعصره كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه . - وفي يوم الجمعة ثانى عشرينه خرج أينال باى دوادار سكين صحبة قاصد ابن عثمان ، وقد تقدم القول على أن السلطان عين أينال باى بأن يخرج صحبة القاصد ويقف على صحة الأخبار ١٨
- في أمر ابن عثمان والصوفى ويردّ الجواب على السلطان بسرعة ، وقرر معه (٢٢١ ب) لا يبطئ عليه بالخبر غير مسافة الطريق ، وأنعم عليه بخمسمائة دينار ، وقد تقدم القول على ذلك . - وفي يوم الخميس ثالث عشره جلس السلطان على المصطبة التى بالحوش ونصب السحابة وأمر بعرض العسكر ، وعين تجريدة كبيرة إلى حلب يقيمون بها حتى يرون ما يكون من أمر ابن عثمان والصوفى ، وعين في ذلك اليوم تجريدة أخرى إلى نحو بلاد الهند بسبب تعبث الفرنج هناك كما

تقدم ، وعيّن جماعة من أولاد الناس وغيرهم من المماليك لحفظ الجسور التي بالشرقية والغربية ، فلما عرض العسكر كتب منهم جماعة قيل ثلاثة آلاف مملوك وقيل ألفي مملوك ، وعيّن من الأمراء المقدمين أربعة وهم : الأمير قاني باي قرا أمير ٣ آخور كبير وجعله باش العسكر ، وعيّن الأمير سودون الدواداري رأس نوبة النوب ، وعين الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين ، وعيّن الأمير بيبرس قرابته ثم بطل عقيب ذلك ، وتعيّن عوضه الأمير أبرك الذي كان نائب طرابلس وهو ٦ الآن مقدّم ألف ، وأبرك هذا من ممالك السلطان ، فلما عيّنه جماعه باشا على المماليك الجلبان الذين عيّنوا إلى السفر ، وعين في ذلك اليوم جماعة من الأمراء الطبلخانات ومن الأمراء العشرات . - ثم في يوم السبت خامس عشره نزل السلطان ٩ إلى الميدان وعرض بقية العسكر ، (٢٢٢٢) وكتب الغالب منهم إلى حلب . - وفي هذه الأيام تصدّى الزينى بركات بن موسى إلى عقوبة شمس الدين بن عوض وولده ، فما أبقى ممكنا في ذلك من ضرب كسارات وعصر أكعاب ، وعصرهما ١٢ في أصداعهما وفي أيديهما وحرّق أصابعهما بالنار ، ولم يردّ ابن عوض من المال الذي قرّر عليه إلا القليل وكان جلدا على العذاب ، وقد تقدم له مع الأمير أزدمر الدوادار أنه عاقبه أشد العقوبة ولم يقرّ بشيء من المال . - وفي يوم الاثنين ١٥ سابع عشره جلس السلطان على المصطبة التي بالحوش ونفق الجامكية على العسكر ، ثم نفق نفقة السفر على العسكر المعيّن إلى حلب ، فدفع إلى كل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر معجلا وثمن حمل سبعة أشهر ، وقد ١٨ مشى على طريقة الملك الأشرف قايتباي في أمر النفقة على العسكر عند توجيههم إلى البلاد الشامية . - وفي يوم الأربعاء تاسع عشره نزل السلطان وزار ضريح الإمام الشافعي والإمام الليث بن سعد رضى الله عنهما وتصدق في ذلك اليوم ٢١ بمبلغ له صورة ، وكان السلطان في حملة كبيرة بسبب ابن عثمان والصوفي . - وفيه ظهر أحمد بن الصايغ شريك الزينى بركات بن موسى ، وكان له مدة وهو مختفى

من الزينى بركات وقد تقدم (٢٢٢ ب) القول على ذلك ، فطلع به بعض الأمراء وقابل السلطان فلم يخلع عليه لأجل خاطر الزينى بركات . - وفي ذلك اليوم جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان وكتب منهم نحو خمسمائة مملوك ، فكان الذى كُتِب من القرائصة والجلبان جملة ذلك نحو ألفين وأربعمائة مملوك على ما قيل وعينهم للسفر إلى حلب . - وفي يوم الخميس عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة السادة الأشراف أخوة السيد بركات أمير مكة ، وكان سبب حضورهم إلى القاهرة أن وقع بينهم وبين أخيهام السيد بركات فتنة مهولة وقتل جماعة كثيرة من الفريقين ، فانكسر أخوة السيد بركات وولتوا مدبرين ، فواسعهم إلا الحضور إلى عند السلطان حتى يكون من أمرهم ما يكون ، وأرسل الأمير حسين نائب جدة يُعلم السلطان بذلك وأن الفرنج قد زاد تعبثهم بسواحل الهند وملكوا كمران من ضياع جهات الهند . وأرسل يستحث السلطان في إرسال تجريدة بسرعة قبل أن تملك الفرنج سواحل الهند وربما يُخاف على جدة من أمر الفرنج ، وفي هذا الشهر اضطربت الأحوال على السلطان من جميع الجهات . - وفي يوم الخميس سابع عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، وهذا القاصد جليل (٢٢٣) القدر من أعيان أمراء ابن عثمان ، وكان ابن عثمان عمن هذا القاصد من حين كان الأمير أقبأى الطويل عنده فلم يحضر إلى مصر إلا الآن ، فلما دخل القاهرة أنزله في بيت الظاهر تمر بغا الذى عند سوق السلاح بالقبو إلى أن يقابل السلطان . - وفي يوم السبت تاسع عشرينه نزل السلطان إلى قبة يشبك وأقام بها إلى بعد العصر وعاد إلى القلعة .

وفي جمادى الآخرة كان مسهل الشهر يوم الاثنين ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر . - وفي ذلك اليوم طلع قاصد ابن عثمان إلى القلعة وقابل السلطان ، فأوكل له بالحوش وجلس على المصطبة ونصب على رأسه السحابة الزركش ، ورسم بأن يزيتوا باب الزردخاناه بالسلاح والصناجق فزيتوه ، واصطفت

- الأمراء والعسكر بالحوش من غير شاش ولا قاش ، ثم طلع القاصد وصحبته أزدمر المهندار وجماعة من الرؤوس النوب ، وطلع معه مقدمة حفلة للسلطان تشتمل على خمسة وعشرين حمّالا ما بين وشق وصمور وقاقم وأثواب مخمل وبرصاوى ٣ وشقق سمرقندى ملون ، وحمّال عليه أوانى فضة ، وطلع صحبته بخمسة وعشرين مملوكا صغارا حسان الأشكال ، وكان ذلك القاصد جميل الهيئة وصحبته جماعة (٢٢٣ ب) من العثمانية ذو هياث جميلة ، فلما طلع وقابل السلطان أكرمه وقرأ ٦ مطالعته ثم نزل وانفضّ الموكب ، وكان ذلك اليوم مشهودا . - وفى يوم الثلاثاء ثانى الشهر نزل السلطان إلى المقياس وبات به وعزم على قاصد ابن عثمان هناك ، وجلس معه فى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ومدّ له هناك أسمطة ٩ حافلة وأظهر أنواع العظمة الزائدة فى تلك الليلة ، وأحضر قرآء البلد وأقام بالمقياس يومين ، ثم طلع إلى القلعة يوم الأربعاء أواخر النهار وانشرح هناك إلى الغاية . - وفى يوم الثلاثاء تاسعه أرسل السلطان إلى الأمراء المقدمين الذين تعينوا إلى ١٢ السفر فأرسل لهم فى ذلك اليوم النفقة ، فأشيع أنه أرسل إلى الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير باش العسكر خمسة آلاف دينار ، وأرسل إلى سودون اللوادرى رأس نوبة النوب أربعة آلاف دينار ، وأرسل إلى الأمير أرزمك الناشف ثلاثة ١٥ آلاف دينار ، والأمير أبرك مثله . - وفى ذلك اليوم وقعت كائنة عظيمة للأمير قانصوه أبو سنة أحد الأمراء المقدمين ، وسبب ذلك أن علاى الدين ناظر الخصاص كان اقترض من الأمير قانصوه هذا مبلغا له صورة وشرع يطلّ به مدة طويلة ، ١٨ فحق منه الأمير قانصوه فركب وجاء إلى بيته فوقع بينه وبين ناظر الخصاص تشاجر ، (٢٢٤ آ) فعجز عليه ناظر الخصاص فحق منه الأمير قانصوه وشمته فأغلظ عليه ناظر الخصاص فى القول ، فقام إليه ولكمه على رأسه فقطع ناظر الخصاص ٢١ إلى القلعة وشكاه إلى السلطان ، فلما تحقق السلطان صحة ذلك تغير خاطره على الأمير قانصوه وأرسل يقول له : الزم بيتك ، وقصد يختم على حواصله ويحتاط على

موجوده ، وأشيع نفيه إلى دمياط فقبل إن الأتابكى سودون العجمى طلع إلى
السلطان وشفع فيه من النقي ، ورضى خاطر السلطان عليه واستمرّ على أمرته كما
٢ كان . - وفى يوم الجمعة ثانى عشره جاءت الأخبار بأن ابن عثمان أرسل قاصدا
آخر مطراً على جرائد الخليل ، فلما وصل إلى الصالحية بات بها تلك الليلة فسُرق له
من تحت رأسه بقجة فيها قماش القاصد وبعض مبلغ ومن جملة ذلك مطالعة ابن
٦ عثمان إلى السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وقيل إنه قبض على
لحيته من شدة غضبه ، وعيّن فى الوقت والساعة بابا إلى شيخ العرب أحمد بن بقر
وعلى يده مراسيم بأن يفحص على من أخذ بقجة هذا القاصد من العريان ، وإن
٩ ضاعت مطالعة ابن عثمان التى فى البقجة كانت روحه قبالة ذلك ، فتوجه إليه
البابا ، وأشيع فيما بعد بأن شيخ العرب قبض على من أخذ بقجة القاصد (٢٢٤ ب)
وأعيد إليه ما سُرق له بالتّمام من يومه ، وقيل إن السلطان حلف بحياة رأسه إن لم
١٢ يحضر شيخ العرب أحمد بن بقر بهذه البقجة بجميع ما فيها وإلا يوسّط الأمير
أحمد فى ثيابه ، واستمرّ الأمر على ذلك حتى يظهر أمر البقجة . - ويقرب من
هذه الواقعة ما اتفق فى دولة الملك الظاهر جتمق رحمة الله عليه وذلك أن
١٥ فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند شاه
روخ بن تمرلنك ، فلما حضر أنزله فى مكان بالقرب من بين القصرين ، وكان شاه
روخ أرسل إلى الملك الظاهر على يد هذا القاصد مقدمة حفلة ، فلما طلع القاصد
١٨ إلى القلعة أدخله السلطان إلى البحرة ، فأبطأ عند السلطان ، فأشيع فى القلعة
أن السلطان قد قبض على القاصد ، فنزلت المماليك الجلبان من الطباق وتوجهوا
إلى المكان الذى نزل به القاصد فنهبوا كلما كان فيه ، والتفّ عليهم السواد الأعظم
٢١ من الأعوام فلم يُبقوا للقاصد شيئاً ، وأخذوا التقدمة الى كانت للسلطان حتى
أخذوا خيوله ، [ولما بلغ] الملك الظاهر ذلك تنفّ لحيته بيده ورسم لحاجب الحجاب
وقراجا الوالى بأن يدرّكوا ردّ الناس عن النهب ، فنزلوا من القلعة على حية فلم

(٢١) الأعوام ، أى العوام .

(تاريخ ابن لياس ج ٤ - ٢٥)

- يردوا من النهب إلا بعض شيء ، وراحت على من راح ، (٢٢٥) فقبض الوالى على جماعة كثيرة من الأعوام وضربهم بالمقارع ، وشيء قطع أيديهم ، وكادت القاهرة أن تخرب فى ذلك اليوم لهذه الواقعة ، ثم إن الملك الظاهر بعث يعتذر ٣ إلى القاصد مما جرى وأن ذلك من غير علمه ، ثم أرسل إل القاصد عشرة آلاف دينار أكثر مما نهب له ، وصار القاصد كلما شق من القاهرة يسبونه جماعة من الأعوام ويهدلونه ، وما قاسى خيرا من أهل مصر ، انتهى ذلك . - وفى يوم ٦ السبت ثالث عشره فيه وقعت حادثة غريبة وهو أن شخصا يهوديا يقال له خضير ، وكان بالصليبية ، وهو يدعى الطب ، فتوجه إلى عليل من أولاد الناس فوصف له حقنة ، فلما احتقن مات عقيب الحقنة ببومين ، فقبضوا على ذلك اليهودى ٩ وتوجهوا به إلى شاد الشراب خاناه ، فقبل إنه من خوفه قصداً يُسلم ثم رجع إلى دينه ، ولم يُثبت عليه قتل ذلك العليل وادعى أن العليل كان قد ضربه الخمر على قلبه فمات عقيب الحقنة بأجله ، فلم يثبت على اليهودى قتله ، وقبل إن اليهودى غرم مبلغا له ١٢ صورة ، وأدبوه ثم خلص من القتل وراح القتل فى كيس العليل ، وقد قيل فى المعنى : ليت شعرى وللزمان خطوب وبلاء يختص بالأحرار
- هل ليت قضى (٢٢٥ ب) عليه طيب من كفيل أو آخذ بالثار ١٥
- وفى يوم الأحد رابع عشره أرسل السلطان النفقة إلى الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات المعيّنين إلى التجريدة ، وذلك على جارى العادة . - وفى يوم الأحد المذكور كانت وفاة القطب العارف بالله تعالى الوالى الزاهد المجذوب ١٨ الشيخ محمد بن زُرعة الأحمدى البدرشيني رضى الله عنه ، وكان من أعيان الأولياء وله كرامات خارقة ومكاشفات صادقة ، ومات وهو فى عشر السبعين ، وكانت جنازته مشهودة وصلى عليه فى جامع الشيخ سلطان شاه ودفن فى زوايته التى ٢١ بالقرب من قنطرة قديدار ، وكان معتقدا بالصلاح رضى الله عنه . - وفى

- يوم الأربعاء سابع عشره جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر المعين للتجريد ،
 فنفق عليهم جامكية جمادى الآخرة توسعة عليهم خارجاً عما نفقه لهم من الأربعة
 ٢ أشهر المعجلة كما تقدم ذكر ذلك ، ونفق عليهم عليق ذلك الشهر ، وفرق عليهم
 الخيول التي كانت لهم في الديوان فجاءة من المالك أخذوا لهم خيولا شيء
 فرس وشيء فرسين ، وجماعة منهم أخذوا لهم ثمن فرس خمسة آلاف درهم ، وقد
 ٦ بالغ السلطان في الإحسان إليهم وما أبقى في ذلك ممكنا ووعدهم بأن يصرف
 (٢٢٦ أ) لهم ثمن اللحم أيضا عقيب ذلك ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء من
 العسكر . - وفي يوم الخميس ثامن عشره أشيع موت شمس الدين بن عوض
 ٩ أستاذ الدخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف السنية ، وهو محمد بن أحمد بن
 عوض ، وأصلهم فلاحين من منية مسير ، وكان شمس الدين هذا في مبتدأ أمره
 فقيرا جدا فباشر ديوان جماعة من الأمراء المقدمين ، منهم الأمير أربك الخازندار
 ١٢ والأمير أزدمر الدوادار وغير ذلك من الأمراء ، ثم راج أمره في دولة الأشرف
 قانصوه الغوري وباشر ديوان السلطان وصار أستاذ الدخيرة ، وابنه شرف الدين
 مستوفى على الخزائن الشريفة ، وابنه فخر الدين مباشر عند الأمير طومان باي
 ١٥ الدوادار ، فتلاعبت به الدنيا لكثرة هرجه وركب فيها في غير سرجه ، فأخذ
 في أسباب المرافعات في المباشرين وأعيان الناس حتى ضجعت منه الأفلاك والأملاك ،
 وكان انفرد بالسلطان وعول عليه ، فأخذه الله تعالى من الجانب الذي كان يأمن
 ١٨ إليه ، فتغير خاطر السلطان عليه وقبض عليه كما تقدم ذكر ذلك ، فتسلمه الزيني
 بركات بن موسى على مائة وخمسين ألف دينار غير ستين ألف أردب شعير ، فلما
 تسلمه شرع يعذبه بأنواع العذاب من ضرب مقارع وعصره في أكعابه وأصداغه
 ٢١ هو وولده شرف الدين ، (٢٢٦ ب) وصار ابن عوض يقاسى ذلك العذاب الأليم
 ولم يرد من المال الذي قُدر عليه سوى قدر عديم ، فاستمر تحت العقوبة إلى أن
 مات وولى عمره وفات ، فمات وهو في بيت الوالى على حصير والحديد في عنقه فما

فكّوه من حنقه حتى مات بأشْرَ موته « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » فلما مات فى بيت الوالى نُحِل إلى داره ففُتِل وكُفّن ولم يمش له أحد فى جنازة ، وفى ذلك عبرة لمن يعقل ، وقد قيل فى المعنى :

٢

ألا إنما الدنيا كمثل أراكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
هى الدار ما الآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب
فكم سحنت بالأمس عين قريرة وقرّت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عينك فيها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب

٦

- وكان سبب نكبة ابن عوض قيل وقع بينه وبين الأمير خاير بيك كاشف الغريبة من أجل ابن جميل أحد مشايخ الغريبة ، فطلع خاير بيك وشكى ابن عوض إلى السلطان ، وبالحق فى شكواه حتى غيّر خاطر السلطان عليه ، وقيل إن خاير بيك قال : أنا أثبت فى جهة ابن عوض مائة وخمسين ألف دينار . -
- وفى يوم الخميس المقدم ذكره صنع السلطان وليمة حفلة بالمقياس . واجتمع بها ١٢ القضاة الأربعة وأعيان الناس من العلماء وغير ذلك ، ومدّ (٢٢٧ آ) هناك الأسبطة الحافلة واجتمع هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة حفلة ، والسلطان كل سنة يصنع مثل ذلك بالمقياس قرب وفاء النيل ، وفى سنة عشر وتسعمائة ١٥ صنع وليمة بالمقياس مثل هذه فزاد الله تعالى فى النيل المبارك تلك الليلة خمسين أصبعا دفعة واحدة ، فعُدّ ذلك من النواذر . - وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير طومان باى الدوادار ، وكان له مدة وهو مسافر ١٨ فى الصعيد بسبب ضمّ المغل . - فلما كان يوم الأحد بلغ السلطان وصوله إلى الجيزة فنزل إلى المقياس ولقاه من هناك ، وكذلك قاصد ابن عثمان ، فلما طلع إلى القلعة يوم الاثنين المذكور أخلع عليه السلطان خلعة حافلة ، ونزل من القلعة ٢١

(٤ - ٧) ألا إنما ... ذاهب : جاءت فى الأصل بعد « وخمسين » فى سطر ١١ . (١١) ألف

دينار : جاءت فى الأصل بعد « جانب » فى سطر ٤ .

في موكب مشهود وصحبته سائر الأمراء المقدمين والمباشرين وأعيان الناس واستمر
على ذلك حتى دخل إلى داره ، وأخلع عليه السلطان في ذلك اليوم فوقاني أخضر
٢ بطرز يلبغاوى عريض ، ومشت الأفيال وهي مزينة قدامه في ذلك الموكب وشق
من الصليبة . - وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر به توفى الأمير ماماي جوشن أحد
الأمراء المقدمين الألوف ، وكان رئيسا حشما جميل الهيئة قليل الأذى بين الأمراء ،
٦ ومات وهو في عشر السنين ، وقيل أصله من ممالك (٢٢٧ ب) الظاهر خشقدم
من كتابيته ، واشتراه الأشرف قايتباي من بيت المال وأعتقه فهو من جملة معاتيق
الأشرف قايتباي ومن ممالكه ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل وصلى عليه وكانت
٩ جنازته مشهودة ، رحمة الله تعالى عليه . - وفي يوم الثلاثاء المذكور أعلاه كان
وفاء النيل المبارك ، أوفى بعد الظهر ، وعُلّق السر على شبك القصر الذي أنشأه
السلطان على بسطة المقياس ، وقد أوفى الله السنة عشر ذراعا وأصبعين من سبعة
١٢ عشر ، ووافق ذلك ثاني عشرين مسرى ، وقد أبطأ هذا النيل عن نيل السنة
الماضية بسبعة أيام ، وكانت الناس بسببه في غاية الاضطراب . - وفي يوم الأربعاء
رايع عشرينه الموافق لثالث عشرين مسرى فُتِح السدّ وكان يوما مشهودا قلّ
١٥ أن يقع مثله في الفتك والفرجة ، ورسم السلطان للأتابكي سودون العجمي بأن
يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فكان له في ذلك اليوم موكب حافل ، وأخلع عليه
السلطان فوقاني أخضر بطرز يلبغاوى عريض ، وحصل للناس غاية الجبر بكسر
١٨ السدّ في ذلك اليوم ، وقد قيل في المعنى :

كُسِرَ الخليج وكان ذلك نعمة سُرّت قلوب العالمين لبشره
ومن العجائب والغرائب أنه جبرت قلوب المسلمين لكسره

٢١ وقيل في المعنى :

أرى نيل مصر (٢٢٨) قد غدا يوم كسره إذا رام جريا في الخليج تقنطرا
ولكن بعد الكسر زاد تجبرا وأفرط هجما في القرى وتجسرا

ووافق أن النيل زاد بعد فتح السدّ بيومين عشرة أصابع في دفعة واحدة ، ثم في اليوم الثالث من فتح السدّ زاد الله في النيل المبارك أحد عشر أصبعا في دفعة واحدة ، ثم في اليوم الخامس من فتح السدّ زاد سبعة أصابع فزاد ستة عشر ٣ أصبعا من ثمانية عشر ذراعا وذلك في أواخر منسرى بعد الوفاء بخمسة أيام ، فعُدّ ذلك من النواذر . - وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه خرج جماعة كثيرة من المماليك السلطانية المعينين إلى التجريدة ، وقد رسم لهم السلطان بأن ٦ كل من انتهى شغله يخرج ويسافر قبل الباش ، فخرجوا أفواجا أفواجا واستمروا على ذلك في كل يوم تخرج منهم جماعة بعد جماعة .

وفي رجب كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، فجلس السلطان في الميدان وطلع إليه ٩ الخليفة والقضاة الأربعة يهنّونه بالشهر . - وفي يوم الخميس ثالثه أخلع السلطان على يوسف البدرى الوزير كاملية مغل أحمر بصمور ، وأخلع على القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة ، وعلى مقدّم الدولة ، خلع الاستمرار ونزلوا من القلعة ١٢ في موكب حفل ، حتى رجت لهم القاهرة في ذلك اليوم . - وفي يوم الخميس المذكور أشيع (٢٢٨ ب) أن السلطان قبض على جاني بيك الأستاذار الذى كان دوادار الأمير طراباى ، وكان السلطان ندبه بأن يتكلم في الأستاذارية نيابة عن الأمير ١٥ طومان باى الدوادار فأخلع عليه ، فلما تكلم في الأستاذارية أظهر الظلم والجور وصار لا يراعى من الأثام خليلا ، فعادى سائر الأمراء والعسكر قاطبة بسبب الحمايات وأمور البلاد ، فكان يرسم على الأمراء الطبلخانات والعشرات بسبب ١٨ الحماية ، ويرسل الرسل الغلاظ الشداد إلى بيوت الأمراء المقدمين ويطالبهم بالحماية الطلب العسف ، حتى ضجّ منه الأمراء والعسكر ، فكان يأخذ حماية سنة معجلا قبل أن يطلع النيل وكذلك الشياخة ، وكان السلطان قرّبه أولا وصار ٢١ لا يقبل فيه شكوى ، وكان ذلك من أكبر أسباب الفساد في حقه ، فلا زال بعض أعدائه يتكلمون في حقه عند السلطان حتى غيروا خاطره عليه بالكلية فأقلب عليه

ما كأنه يعرفه قط ، فلما رستم عليه انتدب إلى حسابه نور الدين على البرماوى
البرددار بالخدم الشريفة وجماعة من المباشرين ، فدققوا عليه الحساب وحاسبوه
٣ على الفتيل والنقير والقطمير والقليل والكثير ، حتى قيل حاسبوه على ما كان
يدخل إليه من الضيافات والتقادم وغير ذلك ، فقيل بقوا عليه ثلاثة وثلاثين ألف
(٢٢٩ آ) دينار على ما قيل ، واستمر في الترسيم حتى يكون من أمره ما يكون . -
٦ وفي يوم الأحد سادسه جلس السلطان بالميدان وحضر عنده قاصد ابن عثمان
وسائر الأمراء المقدمين ، فجلس قاصد ابن عثمان فوق أمير كبير سودون العجمي
بإذن السلطان له ، عند السلطان في المقعد ، وساقوا قدامه الرماحة وهم لابسون
٩ الأحمر كما يفعلون في لعب الرمح عند دواران المحمل في رجب ، وكان لهم مدة
طويلة وهم يدمنون في لعب الرمح كما جرت به العادة القديمة ، فكان المعلم تمر
الحسنى أحد المقدمين الألو ف ، ويعرف بالزردكاش أيضا ، وأما الباشات الأربعة
١٢ وهم الأمير كرتباى من قصره والى القاهرة والأمير أربك من دولاتبای والأمير
أينال الأشقر الأشرفي والأمير مصرباى الأبوبكرى ، فأظهروا في لعب الرمح
الفنون الغريبة حتى تحير القاصد من ذلك وتعجب غاية العجب ، ثم في
١٥ أواخر السوق نزل المعلم والباشات الأربعة والأربعون فارسا وباسوا الأرض
للسلطان ، وقد أحدث ذلك الأشرف قايتباى لما كان يسوق في دوران المحمل فكان
ينزل عن فرسه ويبوس الأرض للسلطان خشقدم في وسط الرملة ، وكان
١٨ السلطان قصده سوق الرماحة (٢٢٩ ب) قدام القاصد عمداً حتى يريه فروسية
عسكر مصر ، وكان ذلك عين الصواب ، فاجتمع في الميدان في ذلك اليوم الجمل الغفير
من الخلائق ، وكان يوما مشهودا ، فساقوا الرماحة في ذلك اليوم مرتين ، ثم لعبوا
٢١ بعد ذلك جماعة من المماليك خصمانية في الرمح ، والقاصد ينظر إليهم ويتعجب من
ذلك ، فلما انقضى أمر سوق الرماحة قام السلطان ودخل إلى البحرة التى أنشأها

(٧) سودون العجمي : جاءت في الأصل بعد « له » في السطر التالى . (١١) ويعرف : يعرف .

(١٤) وتعجب غاية العجب : جاءت في الأصل بعد « الرملة » في سطر ١٧ .

في الميدان ، وأضاف القاصد هناك هو والأمراء ومد لهم أسمطة حفلة وأظهر
أنواع العظمة في ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم أخلع على قاصد ابن عثمان خلعة سنية
وأذن له في السفر صحبة العسكر ، ثم بدا للسلطان بأن يعوق قاصد ابن عثمان ٣
إلى أن يحصر أينال باى دوادار سكين ، فلم يخرج صحبة العسكر كما أشيع قبل
ذلك أمر سفره مع الأمراء ، ثم أخلع السلطان في ذلك اليوم على الأمير تمر
المعلم وأركبوه فرس بسرج ذهب وكتبوش ، وأخلع على الباشات الأربعة كما ٦
جرت به العادة القديمة ، وقد جدّد السلطان ذلك بعد ما كان قد نسي أمره
من أيام الأشرف قايتباى ، فعُدّ ذلك من محاسن السلطان . - و يوم الاثنين
سابعه خرجت الأمراء المعينون للتجريدة وهم الأمير قانى باى قرا أمير آخور ٩
كبير باش العسكر المنصور والأمير سودون اللوادارى رأس نوبة (٢٣٠ ت)
النوب والأمير أزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين والأمير أبرك مملوك
السلطان أحد الأمراء المقدمين وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، ١٢
فكان لهم يوم مشهود ، واستمرت الأطلاب تنسحب من إشراق الشمس إلى قريب
الظهر ، فأظهروا غاية العظمة في ذلك اليوم في تزخرف الأطلاب ، حتى ارتجت
لهم القاهرة في ذلك اليوم ، واصطفقت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ١٥
وكان ذلك اليوم مشهودا ، وكان طلب أمير آخور كبير غاية في الحسن ما أبقى فيه
ممكنا ، وكذلك بقية الأمراء ، ثم إن السلطان أخلع على أمير آخور خلعة السفر
ونزل من القلعة في موكب حفل وصحبته الأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء ١٨
المقدمين ، فاستمروا صحبته حتى نزل في الوطاق بالريدانية . - وفي يوم الثلاثاء ثامنه
كان أول يوم النوروز ، وهو أول السنة القبطية ، سنة عشرين وتسعائة الخراجية
وكان هذا اليوم عند الأقباط له شأن عظيم وكان يقع لهم فيه أخبار غريبة ، (٢٣٠ ب) ٢١
وهو أول الأيام من توت من أول الشهور القبطية . - وفي يوم الأربعاء

(٣ - ٥) ثم بدا . . . مع الأمراء : جاءت في الأصل بعد « النوروز » في سطر ٢٠ .

(٢٢) للشهور : الشهر .

- تاسعه أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتسليم جاني بيك الأستاذار إلى الزينى
بركات بن موسى ليعاقبه حتى يستخلص منه الأموال التى قُتررت عليه ، وكان السلطان
٢ قرر عليه ثلاثة وثلاثين ألف دينار فامتنع جاني بيك من ذلك وتكلم بكلام يابس ،
فلما بلغ السلطان ذلك حتى منه ورسم بتسلمه إلى الزينى بركات بن موسى . -
وفى يوم الخميس عاشره أشيع بين الناس بأن سليم شاه بن عثمان ملك الروم قد
٦ انتصر على الصوفى وملك منه أرزنكان وتبريز ، فلم يثق السلطان بهذا الخبر
وتثبت حتى ترد عليه الأخبار الصحيحة فيدق الكوسات ، ولكن سر السلطان
بهذه الإشاعة وأمر بأن تُقرأ عدة ختمات فى أماكن من الجوامع ، فقرأ فى مقام
٩ الإمام الشافعى رضى الله عنه سبعين ختمة بالجبريتية ، وقرأ فى مقام الإمام الليث
ابن سعد رضى الله عنه عدة ختمات ، وكذلك فى جامع عمرو بن العاص رضى الله
عنه ، وفى جامع أحمد بن طولون ، وفى الجامع الأزهر وغير ذلك من الجوامع
١٢ التى بالقاهرة ، وأرسل لكل جامع من الجوامع مبلغا بسبب القراءة ، (٢٣١ آ)
وعمل أسمطة للفقراء فعُد ذلك من محاسن السلطان . - وفى يوم الاثنين رابع عشره
نزل الزينى بركات بن موسى من القلعة وقدامه عبد من عبيد ابن عوض وقد
١٥ رسم السلطان بتوسيطه ، وسبب ذلك أنه قيل عنه كان يعرف ذخائر أستاذه
شمس الدين بن عوض ولم يقر بمكان فيه المال ، وعاقبه ابن موسى وسجنه فى
المقشرة مدة ولم يقر بشيء من المال ، فحقق منه الزينى بركات فشاور عليه السلطان
١٨ فرسم بتوسيطه ، فوسطه عند قنطرة الحاجب ولم يقر بشيء من المال الذى
كان يعلم به ، فراح ظلما إن علم بالمال أو لم يعلم . - وفى يوم الثلاثاء خامس
عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو مصر الغتية بعد أن صلى صلاة
٢١ الفجر ، فلما وصل إلى قم السد نزل من هناك فى مراكب قُدمت إليه ، وكان صحبته
جماعة من الأمراء منهم الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس
والأمير طومان باى الدوادار والأمير أنصبای حاجب الحجاب والأمير تمر أحد
٢٤ المقدمين والأمير علان الدوادار الثانى أحد المقدمين ، وغير ذلك من الأمراء

- المقدمين والطلبخانات والعشرات ، وجماعة كثيرة من الخاصكية ، فتوجه إلى برّ
الجزيرة واستمرّ حادراً من (٢٣١ ب) هناك إلى بولاق فطلع إلى البرابجية ، وكان
القاضي كاتب السر محمود بن أجا عزم عليه هناك ، فلما استقر هناك هو والأمراء
أحضر كاتب السر بين يدي السلطان مدّة عظيمة ما أبقى فيها ممكناً ، وأتبعها
بطواري حفلة ما بين حلوى وفاكهة ونخبوز وغير ذلك من المأكّل الفاخرة ،
فبات السلطان عنده تلك الليلة في البرابجية ، فكان سباط العشي أعظم من سباط
الغدى ، وقيل أحضر في الطاري بعد الظهر أربعين خروفا شوى وقيل ثلاثين ،
وخسين جُفنة فيها جُذابة ، ثم مدّ له في اليوم الثاني سباطا للغداء فقيل إن القاضي
كاتب السر أصرف على تلك المدّات فوق الألف دينار ، فلما تغدّى السلطان
عنده نزل هو والأمراء في المراكب وتوجه إلى المقياس فأقام به إلى أواخر النهار ،
ثم عدّى من هناك وطلع إلى القلعة ، فلما طلع أرسل إليه القاضي كاتب السر مقدمة
حفلة ما بين صمور ووشق وسنجاب وصوف وجوخ وبلبكي وغير ذلك ، وقيل
أرسل إليه ذهب عين ما علّم قدره ، ومملوكا جزكسيا مليحا ، قلت والقاضي كاتب
السر هذا هو آخر رؤساء مصر من المباشرين . - وفي يوم الجمعة ثامن عشره
وقعت نادرة غريبة وهو أن قاصد ابن عثمان الثاني الذي جاء وزعم أن العرب
سرقوا بقبحته من تحت رأسه (٢٣٢ آ) وفيها مطالعة ابن عثمان وتنكد السلطان
بسبب ذلك ، فلما حضر بين يدي السلطان صار يعتذر له مما سُرّق له ، فأقام
في مصر أياما فأرسله السلطان إلى القاصد الذي جاء في الأول فأنكر أمره وقال
إن ابن عثمان لم يرسله وأن هذا القاصد لم يكن من جماعة ابن عثمان ، فاستمر بمصر
إلى أن طلب الإذن من السلطان في العود إلى بلاده فأذن له في ذلك وأنعم عليه بمال
له صورة ، فلما خرج وسافر وقع بينه وبين رفيقه بسبب المبلغ الذي حصل له
فلم يعطِ رفيقه منه شيئا ، فلما وقع بينهما رجوع رفيقه ونمّ عليه عند السلطان
بأن هذا داسوسا من عند حسن بن أحمد بيك بن عثمان الذي حضر أبوه إلى مصر
ومات بها بالطاعون كما تقدّم ذكر ذلك ، وهو الآن عند الصوفي مقبوا وأرسل

- هذا القاصد ليستفهم الأخبار بما جرى في مصر ، وأن هذا القاصد نصب على
 النواب وأخذ منهم مبلغا له صورة ، فلما تحقق السلطان ذلك رسم برد القاصد من
 الطريق ، فلما حضر بين يدي السلطان قصد أن يشنقه ثم سلمه إلى الوالى فشكته ٣
 في الحديد ونزل به ماشيا على أقدامه والمشاعلية تنادى عليه هذا جزاء من
 يكذب على الملوك ، ثم توجه به إلى المقشرة فسُجن بها ، وقيل رسم (٢٣٢ ب)
 السلطان للوالى بأن يعاقبه ويستخلص منه ما كان أخذه من النواب من المبلغ ٦
 والتقدم التى دخلت عليه . - وفى يوم السبت تاسع عشره نزل السلطان إلى
 قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها ، وأقام هناك إلى يوم الأحد أواخر النهار وانشرح ٩
 إلى الغاية . - وفى يوم الاثنين حادى عشرينه أذن السلطان إلى قاصد ابن عثمان
 بالسفر ، وهو الذى حضر أولا ، وكان من أمرائه المقدمين قيل إنه أمير آخور
 كبير عند ابن عثمان ، فلما طلع رسم السلطان بأن تزين باب الزردخاناه
 بالسلاح والصناجق ، وكذلك باب القلعة وباب سلم المدرج ، فلما طلع القاصد ١٢
 عمل السلطان الموكب بالحوش وحضر الأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء ، وكان
 الموكب حافلا ، ثم أخلع السلطان على القاصد خلعة معظمة وهى كاملية جرّ ذهب
 شغل القاعة بصمور عال ، وفوقها فوقانى حرير أخضر بطرزي بلبغاوى عريض ، ١٥
 قيل فيه خمسمائة مثقال ذهب ، وأخلع على من معه من جماعة ابن عثمان سلاريات
 صوف بصمور عال ، ونزل القاصد من القلعة فى موكب حافل وصحبته الروثوس
 النوب ، ثم أخذ فى أسباب الخروج إلى السفر . - وفى ذلك اليوم المقدم ذكره ١٨
 حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أينال باى دوا دار سكين الذى كان توجه إلى سليم
 شاه (٢٣٣ آ) ابن عثمان ملك الروم ، وقد توجه إليه بعد مجيء أقبای الطويل ،
 فلما قابل ابن عثمان أكرمه وأقبل عليه وميّزه على أقبای واستحسن كلامه ٢١
 فى ردّ الجواب وشكره على أقبای ، فلما قصد التوجه إلى مصر أخلع عليه
 خلعة سنّية وأنعم عليه بمال له صورة ، وكتب معه مطالعة للسلطان ونعته فيها
 بأنعام عظيمة وبألف فى تعظيمه ، وقيل إن ابن عثمان أظهر فى مكاتبته بعض تعظيم ٢٤

- بكثرة عساكره وشدّة بأسه ، فلم يلتفت السلطان إلى شيء من ذلك .
- وفي شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فسلموا على السلطان وعادوا إلى بيوتهم . - وفي يوم السبت رابعه أشيع بين ٣ الناس أن قد حضر ساعى وأخبر بأن سليم شاه بن عثمان قد انتصر على الصوفى ومملك بعض ضياع بديار بكر ، وأشيع أنه ملك تبريز أيضا ، فعند ذلك تثبت السلطان ولم يصدق الكوسات حتى ترد عليه الأخبار الصحيحة فى ذلك ، وفى هذه ٦ الأيام كثر القيل والقال بين الناس بأن ابن عثمان قد أسر الصوفى ووضع فى حديد وطاف به فى البلاد ، ولم تصحّ هذه الأخبار بل إشاعات بين الناس . - وفى يوم الاثنين سادسه حضر سيف جانم نائب طرابلس ، وكان (٢٣٣ ب) أصله من ٩ ممالك الأشراف قايتباى ، وكان لا بأس به . - وفى يوم الجمعة عاشر شعبان رسم السلطان بفتح سدّ خليج أبى المنجا ، ووافق ذلك ثانى بابه ، وقد تأخر فتحه عن العادة إلى اليوم وفات أوان ميعاد فتحه ، وكان النيل يومئذ فى خمسة عشر ١٢ أصبعا من عشرين ذراعا وقد حصل به غاية المنافع وعمّ البلاد قاطبة ، واستمر النيل فى ثبات على ما ذكرناه إلى أواخر بابه لم ينهبط منه شيء . - وفى ذلك اليوم وقعت حادثة مهولة وذلك أن فى يوم فتح سدّ أبى المنجا توجه الأمير ١٥ كرتباى والى القاهرة إلى فتحه ، فلما توجه إلى هناك أوسق مركبين فىهما مطابق فيها أكل حلوى وفاكهة ، وكان فى المراكب شيء من الفرش والقماش والأواني ، فلما وصلا إلى قناطر أبى المنجا قوى عليهما تيار الماء فانقلبت تلك المركبتين بما ١٨ فىهما مما ذكرناه فغرقا كلما كان فىهما جميعا ، وغرق للوالى مملوك من ممالكه الخاص وبعض غلمان ، وكان ذلك اليوم مهولا وما جرى على الوالى فى ذلك اليوم خير . - وفى يوم الأربعاء خامس عشر شعبان ، الموافق لسابع بابه فيه ثبت النيل ٢١ المبارك على خمسة عشر أصبعا من عشرين ذراعا ، وكان هذا النيل المبارك أزيد من نيل السنة الخالية بأحد عشر أصبعا . - (٢٣٤ آ) وفى أثناء هذا الشهر (١١) سد : السد . (١٨) أبى المنجا : بنى منجا . (٢٠) فى ذلك اليوم : ذلك فى اليوم .

- ٣ نزل السلطان إلى قبة يشبك التي بالمطرية وبات بها ، وكانت ليلة مقمرة ، فدف له الزيني بركات بن موسى هناك مدآت حافلة ، وما أبقي في ذلك ممكنا من أطعمة فاخرة وحلوى وفاكهة وممك وخرفان شوى وغير ذلك ، وحضر عند السلطان مغاني وأرباب آلات وانشرح هناك إلى الغاية ، وأقام في القبة يومين ، وكانت الملقبة معمرة بالماء وهي في غاية البهجة ، ثم طلع إلى القلعة بعد العصر . - وفي هذا الشهر كان الأمير خاير بيك الخازندار مريضا على خطة وأشيع موته غير ما مرة ، واستمر على ذلك وهو مريض ملازم للفراش والإشاعات قائمة بموته في كل يوم .
- ٦ وفي يوم الخميس كان مستهل شهر رمضان فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فجلس السلطان بالميدان وطلع الوزير يوسف البدرى والزيني بركات بن موسى المحتسب وعرضا اللحم والدقيق والخبز والغنم والبقر على السلطان كما جرت به العادة وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ، فأخلع السلطان عليهما وأخلع على القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة الخلع السنية ، وكان ذلك اليوم مشهودا . - وأما في ليلة رؤية الهلال حضر القضاة الأربعة بالمدسة المنصورية ، وحضر (٢٣٤ ب) الزيني بركات بن موسى المحتسب ، فلما ثبت رؤية الهلال وانفض المجلس ركب الزيني بركات بن موسى من هناك فتلاقاه القوائيس الأكرة والمناجنيق والمشاعل والشموع الموقودة ، فلم يُحص ذلك لكثرتة ، ووقدوا له الشموع على الدكاكين وعلقوا له التناير والأحمال الموقودة بالقناديل من الأمشاطيين إلى سوق مرجوش إلى الخشابين إلى سُويقة اللبن إلى عند بيته ، فارتجت له القاهرة في تلك الليلة ، وكانت من الليالي المشهودة ، وأطلقوا له مجامر بالبحور بطول الطريق وكان ذلك يعادل المواكب السلطانية ، وكان الزيني بركات بن موسى محبّا للناس قاطبة فارفعت له الأصوات بالدعاء ، وكان له سعد خارق لم يقع لغيره من الناس إلا القليل ، ولا سيما اجتمع فيه من الوظائف السنية ما لا اجتمع في أحد من الأعيان قبله منها الحسبة الشريفة وأستادارية الذخيرة وغير ذلك من الوظائف والتحدث

- على الجهات من البلاد السلطانية . - وفي يوم السبت ثلثة جاءت الأخبار من بلاد الشرق صحة السعاة من بعض النواب بأن سليم شاه بن عثمان سلطان الروم وقع بينه وبين شاه إسماعيل الصوفي وقعة مهولة تشيب منها النواصي ، وقُتل ٣ من عسكر ابن عثمان نحو (٢٣٥ آ) من ثلاثين ألفا ، وقيل نحو ستين ألفا ، وقُتل مثل ذلك من عسكر الصوفي ، فكان بينهما من الحروب المهولة ما يطول شرحه ، وكان ذلك في سادس رجب سنة عشرين ، وقيل قتل من أمراء ابن عثمان اثني عشر ٦ أميراً مقدماً ألف ، وقُتل من عسكر الصوفي أضعاف ذلك ، وقيل كانت هذه الواقعة بالقرب من تبريز العجم ، وكانت الكسرة أولاً على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصوفي انكسر كسرة قوية وقُتل غالب عسكره وانهزم الباقون ولم ينج منهم ٩ إلا القليل ، وأشيع أن الصوفي قد قُتل في المعركة ووُجد تاجه مرمى على الأرض ، وقد تواترت الأخبار بذلك وقويت الإشاعات بقتله والله أعلم بحقيقة ذلك ، وأشيع أن واصل عقيب ذلك عدة رؤوس ممن قُتل من عسكر الصوفي من أعيان أمرائه ١٢ وعسكره ، وقد ملك ابن عثمان غالب بلاد الصوفي من ممالك الشرق ، فلم يرسم السلطان بدق الكوسات لهذا الخبر ، وكذلك الأمراء أخذوا حذرهم من ابن عثمان ، وخشوا من سطوته وشدة بأسه لِمَا يحدث منه بعد ذلك إلى جهة بلاد السلطان . - ١٥ وفي يوم الجمعة تاسع شهر رمضان كانت وفاة الأمير خاير بيك الخازن دار الكبير أحد الأمراء المقدمين وصهر السلطان زوج أخته قديما ، فأخرجت جنازته من بيته الذي عند (٢٣٥ ب) جامع الأزهر ، وتوجهوا بنعشه إلى سبيل المؤمنين فنزل ١٨ السلطان له وحضر الخليفة وصلى عليه ، وكانت جنازته حافلة ومشت فيها قضاة القضاة والأمراء المقدمون وأعيان المباشرين وغير ذلك من الأعيان ، ودفن في تربته التي أنشأها بالصحراء ، وكان أصله من مماليك الظاهر خشقدم ، وكان ٢١ متزوجاً بأخت السلطان قانصوه الغوري من حين كان جندارا ، فلما تسلطن الغوري أنعم عليه بأمرة عشرة ، ثم بقي خازن دارا كبيرا عوضا عن عبد اللطيف الزمام بحكم (٢) السعاة : السعاة . (٧) أصناف : أصناف . (١٣) ممالك : ممالك . (٢١) تربته : تربة .

وفاته ، ثم صار أمين السلطان على خزائن الأموال وغيرها ، وصار لا يقضى أمر من أمور المملكة دون علمه ، ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف فزايديت عظيمة وتضاعفت حرمة ، ونال من العز والعظمة ما لا ناله أغاته الأمير خاير بيك الخازندار مملوك الظاهر خشقدم في دولة أستاذه في أيام خازندار بنه ، لكن كان خاير بيك هذا عنده رهج وخفة وبادرة بسفاهة مع حدة زائدة ، وكان إذا رسم السلطان بأمر لا يراجع فيه إلا الأمير خاير بيك ولا يكن إلا ما يقوله الأمير خاير بيك ، وكان له محاسن ومساوئ ، وكان له الإدلال الزائد على السلطان وكان عنده من المقربين ، وتوفي الأمير خاير بيك وله من العمر نحو ثمانين سنة ، ولما مات ظهر له من الموجود (٢٣٦ آ) أشياء كثيرة ما بين مال وقاش وبرك وسلاح وتحف وخيول وبغال وجمال وغير ذلك من الموجود الحافل ، وقد تكلموا على موجوده بأشياء كثيرة لكنني لم أقف على صحتها فلم أوردتها هنا خوف الاعتراض على في ذلك ، وهذا القدر كافى هنا . - وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره نزل السلطان إلى مدرسته وعرض الأيتام والصوفية الذى بها ، ورسم للأيتام بكسوة ، وأقام هناك إلى قريب الظهر ، ثم طلع إلى القلعة . - وفي يوم الخميس خامس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة ماماي السلحدار أحد الأمراء العشرات ، الذى كان توجه للشام بسبب تزويج ابن السلطان ببنت سيياى نائب الشام ، فتوجه إلى الشام بالمهر وعقد العقد لابن السلطان فتعلل نائب الشام وقال أنا ابنتى صغيرة عمرها ست سنين لم تستحق للزواج ، وكان له ابنة أكبر من هذه توفيت فى السنة الخالية لما وقع الطعن بالشام وكانت هى المقصودة للزواج ، فلما مات قصد السلطان أن يعقد لابنه على البنت الصغرى فلم يوافق نائب الشام على ذلك وتعلل بأنواع العلل ، فلما طلع الأمير ماماي إلى بين يدى السلطان أخلع عليه وعلى الخوaja يونس العادلى ونزلا من القلعة فى موكب حافل . - وفى ذلك اليوم نفق (٢٣٦ ب)

(٦) لا يراجع فيه إلا الأمير : يراجعه إلا فيه أمير . (٨) وتوفى ... سنة : جاءت فى الأصل بعد « عشرة » فى سطر ٢٣ ص ٣٩٨ . (٩-١٠) الموجود : الموجد . (٢٢) يونس : يونس .

- السلطان الكسوة على العسكر مع الجامكية . - ولما حضر الأمير ماماي إلى القاهرة حضر صحبته من الناس ما لا يحصى من أهل حلب وغير ذلك من الناس ، فكان في هذا القفل من أهل حلب [عدد كبير] ، وسبب ذلك أن العسكر لما دخل إلى حلب جرى على أهل حلب من ممالك السلطان الجلبان ما لاخير فيه ، نزلوا في بيوتهم ونهبوا أمتعتهم وفسقوا في حريمهم وأولادهم وعيالهم ولم يسمعوا للباش ولا نائب حلب ، فوقع بين ممالك السلطان الجلبان وبين ممالك نائب حلب فتنة مهولة وكادت حلب أن تخرب عن آخرها وهم أهلها بالخلاء منها ، وغضب نائب حلب وخرج من حلب إلى القضاء وأقام به بسبب ممالك السلطان الجلبان فلم يسمعوا من كبير ولا صغير ، وأشيع بين الناس بأن قرقاس المقرى قد قُتل في هذه المعركة ، وقيل أن ممالك الأتابكي دولات باى هم الذين قتلوه فإنه كان اتهم بقتل أستاذهم دولات باى بأنه قد أشغله ، والله أعلم بحقيقة ذلك إن كان قُتل أم لا ، فلما جرى ذلك بحلب خشي غالب أهلها على عيالهم وأولادهم فأرسلوهم إلى مصر بحجة ذلك القفل المقدم ذكره ، واستمرت أهل حلب مع الممالك الجلبان في اضطراب زائد ، وربما يقع بسبب ذلك فتنة (٢٣٧) كبيرة بين الأمراء وبين ممالك السلطان الذين هناك فإن الأحوال مضطربة والأمور غير صالحة ، وأما [ما] أشيع من الأخبار بحجة هذا القفل الذى حضر من حلب مما كان بين ابن عثمان وبين الصوفى من أمر هذه النصرة على الصوفى ، قيل إن فى سادس رجب من هذه السنة وقع بين ابن عثمان وبين الصوفى وقعة مهولة بالقرب من تبريز ، فكسر الصوفى ابن عثمان أولاً كسرة قوية وقتل من أمرائه الأعيان اثني عشر أميراً مقدماً ألف غير الأمراء الذين دونهم ، وقتل من عسكره نحو من ثلاثين ألفاً وقيل أكثر من ذلك ، وكانت الكسرة على ابن عثمان أولاً ، ثم إن ابن عثمان أحضر اثني عشر ألف راي بالبندق الرصاص وتلاقى مع الصوفى فكسر الصوفى كسرة قوية ، وقيل إنه جرح وولّى مهزوما فلم يعلم له خبر ، وقيل إن ابن عثمان أسر أمراء الصوفى وحز رقابهم

وأرسلهم إلى بلاد الروم ، فزُيِّت له المدائن بالروم ، مدينة إسطنبول وغيرها من
 المدائن ، وقيل قتل من عسكر الصوفي ما لا يُحصى عددهم ، ثم إن ابن عثمان ملك
 تبريز بالأمان ، وكذلك قاشان وسيواس وغير ذلك من البلاد مما كان بيد الصوفي ، ٣
 وخطب له باسمه بها على المنابر ، وكانت هذه (٢٣٧ ب) النصره لسليم شاه بن
 عثمان على غير القياس ولم يقع لأحد من أجداده مثل هذه النصره قط ، والكلام
 في ذلك كثير إن صحّت هذه الأخبار من أمر هذه النصره . - وفي أثناء هذا ٦
 الشهر توفي القاضي بدر الدين بن الإنبائي كاتب جيش الشام رحمة الله عليه ، وقرّر
 في وظيفته الشرفي يونس النابلسي الأستاذاركان ، وكان بدر الدين لا بأس به . -
 وفي يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ٩
 ووافق ذلك سابع هاتور القبطي ، وهي العادة القديمة في لبس الصوف . -
 وفي يوم الأحد ثامن عشره توفي الناصري محمد بن قجق نديم السلطان ، وكان ١٢
 علامة في ضرب الطنبورة عارفا بصنعة الأنغام ، وكان لطيف الذات عشير الناس ،
 فكانت جنازته حافلة ومشى فيها أعيان الناس ، حتى أعيان مغاني البلد والآلاتية
 قاطبة فإنه كان شيخهم ، وكان من المقربين عند السلطان . - وفي يوم الاثنين
 سادس عشرين شهر رمضان جاءت الأخبار من حلب بأن المماليك السلطانية ١٥
 أثاروا بحلب فتنة مهولة وركبوا هناك على الأمراء وطردهم عن حلب وقالوا
 لهم : ارسلوا قولوا للسلطان (٢٣٨ آ) ينفق علينا لكل مملوك خمسين دينارا كما
 نفق على ممالكه الجلبان قبل ذلك ، وأشاعوا عنهم أخبارا شنيعة إلى الغاية ، وأن ١٨
 الأحوال مضطربة بحلب والأمور غير صالحة فتنكّد السلطان لهذا الخبر إلى
 الغاية ، وضرب مشورة هو والأمراء بسبب هذه الحادثة ، وقيل إنه عين الأمير
 أينال باي دودار سكين بأن يتوجه إلى حلب ويكشف عن صحة هذه الأخبار ٢١
 الشنيعة ويطلع السلطان بذلك ، وقد كثر القيل والقال بين الناس بسبب ذلك . -
 وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه ختم صحيح البخاري بالقلعة ، وفُرقت الخلع والصرر

(١٣) والآلاتية : واللائية . (٢٠) مشورة : مشورة .

(تاريخ ابن لباس ج ٤ - ٢٦)

على القضاة ومشايخ العلم ، وكان ختما حافلا بالمقعد الذى بالحوش السلطاني . -
وفي أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من المدينة الشريفة ب وفاة الأمير شاهين
الجمالى شيخ الحرم النبوى ، وكان أصله من ممالك الجمالى يوسف ناظر الخصاص ، ٣
وكان لا بأس به . - وفي يوم الخميس تاسع عشرينه عرض ناظر الخصاص
على الدين بن الإمام خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة على رؤوس الجمالين ،
وكان ذلك اليوم مشهودا . - وفي يوم الخميس المذكور حضر قاصد من عند ٦
السلطان سليم شاه بن عثمان ملك الروم وعلى يده مطالعة للسلطان تتضمن
أخبار هذه النصره التى وقعت له على إسماعيل شاه الصوفى ، وذلك أن فى يوم
الأربعاء سادس رجب الفرد سنة عشرين وتسعمائة تلاقى عسكر سليم شاه ٩
(٢٣٨ ب) ابن عثمان مع عسكر إسماعيل شاه الصوفى على مكان بالقرب من تبريز
يقال له إسكندران ، فكان بينهما هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصى ، وتذهل
العقول عند سماعها من كل دان وقاصى ، فصيّرت الرؤوس عن الأجساد طائرة ، ١٢
وطمشت العساكر بالخيول الفائرة ، ووقع القتل بالسيف حتى أجرى الدماء منهم
كالسيل ، واستمر الحرب ثائرا حتى حال بينهما الليل ، فسكرو القوم من خمر ذلك
الحرب ، وتراقصت الخيول على وقع السيوف الداخلة فى الضرب ، فقتل من ١٥
العسكرين ما لا يحصى عددا ، وانهمز الباقون وتبدّد شملهم بددا ، فبالها من ساعة
مهولة ، لا ترضى الله ولا رسوله ، فوقع الكسرة على عساكر ابن عثمان أولا
وقتل من عسكره ما لا يحصى عددهم ، حتى قيل قتل من أمرائه سبعة عشر أميرا ١٨
أصحاب صناجق ، وقتل من عسكره نحو النصف ، فلما عاين ابن عثمان ما وقع له
من هذه الكسرة كادت روحه أن تزهق من شدة قهره ، ثم قام على عسكره
وحضتهم على القتال فقوى عزم عساكر الروم على القتال وأتوا بالصارم البتار ، ٢١
وقال لسان حالهم الموت فى طلب الثار ، خير من الحياة فى العار ، فوثبوا على
عساكر الصوفى وثوب الليث الهام ، وبايعوا أنفسهم فى بلوغ المرام ، وقيل إن ابن

(٧) تتضمن : يتضمن . (١٨) أمرائه : أمراء . (١٩) أصحاب : أصحاب .

- عثمان كان في جاليش عسكره اثني عشر (٢٣٩ آ) ألف رام بالبندق الرصاص ،
فلما زحفوا على عسكر الصوفي عمتهم الدهوة ، ولم يحملوا معهم غلوة ، فانكسر
٢ الصوفي وولتي مهزوما وقتل من عسكره أضعاف ما قُتل من عساكر الروم ، فيقال
إن الصوفي جُرح وهرب في نفر قليل من عسكره ولم يثبت أنه قد قُتل في المعركة
كما أشيع عنه فيما تقدّم ، وقيل قُتل من أمرائه جماعة كثيرة منهم صاحب ديار بكر
٦ ويسمى سيحلي محمد وأولاده ، وغير ذلك من أعيان عسكره وأمرائه ما لا يُحصى
عددهم ، وكانت النصرة لسليم شاه بن عثمان على الصوفي من النوادر الغربية ، كما يقال :
فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسرت
٩ ثم إن ابن عثمان حزّ رقاب من قُتل من أمراء الصوفي وأرسلهم إلى بلاده ،
فطافوا بها هناك وعلّقوا على أبواب مدائن الروم ، ولم تقع مثل هذه النصرة لأحد
من أجداد سليم شاه بن عثمان ، ولا لوالده السلطان أبي يزيد المعروف بيلدرم
١٢ ابن أورخان ، لما زحف تمرلنك كسره وأسرّه ووضع في قفص من الحديد وصار
يدخل به البلاد ويعجب عليه ، فما طاق يلدزم ذلك فبلغ له فصاً من الماس فمات
وهو في القفص الحديد وأمره مشهور ، ووقع لوالده السلطان أبي يزيد لما زحف
١٥ على البلاد السلطانية في أيام الأشرف قايتباي ، (٢٣٩ ب) فكسر الأشرف قايتباي
عسكره ثلاث مرات وقتل من عسكره ما لا يُحصى عددهم ودخل بجماعة من
عسكره أسراء إلى مصر في الحديد وصنّاجق أمرائه منكوسة وحصل على
١٨ عساكر الروم ما لا خير فيه ، فكان لسليم شاه سعد خارق بهذه النصرة على
الصوفي ووقع له ما لا وقع لأبيه ولا لأجداده وهذا أمر إلهي ، فلما وقع لسليم
شاه ذلك رجع إلى بلاده ليشتي بها وبعد الشتاء ما يُعلم ما يكون بينه وبين الصوفي
٢١ من الحروب المهولة ، فلما رحل ابن عثمان جعل على تبريز نائباً من أمرائه وكذلك
على البلاد التي ملكها من أيدي الصوفي فاستتاب له بها نواباً من أمرائه ثم رحل

(٢) عسكر : عسكره . (٨) نسر : نسر . (١١) أبي يزيد : أبي يزيد .
(١٢) أورخان : اردخان . (١٦) ودخل بجماعة : بجماعة ودخل .

عن بلاد الصوفى ، فلما حضر قاصد سليم شاه بن عثمان بين يدى السلطان وقُرئت
مكاتيبه بحضرة الأمراء أخلع على القاصد الذى حضر بأخبار هذه النصره كامليه
نحمل أحمر كفوى بصمور عال من ملايسه ، ثم نزل القاصد من القلعة ولم يرسم
السلطان بدق الكوسات بالقلعة ، ولم يناد فى القاهرة بالزينة لأجل هذه النصره ،
ولم يُعلم ما سبب ذلك . - وأشيع عن قرقاس المقرئ بأنه فى قيد الحياه ، ولم يثبت
موته كما أشاعوا عنه بما تقدم من الإشاعات الفاسده .

وفى شوال كان مستهل الشهر يوم السبت ، وكان ذلك اليوم عيد الفطر (٢٢٤٠)
فخرج السلطان إلى صلاة العيد ، فصلّى ثم أخلع على الأمراء ومن له عادة بالخلع
السنيه ، وكان موكب العيد حافلاً كما جرت به العاده . - وفى يوم الاثنين عاشره
أخلع السلطان على الأمير أينال باى دودار سكين ، وأذن له بأن يتوجه إلى حلب
بسبب ردّ الجواب على الأمراء والعسكر السلطاني فيما أرسلوا يسألون فيه من أمر
النفقة ، وهى الخمسون ديناراً التى أثاروا الفتنة بحلب بسببها ، وبهدلوا الباش قانى باى
قرا أمير آخور كبير وعينوا له القتل المالىك القرانصة والجلبان ، [وقالوا] : نفق
فى السنة الخالية على مماليكه الجلبان لكل واحد منهم خمسون ديناراً ولم يعط المالىك
القرانصة شيئاً فقتل ما نفق على مماليكه ينفق علينا نحن أيضاً ولا نهب أسواق
حلب ، فأرسل لهم السلطان الجواب عن ذلك بما تقتضيه الآراء الشريفه ، فتوجه
أينال باى بمراسيم شريفه تُقرأ على الأمراء والعسكر بحلب عن الجواب فى ذلك ،
ثم إن السلطان بعد أن أخلع على الأمير أينال باى ورسم له بالسفر فعوقه عن
السفر من بعد ذلك أياماً لأمر أوجب ذلك بما عنّ له ، ثم سافر بعد ذلك
فى العشرين من هذا الشهر ، وكذلك قاصد ابن عثمان المقدم ذكره . - وفى (٢٤٠)
اليوم المذكور أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان الذى حضر بأخبار النصره
على الصوفى فأخلع عليه وأذن له بالعود إلى بلاده وكتب له الجواب بالتهنئه عن أمر
هذه النصره [التى] تمت . - ومن الحوادث أن السلطان أنشأ سوقاً بالقرب من خان

الخليلى يباع فيه الرقيق ، وأبطل السوق القديم الذى كان يباع فيه الرقيق ، وصار العمل على هذا السوق من يومئذ . - ومن النوادر الغريبة أن الأمير خاير بيك الخازندار لما توفى رسم السلطان للأمير طومان باى الدوادار والزينى بركات ابن موسى المحتسب بأن يتوليا ضبط موجود الأمير خاير بيك الخازندار ، فلما شرعا فى ذلك ظهر له موجود يقرب من موجود سلار الناصرى نائب السلطنة كان ، فظهر له فى أول يوم من الذهب العين ثلاثة وثمانين ألف دينار ، وزعم السلطان أنه لما حصل له التوعك فى عينه أودع عنده خمسمائة ألف دينار فلم يظهر للسلطان منها شيء وخفيت تحت الأرض ولم يعلم مكانها ، ومات خاير بيك عن غير وصية ولم يخلص ذمته فيما عليه من حقوق الناس الذى كان يقطع مصانعتهم ويأكل حقوقهم ، فلما ضاعت على السلطان تلك الوديعة صار يُقَلِّ الرحمة على الأمير خاير بيك ولم يقرأ له ختمة على قبره ولا صنع له مآتما ولا تصدق عليه ١٢ برغيف خبز ، ثم ظهر له من بعد ذلك (٢٤١ آ) من المعادن والجواهر والفصوص الماس والياقوت الأحمر واللؤلؤ الكبار والتحف الفاخرة ما قُوم بمائة ألف دينار ، ثم ظهر له ألف ثوب بعلبكي ومن الأثواب الصوف والأبدان الصمور والوشق والسنباج والقطع الجوخ وثياب البدن من سلاريات وجنينيات جوخ وغير ذلك ما قُوم بخمسين ألف دينار ، وظهر عنده بشاخين زركش وأشياء من ثياب النساء تركة وحليهن ما لا يُحصى ، وسبب ذلك أنه استولى على ستة عشر من تركات الخوندات والستات وأعيان الرؤساء من الملوك وغير ذلك ممن توفى فى دولة السلطان قانصوه الغورى ، وظهر له من الخيول والبغال والجمال ما لا يُحصى ، فدخل ذلك إلى الخواصل السلطانية ، وظهر له من الرزق والأملاك والبيوت والربوع والحوانيت وغير ذلك ما عنهم من الخراج وكرا أماكن فى كل سنة فوق العشرة آلاف دينار ، واستمر الحال على ذلك إلى يوم تاريخه يظهر له فى كل يوم من الموجود أشياء جديدة ولم ينته ضبطه إلى الآن وضاع له تحت

- الأرض وعند الناس أضعاف ذلك ، فكان موجوده إذا قُومَ جميعه يقارب أربعائة ألف دينار ، ومع هذا المال الجزيل لم يلهم الله تعالى الأمير خاير بيك عند موته أن يرّ ابن أستاذه الظاهر خشقدم بشيء من المال في الباطن (٢٤١ ب) حتى ٣ يستعين بذلك على فقره ووفاء دينه ، فعُدّ ذلك من مساوئ خاير بيك ولم يثن عليه أحد بعد موته بخير قط ، فذهبت عنه الدنيا وفاته الآخرة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولما توفي الأمير خاير بيك أشيع أن السلطان عين ٦ تقدمه الأمير خاير بيك إلى أقبای الطويل أمير آخور ثاني ، وأنعم على ولده المقر الناصري محمد بأمرة طبلخاناه وقرّره في الخازندارية الكبرى عوضاً عن خاير بيك بحكم وفاته ، فترأيت عظمة سيدي ابن السلطان وكان له من العمر يومئذ ٩ نحو ثلاث عشرة سنة ، وقد تقدم القول على أن السلطان أرسل يخطب بنت ملك الأمراء سييای نائب الشام إلى ولده المذكور أعلاه ، فتعلل نائب [الشام] على أن ابنته صغيرة ، وكان اسمها فاطمة وتدعى أيضاً شقرا ، وقيل إنها جميلة ١٢ عمرها ثمان سنين ولم تستحق للزواج ، فأرسل السلطان يقول له : لا بدّ من ذلك ، وأرسل له عشرة آلاف دينار مهرها ، فلما رأى السلطان قد صمم على ذلك قبل المهر وأجاب بالسمع والطاعة وأذن في تزويج ابنته إلى ابن السلطان ، ١٥ وسيأتى الكلام على ذلك في موضعه . - وفي يوم الأربعاء ثاني عشره جلس السلطان على المصطبة التي بالحوش وفرّق على المماليك الذين أخرج لهم الخيل والقماش ، وفرّق عليهم في ذلك اليوم السيوف والزرديات والتراكيش ، وكانوا ١٨ نحو مائة وستين مملوكا من جلبانه . - وفي يوم (٢٤٢ آ) الجمعة رابع عشر شوال فيه كان عقد المقرّ الناصري محمد بن السلطان على ابنة ملك الأمراء سييای نائب الشام ، فكان الوكيل عن ابن السلطان الأتابكي سودون العجمي ، والوكيل ٢١ عن سييای نائب الشام الأمير طومان باي الدوادار الكبير ، وكان جملة الصداق نحو عشرين ألف دينار ، من ذلك عشرة آلاف دينار معجلاً وعشرة

آلاف دينار حال، وكان العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الأربعة وهم: علاي الدين

الإخيمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقاضى جلال الدين

٢ ابن قاسم المالكى والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، وحضر سائر الأمراء من

الأكابر والأصاغر ، وحضر القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا وأعيان المباشرين

قاطبة ، فلما فرغ السلطان من صلاة الجمعة قرّشت له مرتبة على باب المقصورة

٦ فجلس عليها ، وجلست الأمراء حوله بالشاش والقماش والقضاة الأربعة ، وجلس

نواب القضاة عند المحراب ، ثم خطب قاضى القضاة الشافعى خطبة النكاح ، وطاقوا

على الحاضرين من الأعيان بنحو عشرين سلطانية صيني فيها سكر ، ثم إن السلطان

٩ أخلع على القضاة الأربعة كوامل صوف أبيض بصمور، وأخلع على الأتابكى سودون

العجمى والأمير طومان باى الدوادار كوامل مخمل أحمر (٢٤٢ ب) بصمور

كونهما وكلاء فى العقد ، وأخلع على محبّ الدين الحلبي إمام السلطان كاملية صوف

١٢ بصمور، ثم قام السلطان وانفضّ المجلس فى نحو خمس درج، وقد قال القائل فى المعنى :

على أيمن الساعات عقدٌ مباركٌ بهيُّ كما شاء الإله وأظهرها

سنىُّ المعالى يُسرّت حركاته إذا الله سنّى أمرَ عقدٍ تيسّرا

١٥ ولم يقع فى هذا العقد ما هو كبير أمر من الأفعال المملوكية ، وأين هذا مما وقع

للخليفة المأمون بن هرون الرشيد لما أن عُقد له على بوران بنت الحسن بن سهل

وزيره، قال صاحب كتاب « الاكتفاء فى تواريخ الخلفاء » أن الحسن بن سهل الوزير

١٨ لما عقد المأمون على ابنته بوران ببغداد اجتمع أعيان بغداد من العلماء والأمراء

والحجّاب بالجامع الكبير ، فلما انفضّ ذلك الجمع نثر الوزير الحسن بن سهل على

رؤوس الأعيان من الناس رقاعا مكتوب فيها أسماء ضياع وأملاك فن وقعت

٢١ بيده رقعة مكتوب فيها اسم ضيعة أو ملك بعث إلى صاحب الرقعة بتسليم ما فى

الرقعة من ضيعة أو ملك ، وهذا من غرائب الأخبار ، وكان ذلك فى سنة عشر

ومائتين من الهجرة . — وما يُحكى أن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

(١٠) أحر: الأحمر . (١٣) الإله: الالاء . (٢٠) اسماء ضياع: اسماء ع . (٢٢) الرقعة: رقعة .

زَوْج ابْنه الملك السعيد بينت الأتابكى قلاون الألفى ، وكان الملك الظاهر يظنّ أنه إذا زَوْج ابْنه بينت الأتابكى قلاوون يكون له من بعده عوناً لولده (٢٤٣ ت) على تقلّب الزمان ، فجاء الأمر بخلاف ذلك وأخذ قلاوون الملك من أولاده ونفاهم إلى الكرك ولم يُفدّه من تلك الصهارة شيء ولا راعاهم من بعده ، وكان ذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، فكان كما يقال فى المعنى :

- ربّما يرجو الفتى نفع فتى خوفه أولى به من أمله
ربّ من يرجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله
- وفى ذلك اليوم سافر مامى الغورى الخاصكى ، الذى عينه السلطان للتوجه إلى جبل نابلس وغيرها من الجهات ، بسبب أمر المشاة الذين أفرد السلطان الأموال على البلاد بسببهم ، لأجل التجريدة المقدم ذكرها ، فخرج مامى هذا ليحجى الأموال التى قُرّرت على البلاد ، حتى قيل قُرّر على أهل جبل نابلس من الأموال مائة ألف دينار وأربعة وعشرين ألف دينار بسبب المشاة ، ولم يتفق قط هذا لأهل جبل نابلس بل كان الأشرف قايتباى فى التجاريد التى كان يرسلها يتفق على الرجال المشاة من حاصله لكل واحد منهم قدر معلوما ، فلم يوافق السلطان على شيء من ذلك وأفرد على مشايخ جبل نابلس ما تقدم القول عليه من المال ، ١٥ ومشايخ جبل نابلس يفرّدون ما قُرّر عليهم من المال على عربان جهة نابلس ، ولم يقدروا على بعض ذلك وسوف يخلّون أهل جبل نابلس منه (٢٤٣ ب) عن قريب ، وقُرّر على أهل الشام مال له صورة بسبب المشاة. وكذلك أهل غزة ، ١٨ وكذلك على أهل صفد وطرابلس ، وكتب بمعنى ذلك مراسيم على يد أمير آخور باش العسكر بأن يُفرد على أهل حلب مال بسبب المشاة ، وكذلك على أهل حماة ، فقيل قُرّر على كل إنسان من هذه الجهات عشرون دينارا بسبب المشاة ، ٢١ وهذا كله يؤول أمره إلى خراب البلاد وفساد الأحوال وضعف أحوال الجند وعدم عمارة البلاد ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى ما شاء يفعل ، فأطلق النار

في تلك البلاد بسبب أمر المشاة . - وفي يوم السبت خامس عشره خرجت المنورة إلى بركة الحجاج . - وفي [ذلك] اليوم نزل السلطان إلى قبة يشبك التي بالمطرية وبات بها ، ثم ركب يوم الأحد وتوجه إلى بركة الحجاج ورتب كيف يُنصب الوطاق للأمراء الحاج ، وكان ممن حجّ في هذه السنة من الأعيان وهم المقرّ الناصري محمد بن السلطان وخوند زوجة السلطان والقاضي كاتب السر محمود بن أجا والأمير نانق الخازن ، وكان هو المتسفر على السنيح وكان من أخصّاء السلطان . - وأما أمراء الحاجّ الأمير طقطبای نائب القلعة أحد المقدمين أمير ركب المحمل ، والركني سيدي عمر بن الملك المنصور بن الملك الظاهر جقمق أمير الركب الأول ، والأمير جاني بيك قرا (٢٢٤٤) أحد الأمراء الطليخاناه باش المجاورين ، فجعل السلطان وطاق ابنه بين وطاق كاتب السرّ وبين وطاق طقطبای أمير ركب المحمل ، ثم إن السلطان عاد إلى القلعة من يومه . - وفي يوم الاثنين سابع عشر شوال فيه خرج المحمل الشريف وكان لخروجه يوم مشهود ، لم يقع قط مثله فيما تقدم من السنين الماضية وذلك قد انسحب فيه أربعة أطلاب حافلة : طُلب جاني بيك قرا باش المجاورين وكان حافلا ، ثم انسحب طُلب سيدي عمر بن المنصور أمير الركب الأول وكان حافلا وظهر له من السنيح العظيم أشياء كثيرة يعجز عنها الأمراء المقدمون ، ثم انسحب طلب المقر الناصري سيدي ابن السلطان فخرج بطلب حربي وقدامه طبلين وزمرين وصناجق سلطانية وفيه نوبتين هجن بأكوار زركش من ذهب بنادقة وبقية الأكوار مخمل ملوّن ، وانسحب في طلبه [عدة خيول] بكنابيش زركش بغواشي حرير أصفر وعدة خيول نحو طوالتين ملبّسة ببركستوانات فولاذ مكفّنة ، وانسحب في طلبه نحو عشرين جملا مزينة بآلات الشراب خاناه من الأواني الصيني واللازورد والزجاج البلوري وغير ذلك ، وأيضاً أحمال مزينة بآلات الطشتخاناه من الأباريق الكفّت والطسوت الكفّت

(٩ و ١٥) الركب: ركب . (٢٠) جملا: حل . (٢١) الأواني: الانواف . (٢٢) الطشتخاناه: الطسخاناه .

- والشعاعد وغير ذلك مما يحير الأبصار ، ومحفة (٢٤٤ ب) جوخ أصفر مزهر
 في آخر الطلب ، ثم بعد ذلك انسحبت محفة خوند زوجة السلطان فكانت غاية
 في الحسن منتهى ما يعمل من المحفات ، فكانت تحمل أحمر كفوى وهى مرقومة
 بالذهب ، طرازها وأرضية الثوب عروق لاعبة زرکش من الذهب الخالص البنادقة ،
 وفوقها خمس رصافيات لؤلؤ وفيها رصعات ذهب بفصوص بلخش وفيروز ،
 وحول ثوب المحفة بهرجان ذهب وقضة شقاق ، وقدام المحفة أربعة مشاعل بقوط
 زرکش بشراريب مثلث ، وقبل صنعوا لخوند حمام من نحاس صفائح وداخلها
 أحواض نحاس . فعُدّ ذلك من النوارد ، غلايات يصبّ منها ماء سخنة ، قيل إن
 مصروف هذه المحفة فوق العشرين ألف دينار ، وأما الرصافيات اللؤلؤ زعموا أنهم
 رصافيات خوند زوجة الأشرف قايتباى صنعتهم لما حجت فوجدوا في تركتها ، وكان
 خلف المحفة أربعة جمال غير الذى تحت المحفة ، وعليها كنايبش زرکش على تحمل
 أحمر ، وحولها مرتعش ذهب وقضة وقدام المحفة حاديين ، ونحو عشرين نفرا من
 الخدام حول المحفة ، ثم بعد المحفة انسحب نحو عشرين محارة تحمل ملون برسم
 عيال خوند وغيرها ممن يلوذ بها ، فلما شقت من الرملة ارتجبت لها ، ولا سيما اجتمع
 بالرملة الجمل الغفير من الأمراء والعسكر والحلائق الذين لا يحصوا لكثرتهم ، ثم
 طلعت المحفة من (٢٤٥ أ) الصوة ونزلت من على باب الوزير وشقت من القاهرة ،
 فارتجبت لها القاهرة في ذلك اليوم رجاء ، ولم يكن من العادة القديمة أن محفة حريم
 السلطان تشق من القاهرة ، وقد تقدم أن خوند زينب زوجة الأشرف أينال لما
 حجت لم تشق محفتها من القاهرة بل طلعت من بين التراب ، وكذلك خوند الأحمدية
 زوجة الظاهر خشقدم لم تشق محفتها من القاهرة ، ولا خوند زوجة الأشرف
 قايتباى لما حجت لم تشق محفتها من القاهرة ، ولكن أشيع أن خوند زوجة السلطان
 لم تخرج في ذلك اليوم ولم تنزل من القلعة فشققوا بالمحفة من القاهرة ثم أعادوها
 من [بين] التراب إلى القلعة حتى تنزل خوند ، ويأتى الكلام على ذلك في موضعة ، ثم

(١) والشعاعد والشعاعدين . (٦-٧) وقيل...سخنة: جاءت في الأصل بعد «فكانت غاية» في سطر ٢ السابق.

انسحب سنح خوند وابن السلطان فكان فيه ألف رجل ما بين زاد وقرب ماء
 وغير ذلك من البرق الحافل ؛ ثم انسحب طلب الأمير طقطبای أمير ركب الحمل
 فكان غاية في الحسن ، وهو منتهى ما يُعمل في الأطلاب الملوكية ، فانسحب فيه
 نحو مائتي فرس ما بين خيول ملبسة بركستوانات فولاذ مكفت وغير ذلك من
 الحمل الملوّن ، وخيول بكنابيش زركش ، وغير ذلك من المحفات والأحمال المزينة ،
 فارتجت لهذه الأطلاب الرملة ، ثم انسحب الحمل وقدامه ابن (٢٤٥ب) السلطان
 والأمراء الحاج والخاصكية المسافرون إلى الحجاز فطلعوا وكان السلطان في ذلك
 اليوم في شباك القصر ينظر إليهم من القلعة ، فأخلع السلطان على ولده مُثمرة
 وفوقاني حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض ، وأخلع على أمراء الحاج مُثمرات ،
 وأخلع على باش المجاورين كاملية صوف بصمور ، وكان بالقاهرة شخص من قضاة
 مكة فألبسه السلطان تشريفا وطرحة هو وقاضي الحمل ، ثم نزل ابن السلطان
 من القلعة وأمراء الحاج وصحبتهم الأتابكي سودون العجمي وبقية الأمراء المقدمين
 وسائر أعيان المباشرين ، وكان قاصد ابن عثمان حاضرا لهذا الموكب العظيم ، فشقوا
 من القاهرة في موكب حفل لم يقع مثله في خروج الحجاج فيما تقدم من المواكب ،
 فلهج الناس بأن ذلك نهاية سعد السلطان مما وقع له من الأمور الخوارق فيما
 تقدم ذكره . - وفي ذلك اليوم أشيع بأن قاصدا ثانيا واصلا من عند ابن عثمان
 ملك الروم ، فلما سمع السلطان بمجيء القاصد عوّق أينال باي دوا دار سكين عن
 السفر إلى حلب حتى يسمع ما جاء فيه القاصد من الأخبار ، وقد تقدم القول
 على أنه أخلع على أينال باي وأذن له بالسفر ثم عوّقه عن السفر لأمر بدا له
 في ذلك . - وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نزلت خوند من القلعة بعد صلاة
 الفجر فجلست في الحفة من باب الستار ، ثم (٢٤٦آ) نزلوا بها من دار البقر
 إلى خلف القلعة وقدامها المشاعل والفوانيس ، وركب قدامها سائر المباشرين

(١) جل : جميل . (٢) فيه : في فيه . (٨) من القلعة : إل القلعة . (٢٠) خوند :
 جاءت في الأصل قبل « أخلع » في سطر ١٩ السابق .

- ومقدم المالك وسائر الخدام من الطواشية ، وركب خلف محفها من الخوندات والستات نحو ألف مكارى ، فاستمرت فى هذا الموكب الحافل إلى بركة الحجاج .-
- ٣ وفى ذلك اليوم خرج القاضى كاتب السر محمود بن أجا فى محفة على بغال وتوجه إلى بركة الحجاج وكان عيلا وله مدة على ذلك ، وكان الحاج فى هذه السنة لا يحصون عددا لكثرتهم ، وكان فى الركبين فوق العشر محفات للأعيان والأمراء والستات .-
- ٦ وفى يوم الخميس عشرينه أشاعوا أن أينال باى دوادار سكين قد خرج وسافر إلى حلب بسبب ما تقدم ذكره من أمر النفقة التى أرسل بطلبها العسكر ، فضى إليهم الجواب عن ذلك .-
- ٩ وفى يوم الجمعة حادى عشرينه رحل أمير أول من بركة الحجاج ، وكذلك باش المجاورين ، ثم فى ليلة السبت طلوع القمر رحل ابن السلطان وخوند زوجة السلطان والقاضى كاتب السر ، ونادوا فى البركة أن أحدا من الحجاج لا يسافر محبة خوند فى ركبا ، ثم فى اليوم السبت ثانى عشرينه رحل المحمل من البركة وقد ضج الناس من كثرة الحجاج فى هذه السنة ، وربما يخشى عليهم من موت الجبال وشدة البرد ، تم والأمر لله .-
- ١٢ وفى يوم الثلاثاء خامس (٢٤٦ ب) عشرينه جلس السلطان بالميدان وعرض ممالكه الجلبان وهم باللبس الكامل من آلة السلاح الآدمية والخيول ، فعرض فى ذلك اليوم ١٥ أربع طباق فعين منهم نحو مائة وخمسين مملوكا ، وسبب ذلك أن السلطان كان له مدة طويلة وهو يلهج بالسفر إلى الإسكندرية فقوى عزمه فى هذه السنة على السفر إلى ثغر الإسكندرية كما فعل الأشرف قايتباى ، ثم فى ذلك اليوم عرض ١٨ آلة الطلب وهم الخيول الملبسة بالجواغين الفولاذ المكفت ، وعرض خيول النوبة وهم بالكنايش الزركش والسروج والأرقاب الزركش الذهب والغواشى الذهب ، وعرض التختين وهما بغواشى حرير أصفر ، ثم طلع إلى الدهيشة وعرض الصناجق ٢١ السلطانية والقبة والطير ، وقد غير الطير الذهب الذى كان فوق القبة وجعل مكانه هلالا ذهبيا مخزما ، وعرض ستة خزائن التى يكونوا فى الطلب بالأغشية

الحرير الأصفر ، وعرض الجوشنين وهما من آلة الطلب ، وعرض محفة على بغال
وهي بغشاء من حرير أصفر . - ثم في يوم الأربعاء سادس عشرينه ركب السلطان
٢ ونزل إلى الميدان ليعرض ممالكه الخاصة التي يسافرون صحبته ، فوجد الميدان فيه
وحل من المطر ، فخرج إلى الرملة ووقف على باب الميدان وهو راكب وعرض
ممالكه الجابان (٢٤٧ آ) من الخاصة فعيّن منهم في ذلك اليوم مائة وعشرة
٦ من الخاصة ممن يسافر معه إلى الإسكندرية ، فصار كاتب الممالك ماشي على
أقدامه في وسط الرملة وهو يستدعي أسماء الممالك ، فرجّت الرملة في ذلك اليوم
وتحقّق سفر السلطان ، واضطربت أحوال العسكر بسبب سفر السلطان في قلب
٩ الشتاء وشدة البرد ، فلما طلع السلطان إلى القلعة فتح حواصل الذخيرة وأخرج
منها زرديات وخوذا وأتراسا ورماحا بسنّ فولاذ وسيفوا وجواغن ، ففرّق منها
على خاصكته أشياء كثيرة مما يحتاجون إليه من آلة السلاح . - وفي يوم السبت
١٢ تاسع عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة من ممالكه الخاصة وهم
باللبس الكامل من آلة السلاح ، فعيّن منهم جماعة يسافرون معه إلى الإسكندرية
وقد أشيع بأنه يعيّن معه نحو خمسمائة خاصكي من ممالكه ، وفي ذلك اليوم برّز
١٥ السلطان خامه وتوجه به إلى بولاق ثم عدّوا به إلى برّ لإنباهه ورسم بأن ينصب
في المنصورة ذلك الوطاق ، انتهى ذلك .

وفي ذى القعدة كان مستهل الشهر يوم الاثنين فطلع الخليفة والقضاة الأربعة
١٨ للتهنئة بالشهر على العادة ، فجلس السلطان بالميدان وكان في همة الخروج إلى
سفر الإسكندرية ، فلما قام الخليفة والقضاة الأربعة طلب (٢٤٧ ب) العلامة
وعلم على بعض مراسيم ، ثم ركب من الميدان وانسحب قدّامه الطلب فكان طلبا
٢١ حرييا فيه طلبين وزمرين والنفير البرغشي ، ثم انسحب فيه خمس وأربعون فرسا
عليهم أجلال شعروفي أرقابهم مقاود ، ثم انسحب فيه ثلاث عشرة نوبة هجن بأكوار
زركش ونحمل ملون ، ثم انسحب فيه نحو خمسين فرسا بسروج ذهب وكنابيش

- وغواشى حرير أصفر وتختين بغواشى حرير أصفر ، فكان عدة الخيول به نحو
 مائة وعشرين فرسا ، ثم تقدمت الخاصكية وبعدهم المباشرون قاطبة ، وبعدهم
 ٣ الأمراء المقدمون وهم : أمير كبير سودون العجمي والأمير أركماس أمير مجلس والأمير
 الدوادر الكبير والأمير أنصبای حاجب الحجاب وبقية الأمراء المقدمين ، ثم جاء
 من بعدهم السلطان وهو راكب على فرس بوز ، وعليه سلارى جوخ بنفسجى
 ٦ مفرى وشق ، وعلى رأسه تخفيفة صغيرة مدورة بغير قرون ، فشق من الصلية
 فى ذلك الموكب الحفل فارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس ، فقليل إنه
 توجه فى ذلك اليوم إلى المقياس هو والأمراء ومدّ لهم هناك مدة حافلة وأقام
 بالمقياس ذلك اليوم ، وأشيع غير ذلك أن السلطان لما نزل من القلعة توجه إلى
 ٩ بولاق ونزل فى مكان يسمى السبكىة قبات بها ، وقيل بل بات فى (٢٤٨ آ) المنية
 بإزاء إنابة ، والأقاويل فى ذلك مختلفة ، وكان بها الوطاق ، ثم إن السلطان رسم
 للأمير طومان باى الدوادر بأن يكون نائب الغيبة عنه إلى أن يحضر من السفر ،
 ١٢ فتحول من يومه وطلع إلى باب السلسلة وأقام به إلى أن يعود السلطان إلى
 القلعة . - وفى يوم السبت سادسه رحل السلطان من الوطاق الذى ببرّ إنابة
 وقصد التوجه إلى ثغر الإسكندرية ، ورجع جماعة كثيرة من هناك من الأمراء
 ١٥ والعسكر ، ولم يسافر مع السلطان إلا جماعة من الأمراء المقدمين والأمراء
 الطبلخانات والأمراء العشرات ، فمن الأمراء المقدمين : الأتابكى سودون العجمي
 والأمير أركماس من ولى الدين أمير مجلس والأمير أنصبای من مصطفى حاجب
 ١٨ الحجاب والأمير تمر الحسى المعروف بالزردكاش أحد المقدمين والأمير قانصوه
 ابن سلطان جركس والأمير خاير بيك كاشف الغيبة أحد المقدمين والأمير
 ٢١ علاّن من قراجا أحد المقدمين دوادر ثانى والأمير نخشبای أحد المقدمين
 والأمير أقبای الطويل أمير آخور ثانى أحد المقدمين ، وقد قرّر فى مقدمة الأمير
 خاير بيك الخازندار عن قريب ، فكان عدة الأمراء المقدمين الذين توجهوا

مع السلطان إلى ثغر الإسكندرية عشرة من المقدمين ، وأما من توجه معه من
 الأمراء الطبلخانات فجماعة كثيرة منهم : الأمير قبلك الشرفي رأس نوبة ثاني
 ٢ (٢٤٨ ب) والأمير مغلباي الشرفي الزردكاش ، وآخرون منهم ما يحضرنى أسماؤهم ،
 وأما من توجه صحبته من الأمراء العشرات فجماعة كثيرة نحو عشرين أميرا ، وقيل
 كان مع السلطان من خاصكيته نحو خمسمائة خاصكى وقيل أكثر من ذلك ، وأما
 ٦ من توجه معه من المباشرين فالقاضي محيى الدين عبد القادر القصرى ناظر الجيش
 والقاضي شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وأخوه كريم الدين كاتب
 الخزائن الشريفة والقاضي شرف الدين الصغير كاتب الممالك وأولاد الملكى
 ٩ وأبو البقا ناظر الاصطبل والقاضي علاى الدين ناظر الخصاص وجماعة من كتاب
 الممالك ، وآخرون من أعيان جماعة المباشرين ، وكان صحبته الشرفي يونس نقيب
 الجيوش المنصورة ، وغير هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان ما يحضرنى أسماؤهم
 ١٢ الآن . - وقيل كان صحبة السلطان جماعة من المغاني وأرباب الآلات من دواخل
 البلد فى المغناء ، وخرج السلطان بسنيح عظيم وبرك حافل فى أرغد عيش من
 التنزه والفرجة حتى رحل ، فنُصب له الوطاق بالمنصورة وتوجه إليها على ما نقل
 ١٥ من أخباره الصحيحة عن ذلك ، وأُشيع أن السلطان أقام فى الوطاق الذى بالمنية
 ستة أيام ، وسبب ذلك أنه كان ينتظر كتب العقبة حتى يعلم أخبار ولده الذى
 توجه إلى الحجاز (٢٤٩ آ) وأخبار زوجته خوند ، فلما ورد عليه كتب العقبة
 ١٨ بالأمن والسلامة فسر لذلك وانشرح ورحل من المنية وتوجه إلى المنصورة
 ونصب بها الخيم الشريف ونزل هناك ، ثم يتوجه من بعد ذلك من مرحلة إلى
 مرحلة حتى يدخل إلى ثغر الإسكندرية . - وفى يوم الاثنين ثامنه رسم الأمير
 ٢١ طومان باى الدوادر نائب الغيبة بأن ينادى فى القاهرة بالأمان والاطمان والبيع
 والشراء ، وأن يعلقوا على كل دكان قنديلا من المغرب وأن لا مملوكا ولا غلاما
 ولا عبدا يخرج من بعد العشاء ومعه سلاح ، وأن لا مملوكا يغطى وجهه إذا خرج

(٨) الخزائن الشريفة : جاءت فى الأصل بعد « ناظر الاصطبل » فى سطر ٩ . (٢٢) والشراء :

- إلى السوق ومن فعل ذلك شُنق من غير معاودة ، فضجّ الناس له بالدعاء . - وفي يوم الثلاثاء تاسعه توفى الحاج ياقوت فرّاش الخزّانة ، وكان أصله من عبيد المقرّ السيّ برقوق نائب الشام وأعتقه ، وساعدته الأقدار حتى صار في سعة من المال ٢ وصار أمين السلطان على الخزائن الشريفة ، فلما مات في غيبة السلطان جاء الزينى بركات بن موسى وختم على حواصله ورسم على ولده وعلى عياله إلى أن يحضر السلطان ، وكان ياقوت متهماً بالمال الجزيل ، وكان هو والأمير خاير بيك الخازن دار ٦ يتصرفان في الخزائن الشريفة كيف شاؤوا منها ، فكان كما يقال في المعنى :
- وقائلة أرى الأيام تُعطى لثام الناس من رزق خبيث
و(٢٤٩ب) تمتع من له شرف وفضل فقلتُ لها خُذْ أصل الحديث ٩
رأت حيل المكاسب من حرام فجادت بالخبيث على الخبيث
- وفي يوم الخميس حادى عشره وسط الوالى شخصاً من الغلمان قيل عنه إنه كان يخطف العمائم في الأسواق بعد العشاء ، فلما قبضوا عليه وسطوه في وسط ١٢ الصليبة قدّام حمام شيخوا ، وقيل وسطوا آخر من الغلمان عند الكبش ؛ وفي هذه الأيام كثر هجم المناسر في الحارات والأماكن من القاهرة وغيرها حتى ضجّ الناس من ذلك ، ولا سيما كان السلطان غائبا في السفر إلى الإسكندرية فاجت القاهرة ١٥ لذلك . - وفي يوم الاثنين خامس عشره فرّقت الجامكية في غيبة السلطان وحضر تفرقتها القاضي جلال الدين نائب كاتب الممالك وحضر الأمير سنبل مقدّم الممالك ونائبه والزينى بركات بن موسى المحتسب وغير هؤلاء ، وفرّقت الجامكية عند سلم ١٨ المدرج ، وكانت في غاية الانشحات . - وفي يوم الجمعة سادس عشرينه نودى في القاهرة بالزينة بسبب عود السلطان من ثغر الإسكندرية . - وفي يوم السبت سابع عشرينه سبق الخيّم الشريف ونصب الوطاق في الريدانية إلى أن يحضر ٢١ السلطان ، ثم إن السلطان عدّى من برّ لإنابة باكر النهار وطلع إلى المكان المسمّى بالسُبيكة ببولاق فتعدّى هناك وأقام إلى الظهر ، (٢٥٠ آ) ثم ركب من هناك

وشقّ من بين الغيطان وطلع من على قنطرة الفخر ، وطلع من هناك من على كوم
الريش حتى وصل إلى قناطر الأوز ، فطلع من عليها إلى أن خرج إلى الوطاق
بالريدانية فأقام به ، فلما تسامع به الأمراء أتوا إليه وسلموا عليه ، ثم جاء إليه الخليفة
المتوكل على الله والقضاة الأربعة فسلموا عليه ثم عادوا إلى دورهم ، وكان السلطان
أرسل بأن ينادى في القاهرة بأن لا أحدا من الأمراء والعسكر يلاقى السلطان إلا
من الوطاق الذي بالريدانية فامثلوا ذلك . - وفي يوم الأحد ثامن عشر منه نادى
الأمير الدوادار في القاهرة بأن يقووا الزينة ، فزيّنت القاهرة زينة حافلة ، حتى زينتوا
داخل الأسواق مثل سوق الشرب والجمالون والجواهرية وسوق الوراقين والباسطية
وسوق الحاجب وخان الخليلي وسوق جامع ابن طولون ومرجوش وغير ذلك
من أسواق القاهرة ، حتى مصر العتيقة وبولاق وغير ذلك من الأماكن . - وفي
يوم الاثنين سلخ ذو القعدة رسم السلطان بعمل إحراقه نفط تحرق في الوطاق
فحُرقَت ليلة الثلاثاء بالوطاق ، فحصل للناس في تلك الليلة غاية الضرر وسُرق من
الوطاق في تلك الليلة من عدة خيام ، وأخذ منها بعض قماش وسيوف (٢٥٠ ب)
وبشج ، حتى أشيع بين الناس أن الرصافيات الأربعة التي في محفة السلطان قد
سُرقت تلك الليلة لكثرة الرهج والاضطراب .

وفي يوم الثلاثاء كان مستهل ذى الحجة الحرام ، فتوجّه الخليفة المتوكل على الله
والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان السلطان قد أخذ في أسباب الدخول إلى القاهرة
وصار يرتب الطلب بنفسه وهو راكب على فرسه ، فكان من ملخص أخبار الطلب أنه
جزّ به نحواً من مائة وثمانين فرساً ، منها بركستوانات مخمل ملوّنة وجواغين فولاذ مكفت
بذهب وفضة نحو ستين فرساً ، ومنها خيول بسروج ذهب وكتائبش نحو عشرين فرساً ،
وكان من جملة السروج ما هو بلور مزيك بذهب وسروج عقيق مزيك بذهب
وسروج مرصعة بفصوص مثمّة وطبول بازات فضة مينة وشيء بلور ، ومنها خيول
يعراق وسروج بغواشي حرير أصفر وطبول بازات نحو خمسين فرساً ، وجوشنان أحدهما

(١٥) سرقت : سرقوا . (٢١) مزيك : مزيد . (٢٢) وشي : ومنى .

- حرير أصفر والآخر مخمل مزهر ، وتختنان بأغشية حرير أصفر ، وستة خرائن بأغشية حرير أحمر وأصفر ، ومخمة بغشي حرير أصفر وهي على بغلين ، وكان به حجورة بسروج بداوى وركب بداوى بهراق نسيج مغربي نحو عشرين حجرة ، وكان قدام الطلب ست عشرة نوبة هجن ، منهم ثمان نوب هجن بأكوار زركش (٢٥١) وكتايش زركش ، والبقية بأكوار مخمل ملون ، وكان قدام الطلب أربعة طبول وأربعة زمور ووراء الطلب اثني عشر حمل كوسات ، وكان به الأفيال الكبار وهي مزينة بالصناجق والبركستوانات الحرير الأحمر ، وكان مع الكوسات العصابات السلطانية ، وكان قدام السلطان أربع أرووس خيل بسروج ذهب وكتايش ذهب وريش وعليها أرقاب ذهب وريش وفوقها غواشي ذهب بطيور ذهب عليها ، فلما انتهى ترتيب الطلب ركب السلطان من الوطاق الذي بالريدانية ، فركب على فرس بوز قرطاسي ، وكان عليه الشاش والقماش وكاملة مخمل أحمر بصمور ، وركب ، وسرج ذهب وكتبوش ذهب وريش ، وعلى الفرس رقبة زركش ، فلما تسامعت الأمراء بركوب السلطان ركبوا وهم بالشاش والقماش ، وجميع الأمراء المقدمين والأربعينات والعشرات ، والرووس النوب بالعصى ، ثم إن الأتابكي سودون المعجمي تسلم القبة والجلالة ورفعها على رأس السلطان ، ومشى عن يساره ، وركب الخليفة محمد المتوكل على الله من يمينه وهو لابس العمامة البغدادية وعليه قبا صوف أبيض بمقلب صوف أخضر ، وركب قدامه القضاة الأربعة وهم : علاي الدين الإخميمي الشافعي وشمس (٢٥١ ب) الدين السديسي الحنفي وجلال الدين بن قاسم المالكي وشهاب الدين الفتوح الحنبلي ، وقد تقدم القول على أنهم أتوا يهتون السلطان بالشهر وهو في الوطاق فصادف ذلك اليوم طلوع السلطان إلى القلعة فركبوا صحبته ، ولم يكن يحزر ركوب الخليفة والقضاة الأربعة مع السلطان حين جاء من هذه السفارة ولكن قصدوا بذلك التوجه إلى السلطان ليحفظوا عنده بذلك ، وقد اتفق أن الأشرف قايتباي توجه إلى ثغر الإسكندرية مرتين ، فكان يجيء من السفر

- ويطلع الصبح إلى القلعة من بين التراب ولم يشعر به أحد من الناس ، ولكن كل أحد له اختيار بذاته ، فلما ركب السلطان من الريدانية رسم للخاصكية الذين كانوا معه في ثغر الإسكندرية بأن يدخلوا إلى القاهرة وهم لابسون آلة السلاح ٣ كما دخلوا بثغر الإسكندرية وهم لابسون ، فلبسوا آلة السلاح الزرديات والحدود ، وألبسوا الخيول البركستوانات المحمل ، وأخذوا الرماح بالشطقات بأيديهم وركبوا وراء السلطان في الطلب ، وكانوا نحو أربعائة خاصكى من جلبان السلطان من أعيانهم فعدّ ذلك من النواذر ، وركب مع السلطان سائر المباشرين من أرباب الوظائف من المتولين والمنفصلين ، فلما تكامل الموكب مشى السلطان وكان الصنجق السلطاني (٢٥٢٢) في كيس حرير أصفر فلم يُنشر على رأس السلطان ، فلما وصل إلى قبة الأمير يشبك التي في رأس الحسنية لاقاه الشعراء بالشبابة السلطانية والمزاهر ، ولاقاه الطبردارية وفي أيديهم الأظفار فشوا قدامه ، ثم لاقاه طائفة اليهود والنصارى وفي أيديهم الشموع موقودة . - ومن الحوادث في ذلك اليوم أن السلطان لما وصل إلى رأس سوق الدريس فكان هناك حمل معلق فيه قناديل معمّرة بالزيت ، فصدم به الأتابكي سودون العجمي هلال القبة الذي هو عوضا عن الطير الذهب ، فسقطت تلك القناديل على القبة وكلفتها السلطان والكاملية المحمل الأحمر التي عليه فانطرشوا بالزيت الطيب تطرطشا فاحشا ، فلم يتفاءلوا الناس بذلك على السلطان ، ووقع له أنه لما دخل لمدينة الإسكندرية سقط هلال القبة الذي على رأسه إلى الأرض وانكسر نصفين في وسط سوق الإسكندرية ، وكذلك رصافية المحفة سقطت إلى الأرض فبادروا إليها ووضعوها على المحفة ، فلم يتفاءلوا الناس بهذا أيضا على السلطان ، لكن وقع للأشرف قايقباي أنه لما دخل إلى ثغر الإسكندرية وشقّ من سوقها سقط الطائر الذهب الذي على القبة إلى الأرض ، فبادر الأمير يشبك الدوادار الكبير ونزل عن فرسه وركب الطائر (٢٥٢٢ ب) على القبة وثبته عليها بيده وأعادها كما كان ، ثم ركب على فرسه ومشى السلطان إلى أن خرج من باب البحر ، فتفاءلوا الناس بزوال السلطان بعد ذلك ، ٢٤

- فلم يؤثر فيه هذا التطير ومكث من بعد ذلك دهرًا طويلًا ، ثم إن السلطان لما جرى ذلك كظم في الباطن وأعاب على الأتابكي سودون العجمي حمل القبة والطير ، وقد حملها على رأس السلطان بغير معرفة وكان لها طريقة في حملها غير ذلك ، ٣ فاستمر السلطان في هذا الموكب على ما ذكرناه حتى دخل من باب النصر وشق من القاهرة ، فانسحب الطلب على ما ذكرناه أولاً ، فكان النفير السلطاني المسمى بالبرغشي قدام الطلب ووراء الطبول والزمر ، ثم انسحبت النوب الهجن وانسحب ٦ بعدها الجنائب الملبسة بالبركستوانات المخمل الملون ثم انسحب من بعد ذلك الخيول التي بالكنايش والسروج الذهب والبلور والعقيق المزيكة بالذهب ، وكان في السروج ما هو مرصع بالفصوص المثلثة ، وكان على الخيول طبول بازات بلور ٩ مزيك بذهب وشيء فضة مينة ، فكان من هذه الأصناف نحو عشر طبول ، ثم انسحب جوشنان حرير ملون وخزائن المال وعدتهم ست بأغشية حرير أصفر وأحمر ، ثم انسحب المحفة بغشي حرير أصفر مزهر عليه بالتقاصيل الحرير (٢٥٣) ١٢ ملون ، ثم وراء ذلك جاءت المباشرون ثم الأمراء الطليخانات والعشرات ، ثم جاءت الأمراء المقدمون وهم بالشاش والقماش ، ثم جاءت القضاة الأربعة ، ثم مشى الشعراء والشبابة السلطانية ، ثم مشى من بعد ذلك الأمراء الرؤوس النوب وبأيديهم ١٥ العصي ، وكان الأمير كرتباي الوالي ماشيا بالشاش والقماش ، ونقيب الجيش وغير ذلك من الخاصكية ، ثم جاء السلطان وعليه الشاش والقماش وقد تقدم القول على ترتيب الطلب في الريدانية أولاً ، وهذا كان صفته لما شق من القاهرة بالموكب السلطاني ١٨ وهو لابس كاملية مخمل أهر بصمور ، والخليفة عن يمينه وهو بالعمامة البغدادية وعليه قبا صوف أبيض ، وكان أمير كبير سودون العجمي عن يساره رافع القبة على رأسه ، والجمل الغفير من الخاصكية خلفه وهم بالحدود والزرديات وبأيديهم الرماح ٢١ بالشفطات الحرير الملون ، وكان الصنجق السلطاني مطويا في كيس حرير أصفر ، فلما شق من القاهرة كانت مزينة بالزينة الحافلة ، واصطفت له الناس على الدكاكين

بسبب الفرجة ، وتركزت له الطبول والزموور على الدكاكين من باب النصر إلى رأس الرملة ، فرجّت له القاهرة في ذلك اليوم رجاً (٢٥٣ ب) وابتهجت الناس وأى بهجة ، ثم ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخالص والعام ، وكان هذا الموكب من الوقائع الغريبة في هذا العام ، وكان من المواكب المعدودة والأيام المشهودة ، قلّ أن بقي يقع لأحد من ملوك مصر مثل هذا الموكب فيما يأتي من الزمان ، ولم يقع للأشرف الغورى من حين تسلطن وإلى اليوم أنه أوكب وشقّ من القاهرة هو والأمراء بالشاش والقماش غير هذا الموكب ، فاستمر في هذا الموكب حتى طلع من على جامع المارديني ، من على مدرسة السلطان حسن فشقّ من الرملة ، وقد ماجت له الرملة في ذلك اليوم من العسكر وكثرة الخلّاتق ، فاستمر على ذلك حتى دخل من باب الميدان ، فوقف له الخليفة هناك والقضاة الأربعة ، فطوّبوا له ورجعوا إلى دورهم ، ودخل السلطان إلى الميدان هو والأمراء ، وكان الأمير طومان باي الدوادار الكبير نصب له بالميدان الخيمة الكبيرة التي تنصب في المولد ، ومدّ بها مدّة حافلة قيل كان مصروف تلك المدّة فوق الألف دينار ، وفرش تحت حافر فرس السلطان الشقق الحرير من باب الميدان إلى الخيمة ، وقيل نثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ، ثم إن السلطان جلس في الخيمة وأكل من المدّة هو والأمراء ، فلما انقضى أمر المدّة أحضر كوامل مخمل أحمر بصمور فأخلعها على الأمراء العشرة الذين كانوا صحبته بثغر الإسكندرية ، (٢٥٤ آ) وأخلع على الأتابكي سودون العجمي كاملية مخمل أخضر بصمور ، وقيل أخلع عليهم الكوامل بالريدانية ، وأخلع على الأمير طومان باي الدوادار كاملية مخمل أحمر بصمور بسبب تلك المدّة التي مدّها ، وأخلع على بعض خاصكية من السقاة من أرباب الوظائف ، ثم إن الأمراء نزلوا من الصليبية في موكب حافل وتوجّهوا إلى بيوتهم ، وانقضى ذلك اليوم على خير ، وهذه الواقعة من معظم

(٢ - ٣) وابتهجت . . . بهجة : وابتهجة الناس رأى بهجا . (٤) الغريبة : القرينة .

(١٣) الألف : آلاف .

وقائع سنة عشرين وتسعمائة قلّ أن يقع في التواريخ مثلها من الوقائع الغريبة في
أخبار السلاطين ، وقد نظمت في ذلك هذه القصيدة التي لم ينسج مثلها على منوال ،
وهي هذه القصيدة :

٢

- | | | |
|----|---|--|
| ٦ | وتباشروا منه بكلّ أمان
فوق الغصون بأطيب الألمان | سُرّ الأنام لمقدّم السلطان
وتفرّدت أطيّارُ أزهار الربا |
| ٩ | كتبتم الحساء بضوء جُمان
عند القلوم تهلّل الفرخان | والروض أضحى زهره متبسمًا
وتهلّلت من مصر دوحة روضها |
| ٩ | أطيّاره سَحَرًا على العيدان
يزهو على كسرى أنوشروان | وتضاحك الميدان مذ غنّت به
عائنته لما بدا في موكب |
| ١٢ | رُفعت عليه قبة السلطان
في الموكب المحفوف بالفرسان | لما ارتقى عند الصعود لقلعة
طلع الخليفة والقضاة أمامه |
| ١٢ | لا تعجبوا فالسرّ في السكّان
قد عد (٢٠٤ ب) ذلك اليوم بالسلطان | قالت مراتب عزّه لما أتى
لسكنديّة كان يوم دخوله |
| ١٥ | بتباشر في السرّ والإعلان
لاقاه بالإكرام والإحسان | ما زال أهل الثغر من فرح به
لو كان ذو القرنين حيًّا في الوري |
| ١٥ | في سائر الأفطار والبلدان
أخباره في سالف الأزمان | واختاره ملكا يلي من بعده
فاق الملوك بمصر ممن قد مضى |
| ١٨ | نصر وتأيد وصفو زمان
ويُطيل أياما له يتّهان | قد عاد للأوطان في بُشروفي
فله يكفيه مونة حاسد |
| ٢١ | أيدى الغمام شقائق النعمان
في الأشرف الغوري العظيم الشأن | ما ماس غصن في الرياض وكلّلت
قد ضاء لابن إياس شعر قاله |

ثم الصلاة على النبي المصطفى خير البرية من بنى عدنان
والآل والأصحاب ما طرد الدجا ضوء الصبح وعم للأكوان

انتهى ذلك .

- وأما ما كان من ملخص أخباره عند توجهه إلى ثغر الإسكندرية ، فإنه
نزل من القلعة وسافر في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة ، فنزل أولا في المكان
المسمى بالسبكية في بولاق ، فتقدم هناك ثم عدى إلى برّ إنابة ونزل بالوطاق
الذى بالمنية ، فأقام به خمسة أيام ، قيل إنه كان منتظرا لكتب العقبة حتى يعلم
أخبار ولده وزوجته خوند ، فلما ورد عليه كتب العقبة أطمأن ورحل من المنية ،
وقد قامى العسكر في التعدية ما لا خير فيه ، وجرح شخص من الخاصكية
بالسيف في وجهه من جماعة (٢٢٥٥) من المماليك عند التعدية بسبب ازدحام
العسكر ، ثم إن السلطان توجه من المنية إلى المنصورة وأقام بها يوما وليلة ، ثم
توجه من هناك إلى البحيرة فأقام بها يوما وليلة ، واستمر يرحل من مكان إلى مكان
إلى أن نزل بالنجيلة فأقام بها يومين وليلتين ، وأحضروا له الصيادون هناك تمساحا
فأمر بتوسيطه بين يديه ، فلما كان يوم السبت ثالث عشره دخل السلطان
ثغر رشيد فأقام به إلى يوم الأحد ، ثم أوكب من هناك ودخل إلى مدينة
الإسكندرية في يوم الاثنين خامس عشره ، فدخل العسكر وهو لابس آلة الحرب
باللبس الكامل ، وانسحب الطلّب والجناث كما تقدم القول على ذلك ، ثم دخلت
الأمراء وهم بالشاش والقماش ، ولم يلبس السلطان الكفّة بل لبس تحفيفة صغيرة
مدوّرة ، وعليه كاملية مخمل أحمر بصمور ، وحمل الأتابكي سودون المعجمى القبة
والجلالة على رأسه ، وكان السلطان اقترح على القبة هيئة جلالة ذهب عوضا عن
الطير الذى كان يعمل على القبة ، فشقّ من المدينة في موكب حافل ، فثر بعض
تجار الفرنج البنادقة على رأسه بعض ذهب وفضة ، فلما شقّ من المدينة زينّت له

- زينة فشروية ، وكان ثغر الإسكندرية يومئذ في غاية الترحل والخراب ، ومن الحوادث أنه لما شقّ من المدينة صدم الأتابكي (٢٥٥ ب) سودون بالجلالة التي على القبة بعض السقائف التي هناك ، فانكسرت تلك الجلالة نصفين وسقطت إلى الأرض ، ٢ وكذلك لما مرّت الحفّة من هناك انكسرت الرصافية التي كانت [عليها ، ثم إنّ السلطان خرج من] باب البحر الملح وجلس بالخيم الشريف ، فأرسل إليه مملوكه خدا بردى نائب الإسكندرية مقدمة حافلة ما بين ذهب عين وممالك وقاش على حاملين ٦ وخيول وغير ذلك ، ثم قدّم إليه الخوaja ابن أبي بكر تاجر السلطان مقدمة حافلة ، ولم يكن بثغر الإسكندرية يومئذ أحد من أعيان التجار لا من المسلمين ولا من الفرنج ، وكانت المدينة في غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القباّص ، فإنهم ٩ صاروا يأخذون من التجار العشر عشرة أمثال ، فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من الدخول إلى الثغر ، فتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب ، حتى قيل طُلب الخبز بها فلم يوجد ولا الأكل ، ووُجد بها بعض دكاكين مفتحة والبقية خراب ١٢ لم تُفتح ، وكانت الإسكندرية من أجلّ مدائن الدنيا حتى قيل كان بها لما فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه أربعة آلاف دار محكمة البناء مفروشة بالرخام الملون ، وفي كلّ دار منها حمام تختص بها ، وكان بها اثنا عشر ألف بقال ١٥ يبيعون البقولات من بعد العصر إلى العشاء ، وكان بها أربعون ألف يهودي ممن وجب عليه الجزية ، وكان بها (٢٥٦ آ) من الروم والقبط ستمائة ألف إنسان ، وكان بها مائة ألف مركب من مراكب الروم الكبار ، وشتان ما بين هذه الأخبار ١٨ من هذه الأخبار التي هي بها الآن ، ثم [إن] السلطان ألبس الأتابكي سودون العجمي الكاملية المحمل الأحمر التي كانت عليه ، وأخلع على نائب الإسكندرية والخوaja ابن أبي بكر . — وفي ذلك اليوم ثارت ممالك السلطان الخاصكية على خدا بردى ٢١ نائب الإسكندرية ، وقالوا له : انفق علينا لكل مملوك عشرين أشرفيا كما فعل قجماس نائب الإسكندرية لما دخل الأشرف قايتباي إلى الإسكندرية ، فلم يعطهم

شيئا فكدادوا أن يحرقوا به وما سلم من القتل إلا بعد جهد كبير ، ثم حضرت
التقادم الحافلة للسلطان من الكشاف ومشايخ العربان بالغربية وهى ما بين ذهب
٢ عين وخيول وأبقار وأغنام وغير ذلك ، ففرّق منها على الأمراء ممن كان صحبته
أشياء كثيرة من الخيول والأبقار والأغنام ، فلما بات بالبحيم تلك الليلة وقتلوا له
مروان المدينة ، وعلقوا على شراريف الصور كل واحدة قنديل ، فلما أصبح
٦ السلطان ركب وضرب الكرة على ساحل البحر الملح هو والأمراء الذين كانوا
صحبه ، ثم توجه وزار الصالحين الذين هناك ، ثم توجه إلى البرج الذى أنشأه
الأشرف قايتباى فطلع فى البرج هو والأمراء ، وأرموا قدّامه فى ذلك اليوم
٩ (٢٥٦ ب) بالمكاحل والمنجنيق ، ثم توجه من هناك وكشف على الأبراج التى
بثغر الإسكندرية وعرض ما فيها من السلاح والمكاحل . - وفى ذلك اليوم
أنعم السلطان على مملوكه يوسف الزردكاش الثانى بأمره طبلخاناه . - ثم فى ليلة
١٢ الأربعاء سابع عشره أحرق السلطان فى الوطاق إحراقه نبط حافلة على شاطئ
البحر الملح . - ثم فى يوم الأربعاء سابع عشره رحل السلطان عن ثغر
الإسكندرية ، فكان مدة إقامته بها يومين وليلتين . - فى ذلك اليوم رحل
١٥ فيه أرسل محمد مهتار الطشتخاناه إلى الظاهر قانصوه الذى فى البرج وإلى قيت
الرجبى الذى فى البرج ورسم له بأن يكسر قيودهما ، وأرسل على يده لكل واحد
منهما ألف دينار وبدنين صمور وبدنين سنجاب وثوبين بعلبكي وغير ذلك من
١٨ القماش الفاخر ، وأرسل يقول لهما : لا تجتمعا على أحد من خلق الله ولا تكاتبوا
أحدا من الأمراء فإي يحصل لكما من السلطان خير ، فباسوا له الأرض فى
البرج وأجابوا بالسمع والطاعة واستمروا فى البرج بغير قيود ، ثم رحل
٢١ السلطان عن ثغر الإسكندرية بعد إقامته فيها يومين وليلتين ، ثم توجه إلى دمنهور
فأقام بها يوما وليلة ، ثم توجه من بعد ذلك إلى النجيلة عند عوده أيضا . -
ومن الحوادث أنه لما أقام فى النجيلة غرق بها شخص من الخاصكية فى البحر

- فات (٢٥٧) هناك . — ثم توجه منها إلى الطرانة فأقام بها يوما وليلة ، ثم نزل بالمنصورة وأرسل يقول للأمير طومان باي الدوادار بأن ينأى في القاهرة بأن لا أحدا من العسكر يلاقى السلطان إلا إذا نزل بالريدانية في الوطاق ، فامتثلوا ٢
- ذلك ، ثم إن السلطان رحل من المنصورة إلى المنية وعدى من هناك وحضر إلى الوطاق بالريدانية ، وهذا كان من ملخص أخباره في هذه السرحة . —
- أقول وكان أول من دخل إلى ثغر الإسكندرية من السلاطين الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وذلك في سنة سبع وستين وسبعمائة وكان سبب دخوله إلى ثغر الإسكندرية أن الفرنج طرّقوا الثغر على حين غفلة وملكوا المدينة ، فلما جاءت الأخبار بذلك خرج السلطان على جرائد الخيل وصحبته ٩ الأتابكي يلبغا العمري وجماعة من الأمراء ، فلما بلغ الفرنج مجيء السلطان رحلوا عن الثغر بعد ما نهبوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى ، فدخل السلطان وردّ الناس إلى المدينة وطمنهم ورجع بسرعة إلى مصر ، ثم دخلها ثاني مرة في سنة ١٧
- لأحدى وسبعين وسبعمائة ففي هذه المرة أوكب بها وحملت القبة والطير على رأسه ، وكان خليل بن عرّام نائب الإسكندرية ففرش له الشقق الحرير من باب رشيد إلى باب البحر الملح ، ونثر (٢٥٧ ب) على رأسه خفاف الذهب والفضة ١٥
- وكان له يوم مشهود بالإسكندرية ، ثم دخلها من بعد ذلك الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق في سنة أربع عشرة وثمانمائة فأوكب بها موكبا حافلا وحملت القبة والطير على رأسه ، ومما وقع له أنه لما شق من مدينة الإسكندرية وقف له بعض تجّار المغاربة بقصة يشكو فيها من جور القباّض ، فلما قرأ تلك القصة رسم بإبطال ما كان يؤخذ منهم من المكوس المحدثه وكتب لهم بذلك مرسوما شريفا فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، ثم دخلها من بعد ذلك الأشرف قايتباي في سنة اثنتين وثمانين ٢١
- وثمانمائة وأوكب بها وحملت القبة والطير على رأسه ، فلما شقّ المدينة نثر عليه بعض تجّار الفرنج البنادقة ألف بندق ذهب فزاحمت الناس عليه يلتقطون الذهب

- فكاد السلطان أن يسقط من على ظهر الفرس حتى أدركه تمراز الشمسي رأس نوبة النوب فضرب الناس حتى فسحوا للسلطان ومشى ، ثم دخلها مرة أخرى في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثمانمائة فلم يوكب بها مثل المرة الأولى وكان سبب دخوله هذه المرة لأجل انتهاء عمارة البرج الذي أنشأه هناك فكشف عليه لما كملت عمارته ورجع بسرعة ، وسافر هذه المرة من (٢٥٨ ت) البحر وكان أيام النيل والأراضي مغمورة بالمياه فأقام ببحر الإسكندرية ثلاثة أيام وكذلك في المرة الأولى ، ثم دخلها من بعد ذلك الملك الأشرف قانصوه الغوري في سنة عشرين وتسعمائة كما تقدم القول على ذلك ، انتهى . - وفي يوم الأربعاء ثاني الشهر نزل السلطان صبيحة يوم طلوعه وشق من الصليبية وهي مزيّنة ، ثم توجه إلى بولاق وكشف على عمارته التي هناك ، ثم رجع من على باب البحر ودخل من باب القنطرة وتوجه إلى البندقانيين وكشف على عمارته التي هناك وكان في نفر قليل من الممالك ، وأشيع عنه أنه قال للعوام : قووا الزينة ولا تفككوها لبعد مضي عشرة أيام ، وجعل يقول لهم ذلك بنفسه ، فأعابوا عليه الناس ذلك . - وفي يوم الخميس ثالثه ثارت الممالك الجلبان على السلطان بالقلعة ورجعوا الأمراء من الطباق ، وقصدوا ينزلون ينيهون الزينة ، فغلق عليهم السلطان أبواب القلعة وباب السلسلة وباب الميدان ، فلما بلغ الناس ذلك ارتجست القاهرة وفكّوا الزينة في لمح البصر ، ووزّعوا الناس الأمتعة في الخواصل ، وكثر القال والقليل بين الناس ، وقعدت الأمراء المقدمون في بيوتهم وأغلقوا أبوابهم ، وكان الأتابكي سودون العجمي مسافرا نحو بلاده وقد سافر بعد حضوره مع (٢٥٨ ب) السلطان ، فلما جرى ذلك تنكّد السلطان لهذه الواقعة ، وبلغه أن الممالك يرومون منه نفقة لكل واحد منهم مائة دينار حلالة السلامة ، وشرع الممالك القرائصة يوزّون الممالك الجلبان على ذلك ، وكان العسكر جميعه غير راض من السلطان بسبب تعطل اللحم ، فإن العسكر قاطبة له نحو سبعة أشهر لم يُصرف لهم (١) ظهر : ظهره . (٤) سبب : بسبب . (٢٢) يوزّون ، أي يترضون .

- فيها زبدية لحم ، وحصل لهم بسبب ذلك الضرر الشامل ، وكانت الدواوين في غاية الانشغاع لكثرة العسكر في هذه الأيام ، ولا سيما ما جدده السلطان من العسكر في الطبقة الخامسة ، وكانت الإقطاعات خرابا والبلاذ معطلة من جور الكشاف ٢ ومشايخ العربان وهجاج فلاحي المقتطعين عن البلاد ، فصارت الممالك القرائصة ينتظرون حركة مثل هذه الحركة فما صدقوا بهذه الحركة ، وفي بقية ذلك اليوم غلقت الأسواق والدكاكين وارتفعت البضائع منها ، ثم في بقية ذلك اليوم ٦ قُرب المغرب نزل طائفة من الممالك إلى الصليبية ونهبوا بعض بضائع من الدكاكين ، ثم إن الممالك قبضوا على شخص من العوام وقالوا له : نادى عن لسان السلطان أن النفقة مع الجامية لكل مملوك من الممالك السلطانية مائة دينار ، فوسع ذلك ٩ الرجل إلا أنه نادى لهم كما قالوا له ، ولم تكن (٢٥٩) هذه المتأداة من قبل السلطان . - وفي يوم الجمعة رابعه أشيع أن شخصا من ممالك السلطان يسمى وردبش ، وهو أمير عشرة تدلى بمجل من طبقة الميدان لما ثارت الممالك ١٢ فانقطع به الحبل ، فسقط إلى الأرض فوات من يومه ، وقد صارت الممالك فرقتين فرقة مع السلطان وفرقة عليه ، فلما كان وقت صلاة الجمعة لم يخرج السلطان ولم يصل صلاة الجمعة ، ولم يطلع من الأمراء غير ثلاثة أمراء مقدمين ، وقد ١٥ اضطربت أحوال السلطان من بعد مجيئه من هذه السفرة وتكدّر عيشه ، وطرقته عين عقيب ذلك الموكب العظيم الذي طلع فيه ، فكان كما يقال في أمثال الصادح والباغم :

لا تغترّر بالحفظ والسلامة فإنما الحياة كالمدامة
والعمر مثل الكاس والدهر والقدر والصفو لا بد له من الكدر

ومن أمثاله أيضا :

في لحظة العين بكاء وضحك وتناجد بادٍ ودمع منسك
وفي يوم السبت خامسه ابتدأ فيه السلطان بفرقة الأضحية على العسكر ومن

له عادة . - وفي يوم الاثنين سابعه أشيع أن السلطان رسم للوالى بأن يتسلم ٢٤

جاني بيك الأستاذار ويعاقبة على بقية المال الذي قرّر عليه ، فإنه كان قرّر عليه ثلاثة وثلاثين ألف دينار أورد منها ستة عشر ألف دينار ، فباع (٢٥٩ ب) بيته وخيوله وقماشه ولم يغلّق ذلك القدر الذي قرّر عليه ، فأظهر العجز فلم يقبل له السلطان عنّ في ذلك وسلّمه للوالى ، فأشيع أنه قد عُصّر في أحكامه وضُرب كسارات على ركبته ، واستمرّت تحت العقوبة إلى الآن ، وكان جاني بيك هذا من الظلمة الكبار إذا أظفر بأحد من الناس لا يرحمه ، ولا سيما ما فعله في ولايته للأستادارية ، وما جرى على العسكر بسبب الحمايات وغيرها ، فلما جرى له ذلك لم يرث له أحد من خلق الله تعالى . - وفيه توفى يونس سر آخورى السلطان ، وكان قبل ذلك في خدمة الأتابكى تمرّاز الشمسى ، وكان حسن السيرة لا بأس به . - وفي يوم الثلاثاء ثامنه جلس السلطان بالميدان وفرّق بقية الأضحية ، لكنه شخّ في هذه السنة وضاعت عينه فقطع ضحايا الزوايا والمزارات التى بالقرافة وغيرها من زوايا الأعاجم ، فحصل لهم كسر خاطر بسبب ذلك ، ثمّ إنه رسم لبعض زوايا بالقرافة بصرر فيها دراهم يسيرة مثل مقام الإمام الشافعى والإمام الليث رضى الله عنهما وبعض مزارات بالقرافة ، وتوقف في البقية ، ثمّ قطع ضحايا الفقهاء والمباشرين الذين لهم ضحايا فى الديوان والخيرة ، فقطع أضحية الخيرة وأبقى الذى فى الديوان ، وكانت الأضحية فى هذه السنة فى غاية الغلوّ فى السعر (٢٦٠ ت) وهى مشحونة لم يظهر منها شيء بسبب تشويش الممالك على الفلاحين ، فقلّ الجالب بسبب ذلك وكانت الأحوال فى هذه السنة غير صالحة . - وفى يوم الخميس عاشره كان عيد النحر ، وكان السلطان فى غاية للتكد من ممالكه ، وكان الأتابكى سودون مسافرا فى إقطاعه وقد هرب من تفرقة الأضحية ، وكذلك الأمير تمر الزردكاش ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد فى الجامع ، ثمّ ركب من هناك ودخل الحوش ولم يضحّ فى الإيوان على العادة القديمة ، فلما دخل الحوش لم يذبح بيده شيئا فى ذلك اليوم ورسم للأمير مغلباى الزردكاش ويوسف الزردكاش الثانى

- بأن يذبحا عنه ، ثم جلس في الحوش ساعة يسيرة وقام ودخل الدهيشة واحتجب
 عن الناس - . وفي يوم الاثنين خامسه أشيع بين الناس بأن الأمير طومان باي
 الدوادار ضمن للممالك الجلبان بأن السلطان ينفق عليهم في شهر صفر لكل ٢
 مملوك مائة دينار ، فرضيوا بذلك وخذت هذه الفتنة قليلا ، ثم إن السلطان نادى
 للناس في ذلك اليوم بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن أحدا لا يكثر كلاما
 فيما لا يعنيه وأن الأسواق تفتح على العادة ، وأن لا أحدا يشوش على أحد من ٦
 المتسببين ، وكانت الأسواق جميعها (٢٦٠ ب) مغلقة من حين وقعت هذه الحركة
 بسبب الممالك ، فلما أشهر المناداة بذلك ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس
 وخذت تلك الإشاعات بالركوب على السلطان . - وفي يوم الأربعاء سادس عشره ٩
 نزل السلطان إلى الميدان وجلس به ونفق على الممالك الكتائبية جامكية هذا الشهر ،
 ثم أحضر أغوات الطباق الأعيان ووبخهم بالكلام وقال لهم : إن كان لكم قصد أن
 تسلطنوا أحدا غيري فأنا أنزل له عن الملك وأرسلوني في أى مكان تختاروه ، فباسوا ١٢
 له الأرض وقالوا : ما لنا أستاذ إلا أنت وما نموت إلا تحت رجلك وما لنا حاجة بنفقة
 من السلطان وقد رضىنا بالنفقة إن شئت تعطى أو لا تعطى ، فقال السلطان : خلنى
 المشاعلى ينادى بأن النفقة بطالة ، فلم يطلع الوالى ولا المشاعلى في ذلك اليوم ، فقام ١٥
 الزينى بركات بن موسى المحتسب ونادى بنفسه في الميدان بين العسكر بأن معاشر الأمراء
 والعسكر المنصور حسبما رسم المقام الشريف بأن النفقة على العسكر بطالة ، ثم بعد
 ذلك طلع المشاعلى فقال له السلطان : نادى في القاهرة بأن النفقة بطالة ، فنزل الزينى ١٨
 بركات بن موسى والمشاعلى قد آماه ينادى للعسكر بأن النفقة بطالة ، وقد طمعت آمال
 الممالك بالنفقة وما يعلم ما وراء ذلك إلا الله . - وفي يوم الخميس سابع عشره
 (٢٦١ آ) جلس السلطان في الحوش على المصطبة ونفق الجامكية على العسكر ، ٢١
 وأشيع أن في تلك الليلة ثارت الممالك بالقلعة بعد العشاء ، فنارت الممالك الذين
 في طبقه الطازية على الممالك الذين في طبقه الزمامية حتى اتفقوا بالدبابيس

- وقالوا : إئتوا عملتوا لكم وجه عند السلطان وقتلوا ما لنا حاجة بنفقة فتصبروا
 إئتوا أحبابه ونحن نصبر أعدايه فأحق ما نكون ونحن وإئتوا على كلمة واحدة
 ٢ وما نرجع عن طلب النفقة لكل مملوك مائة دينار ، وصمّموا على ذلك وصار طائفة
 من المماليك مع السلطان وطائفة عليه ، فلما سمع الناس ذلك شرعوا يوزعون قماشهم
 وأمتعتهم في الحواصل ، وكذلك السوقة وزّعوا ما في ذكاكينهم من البضائع ، ولهج
 ٦ الناس بإقامة فتنة كبيرة ، والأمر في ذلك لله تعالى . - وفي يوم الجمعة ثامن عشره
 ثارت المماليك الجلبان بالقلعة بعد صلاة الجمعة ونزل طائفة منهم إلى الصليبية فنبهوا
 منها [ما] وجلوه ، واستمرّوا على ذلك مهما لاح لهم يخطفوه ، فباتوا على أنهم
 ٩ يصبحوا ينبهوا المدينة وبيوت الأمراء ، وكان أكثر الأمراء وزّع قماشهم . - فلما
 أصبحوا يوم السبت أشيع أن السلطان نادى للمماليك الجلبان بأن النفقة عمالة لكل
 مملوك خمسون ديناراً ، وأن القرانصة ما يعطيهم شيئاً ، فن المماليك الجلبان من رضى
 ١٢ بالخمسين ديناراً ومنهم من قال : (٢٦١ ب) ما نأخذ إلا مائة دينار ، وأشيع بأن
 المماليك القرانصة والسيفية لم ينفق عليهم شيئاً ، واستمرّ القال والقال بين الناس
 وقد لهجوا بإقامة فتنة كبيرة . - وفي يوم الأحد عشرينه نزل السلطان وسير نحو
 ١٥ المطرية ، ثم عاد من يومه إلى القلعة ، وشقّ من القاهرة في ذلك اليوم ، وسكن أمر
 حركة المماليك قليلاً من حين نادى لهم بأن النفقة في شهر صفر مع الجامكية لكل مملوك
 خمسون ديناراً . - وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه رسم السلطان بسجن جاني ييك
 ١٨ الأستاذ الذي كان دوا دار طراباى ، فتوجّهوا به إلى المقشرة وهو راكب
 على بغلة ، فبات بالمقشرة ليلة واحدة ثم أعادوه إلى بيت الوالى ثانياً ليعاقبه على
 المال الذى تأخّر عليه ، وكان محبته لما أدخلوه المقشرة ابن شمس الدين بن عوض ،
 ٢١ وقد تقدّم القول على أن والده ابن عوض مات وهو تحت العقوبة ، وصار ابنه
 هذا تحت العقوبة حتى يقرّ بالمال الذى قرّر على أبيه ، وكان محبتهما شخص
 من أولاد ابن عمر مشايخ عربان الصعيد ، فباتوا جميعاً بالمقشرة ليلة واحدة

- ثم عادوا بهم إلى بيت الوالى ليعاقبهم على المال الذى تأخّر عليهم . - وفى يوم الثلاثاء
ثالث عشرينه نزل السلطان وسيّر إلى نحو بولاق وكشف على العماره التى هناك ، ثم
عاد إلى القلعة من يومه (٢٦٢ آ) وشقّ من الصليبيه ذهابا وإيابا . - وفى يوم الأربعاء ٢
رابع عشرينه دخل جماعة من العسكر من المالك السلطانية ممن كان مسافرا بحلب
فى التجريده ، وقد أرسل لهم السلطان مراسيم بالجحىء فاصدقوا بذلك ، وقد
قاسوا فى هذه السفرة ما لا خير فيه من الغلاء الذى وقع بحلب فباعوا خيولهم ٦
وسلاحهم وقاشهم حتى أكلوا بهم ، وما قاسوا منهم أهل حلب خيرا ، نزلوا فى
دورهم ونهبوا قاشهم وفسقوا فى حريمهم ، وشوشوا على سوقه حلب وأخذوا
بضائعهم منهم غصبا ، حتى قيل أن بعض المالك الجلبان أزال بكارة بنت صغيرة ٩
عمرها نحو ثلاث سنين وأشيع أنها ماتت ولم يصح موتها ، وقيل كانوا يهجمون
على النساء فى الحمامات ويخطفونهن منها غير ما مرّة ، وفعلوا أشياء فاحشة من هذا
النمط ما فعلها من تقدّمهم من المالك السلطانية ، وثاروا على الباش قانى باى أمير ١٢
آخور كبير ويهدلوه وأخرقوا به عدّة مرار وما سلم من القتل إلا سلامة ، وأخربوا
حلب عن آخرها من الظلم والجور ، وكان ترك رواحهم إلى حلب أصوب وما فاد
من رواحهم شيئا بل أفسدوا ما أصلحوا وما حصل برواحهم نفع قط . - وفى يوم ١٥
الخميس رابع عشرينه حضر مبشّر الحاج ، وقد جدّ فى السير فكانت مسافته فى
الطريق (٢٦٢ ب) اثنى عشر يوما ، فأخبر بالأمن والسلامة وأن ابن السلطان طيب
وكذلك خوند وبقية الحجّاج طيبين ، وكذلك القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا ١٨
طيب فى خير وسلامة ، وكان أشيع موته فاصحّ ذلك ففرح أكثر الناس بسلامته
وكان محببا للناس قاطبة ، وأخبر المبشّر بأن عيد النحر كان هناك يوم الجمعة ، ثم
إن المبشّر طاف على الأمراء والمباشرين وأعيان الناس وأخبرهم بسلامة ابن السلطان ٢١
فأفيضت عليه الخلع السنية من الأمراء وأعيان الناس قاطبة . - ومما أشيع

(١) عادوا : أعادوا . (٩ - ١١) حتى قيل . . . غير ما مرّة : جاءت فى الأصل بعد

« وما قاسوا » فى سطر ٧ . (١٣) سلامة : كذا فى الأصل .

- من الأخبار في كتب الحجاج أن ابن السلطان لما دخل إلى مكة لاقاه السيد الشريف بركات أمير مكة ، فلما وصل ابن السلطان إلى باب المعلة دخل مكة في موكب حافل ، وأشيع أن الشريف بركات نزل عن فرسه ومسك بأزقة اللجام ٣
- ابن السلطان ومشى عن ميمنته ، ومشى الأمير طقطبى أمير ركب المحمل عن يساره وهو ماسك بأزقة اللجام ، ومشى أمير ركب الأول ، ثم لاقاه قضاة مكة وأعيان التجار فمشوا قدّامه حتى وصل إلى باب السلام ، فعُدّ ذلك من النوادر ، ٦
- ثم إن الشريف بركات أرسل إلى ابن السلطان تقادم حافلة ما بين ذهب عين وقماش ورقيق وغير ذلك ، وأرسل لخوند زوجة السلطان أضعاف ذلك ، ثم قدم إليه قضاة مكة وأعيان التجار (٢٦٣) الذين بها التقادم الحافلة ، وكذلك الأمير حسين نائب جدّة ، فدخل على ابن السلطان وخوند من التقادم الحافلة ما لا يحصى ، وأشيع أن الشريف بركات واصل صحبة ابن السلطان بركب المحمل ، ١٢
- وقيل إن خوند زوجة السلطان لما دخلت إلى مكة حملت محفّتها على أكتاف جماعة الشريف بركات من باب المعلة إلى باب السلام ، هكذا أشيع فعُدّ ذلك من جملة سعد السلطان ، وأشيع في كتب الحجاج بأن الغلاء بمكة في سائر البضائع ، ١٥
- وأن الشاشات والأزهر لم يوجد بمكة لعدمهما جدا . - وفي يوم الجمعة خامس عشره توجه الأمير طومان باي الدوادار إلى الخانكاه وقد بلغه أن ممالিকা جراكسة وصلوا صحبة القفل ، وأن له أقارب جراكسة صحبة الممالك ، وأشيع أن السلطان واصل له أخ جركسى صحبة القفل ، فخرج الأمير الدوادار بسبب ذلك . - انتهى ما أوردناه من أخبار سنة عشرين وتسعمائة ، وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير وسلامة ، وكانت سنة مباركة هادئة من الفتن وأخصب فيها الزرع ووقع فيها الرخاء في سائر الغلال والبضائع ، ولم يقع فيها الطاعون بمصر ولا أعمالها ، وحصل فيها نصرة عظيمة لابن عثمان ملك الروم على إسماعيل الصوفي ملك العراقيين ، (٢٦٣ ب) وخرجت من مصر تجريدة بسبب حفظ مدينة حلب ٢٤
- ورجع العسكر وهم سالمون من تلك الفتنة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وتسعمائة

- فيها في المحرم افتتح العام كان يوم الخميس المبارك ، وكان خليفة الوقت يومئذ المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف ٢ قانصوه الغوري عز نصره . - وأما القضاة الأربعة فكان يومئذ القاضي علاي الدين الإخيمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقاضى جلال الدين بن قاسم المالكى والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى . - وأما الأمراء ٦ المقدمون فكان عدتهم يومئذ سبعة وعشرون أميراً مقدّم ألف وهم : الأتابكى سودون العجمى أمير كبير ، وكانت أمربة السلاح شاغرة ، والأمير أركماس من طرباي أمير مجلس والأمير قاني باي قرا أمير آخور كبير والأمير سودون الدوادارى ٩ رأس نوبة كبير والأمير طومان باي دوادار كبير ابن أخى السلطان والأمير أنصبای من مصطفى حاجب كبير ؛ وأما بقية الأمراء المقدمين غير أرباب الوظائف فالأمير قانصوه بن سلطان جركس والأمير تمر الزردكاش والأمير أرزمك الناشف ١٢ والأمير طقطبای نائب القلعة والأمير قانصوه الفاجر والأمير أربك المكحل (٢٦٤) والأمير تانى بيك النجمى والأمير تانى بيك الخازندار والأمير نوروز أخو يشبك الدوادار والأمير جان بلاط الموتى والأمير علان الدوادار الثانى ١٥ والأمير خاير بيك كاشف الغريبة والأمير بىرس قريب السلطان والأمير ينجشباي والأمير قانصوه روح لو نائب قطيا والأمير قانصوه أبو سنة الذى كان والى القاهرة والأمير أبرك مملوك السلطان والأمير خندا بردى نائب الإسكندرية ١٨ مملوك السلطان والأمير خاير بيك العلاي الشهير بالمعار وهو آخر من قرّر من المقدمين والأمير أقبای الطويل أمير آخور ثانى ؛ وأما الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات فازداد منهم جماعة وانتقص منهم جماعة ما يحضرنى اسمائهم الآن . - وأما ٢١ أرباب الوظائف من المباشرين فالقاضى كاتب السر محمود بن أجا صاحب ديوان الإنشاء الشريف ونائبه الشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى محيى الدين عبد القادر

القصورى ناظر الجيوش المنصورة وعلاى الدين بن الإمام ناظر الخواص الشريفة والجمالى يوسف البدرى وزير الديار المصرية وشرف الدين الصغير ناظر الدولة الشريفة وكاتب الممالك أيضا والأمير طومان باى الدوادار متكلما فى الأستاذارية ٣ وغير ذلك من الوظائف والقاضى أبو البقا بن المستوفى ناظر الاسطبل الشريف ، وبقية المباشرين على حكم السنة الخالية ، (٢٦٤ ب) وكانت وظيفة الزمامية شاغرة من حين توفى الأمير عبد اللطيف الزمام ، وبقية أرباب الوظائف على حكم السنة الخالية . — فكان مستهل السنة يوم الخميس المبارك فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالعام الجديد ، وكان السلطان فى الميدان ، وكان قبل ذلك بأيام نادى للعسكر أصحاب الطبقة الخامسة بالعرض ، وقد أشيع أنه يرسل تجريدة إلى بلاد الهند بسبب تعبث الفرنج فى بحر الهند ، فلما طلع العسكر وعرضهم فى ذلك اليوم فلم يقع فيه كتابة ولا تعيين بل قال لهم : اطلعوا يوم الأحد أيضا . — وفى ذلك اليوم حضر قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة من سليم شاه للسلطان ، فكان من مضمون تلك المكاتبة أن شخصا من أولاد شاه سوار بن ذالغادر حصل بينه وبين عمه على دولات تشاجر بسبب بلاد أبيه ١٢ فحنق منه وتوجه إلى ابن عثمان ، فتعصب له سليم شاه وأرسل يسأل السلطان فى أن يعطى ابن سوار بلاد أبيه التى بيد على دولات ، فلم يوافق السلطان على ذلك ، وتؤكد لهذا الخبر فى ذلك اليوم إلى الغاية ، واشتور مع الأمراء فى هذا الأمر ، وربما تقسع هذه الفتنة بين ابن عثمان والسلطان ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى . — وفى ذلك اليوم أشيع من الأخبار بأن ابن عثمان أمد ابن سوار بعساكر وتوجه على حين غفلة (٢٦٥ آ) وكبس على عمه على دولات وحصل بينهم مقتلة ٢١ مهولة قُتل فيها ابن على دولات وابن ابنه وقُتل جماعة كثيرة من عسكره فى المعركة ، وأن على دولات اختفى فى قلعة زمنطوا ، وأن ابن عثمان ما هو راجع عن على دولات ، فشق على السلطان هذه الأخبار ، وأشيع أن ابن عثمان أظهر

- في مكاتبته التي أرسلها للسلطان غاية العظمة وقال فيها : إن مقامنا الشريف ، وقال في حقّ السلطان : مقامكم العالي ، وهذا من نوع الاستخفاف بالسلطان ، وكان سليم شاه بن عثمان هذا عنده جهل زائد ويجب إقامة الفتن ، وكان سفّاكا للدماء فقتل ٢ إخوته وأولادهم وكان فيهم من هو مرضع عما قيل من جهله . — فلما كان يوم الجمعة ثاني الشهر صلتى السلطان صلاة الجمعة ، ثم خلا هو والأمراء وضربوا مشورة في أمر ابن عثمان وعلى دولات ، وأشيع أن السلطان عين في ذلك اليوم ٦ أربعة من الأمراء المقدمين يتوجهون إلى حلب ، وأشيع أن السلطان أرسل يقول للأمراء الذين في حلب : لا تجؤا حتى ننظر ماذا يكون من أمر ابن عثمان وعلى دولات ، ولكن غالب العسكر من المماليك السلطانية دخل إلى مصر ، وكان السلطان ٩ قبل ذلك بعث إليهم مراسيم بالجمي إلى مصر لما تقلقوا من أمر الغلاء الذي بحلب ، ثم بعد ذلك طرده هذه الأخبار فندم على (٢٦٥ ب) حضور العسكر ، وكثر في ذلك القيل والقال بين الناس أمر جمي العسكر حتى أشيع عودهم إلى حلب ١٢ والأحوال غير صالحة . — وفي يوم السبت ثالثه نفق السلطان على جماعة الأمراء الذين لهم مرتبات على الذخيرة ، وكان لهم من حين توقى الأمير خاير بيك الخازن دار لم يُصرف لهم شيء ، فغلت لهم في ذلك اليوم ما كان منكسرا لهم ١٥ من المرتبات .

- وفي يوم الأحد رابعه نزل السلطان إلى الميدان وعرض عسكر الطبقة الخامسة وقال لهم : اعملوا يركم إلى السفر في أول ربيع الأول ، وسافروا إلى ١٨ الهند بسبب تعب الفرنج في بحر الهند . — وقيل إنه وعد الذي له جامكية ألف وخمسمائة درهم بأن يكملها له ألني درهم إذا يتضوا وجوهم في هذه السفرة ويصير جامكية الكل ألني درهم ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء في ٢١ ذلك اليوم ، وقيل إنه كتب عسكر الطبقة الخامسة جميعها وهم ما بين أولاد ناس ومماليك وتراكمة وغير ذلك . — وفي ذلك اليوم خرج القاضي شهاب الدين ابن الجيعان وتوجه إلى العقبة لأجل ملاقة ابن السلطان وخوند والقاضي كاتب ٢٤

السّرّ ، فخرج وصحبته جماعة من المماليك السلطانية وغير ذلك من الأعيان ، وكان
صحبته أشياء حافلة من مأكّل ومشرب برسم المدّات التي (٢٦٦آ) تُعمل هناك ،
٣ وحلوى وفاكهة وبطيخ صيفي وغير ذلك من الأشياء الملوكية . - وفي يوم
الاثنين خامسه جلس السلطان بالميدان ونادى للعسكر الذي جاء من حلب بأن
يطلع إلى القلعة ويقابل السلطان وعليه أمان الله تعالى ، وكان العسكر من حين
٦ حضر من حلب وهو مخفيا في البيوت لم يظهر منهم أحد . - وفيه حضر للسلطان
شخص من بلاد جركس زعموا أنه ابن أخيه ، فطلع في ذلك اليوم وقابل السلطان
وكان رجلا كاملا شابا مستدير اللحية ، وكان يقرب للأمير الدوادار أيضا . -
٩ وفي يوم الخميس ثامنه حضر إلى الأبواب الشريفة طراباي نائب صفد بطلب من
السلطان ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباي ، وقيل كان أصله من ممالك
يشبك من حيدر ، وحضر عقيب ذلك قاصد من عند على دولات وعلى يده مكاتبة
١٢ للسلطان يذكر فيها ما وقع له مع ابن أخيه سوار وأن ابن عثمان متعصب له وقائم
معه والأمر على ما يراه السلطان ، وكان سبب حضور نائب صفد قيل إنه وقع
بينه وبين أمير كبير حتى يرى الظالم من المظلوم فيحكم بينهم بما تقتضيه الآراء
١٥ الشريفة في ذلك . - وأشيع أن الشهابي أحمد بن الجيعان لما خرج إلى ملاقة ابن
السلطان من العقبة أرسل صحبتته السلطان (٢٦٦ب) خلعة سنيّة إلى السيد
بركات أمير مكة ، وقد بلغ السلطان حضوره صحبة المحمل مع ابن السلطان
١٨ وقد تقدّم القول على ذلك . - وفي يوم السبت عاشره طلع قاصد على دولات
وقابل السلطان ، فلما قرأ مكاتبته جمع الأمراء المقدّمين قاطبة والأمراء الطبلخانات
والأمراء العشرات وقرأ عليهم مكاتبة على دولات ، ولم ينشرح السلطان في ذلك
٢١ اليوم ولا الأمراء لهذه الأخبار التي وردت عليه من على دولات بسبب ابن عثمان ،
وأنه ما هو راجع عن على دولات وأظهر التعصّب لابن سوار ، فأقامت الأمراء
عند السلطان إلى قريب الظهر وهم في ضرب مشورة بسبب ابن عثمان وعلى

- دولات ، وأشيع أن السلطان عيّن أربعة من الأمراء المقدّمين يتوجهون إلى حلب و يقيمون بها زيادة على ما هناك من الأمراء المقدّم ذكرهم ، حتى يروا ما يكون من أمر ابن عثمان . - وفي هذا الشهر كانت وفاة صاحبنا كمال الدين بن قوسان ، ٣ وكان عشير الناس بشوشا مستغرقا في ملاذّ نفسه ، وكان لا بأس به ، فمات وقد قارب السبعين سنة من العمر . - وفي يوم الأحد حادى عشره نزل السلطان وعدّى إلى المقياس وبات به تلك الليلة وانشرح هناك ، وقيل إنه لم يبت بل أقام به إلى بعد العصر وهو في أرغد عيش من مأكّل ومشرب ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . - وفي يوم (٢٦٧ هـ) الاثنين ثانى عشره عيّن السلطان خاصكيا يقال له جانم ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان من ذوى العقول ، بأن يتوجّه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكتب على يده مطالعة إلى ابن عثمان بالجواب عن مطالعته بما تقتضيه الآراء الشريفة في أمر على دولات وابن أخيه سوار ، وقرّر معه إذا سافر يخرج على جرائد الخيل حتى يعود بسرعة الجواب عن ذلك . - ١٢ وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره أشيع وصول إبراهيم بن السكر والليمون إلى بندر الطور ، وكان قد تغيّر خاطر السلطان عليه فنفاه إلى مكة فأقام هناك نحو ثلاث عشرة سنة ، فلما حصل للسلطان ذلك التوعك في عينه كما تقدم ورسم بإطلاق من في السجون فتكلم بعض المباشرين مع السلطان وشفع في عود إبراهيم هذا إلى الديار المصرية ، فأجاب السلطان إلى ذلك وكتب له مراسيم بالحضور إلى مصر ، فلم يحضر إلّا بعد أشهر ، وقد جاء من البحر الملح فوصل إلى الطور عنما قيل ، ١٨ وقد قاسى شدائد ومحنّا عند عوده وأشيع أن أولاده وعباله وجميع ما يملكه غرقوا في البحر ، وأمره إلى الله تعالى . - وفي يوم الثلاثاء عشرينه توفي القاضى ابن بريم أحد نواب الخنابلة ، وهو أحمد بن على بريم ، وكان بينه وبين وفاة أخيه شمس الدين دون السنة ، وكان لا بأس به . - وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه نزل (٢٦٧ هـ ب) الحاجّ بالبركة ، فنزل سيدى عمر بن الملك المنصور أمير ركب

الأول ، ونزل الأمير طُقطبای أمير ركب الحمل ، ونزل سيدى ابن السلطان وخوند
 زوجه السلطان ، وحضر صحبة ابن السلطان السيد الشريف بركات أمير مكة وولده
 ٢ وصهره عَرعر ، وحضر القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا ، وحضر شيخ العرب
 عبد الدائم بن بقر وأخوه بپرس ، وغير ذلك من أعيان الحجّاج ، فخرجت
 الأمراء قاطبة إلى تلقّيتهم وأعيان الناس ، فكان لدخولهم إلى بركة الحاج يوم
 ٦ مشهود ، ولاقاهم القضاة الأربعة فأقام ابن السلطان في بركة الحاج إلى بعد العصر
 وركب من هناك ودخل إلى القاهرة فنزل في مدرسة أبيه وبات بها ، وكذلك
 أمراء الحاج ؛ وأما خوند زوجه السلطان فلنّها طلعت إلى القلعة في المحفّة تحت
 ٩ الليل وحولها المشاعل والفوانيس ، فطلعت من باب الدرفيل ولم يشعر بها أحد
 من الناس ، ودخل القاضى كاتب السرّ إلى بيته تحت الليل وكان عليلا فدخل
 في محفّة إلى داره . — فلما كان يوم الخميس ثانى عشرين المحرم جلس السلطان
 ١٢ بالحوش وعمل الموكب بالشاش والقماش ، وحضر الأتابكى سودون العجمى أمير
 كبير وسائر الأمراء المقدمين وغيرهم وأرباب الدولة قاطبة ، ثم إن ابن السلطان
 ركب من مدرسة أبيه التى (٢٦٨) بالشرابشين وركب قدّامه الشريف
 ١٥ بركات أمير مكة وولده وصهره وهم بكوامل مخمل أحمر بصمور ، وكان السلطان
 أرسل تلك الكوامل إلى الشريف صحبة الشهابى أحمد بن الجيعان إلى العقبة لما
 خرج إلى ملاقة سيدى ابن السلطان ، فلبس الشريف بركات وولده وصهره
 ١٨ تلك الكوامل عند طلوعهم إلى القلعة ، ولبس سيدى ابن السلطان كاملية تماسيح على
 أحمر ، فلاقاهم رؤوس النوب وهم بالشاش والقماش ، واستمروا على ذلك حتى وصلوا
 إلى سلّم المدرج ، وكان قدّامه الشريف بركات وأمراء الحاج ، فلما وصلوا إلى سلّم
 ٢١ المدرج نزل ابن السلطان من على الفرس ، وكان تحته فرس بوز بسرج وكنبوش ،
 وكذلك الشريف بركات وأمراء الحاج ، من عند المكان الذى تنزل عنده
 الأمراء المقدّمون ، ثم طلّعوا بالفرس ثانيا إلى عند المصطبة [التى] يجلس عليها

- نائب القلعة ، فركب ابن السلطان من هناك ثانيا ، ومشى قدامه الشريف بركات
ومسك بأزقة لجامه من على الميمنة ومسك بأزقة اللجام من على الميسرة الأمير
طقطبى أمير ركب الحمل ، وكان الأمير طقطبى يومئذ مقدّم ألف نائب القلعة ، ٣
ومشى قدامه الجم الغفير من الرؤوس والنوب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ،
ومشى قدامه الشباة السلطانية والشعراء والشاوشية ، واستمرّ فى هذا الموكب
الحافل حتى وصل إلى (٢٦٨ ب) باب الحوش ، فنزل على مصطبة مُشدّ الحوش ٦
ودخل من باب الحوش والموكب عمّال ، وكان ابن السلطان عمره يومئذ نحو عشر
سنين ؛ ولقد أدركتُ الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أينال لما أن حجّ وكان
إذ ذاك أتائبك العساكر ، فلما حضر من الحجاز وطلع إلى القلعة ما وقع له ٩
مثل ما وقع لابن الأشرف الغورى هذا من المواكب الحافلة بالحوش ، فلما
وصل إلى المصطبة التى جالس عليها السلطان تقدّم الشريف بركات إلى عند
السلطان فقام له نصف قومة ، وباس أمراء الحجّ له الأرض ، ثم تقدّم ابن السلطان ١٢
وباس الأرض لأبيه ، فأحضر لهم الخلع ، على الشريف بركات مئزر وأطلسين ،
وأخلع على ابن الشريف بركات وصهره كوامل مخمل أحمر بصمور ، وأخلع على
أمراء الحجّ لكل واحد منهما مئزر وأطلسين لكون أن سيّدى عمر ابن السلطان ، ثم ١٥
أحضروا لابن السلطان فوقانى حرير أخضر بطرز بلبغاوى عريض فوق الكاملية
الحمل التى بالصمور ، ثم نزل الشريف بركات وولده وصهره من القلعة ، ودخل
ابن السلطان إلى دور الحرم ، وانفضّ ذلك الموكب على خير ، فلما نزل الشريف ١٨
بركات وأمراء الحاج من القلعة نزل صحبتهم الأتابكى سودون العجمى وجماعة
من الأمراء المقدمين ، فشقّوا من القاهرة (٢٦٩ آ) وكان لهم يوم مشهود ،
فأوصلوا الشريف بركات إلى المكان الذى أنزله فيه السلطان ، قيل أنزله السلطان ٢١
فى بيت الأمير جام مصبغة الذى بالقرب من مدرسة السلطان ، فأوصلوا الأمراء

الشریف بركات إلى ذلك المكان ورجعوا إلى بيوتهم ، وكذلك أمراء الحاج ،
وأما القاضي كاتب السر محمود بن أجا فإنه لما رجع من الحجاز كان متوعكا
في جسده فلم يطلع إلى القلعة ولا قابل السلطان . ، وقد هنّيته عند عودته من الحجاز
بهذين البيتين وهما :

عن كاتب السرّ شاع فضل يستوجب الشكر والمحامد

قد عمّ من برّه البرايا وحجّ في الناس وهو قاعد

فكان لهُذين البيتين موقع لما عُرِضوا عليه وقرأهما ، فلما رجعت الحجاج
إلى القاهرة أثنوا بكل خير على سيّدی عمر بن الملك المنصور أمير ركب الأول
وشالوا له الرايات البيض في وسط الرملة ، بخلاف الأمير طقطبای أمير ركب
المحمل ، وأما خوند زوجة السلطان وولده فلم يثنِ عليهما أحد بخير ولا ظهر
لخوند في المناهل مكارم أخلاق كما كانت تفعل خوند الخاصبكية زوجة الأشرف
١٢ قايتبای لما حجّت فلم يرَ لهم أحد من الحجاج رأس سكر ولا مجمع حلوى وكل
من كان معهم ودّ يشكى من الجوع ، فكان كما يقال في المعنى :

وكم لله من رجل سمين كثير المال مهزول البذل

كذلك الطبل يُسمع من بعيد (٢٦٩ ب) ودخله من الخيرات خال

وكان سبب ذلك أن السلطان هذا أحسنّ خلق الله وأبخلهم على الإطلاق ،
فلم يمكن أحد من الناس في شيء من أمر السنيح ، وكان ابن السلطان صغيرا
١٨ لا يحكم على شيء من أمور السنيح ، حتى قيل ردّوا بالأكل الذي في السنيح لم
ينقص منه إلا القليل ، فكان كما يقال :

لا تعجبوا إن سعى كريم الحاجة في يدي بخيل

فإنه كالحلاء حتما لا بُدّ فيه من الدخول

(٨) الأول : جاءت في الأصل بعد « الرملة » في سطر ٨ . (١١) الخاصبكية : الخاص بكيه .
(١٦) أن السلطان : أن السلطان جعل والسلطان وكان هذا .

وفى صفر طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان مستهلّ الشهر
يوم السبت : - وفى يوم الأربعاء خامسه جلس السلطان فى القصر الكبير
المطلّ على الرملة ، وعزم هناك على الشريف بركات أمير مكة ومدّ له أسيمة ٣
حافلة ، وأقام عنده إلى أواخر النهار ، وقدّم له السلطان مقدمة حافلة ما بين خيول
وجمال وغير ذلك . - وفى يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على الشريف
يونس النابلسى الذى كان أستاذارا وقرّره فى استيفاء جيش الشام عوضا عن ٦
بلدر الدين بن الإنبائى بحكم وفاته ، فنزل من القلعة فى موكب حافل . - وفى
يوم الأحد تاسعه نزل السلطان إلى المقياس وعزم على الشريف بركات هناك ،
وجلس معه فى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، وأقام هناك إلى أواخر ٩
النهار ، ومدّ له أسيمة حافلة ، (٢٧٠ ت) ثم نزل فى مركب وشقّ من على الروضة
وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت ، واستمرّ فى المركب حتى طلع من بولاق
ثم توجه إلى القلعة من هناك . ١٢

وفى الاثنين عاشره أشيع بأن فى تلك اللية سرق من دار الضرب التى هى
بالقلعة داخل الحوش السلطانى ثمانية آلاف دينار وكسور من الذهب الجديد
الذى ضربه السلطان بسبب النفقة ، فذهبت ولا يُعلم من فعل تلك الفعلة ، فلما ١٥
بلغ السلطان ذلك ألزم المعلمين الذين فى دار الضرب بما سُرّق من ذلك
القدر ، فضت ولم ينتطح فى ذاك شاتان . - وفى يوم ثالث عشره صمّمت
الممالك على استعجال النفقة ، فأخرج السلطان من حواصل الذخيرة أشياء ١٨
كثيرة من الأمتعة التى كانت فى الحواصل من ترك الخوندات والستات التى
ماتوا واحتوى السلطان على موجودهم ، ما بين قماش وبشاخين زركش وعنبر
وأوانى بلّور وصينى وكُفت وغير ذلك ، وأخرج أشياء كثيرة من شاشات وأزر ٢١
وأثواب بعلبكي وأثواب صوف قبرسى وغير ذلك فقوّم ذلك بنحو خمسين
ألف دينار ، فطلب التجار وأرمى عليهم تلك الأصناف بأعلى الأثمان فأطلق
فى التجار النار ، وكان المتكلم فى ذلك محمد مهتار الطست خاناه وقد جعله ٢٤

السلطان (٢٧٠ ب) متكلماً على حواصل الذخيرة من حين توفى الحاج باقوت
 فرائش الخزانة ، فشدد محمد المهتار على التجار في جبي الأموال فجُبيت منهم
 ٣ في مدة يسيرة لأجل النفقة ، وحصل على التجار الضرر الشامل وقد خسروا
 في الأتواب الصوف النصف فإنهم كانوا معنوتين ، وكذلك خسروا في البعلبكي
 والأزر والشاشات والأنطاع والمحابس اليمنى وغير ذلك ، ثم إن السلطان أطلق
 ٦ في المباشرين النار وضيق عليهم بسبب بواقى فضلات الأموال التي قرّرت عليهم
 من فضلات بواقى الحسابات ، فكتبوا له قوائم بما تأخّر على المباشرين والعمّال
 والمدركين وأرباب المصادرات فكان ذلك القدر نحو مائة ألف دينار ، فظهر على
 ٩ علاى الدين ناظر الخاص ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وعلى الزينى بركات بن موسى
 المحتسب خمسة عشر ألف دينار ، وعلى القاضي شرف الدين الصغير خمسة آلاف
 دينار ، وغير ذلك من العمّال ومن بواقى المصادرات ، فأطلقوا فيهم النار بسبب
 ١٢ النفقة على الممالك ، وما قاسى أحد من أرباب الدولة بسبب هذه النفقة خيراً ، وقد
 استحثهم السلطان في سرعة ورود المال على النفقة . - وفي يوم الاثنين سابع
 عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أبرك (٢٧١ آ) أحد الأمراء المقدمين ،
 ١٥ وأصلة من ممالك السلطان ، وكان خرج إلى حلب صحبة التجريدة وقد جعله
 السلطان باشاً على الممالك الجلبان ، فلما رسم لهم السلطان بالعود إلى مصر حضر
 الأمير أبرك قبل مجيء الأمراء فدخل إلى مصر وسبق الباش ، ودخل صحبته
 ١٨ جماعة كثيرة من الأمراء الطبلخانات والعشرات ممن كان في التجريدة ، فلما
 طلع وقابل السلطان أخلع عليه ونزل [إلى] داره في موكب حافل . - وفي ذلك
 اليوم نفق السلطان الجمامكية على العسكر ، ونفق عليهم النفقة التي كان أوعد
 ٢١ العسكر بها وجرى بسببها ما تقدّم ذكره ، فلم تكن هذه النقطة عامّة على العسكر
 بل كانت للجماعة مخصوصة من الممالك ، فأعطى لمالিকে الجلبان لكل واحد منهم
 خمسين ديناراً ، وأعطى مثل ذلك للممالك الأشرفية القايتهية الشباب أصحاب

الدقون السود دون الشيوخ ، ولم يعط المماليك القرانصة الشيوخ شيئا ، ولا الممالك
السيفية شيئا ، ولا أولاد الناس شيئا ، ولا أصحاب الطبقة الخامسة التي تجددت ،
فحصل للعسكر في ذلك اليوم كسر خاطر إلى الغاية ، وقيل إن بعض المماليك ٣
وقف إليه بسبب النفقة وأغلظ (٢٧١ ب) عليه في الكلام ، فرسم بقطع جامكيته
في ذلك اليوم ولو زاده عليه رسم بنفيه أيضا ، فلما جرى ذلك اعتبروا بقية
المماليك عن طلب النفقة . - وفي ذلك اليوم نادى السلطان في القاهرة بأن ٦
لا مملوكا يركب في سرج بداوى ولا ركب بداوى ولا يتخلل بإحرام صوف أبيض
ولا يغطى وجهه إذا ركب ، ولا مملوك ولا غلام ولا عبد يخرج من بعد العشاء ،
وصار يكرر هذه المنادة يومين موالية ، فشق على المماليك هذه المنادة وكانوا ٩
قد زادوا في الضرر للناس ، ثم [إن] جماعة من المماليك توجهوا إلى عند الأمير
طومان باى الدوادار ليكلم السلطان في أمر النفقة على بقية المماليك ، فلما كلمه لم
يُقد من كلامه شيئا ، واستمر السلطان باقيا على عدم النفقة على المماليك ١٢
الشيوخ والعواجز ، فما وسعهم إلا الصبر والسكوت عن ذلك ، فكان كما يقال في المعنى :
أنفقتُ عمرى وصحتى شغفا عليك والصبر آخر النفقة .

وفي أثناء هذا الشهر حضر الأمير أبنال باى دوادار سكين ، وكان توجه إلى ١٥
حلب بسبب مجيء العسكر وغير ذلك من الأشغال السلطانية ، وحضر الأمير
خاير بيك المعمار ، وكان توجه إلى العقبة بسبب إصلاح العراقيب التي بطريق
العقبة لأجل خوند وابن السلطان قبل (٢٧٢ آ) أن يجوا إلى العقبة . - وفي ١٨
هذا الشهر كثر الدعاء من المماليك القرانصة على السلطان بسبب منعه لهم
من النفقة . - وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أرسل السلطان خلف قاضى القضاة
الشافعى محيى الدين بن النقيب المنفصل ، فتوجه إليه بعض مهاترة الطستخاناه ، فلما ٢١
طلع به أرسل السلطان يقول له أورد ثلاثة آلاف دينار وتولّى وظيفتك

على العادة ، فأرسل يقول للسلطان : ما معى حاضرا غير ألف وخمسمائة دينار
فولتوني وقسّطوا الباقي علىّ في كل شهر مائتا دينار ، فأرضى السلطان بذلك
٣ وانفصل المجلس مانعا ، فلما نزل ابن النقيب من عند السلطان أتى إليه الزينى
بركات بن موسى فأخذه من المدرسة الناصرية وأركبه على حمار وتوجه به إلى
داره ورسم عليه حتى يرد ثلاثة آلاف دينار إن ولى أو لا يلى ، فأقام عنده
٦ في الترسيم أياما ثم توجهوا به إلى بيت القاضى كاتب السرّ وأحضروا له
شرف الدين بن الأسيوطى الوكيل والقاضى شمس الدين بن وحيش ويقصدوا
أن يدعوا عليه بأن تحت يده ثلاثة آلاف دينار ثمن بدل عن وقف ابتاعه وأن
٩ ذلك القدر تحت يده ، فاعترف ابن النقيب بذلك وقال : قد دفعت من ذلك القدر
ألفان ومائتان دينار للسلطان ، وأظهر رجعة ذلك ، وذكر أن باقى ذلك المبلغ
فقد من حاصله ، (٢٧٢ ب) فانصرف فى الترسيم إلى بيت ابن موسى يردّ
١٢ ثلاثة آلاف دينار فقاسى من المهذلة ما لاخير فيه واستمرّ فى الترسيم مدّة حتى
يردّ ذلك القدر ، ثم أشيع ولايته إلى القضاء أياما وخذت هذه الإشاعة كأنها لم
تكن ، وكان ابن النقيب أرشل قليل الخطّ غير محبب للناس . - وفى يوم الاثنين
١٥ رابع عشرينه كان أول يوم من الخميس ، وهو يوم فطر النصارى وعيدهم ، ومن
جملة لطف الله تعالى لم يقع فى هذه السنة طاعون بمصر . - وفى يوم الثلاثاء
خامس عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وساقوا قدّامه الرماحة كما يسوقون
١٨ عند دوران الحمل فى رجب ، وكان الشريف بركات أمير مكة حاضرا عند السلطان ،
فلما مضى أمر الرماحة دخل السلطان هو والشريف بركات إلى البستان الذى
بالميدان ومدّ له أسمطة حافلة . - وفيه عيّن السلطان شخصا من الخاصكية يقال
٢١ له جانم بأن يتوجه إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ويكشف عن أخباره هل
هو يقصد أن يمشى [على] بلاد السلطان أم على بلاد الصوفى ، فإن الإشاعات كانت
كثرت يمشى ابن عثمان على بلاد السلطان ، فخرج جانم هذا بسبب ذلك ، وقيل

- لأجل أقارب السلطان الذين أتوا من بلاد جركس وأسروهم بعض ملوك التتر ، فتوجه جانم ليشتريهم من ملك (٢٧٣) التتر بمبلغ له صورة . - وفي يوم الخميس سابع عشرينه فيه أكل السلطان أمر النفقة ، واستمر مصمتا على عدم إعطاء النفقة للمالِك القرانصة والسيفيّة وأولاد الناس ، ثم في أثناء ذلك اليوم نادى السلطان في القاهرة بأن الممالك الذين أخذوا النفقة يعملون يرقهم ويكونون على يقظة فإن التجريدة عمالة إلى حلب ، فلما سمع العسكر ذلك اضطربت أحوالهم . - وفي ذلك اليوم رسم السلطان بشق شخص من أولاد الناس كان عاتقا مجرما وله عدة قتلاء ، فشُق على باب الدرب الذي في السبع سقايات . - وفي يوم الأحد سلخ هذا الشهر نزل السلطان وتوجه إلى نحو قبة يشبك الدوادار التي بالمطرية وأقام بها إلى أواخر النهار ، ثم عاد إلى القلعة من يومه .
- وفي ربيع الأول طلع الخليفة والقضاة الأربعة وهتوا السلطان بالشهر ، ثم عادوا إلى بيوتهم . - وفي يوم الأربعاء ثالثه ورد على السلطان [أخبار] ١٢ غير صالحة بأن سليم شاه ابن عثمان قد جهّز عساكرا عظيمة وأرعى عدة مراكب في البحر وأنه زاحف على على دولات بنفسه ، فتأكد السلطان لهذا الخبر ورسم لنقيب الجيش بأن يدور على الأمراء المقدمين ويقول لهم : اطلعوا إلى عند السلطان ١٥ حتى يقرأ عليكم الكتب التي وردت عليه عن (٢٧٣ ب) أخبار ابن عثمان ، فطلعوا إلى عند السلطان في ذلك اليوم ، فلما اجتمعوا قرأ عليهم ما ورد عليه من المطالعات عن أخبار ابن عثمان ، فأقاموا الأمراء عنده إلى بعد العصر وهم ١٨ في ضرب مشورة بسبب على دولات وابن عثمان ، ثم بعد أيام خمدت تلك الإشاعات واستمر الأمر مبنيا على السكون . - وفي يوم الأربعاء عاشره نزل السلطان إلى الميدان وساقوا قدّامه الرماحة وهم لابسون الأحمر والخوذ كما ٢١ يفعلون عند دوران المحمل في رجب ، واجتمع الميدان الجم الغفير من الناس بسبب الفرجة ، وكان الشريف بركات حاضرا مع الأمراء ، وكان يوما مشهودا . -

- وفى ذلك اليوم توفى الأمير أسنبای الأصمّ أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان من أعيان مماليك الأشرف قايتباى ، وكان علامة فى لعب الرمح وقد فاتته التقدمة من قبل ذلك ، وكان لا بأس به ، وقد مات فجأة على حين غفلة . - وفى يوم الخميس ٢
- حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى ونصب الخيمة الكبيرة المدوّرة بالحوش ، قيل إن مصروف تلك الخيمة على الأشرف قايتباى ستة وثلاثين ألف دينار ، فحضر القضاة الأربعة والشريف بركات أمير مكة ، قيل أجلسه السلطان ٦
- فوق الأتابكى سودون العجمى ، واجتمع سائر الأمراء المقدّمين وأرباب (٢٧٤) الوظائف ومشايخ العلم ، وكان يوما مشهودا على العادة . - وفى يوم السبت ثالث ٩
- عشره أشيع أن إقطاع أسنبای الأصمّ أنعم به السلطان على الأمير قايتباى الذى كان نائب الكرك ، فصار من جملة الأمراء الطبلخانات . - وفيه حضر الأمير ألماس دواذار سكين الذى كان توجهه إلى طرابلس بسبب ضبط موجود جانم نائب ١٢
- طرابلس الذى توفى ، وقُرّر عوضه تميز مملوك السلطان الذى كان نائب قلعة حلب ، وقُرّر فى نيابة قلعة حلب قانصوه الساقى عوضا [عن] تميز الأشرفى بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس ، وتوجّه ألماس أيضا بسبب تقليد تميز المذكور لما ولى ١٥
- نيابة طرابلس ، وبسبب جنى الأموال التى قُرّرت على عربان جبل نابلس وغير ذلك من البلاد بسبب المشاة ، فأهلك الحرث والنسل . - وفى يوم الاثنين خامس ١٨
- عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير باش العسكر الذى كان توجهه إلى حلب ، وحضر الأمير سودون الدوادارى رأس ٢١
- نوبة النوب ، وحضر الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدّمين ، وكانوا توجهوا فى هذه التجريدة صحبة أمير آخور ، فلما دخلوا إلى القاهرة باتوا فى مدرسة السلطان ، ثم طلّعوا إلى القلعة وقابلوا فى ذلك (٢٧٤ ب) اليوم السلطان ، فأخلع عليهم كوامل بصمور ونزلوا إلى دورهم فى موكب حافل ، فكانت مدة غيبة الأمراء فى هذه السفرة نحو تسعة أشهر ورجعوا وهم سالمون لم يُفقّد منهم أحد ، ولا وقع

بينهم قتال بسبب ابن عثمان والصوفى ، لكن قاسى العسكر فى هذه السفرة مشقة زائدة بسبب الغلاء الذى وقع بحلب وقلّة العليق على الخيول ، فباعوا خيولهم وسلاحهم وقماشهم ، فدخلوا إلى مصر وهم فى غاية التعفّيش ومنهم من دخل وهو راكب على حمار . — وفى ذلك اليوم أكمل السلطان على العسكر النفقة المقدّم ذكرها على حكم ما شُرح فيه ولم يعط الممالك القرائصة العواجز ولا أولاد الناس شيئا ، وصار الذى يأخذ النفقة يكتبه كاتب الممالك طائفة إلى جهة الشرقية وطائفة إلى جهة الغربية وطائفة إلى منفلوط وطائفة لحفظ الجسور ، فصار بعض الممالك يقول ما لنا حاجة بنفقة على هذا الوجه . — فلما أقام قانى باى أمير آخور فى المدينة ثلاثة أيام أهدى إلى السلطان تقدمة حافلة على ما قيل ، فكان من جمعتها ذهب عين عشرة آلاف دينار وخمسة وعشرين مملوكا جراكسة وخيول خاصات أربع طوايل وأربعمائة رأس غنم وأثواب بعلبكى (٢٧٥ ت) وأثواب صوف وغير ذلك أشياء فاخرة ، وقيل أحضر إلى السلطان ثمانين ألف دينار وذلك مما جباه من أمر المشاة الذى أفرده السلطان على الشام وحلب وحماة وغير ذلك من البلاد بسبب المشاة الذى تخرج قدّام العسكر فى التجريدة ، فحصل على أهل تلك البلاد منه الضرر الشامل وأخذ أموالهم بالظلم والعسف ، وقرّر على ١٥ جهات البلاد الشامية من الإقطاعات والرزق على كل رأس من الفلاحين قدر ما معلوما ، كما فعل بعربان جبل نابلس وغيره من البلاد ، فضجّ منه الأفلاك والأملاك بسبب ذلك ، وكان المحرك لذلك يوسف بن أبى أصبغ . — وفى يوم الثلاثاء ١٨ سادس عشره نزل السلطان إلى الميدان وأرسل خلف الشريف بركات أمير مكة ، وحضر أمير كبير وجماعة من الأمراء المقدّمين ، ثم أحضر ممالك يرمون بالنشاب على الخيل وهم باللبس الكامل فأظهروا أشياء غريبة فى فنون الرماية ، ٢١ وأحرق السلطان إحراقا نفط بالنهار فى الميدان ، وأحضر الأفيال الكبار ففسارعوها قدّامه ، وكذلك السبع والهزبر ، فانشرح السلطان فى ذلك اليوم وكان

يوما مشهودا فأقام في الميدان إلى قريب الظهر . - وفي يوم الجمعة تاسع عشره
الموافق لسابع بشنس القبطي ، فيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وكان
الوقت يومئذ (٢٧٥ ب) رطباً . - وفي يوم السبت عشرينه نزل السلطان إلى
الميدان وبات به ليلة الأحد ، فدخل إلى البستان الذي أنشأه به فأطلق ماء البحرة
ونثر فيها الورد والياسمين ، وفرش حولها الفرش الفاخرة ، وعلّق بين الأشجار
أحمال قناديل وتعاليق كثيرة ما بين تنانير وأمشاط وغير ذلك حتى أضواء البستان
بالنور ، ثم أرسل خلف الشريف بركات وبات عنده تلك الليلة ، ومدّ له
أسمطة حافلة وطواري فاخرة ما بين حلوى وفاكهة وغير ذلك ، ثم أحضر
إليه مغاني البلد وأرباب الآلات الدواخل ، فكانت ليلة حافلة من الليالي الملوكية ،
كما قال فيها الشاعر :

وجلس راق من واشٍ يُكدره ومن رقيب له في اللوم إيلامٌ
١٢ ما فيه ساعٍ سوى الساقى وليس به على الندامى سوى الريحان نتمامٌ
فلما أصبح صبح يوم الأحد خرج السلطان وجلس في الميدان وأحضر
جماعة من المماليك يرمون بالنشاب على القبق ، فأقام في الميدان يومين وليلة ثم
١٥ طلع إلى القلعة ، وقد بالغ في إكرام الشريف بركات بأشياء لم تقع لأحد من أجداده
ولا أقاربه . - وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه فيه أدخل السلطان على أمراء الحاج
فقرّر الأمير علان أحد المقدمين ودوادار ثاني أيضاً أمير ركب الحمل ، وقرّر
١٨ الجناب العلای على بن المؤيد أحمد بن الأشرف (٢٧٦ ت) أبنال أمير ركب
الأول ، فكان لهما موكب حافل . - وفي ذلك اليوم أشيع أن خشقدم شاد الشون
قد هرب وصحبته جماعة من المماليك السلطانية فهبطاً له مركبا بستة عشر مقدافا ،
٢١ وقيل إنه أخذ معه نحو عشرة مماليك ، وخرج من مصر على حمية ، فأشيع أنه
قد توجه إلى عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، وقيل إن له أنحاً عند ابن عثمان
أميراً من أمرائه فتوجه [إليه] ، وأصل خشقدم هذا من مماليك السلطان قانصوه
(١) عشره : عشرينه .

الأشرف الغوري من مشروعاته ، وكان أنعم عليه بأمرة عشرة وجعله رأس نوبة عصاة ثم قرّره في شادية الشون ، وكان قبل ذلك تكلّم في نيابة جدّة نيابة عن الأمير حسين نائب جدّة فاستمرّ على ذلك مدّة ، ثم إن السلطان صادره وأخذ منه ٣ نحو خمسة آلاف دينار ، وكان خشقدم هذا متزوجا بينت جاني بيك دوادار طراباي الذي كان ناظر الديوان المفرد ، فلما قبض السلطان على [جاني بيك أمر] خشقدم بطلاق بنت جاني بيك غصبا وقيل كان له منها أولاد وربما ألزمه ٦ بما تأخّر على جاني بيك من المال ، فمات خشقدم ذلك وحمل على نفسه فهرب نحو بلاد ابن عثمان ، فكان كما يقال في المعنى :

- ٩ لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
فلما أشيع توجه خشقدم إلى بلاد ابن عثمان (٢٧٦ ب) كثر القال والقليل بين الناس بسبب ذلك ، وقيل أن أخا خشقدم هذا كان مقبلا عند ابن عثمان سليم شاه وهو من أخصائه ، فخشى بعض العقلاء أن خشقدم يحسن لابن عثمان أن يمشى على بلاد السلطان ويهون عليه ذلك الأمر ، والله غالب على أمره . - وفي يوم الجمعة سادس عشرين هذا الشهر كانت وفاة الأمير قاني باي قرا أمير آخور كبير الذي كان باش العسكر المتوجه إلى حلب ، وكان موته بغتة على حين غفلة ، ١٥ وكانت مدّة توعّكه خمسة أيام حتى أشيع أنه مات مسموما من بعض أخصائه ، والعلم عند الله تعالى ، وكان أصل الأمير قاني باي هذا من مماليك الملك الأشرف قايتباي من مشروعاته ، فأعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك الجمدازية ، ثم بقي مسلحدارا ، ثم أنعم عليه بأمرية عشرة في ستة ثمان وتسعين وثمانائة فأقام على ذلك مدّة يسيرة ، وقرّره في نيابة صهيون وقيل سعى فيها بمال له صورة فأقام بصهيون مدّة ، وكان الساعي له في نيابة صهيون الأمير أربك ٢١ الخازندار ، وقيل قرّر في أمرية الكبرى بحلب مدّة يسيرة ، ثم عاد إلى مصر

وبقى مقدّم ألف في دولة الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، ثم بقى أمير
 آخور كبير بعد وقعة الأمير أقبردى الدوادر لما قتل (٢٧٧ ت) الأمير كرتباى
 ٢ ابن عمّة الأشرف قايتباى في مدرسة السلطان حسن ، فقرّره الملك الناصر
 في أمرية آخورية الكبرى عوضا عن الأمير كرتباى بحكم قتله وذلك في المحرم
 سنة ثلاث وتسعمائة فأقام في أمرية آخورية الكبرى نحوًا من ثمان عشرة سنة
 ٦ وثلاثة أشهر ، وكان أميرًا جليلا مبجلًا معظّمًا في سعة من المال والسلاح والبرك
 والخيول والبغال والجمال والماليك ، وكان في ملاءة من كلّ شيء ، وهو الذى
 أنشأ الجامع الذى عند المصنع تُجَاه سوق الخيل ، والجامع الذى بالقرب من ميدان
 ٩ المهارة الذى بجوار البركة الناصرية ، وكان له من العمر لما مات نحو ستين سنة ،
 وكان صفته طويل القامة مليء الجسد أسمر اللون جدًّا كما وكثره الشيب ، وكان
 مشهورًا بالشجاعة والفروسية ولعب الرمح بحيث كان يدعى بقانى باى الرماح ،
 ١٢ لكنه كان عنده الطمع الزائد والظلم والعسف ، وكانت معاملته أنحس المعاملات
 يأكل أموال الناس بغير حق ، وإن وضع يده على وقف أو تركة أكلها عن
 آخرها ، وإن اشترى من أحد شيئًا أكل ثمنه عليه ، وإن استعمل صناعيًا أو مُسبِّيًا
 ١٥ قطع مصانعته في أجرته ، ويخرج من بابه غير راض عنه ، وكان السلطان قرّره
 باش العسكر على التجريدة التى توجّهت إلى حلب فأظهر في البلاد الشامية
 (٢٧٧ ب) والحلبية غاية الظلم وأفرد الأموال الجزيلة على جهات البلاد الشامية
 ١٨ والحلبية بسبب المشاة الذين يكونوا أمام العسكر ، فجار على الناس وأخذ جملة من
 الأغنام لأهل الضياع من الفلاحين نحو ثلاثين ألف رأس غنم ، وقيل أكثر من
 ذلك ، وكان السلطان في وقت عيّنه بأن يتوجّه إلى جهات الشرقية بسبب فساد
 ٢١ العربان فكان إذ ظفر بأحد من الفلاحين الضعفاء يوسطه أو يسلخه من رأسه
 إلى عند أقدامه ، وربما صنع ذلك بجماعة من الأشراف وزعم أنهم من العربان

العصاة عنها قيل عنه ، وكانت مساوئه أكثر من محاسنه ، وكان شديد القسوة كثير الجهل وقد أراح الله تعالى الناس منه ، فلما مات لم يثن عليه أحد من الناس بخير قط ، وقد قلت في ذلك مداعبة لطيفة :

٣

جهنم منذ قالت لقاني باى خذْ حذارك

قد زاد نيران وجدى من كثرنى لانتظارك

٦ وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من ذلك ، ولكن أحببت أن

أذكر هنا شيئا من مساوئه حتى يعتبر من بقى لعل أن تحسن أخبارهم من بعدهم ، وكان السلطان متأثرا من الأمير قانى باى هذا فى الباطن ، وقد

عين له أمرة السلاح غير ما مرة ويترك أمرية آخورية الكبرى فيأبى من ذلك ، (٢٧٨ آ) وكان السلطان له قصد أن يقرر أحدا من أخصائه فى أمرية آخورية الكبرى فيعارضه فى ذلك : فلما مرض الأمير قانى باى استمر

١٢ مقبيا بباب السلسلة فى مدة انقطاعه نحو خمسة أيام : فأتى بباب السلسلة ليلة الجمعة بعد العشاء ، فرسم السلطان أن ينزل إلى داره وهو ميت فنزلوا به فى تابوت إلى بيته الذى عند حجرة البقر ، وكا متزوجا بينت الأمير يشبك من مهدى أمير

١٥ دوا دار كبير فأقامت له نعيًا بالطارات ، واستمرت تدق عليه بالطارات ثلاثة أيام متوالية فعز ذلك على السلطان فى الباطن ، وأشيع بين عياله أنه قد مات مسموما ، فحقد ذلك على بنت الأمير يشبك فيما بعد وقر عليها فوق الثلاثين ألف دينار

١٨ وزعم أن قانى باى أمير آخور أودع عندها مالا فشرعت فى بيع جهازها حتى ترد ما قرّر عليها من المال . — فلما كان يوم الجمعة حضرت القضاة الأربعة والأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء المقدمين وأرباب الوظائف من المباشرين ،

وأخرجت جنازته من بيته وقد آماه كفارة فطلعوا به من على حجرة البقر ، فلما وصل إلى الرملة نهبت العوام تلك الكفارة ، فلما وصل إلى سبيل المؤمنى خرج السلطان من الميدان (٢٧٨ ب) وصلى عليه وكانت جنازته حافلة ، ثم رجعوا به

(٦) وأنا . . . ذلك : جاءت فى الأصل بين البيتين . (١٥) فأقامت : لقامت .

من المصلاة ودفنوه في ملرسته التي تجاه سوق الخليل ، وخطى بعلمه وانقضى أمره . - وفي يوم السبت سابع عشرينه فيه ابتدأ السلطان بضرب الكرة في الميدان على العادة . - وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وقف الأتابكي سودون العجمي وبقية الأمراء المقدمين قاطبة وباسوا الأرض للسلطان وسألوا بأن يكون سيلى ابن السلطان أمير آخور كبير عوضا عن الأمير قانى باى قرا بحكم وفاته ، فأعجب السلطان ذلك في الباطن وقد مشت الأمراء في غرض السلطان لما رأوا له قصدا في ذلك ، فأنعم على ولده المقر الناصرى محمد في ذلك اليوم بأمرية آخورية الكبرى عوضا عن الأمير قانى باى قرا ، فحضر ابن السلطان وباس الأرض على ذلك الإتمام له . ٩

وفي ربيع الآخر كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة والسيد الشريف بركات أمير مكة فهنئوا السلطان بالشهر وعادوا إلى دورهم ، وقد بالغ السلطان في إكرام السيد الشريف بركات وقام إليه وعظمه تعظما بالغا . - وفي يوم الخميس ثاني الشهر أكل السلطان النفقة على جماعة من الممالك القراصنة ، وكان عول قبل ذلك أن لا يتفق عليهم شيئا ثم نفق عليهم ، ولكن أعطاهم السم في (٢٧٩) السم فكذب منهم جماعة إلى الشرقية وجماعة إلى الغربية وجماعة إلى العقبة والأزم وإلى متفلوط ، ثم صرح لهم جهارا وقال : الذى يطلب يخرج ويسافر من يومه والذى ما يطلب نفقة يقعد ويستريح في بيته ، فرجع غالب الممالك عن طلب النفقة والذى أخذ النفقة خرج إلى السفر من يومه . - وفي يوم الاثنين سادس هذا الشهر عمل السلطان الموكب بالقصر الكبير ، ودار تقيب الجيش على الأمراء المقدمين وأعلمهم أن الموكب بالقصر الكبير وهو بالشاش والتماش ، فلما تكامل الموكب وحضر الأمراء المقدمون طلب السلطان ولده المقر الناصرى محمد وأنطع عليه وقرره في أمرية آخورية الكبرى عوضا عن الأمير قانى باى قرا بحكم وفاته ، فلما أنطع عليه نزل وصحبته (١) ودفنوه : ودفنه . (٢٢) ولده : والده .

- الأتابكي سودون العجمي وسائر الأمراء المقدّمين وأرباب الوظائف من المباشرين ،
 فنزل من سلّم المدرج وتوجه إلى باب السلسلة وقدّامه الأمراء قاطبة بالشاش ، ومشّت
 قدّامه الشعراء والشبابة السلطانية ، فدخل إلى باب السلسلة ونزل على سلّم الحراقة ٣
 وطوّب للأمراء وانفضّ ذلك الموكب الحافل ، وكان سنّ ابن السلطان يومئذ إحدى
 عشرة سنة ، ولم يُسمع فيما مضى من الأخبار المتقدمة أن ابن سلطان ولي أمير آخور
 (٢٧٩ ب) كبير سوى هذا ، ولكن الملك الظاهر خشقدم قرّر ربيبه الشهابي ٦
 أحمد بن العيني أمير آخور كبير ولم يكن ابن سلطان ، فعُدّ ذلك من النوادر
 الغريبة ، ولم يُسمع فيما مضى من الأخبار أن ابن سلطان ولي الأتابكية في حياة
 والده وتسلطن منها سوى الملك المؤيّد أحمد بن الأشرف أبنال . - وفي يوم ٩
 الأربعاء ثامن نزل السلطان إلى باب السلسلة وجلس في الحراقة ومدّها بها سباط
 الغدى ، ثم عرض ممالك الأمير قاني باي أمير آخور وعرض البوتات التي كانت
 للأمير آخور ورسم بجميع ذلك إلى ولده . - وفي يوم الخميس تاسعه رسم ١٢
 السلطان لولده أن يركب ويتوجّه إلى بيت أمير كبير سودون العجمي ويتشكّر
 منه الذي تعصّب له في أن يلي أمير آخور كبير ، فنزل وصحبته الأمير طومان باي
 أمير دوادار كبير وجماعة من الأمراء العشرات والجم الغفير من الممالك ١٥
 والخاصكية ، فشقّ من الصليبة وتوجّه إلى بيت أمير كبير فقام إليه ولاقاه من
 الحوش ، ثم ألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور وفوقاني حرير أخضر بطرز بلبغاوي
 عريض وأركبه فرس بسرّج ذهب وكنبوش ، ثم شقّ من الصليبة ثانيا في موكب ١٨
 حافل فطلع وهو لابس فوقافي والكاملية فباس الأرض للسلطان (٢٨٠ آ)
 ثم رجع إلى باب السلسلة . - وفي يوم السبت ثامن عشره فيه توفي الأمير نانق
 الغوري الحازن أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان عند السلطان من المقرّبين فكان ٢١
 موته فجأة على حين غفلة ، وكان مشهورا بالشج الزائد والبخل وكان غير
 مشكور في أفعاله . - وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أخلع السلطان على شخص

- ٢ من الأمراء العشرات يقال له بيهردى من كسباى وقرّره باش المجاورين بمكة عوضاً عن جاني بيك قرا الذى كان بها فى السنة الخالية ، وأخلع على شخص من
 ٣ الأمراء العشرات الروثوس النوب يقال له قراكرز الحكمة وقرّره فى نظر الحسبة الشريفة بمكة ، وكانت الحسبة مضافة لباشية مكة فأفصلها السلطان منها وقرّر بها قراكرز هذا . - وفى يوم السبت خامس عشرينه كان ختام ضرب الكرة ، فلعب
 ٦ السلطان الكرة فى الميدان ، ثم طلع إلى القلعة وعزم على الأمراء وجلس فى المقعد الذى أنشأه بالحوش ومدّ لهم هناك أسمطة حافلة وطوارى فاخرة ، فأقامت الأمراء عنده إلى بعد العصر ، وكان السيد الشريف بركات أمير مكة حاضراً ذلك المجلس
 ٩ فبالغ السلطان فى إكرامه وتعظيمه إلى الغاية وأجلسه فوق أمير كبير ، ثم أحضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدّامه فى الحوش ، (٢٨٠ ب) فلما دخل وقت الظهر أحضر جماعة من الممالك لعبوا خصمانية فى الرمح واستمروا على ذلك
 ١٢ إلى بعد العصر ، ثم انفضّ ذلك الجمع ونزلت الأمراء إلى بيوتهم . - وفى يوم الاثنين سابع عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أقبای الذى كان كاشف الشرقية وكان قد توجه إلى نحو طرابلس فى أشغال السلطان ، فلما
 ١٥ طلع إلى القلعة كان عليه كاملية بصمور من عند نائب طرابلس إنعاماً . وفى جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع الخليفة والقضاة الأربعة والسيد الشريف بركات أمير مكة فهنّوا السلطان بالشهر ، ثم إن السلطان
 ١٨ أخلع فى ذلك اليوم على السيد الشريف بركات خلعة السفر وأذن له بالعود إلى مكة ، فأخلع عليه أطلسين وفوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض مثل خلعة الأتابكية ، وأخلع على ولد الشريف كاملية مخمل أحمر بصمور ، وأخلع
 ٢١ على عرعر صهر الشريف بركات كاملية صوف بصمور ، وأخلع على شخص من أولاد دراج أمير الينبع وقرّره فى أمرة الينبع ، وجعل للشريف بركات التحدّث على بندر الينبع يولى به من يشاء من تحت يده ويعزل من يشاء . -
- (١) كسباى : كسبارى . (١٣) أقبای : أقبای بمض .

- وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على ولده المقر الناصرى محمد أمير آخور كبير خلعة الإنظار ، فألبسه (٢٨١) أطلسين وفوقانى حرير أحضر بطررز يلبغاوى حريض مثل خلعة الأتابكية ، فخرج من الميسدان وقدامه السيد الشريف ٣ بركات أمير مكة والأتابكى سودون العجمى وجماعة من الأمراء المقدمين وأرباب الوظائف من المباشرين ، فشققوا من القاهرة فى موكب حافل وكان لهم يوم من الأيام المشهود ، فتوجه ابن السلطان إلى المدرسة البروقية على جارى العادة ، ٦ وتوجه السيد الشريف بركات إلى تربة الملك الظاهر برقوق فأقام بها إلى حين يرحل . - وفى يوم الجمعة ثانى هذا الشهر أرسل السلطان إلى السيد الشريف بركات مقدمة حافلة وهو فى تربة الظاهر برقوق ، فكان من جللتها ذهب عين ٩ أربعة آلاف دينار ، وأربعة ممالك فرسان وهم باللبس الكامل ، وكان الشريف بركات اشترى من مصر ممالك ، وأهدت إليه الأمراء عدة ممالك ، فكان معه نحو خمسين مملوكا مكلمة بالسلاح ، وأرسل إليه السلطان ستة بقج ضمنها صوف وصمور ١٢ ووشق وسنجاوب وبعلبكي وتفاصيل حرير سكندرى وأبراد منزلاوى وشقق برق يجرّ ذهب وأثواب مخمل ملون وأثواب برصاوى مزهر بقصب ، فأرسل إليه من كل صنف من هذه الأصناف عشرة قطع ، وأرسل إليه نمجاة (٢٨١ ب) ١٥ زعموا أنها نمجاة بعض الصحابة ، فكتب السلطان اسم الشريف بركات عليها ومسقطها بالذهب ، وأرسل إليه أربعة أسياف خاصّ وهى مسقط بالذهب ، وأرسل إليه أربعة زرديات وهى مسقط بالذهب ، وأرسل إليه صنجقين سلطاني ١٨ بطلعتين فولاذ ، أحدهما حرير أصفر مرقوم بالذهب وآخر حرير أصفر برسم الأسفار ، وأرسل إليه محفة بغشى جوخ أصفر ، وكان قبل ذلك أرسل إليه عدة خيول وهجن وجمال بخاق وبغال وسلاح برسم الممالك الذين معه ، وقد أخذق عليه ٢١ بكثرة الإنعام له حتى أدشه بالعطايا فوق ما أهدى إليه السيد الشريف بركات بأصناف ، فلما وصلت هذه المقدمة إلى الشريف بركات أخلع على غلمان السلطان

- والمهتار محمد مهتار الطستخاناه الخلع السنية وفرق عليهم الدنانير والدرهم ، ولم يقع لأحد من أجداده ولا أقاربه ما وقع له مع الملك الأشرف قانصوه الغورى
- ٢ وقد بالغ في إكرامه وتعظيمه جدا . - وفي يوم الأربعاء سابع هذا الشهر طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل المبارك ، وأخذ قاع النيل فجاءت القاعدة سبعة أذرع وأربعة أصابع ، أرجع من نيل السنة الخالية بعشرين أصبع كما قيل . -
- ٦ وفي يوم الأربعاء المذكور توجه القاضي كاتب السر محمود بن أجا ونائبه الشهابي أحمد بن الجيعان ، فتوجهتا إلى عند السيد الشريف بركات أمير مكة (٢٨٢)
- وعلى أيديهما تقليد بولاية أمرة مكة ، وقد بالغوا في نعمته وترجمته إلى الغاية ، ثم أحضروا له مصحفاً شريفاً وسيفاً وحلته عليهما أنه لا يخون السلطان ولا يُعطى عليه ولا يخرج عن طاعته على عمر الليالي والأيام ولا ولا ، فلما حلف كتبوا صورة هذا الحلف في ورقة وأشهدوا عليه وكتب خطاً يده على تلك الورقة ، ثم عادوا إلى القلعة وعرضوا ذلك الحلف على السلطان ، وكل ذلك وقع والشريف بركات في تربة الظاهر برقوق ، فألبس الشريف بركات القاضي كاتب السر كاملية مخمل بصمور وكذلك الشهابي أحمد بن الجيعان . - وفي يوم الجمعة
- ١٥ تاسعه نزل الأمير طومان باي الدوادار من عند السلطان إلى المقر الناصري محمد ابن السلطان وعلى يده منشورا بإقطاع الأمرية بالتقدمة ، فلما نزل الأمير طومان باي إلى عند ابن السلطان بالمشور ألبسه أطلسين وفوقاني حرير أخضر بطرز
- ١٨ يلبغاوى عريض وأركبوه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، فلما وصل الأمير الدوادار إلى بيته أرسل إليه ابن السلطان على يد لالاته سنبل الطواشي خمسمائة دينار وقيل ألف دينار ، فألبسه الأمير الدوادار كاملية مخمل أحمر بصمور ودفع إليه خمسين دينارا ، وقد تعاظم أمر ابن السلطان في أمرية آخورية الكبرى وصار في كل ليلة يقدر على باب السلسلة فانوسين (٢٨٢ ب) أكره وكذلك على باب الميدان وقد عظم أمره جدا ، ورسم السلطان أن أحدا لا يقول له سيدي بل

- يقولون له أمير آخور كبير . - وفي يوم الاثنين ثانی عشره جلس السلطان في الميدان وعرض العسكر أصحاب الطبقة الخامسة ، فكتب منهم جماعة نحو ستائة مملوك ، وقيل أكثر من ذلك ، وعيّنهم إلى جهة الهند ، وكان فيهم جماعة من مماليك السلطان الجلبان وجماعة من المماليك القرانصة وأولاد الناس وغير ذلك ، وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج تزايد عبثهم في البحر الملح وطفشت به مراكب الفرنج ، فاهتم بعمارة مراكب في السويس نحو عشرين مركبا وأوسقهم بالسلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك من آلة الحرب ، وجعل سلمان العثماني رئيسا لتلك المراكب ، وتحت يده جماعة كثيرة من العثمانية والمغاربة البحارة نحو ألفي إنسان ، وقيل أكثر من ذلك ، فلما عيّن السلطان العسكر في ذلك اليوم استحثهم على الخروج بسرعة ، ورسم أن النفقة تكون يوم الثلاثاء بعد النصف ، فانفصل المجلس على ذلك . - وفي يوم الأربعاء رابع عشره أشيع بين الناس أن في ذلك اليوم حضر هجان من البلاد الحليّة وأخبر أن سليم شاه بن عثمان ملك الروم مشى على شاه إسماعيل الصوفي ملك العراقين ، فلما بلغ على دولات أن طائفة من عسكر ابن عثمان قد قربت من بلاده خرج إليها وتحارب معها فانكسرت تلك الطائفة (٢٨٣) اليسيرة التي من عسكر ابن عثمان وقتل منها جماعة ونهب على دولات ما معهم ، فعند ذلك طمع على دولات في عسكر ابن عثمان ، فلما بلغ سليم شاه بن عثمان ذلك أرسل إلى على دولات عسكرا ثقيلا نحو ثلاثين ألف مقاتل عنما قيل ، ومعهم من الأمراء نحو سبعة أمراء من أمرائه ، ومعهم سبعة صناجق فتحاربوا مع على دولات وكسروه ونهبوا عسكره ، وقتل على دولات في المعركة هو وولده ، وحزّوا رؤوسهما عنما قيل وأشيع ، ووقعت الكسرة على على دولات وقد قويت الإشاعات بقتله والعلم عند الله تعالى ، فلما سمع السلطان هذا الخبر تنكّد له إلى الغاية ، ثم أرسل خلف الأمراء في ذلك اليوم وأطلعهم على ما بلغه من هذه الأخبار وضرّبوا مشورة فيما يكون من أمر هذه الواقعة ، والأمر لله في ذلك ، فكان حال على دولات مع ابن عثمان كما يقال في المعنى :

لا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا وَإِنْ دَنَا لِلْمَنِيَّةِ

فَحَيَّةُ السَّمِّ تُدْعَى بَعْدَ الْمَنِيَّةِ حَيَّةٌ

- ٣ وقد تقدم القول على أن ابن عثمان كان متعصباً لابن شاه سوار بأن يرد إليه بلاد أبيه سوار من يد عمه على دولات وبولتيه مكان أبيه ، فكان يخشى من السلطان ، وقد تقدم القول على أنه كان أرسل يسأل فصل السلطان في ذلك ، وكان الأمر مبنيّاً على (٢٨٣ ب) السكون فما يُعلم الآن ما يصير من بعد ذلك . - وفي يوم الخميس خامس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة السيفي جاثم الخاصكى الذى كان توجه إلى ابن عثمان ، فلما حضر أخبر أن ابن عثمان أكرمه غاية الإكرام وأخلع عليه عند عوده إلى مصر خلعة تماشيح بصمور ، ولكن هذا الأمر حدث من بعد مجيء جاثم من عند ابن عثمان ، والحركات والسكون بيد الله تعالى . - وفي ذلك اليوم خرج نائب مهنسا الذى قرّره السلطان بها وهو شخص من الخاصكية خادم السجادة يقال له قانصوه العجمي ، وأصله من ممالك السلطان الغورى ، وقد سعى في هذه النيابة بمال له صورة حتى وليها . - وفي يوم الخميس المذكور رحل السيد الشريف بركات من تربة الظاهر برقوق وتوجه إلى بركة الحاج وعزم على السفر إلى مكة ، فخرج معه جماعة كثيرة من الناس يرومون الحج ، فخرجوا صحبته إلى مكة . - وفي يوم الثلاثاء عشرينه نفق السلطان على العسكر المعين للهند نفقة السفر ، فأعطى لكل مملوك خمسين ديناراً وأوعدهم أن ينفق عليهم جامكية ستة أشهر معجلاً قبل أن يسافروا ، وقيل أغنى منهم جماعة من أولاد الناس مما شكى ضعفنا في جسده أو من به حبّ افرنجي ، وصار يصرح لهم (٢٨٤) جهارا ويقول : الذى ما يُطبق سفر البحر الملح يعلمنى بذلك فأغفیه من السفر ، فعُدّ ذلك له من محاسنه . - وفي أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن الشيخ يحيى صاحب جربة قد توفى إلى رحمة الله تعالى ، وكان لا بأس به ، وقيل إنه مات قهراً من أولاده وقد افتتنوا في بعضهم وقتل بعضهم بعضاً ، فحصل له توعلك في جسده واستمرّ غليلاً إلى أن مات .

- وفي جادی الآخرة كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر . - وفي يوم الثلاثاء خامسه نفق السلطان على المسكر للمعین للهند جامکیّة أربعة أشهر معجّلا ، ومنهم من تشكّى بأن به الحبة الاقرنمی وما یقدر یسافر فأعفاه السلطان من السفر وقال له : أعید الثقة التي أخذتها ولا تسافر ، وربما رسم على بعض أولاد الناس حتى یعید الخمسين أشرفیا التي أخذها ثقة وقال لهم : التي ما یقدر على السفر وهو ضعيف یعید الثقة ولا یسافر ، وكان مجموع هذا المسكر الذي کُتب (٢٨٤ ب) للهند نحو خمسمائة إنسان ، غیر التراکة البحکوة من جماعة الرئيس سلمان . - وفي يوم الأربعاء سادسه عزل السلطان قاضي القضاة الشافعی علای الدین الإخیمی ، فكانت مدته في هذه الولاية ستة وسبعة أشهر إلا یومین ، وكان ماشیا فی منصب القضاء على الأوضاع كما یبقی ، ومباشرا هذه الوظيفة بصفة زائلة وحسن تصرف ، وجاء فی منصب القضاء كفواً لذلك ، وعُزل من هذه الوظيفة والناس عنه راضية وحلّ قضاء الجمیل من الدین والخیر ومنع الرشوة ، وكان فی مدة ولايته لا یتعاطى شیئا من معلوم الإتاؤ بل كان ینعم بذلك على طلبة العلم والفقهاء وغير ذلك ، فلما عُزل أخلع السلطان فی يوم الأربعاء المذكور على قاضي القضاة محیی الدین عبد القادر بن القیب وولاه القضاء ، وهذه سادس ولاية وقمت له باللیلار المصرية ، منها خمسة ولايات فی دولة الأشرف النوری والولاية الأولى فی دولة الأشرف جان یلاط ، فلما لبس القشرف یلقمه الذي بالحوش نزل من القلعة فی موكب حافل وقد آمه القضاة الثلاثة وسائر نواب الشافعية وناظر الجيش وناظر الخالص وغير ذلك من الأعیان ، فتوجه إلى اللوسنة الصالحية على جلوی الحافة ، ولكن سعى فی هذه الولاية بثلاثة آلاف دینار غیر خلعة للأمیر للوادلو الكبير (٢٨٥ آ) والوادلو الثاني والقاضي كاتب السر ، قیل نقذ منه

(١) الإخیمی : الإخیمی بن القیب . (١٢ - ١٤) وكذا فی عدة ... وغير ذلك : جلست

فی الأصل یبد « القیب » فی سطر ٧ .

- في هذه السنة ولايات فوق الثلاثين ألف دينار ، وولى هذه الولاية في يوم الأربعاء وهو يوم نحس مستمر ، فضاءلوا له الناس بعلم إقامته في هذه الولاية لكونه ولى
- ٣ في يوم الأربعاء ، فذهب منه هذا المال العظيم ، وباليته لو شيع من ماله بنصف رطل سكر أو طير دجاج برّ به نفسه ، وأخباره في الشحّ والبخل الزائد مشهورة بين الناس فما يحتاج لشرح ذلك ، فكان كما يقال في المعنى :
- ٦ ويحبس روثه في البطن شهرا مخافة أن يجوع إذا خربه ويكي بالدموع لهضم أكل كما يكي اليتيم على أبيه
- وفي يوم السبت تاسعه رسم السلطان بشتق أربعة أنفار منهم جارية بيضاء رومية وجارية حبشية وصبي ابن ناس لقاف وشخص قواس ، وسبب ذلك
- ٩ أن هذا الابن الناس والقواس أفسدا هذين الجاريتين وحسناهما بأن يقتلوا أستاذهما وكان أستاذهما شخصا من أولاد الناس مقطع ، فقتلوه ثم ألغوه في المستراح وأخذوا كل ما في بيته وسافروا إلى نحو إطفيح ، ومضى على هذا الأمر نحو خمسة أشهر
- ١٢ ثم فشى من بعد ذلك أمرهم ونمّ عليهم جارية صغيرة ، فقبض عليهم بعض مشايخ إطفيح وأرسلهم (٢٨٥ ب) إلى السلطان ، فقرّروهم فاعترفوا بقتله وأنهم ألغوه في المستراح ، فرسم السلطان للوالى بأن يفحص عن أمره ، فتوجّه وكشف المستراح فوجده فيه وقد تقدّد جلده فأخرجه من المستراح ، فلما عرضه على السلطان رسم بدفته وأخرج إقطاعه لبعض الماليك ، ثم رسم بشتق هولاي الذين فعلوا
- ١٨ ذلك ، فلما توجهوا بهم إلى الشنق ارتجت لهم القاهرة في ذلك اليوم ، ثم توجهوا بهم إلى المكان الذي قتلوا فيه أستاذهم ، وهو مكان بالقرب من باب سعادة ، فشنعوا هناك الأربعة أنفس ومضى أمرهم . - وفي يوم الخميس رابع عشره أخلع
- ٢١ السلطان على الأمير يوسف الذى كان نائب القدس وقرّره في نيابة صفد عوضا عن طراباي الذى كان بها ، وكان عادة نيابة صفد ما يلها إلا مقدّم ألف ، وآخر من ولها من الأمراء المقدّمين الأمير أزدمر السرطن وأقام بها إلى أن مات ، فلما
- ٢٤ ولها الأمير يوسف عزّ ذلك على الأمراء كونه سني ، وكان يُعرف بيوسف

- من سييأى ، ولكن سعى فى نيابة صفد بمال له صورة حتى ولها ، وما زال الدهر كثير الغلطات . - وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له قانصوه الساقى ، وقرّره فى وظيفة الأمير نائق الخازن على الحواصل السلطانية . - ٢
- وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على الأمير قانصوه حبايئة ، ورسم له بأن يتوجه إلى طرابلس (٢٨٦ ت) فى بعض المهمات الشريفة . - وفى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى يوم الأحد خامس مسرى ، ٦
- وفُتِح السدّ فى يوم الاثنين سادس مسرى ، وكان نيلا مباركا قوى العزم ، فلما أوفى رسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجه ويفتح السدّ ، فتوجه إلى المقياس وخلق العمود ونزل فى الحراقة وفتح السدّ على العادة ، وكان ذلك اليوم مشهودا ، ووقع فيه محاسن كثيرة على العادة ، فلما فتح السدّ ومضى طلع إلى القلعة فأخلع عليه السلطان خلعة سنّية ونزل إلى داره ، وللناس مدّة طويلة لم يروا النيل أوفى فى خامس مسرى ، وقد قيل فى المعنى : ١٢
- رعى الله مصرًا كم بها من مسرّة ومنزل أنسٍ لاح بالطالع السعد
رويتُ الوفا عن سدّها يوم كسره فها أنا مهتمّا عشتُ أروى عن السدّ
- وفى يوم الاثنين خامس عشرينه حضر قاصد ملك الروم سليم شاه ، فلما حضر طلع إلى القلعة ، فجلس السلطان فى الحوش على المصطبة ، فلما مثل بين يديه أحضر صحبته رأس على دولات ورأس ولده ورأس وزيره وهم فى علبة ، فلما أحضروا بتلك الرؤوس بين يدى السلطان شقّ عليه ذلك وقال : إيش أرسلتني ١٨
- هذه الرؤوس هى رؤوس ملوك الفرنج انتصر عليهم حتى أرسلهم لى ، ثم رسم للوالى بأن (٢٨٦ ب) يأخذ تلك الرؤوس ويدفنها على شاه سوار عند الكوم الذى بالقرب من زاوية الشيخ كهنبوش ، فأنفض الموكب فى ذلك اليوم والسلطان ٢١
- والأمراء فى غاية الاضطراب ، وكثر القال والقال فى ذلك أن قلعة زمظوا وبلاد على دولات جميعها ملكها ابن عثمان واستتاب فيها ابن سوار ، وقد خرجت

بلاد على دولات من يدى السلطان ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وابن عثمان يقصد
 فى الباطن إثارة فتنة كبيرة بينه وبين السلطان وأظهر التحرش بالسلطان وفتح
 باب الشر ، فتكّد السلطان فى ذلك اليوم إلى الغاية . - وفى يوم الثلاثاء ٣
 سادس عشرينه لم يخرج السلطان من الدهيشة ولم ينزل إلى الميدان ، وأشيع أنه
 قد شرب دواء وأنه متوعك فى جسده ، وكان حصل له فى يوم الاثنين انزعاج
 لما حضر قاصد ابن عثمان برأس على دولات ، وحصل فى ذلك اليوم بين السلطان ٦
 والأمراء كلام يابس وخاشنوه فى الكلام وقالوا له : يا مولانا السلطان غالب البلاد
 الحلبية خرجت من أيدينا وصارت بيد ابن عثمان وخطب له فيها باسمه وضربت
 له السكة باسمه وشرع فى بناء برج عند عقبة بغراض وآخر على باب الملك ٩
 والسلطان يده فى الماء البارد وفسدت أحوال المملكة وغالب الرعية بحلب وغيرها
 (٢٨٧ آ) من ظلم النواب وجورهم يميلوا إلى ابن عثمان لأجل عدله فى الرعية
 وهذه الأحوال غير صالحة ، فشقّ عليه كلام الأمراء وكظم لذلك ، ولم ينزل ١٢
 الميدان فى ذلك اليوم ولا حكم بين الناس . - ومن الحوادث قد أشيع بين الناس أن
 سنبل الطواشى لا لا سيدى ابن السلطان وقع بينه وبين جماعة من المماليك
 الجلبان بسبب مملوك كان ساقيا عند ابن السلطان ، فضربه سنبل ضربا مبرحا بسبب ١٥
 فشروى فأقام أياما ومات ، فتعصّب له جماعة من المماليك الجلبان وأوعدوا سنبل
 بالقتل فى ذلك اليوم ، وكثر القيل والقال فى ذلك وأشيع إقامة فتنة كبيرة بين
 المماليك والسلطان لأجل سنبل بسبب ذلك . - وفى يوم الخميس ثامن عشرين ١٨
 هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير طراباى من يشبك الذى كان نايب صفد
 وعزل عنها فاستقر به حاجب الحجاب بدمشق ، وهذه درجة من حيدر لأسفل ،
 وقيل إنه سعى فى ذلك بمبلغ له صورة . - وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه قويت ٢١
 الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة من المماليك الجلبان بسبب سنبل الطواشى لا لا سيدى

(٢) التحرش : التحيّيش . (٥) انزعاج : ازهاجا . (٢٠) وعزل : كتبت فى الأصل بعد

ابن السلطان ، وقد تقدّم سبب ذلك من أجل المملوك الذى قتله ، فلم يطلع من الأمراء فى ذلك اليوم إلا القليل ، وقيل إن السلطان لم يخرج ولم يصل الجمعة وكان فى غاية (٢٨٧ ب) النكد ، وأرسل قبض على سنبل الطواشى وأودعه ٣ فى الترسيم واحتاط على موجوده ورسم عليه بالدهيشة أربعة من الخاصكية ، ومن حين وقعت هذه الحادثة رسم السلطان لولده بأن يقيم فوق القلعة ولا ينزل لباب السلسلة ، خوفاً عليه من المماليك حتى تخمد هذه الفتنة ويكون ٦ من أمرها ما يكون .

وفى رجب كان مستهلّ الشهر يوم السبت فطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر ، وكان بالميدان فسلموا عليه ونزلوا إلى دورهم . - وما ٩ وقع فى ذلك اليوم من الحوادث المهولة أن المماليك الجلبان لما أصبحوا فى ذلك اليوم استمروا على إثارة الفتنة المقدم ذكرها ، فلبسوا كباشيات مقلوبة ووقفوا على باب سلم المدرج ومنعوا الناس من الطلوع إلى القلعة ، وخاف مقدّم المماليك وغيب ١٢ من باب القلعة ، وقصدوا المماليك أن ينبهوا الدكاكين التى فى خرائب التار ، وقصدوا أن ينزلوا إلى المدينة وينهبوا الأسواق ، فنعهم من ذلك الأمير طقطباى نائب القلعة من النزول إلى المدينة ، فلما طلع السلطان من الميدان ودخل إلى ١٥ الدهيشة فبلغه أمر هذه الفتنة ، ثم اتسع الكلام بين المماليك وبين السلطان بسبب سنبل الطواشى الذى قتل المملوك ، وقد تقدّم القول على ذلك ، فأرسلت المماليك تقول للسلطان : (٢٨٨ أ) إن لم تسلّمنا سنبل الطواشى أو تنفق علينا لكل مملوك ١٨ من مائة دينار وقيم حرمتنا فإن السوق صارت تمسك لجام المماليك فى الأسواق وتبهطهم وما صار لنا حرمة بين الناس على أيامك ، فلما ترددت الرسل بين المماليك وبين السلطان بسبب ذلك وقد رأى السلطان عين الغدر من المماليك ، ورسم ٢١ للوالى بأن يقبض على سنبل ويخرج به إلى المماليك ، وكان سنبل من حين جرى منه ما جرى بسبب المملوك الذى قتله وهو فى الترسيم عند السلطان فى الدهيشة ،

- فأخذه الوالى وخرج به وهو ماشى وعلى رأسه زمط وعليه ملوطة بيضاء وهو
مفكك الأطواق ، فلما خرج إلى باب القلعة أحاطت به المماليك وقصدوا أن
يقطعونه بالسيوف ، فصار يسأل قرابة المملوك الذى قُتل بألف دينار فأبى من ٣
ذلك وقال : ما آخذ إلا روحه ، ثم أنزلوه من سلم المدرج وأتوا به إلى عند الخوض
الذى تحت سلم المدرج فوسطوه هناك ، وأحضروا له تابوت فحملوه فيه ومضوا ٦
به فغسلوه ودفنوه ومضى أمره كأنه ما كان ، وكان سنبل هذا من أعيان الخلدآم
حبشى الجفنس جميل الصورة يُدعى سنبل من غارى ، وكان له من العمر يومئذ
نحو ثلاثين سنة ، وكان لالا سيدى ابن السلطان وحجّ معه (٢٨٨ ب) ورأى ٩
من العزّ والعظمة غاية التعظيم ، وكان خازن دار كيس ، وكان من المقربين عند
السلطان وافر الحرمة نافذ الكلمة ، ولا سيما لما ولى ابن السلطان أمير آخور كبير
فصار سنبل هو المتصرف فى أمور باب السلسلة ويحكم عوضا عن ابن السلطان ، ١٢
وصار لا يقبل لأحد من الأمراء رسالة ولا شفاعة فعادى جميع الأمراء وحلوا
منه فى الباطن ، فلما جرى له ما جرى لم يرث له أحد من الأمراء ، ولم يفد سنبل
مما ناله من ذلك العزّ والعظمة شيئا ، ومات هذه الموتة الشنيعة ، ولم يتفق لأحد ١٥
من الخلدآم قبله أنه مات موسّطا ، وكان ذلك من الأمور المقدّرة ، فلما توسّط
سنبل خمدت تلك الفتنة وطلعت المماليك إلى الطباق وبطل أمر الفتنة ، ثم
إن السلطان أشهر المنادة فى القاهرة : بأن لا سوقى ولا تاجر يهدل ممالك ١٨
السلطان ولا يمسك لأحد منهم لجام فرسه ومن فعل ذلك قطعت يده ولا يقلّ
حياه عليهم ، وكانت هذه المنادة من أكبر أسباب الفساد فى حقّ الناس ، وصارت
المماليك من بعد ذلك يدخلون إلى الأسواق ويخطفون القماش من على الدكاكين ٢١
ولا يقدر أحد يمنعه من ذلك ، وصار الناس معهم من بعد ذلك فى غاية الضنك
والقهر ، وقد أَرْضَى المماليك بقتل سنبل وبهذه المنادة (٢٨٩ آ) عن طلب
النفقة . - وفى يوم الاثنين ثالثه وردت على السلطان أخبار رديّة بأن سليم ٢٤
شاه بن عثمان تملك غالب بلاد على دولات وشرع فى بناء أبراج على عقبة
(تاريخ ابن لياس ج ٤ - ٣٠)

- بغراض عند باب الملك ، وأرسل نائب الشام ونائب حلب يعتب السلطان في تأخير إرسال التجريدة إلى اليوم بسبب حفظ البلاد قبل أن يتمكن منها عسكر ابن عثمان ، فلما وردت هذه الأخبار على السلطان تنكّد إلى الغاية وطلع إلى الدهيشة هو ٣ والأمراء وضربوا مشورة في ذلك الأمر . - وفي يوم الأربعاء خامسه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك التي بالمطرية فأقام بها إلى بعد العصر ، فلما رجع إلى القلعة شقّ من على باب اللوق ، فلما شقّ من هناك وقف له جماعة هناك ٦ من التجار وشكوا له من أذى الممالك في حقهم وخطفهم القماش من على الدكاكين ، فلم يلتفت إلى ذلك ، وربما أغلظوا التجار على السلطان في القول ، فطلع إلى القلعة وهو في غاية السودة من العوام . - وفي يوم الخميس سادسه توفي ٩ القاضي أبو الفتح السرم ساجي ، وكان من أعيان الناس ورأس الموقعين العدول ، وكان موته فجأة على حين غفلة . - وفي يوم السبت ثامنه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى المقياس وبات به ، وأصبح يوم الأحد مقبياً هناك ، ومدّه له (٢٨٩ ب) ١٢ الزيني بركات بن موسى أسمطة حافلة وانشرح هناك ، ثم طلع إلى القلعة بعد العصر من يوم الأحد ، وكان النيل يومئذ في عشرين ذراعاً ، فجلس في القصر الذي أنشأه على بسطة المقياس وكان ذلك اليوم بالسلطاني . - وفي يوم الاثنين عاشره جلس ١٥ السلطان في الميدان وعرض العسكر المعين إلى جهة الهند ، فعرضهم وهم باللبس الكامل واستدعاهم كلّ واحد باسمه ، فلما فرغ من عرض العسكر أخلع على الرئيس سلمان العثماني كاملية مخمل أحمر بصمور وقرّره باش المراكب المجهّزه ١٨ للهند ، وقرّر الباش الثاني شخصاً يسمّى يشبك وهو أمير عشرة ، وقرّر الباش الثالث شخصاً يقال له دمرداش الإقريطشي ، وكان أصله افرنجي يبيع النبيذ الإقريطشي فاشتهر بذلك ، فأنعم عليه السلطان بأمرة عشرة وجعله باش العسكر ، ٢١ وكان ذلك من غلطات الزمان ، فلما انتهى أمر العرض بسط السلطان يده وقرأ سورة الفاتحة ودعى بالنصر للعسكر ، ثم إن العسكر خرج من الميدان ونزل وشق

من القاهرة وقد أمهم الطبول والزمور ومكاحل النفط والبندقيات وعلى رؤوسهم
الصنجق السلطاني ، وكان لهم يوم مشهود ، وكان مجموع هذا العسكر المتوجه
٣ إلى الهند على تحرر أمره نحو ستة آلاف إنسان ، تفصيله : خاصكية خمسين ،
جندارية (٢٩٠) مائة وخمسين ، ومن الطبقة الخامسة المتجددة ما بين أولاد ناس
ومالك وغير ذلك أربع مائة وخمسين ، وبحارة ومقاتلين وتراكة ومغاربة وغير
٦ ذلك خمسة آلاف وثلاثمائة أربعة وأربعين على ما قيل ، فلما خرجوا من القاهرة
توجهوا إلى الريدانية إلى أن يرحلوا من هناك إلى السويس ، فكان السلطان
في مدة إقامتهم في الريدانية يمد لهم أسمطة حافلة من ماله بكرة وعشياً إلى أن
٩ رحلوا من هناك وتوجهوا إلى نحو السويس ، وكان عدة المراكب التي أنشأها
السلطان بالسويس عشرين مركبا ، وقد أشحنها بالمكاحل والمدافع والبارود وغير
ذلك من الزاد بسبب العسكر ، وقد تقدم القول على أن السلطان نفق على هؤلاء
١٢ العسكر قبل ذلك وأعطى لكل مملوك منهم خمسين دينارا ، وأوعدهم بأن ينفق
عليهم قبل أن يسافروا جامكية ستة أشهر معجلاً عند خروجهم إلى السفر . —
وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان وأذن له بالعود إلى بلاده وكتب
١٥ له الجواب عن مطالعته التي حضرت على يده ، ثم إن السلطان قصد أن يعين له
قاصدا من عنده فلم يطاوعه أحد من الأمراء ولا من الخاصكية بأن يتوجه قاصدا
إلى ابن عثمان وقالوا للسلطان : هذا رجل جاهل سفاك للدماء وكل (٢٩٠ ب)
١٨ من توجه إليه بهذا الجواب قتله ، فلم يوافق إلى التوجه إليه أحد من العسكر . —
وفي يوم الخميس ثالث عشره أخلع السلطان على الوزير يوسف البدرى بأن
يستمر في الوزارة على عادته ، وكان له مدة وهو في الرسم بسبب عمل الحساب ،
٢١ وآخر الأمر كتب عليه السلطان مسطورا بخمسة وستين ألف دينار والتزم
بأمر السداد هو والقاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة ، فأخلع السلطان عليهما
ونزلا في موكب حافل . — وفي يوم السبت خامس عشره نزل السلطان من القلعة

- وعُدّي إلى الروضة ونصب له خيمة عند خرطوم الروضة وصواوين ، وأقام هناك يومين وليلة ، وأحضر عنده مغاني وأرباب الآلات ، ومدّ له هناك الزينى بركات بن موسى المحتسب أسمطة حافلة وطواري فاخرة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما يهدى للملوك ، فانشرح السلطان هناك إلى الغاية وصنع دكة خشب في وسط الماء ، وكان النيل في قوة الزيادة ، وجلس عليها وحوله الخاصكية وهم خائضون في الماء حتى ابتلت ملايلطهم بالماء والطين ، وقد فتك في القصف والفرجه حتى خرج في ذلك عن الحدّ ، وكان السلطان حصل له قبل ذلك غاية النكد بسبب توسيط الطواشي (٢٩١ آ) سنبل وفتنة الممالك في طلب النفقة ، فاصدق بإخماد تلك الفتنة عنه فنزل هناك وانشرح في ذلك اليوم ، واستمرّ مقياً هناك إلى يوم الأحد آخر النهار ، وكانت ليلة تفرقة الجامكية ، فطلع من هناك إلى القلعة وشقّ من الصليبية ولم يكن قدّامه أحد من الأمراء سوى جماعة من خاصكيته فقط . - وفي يوم الخميس عشرينه خرج الأمير طومان باي الدوادار الكبير وصحبته الأمير خاير بيك أحد المقدّمين الذي كان كاشف الغربية وبعض أمراء عشرات وخاصكية ، فخرج في ذلك اليوم وتوجّه إلى جبل نابلس بسبب فساد العربان الذي هناك ، فإنه حصل بينهم وبين نائب غزة فتنة كبيرة وقتل فيها جماعة ، واضطربت أحوال الدرب السلطاني من غزة إلى مصر ، وخرج الأمير الدوادار بغير طلب ، وكان ذلك اليوم يوم نوروز وأول السنة القبطية فلم تتفاهل الناس بخروج الدوادار في ذلك اليوم وقالوا : يستمرّ سنته كلها في هجاج وسفر . - وفي يوم السبت ثاني عشرينه توفي شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له جاني بيك قرا من حيدر ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباي ، وكان لا بأس به . - وفي يوم الاثنين رابع عشرينه رحل الأمير الدوادار من الريدانية وتوجّه إلى الخانكة ، ومما عدّ من محاسن (٢٩١ ب) الأمير طومان باي الدوادار أن شخصاً من الفقراء كان على باب جامع شيخوا يتمنى مائة دينار ذهب وجل وعبد حتى يتوجّه إلى الحجاز ، فأقام على ذلك

مدة طويلة وكان يبتلش بالأمراء كلما طلعوا إلى القلعة ونزلوا فأصورهم وأبادهم شرّاً وأحرمهم يشقّوا من الصليبية ، ففي بعض الأيام أرسل إليه الأمير طومان باي الدوادار خمسين ديناراً ذهب وجمل وعبد وقال له : امض إلى الحجاز ، فقال له ذلك الفقير : احملني معك إلى القدس فأزوره قبل أن أحجّ ، فحمله معه لما سافر إلى نابلس ، فعُدّ ذلك من النوادر اللطيفة من الأمير الدوادار ، وكان فيه الخير ، وكان قليل الأذى بخلاف من تقدّمه من الدوادارية . — وفي يوم الخميس سابع عشرينه عزل السلطان قاضي القضاة الشافعي محيي الدين بن النقيب فكانت مدّته في هذه الولاية خمسين يوماً لا غير ، ونفذ منه في هذه الولاية ثلاثة آلاف دينار غير الكلف ولم يقيم فيها سوى هذه المدّة اليسيرة وعُزل ، فلما عُزل لم يرث له أحد من الناس في سعيه في هذه الوظيفة ، وقد نفذ منه على وظيفة القضاء فوق الثلاثين ألف دينار ، وهو ممقوت عند الناس ولم يمكث في هذه الست ولايات إلا مدّة يسيرة نحو السنتين ، وكان أرشل قليل الحظ . — فلما عُزل ابن النقيب في ذلك اليوم أخلع السلطان (٢٩٢) على قاضي القضاة كمال الدين الطويل وأعادته إلى القضاء ، وهذه رابع ولاية وقعت لقاضي القضاة كمال الدين ، وقد سعى في هذه الولاية بثلاثة آلاف دينار ، وكان الساعي له بقاضي علاي الدين ناظر الخصاص والشرقي يحبي الشطرنجي نديم السلطان ، فلما لبس التشرّيف وشقّ من القاهرة فأوقدوا له الشموع على الدكاكين وزينوا له بعض دكاكين في حارته عند الخانقاه البيبرسية ، وكان قاضي القضاة كمال الدين محبباً للناس قاطبة ، ولما عاد قاضي القضاة كمال الدين إلى منصب القضاة هنيئته بهذين البيتين وهما :

إلى قاضي القضاة تقول مصر لقد جاد الزمان بِمَشَى حالي

ولما عاد منصبه أتاها سرورُ بالتّمام وبالكمالِ

فلما أحضروا له التشرّيف فوقف السلطان عن لبسه في ذلك اليوم وصار يعتبه بكلمات مما تقدّم منه ، وقال له : لا تبقى تحكّم وترجع عن أحكامك . —

(٢١ - ١٩) بهذين ... وبالكمال : جاءت في الأصل بعد « أحكامك » في سطر ٢٣ .

- وفي يوم الجمعة ليلة السبت ثامن عشرين رجب كانت وفاة قاضي القضاة الحنفي
سرى الدين عبد البرّ بن قاضي القضاة محبّ الدين بن الشحنة ، وقد تقدّم ترجمة
نسبهم في الجزء الثامن من التاريخ ، وكان قاضي القضاة عبد البرّ إماما فاضلا عالما
علامة في هبة وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت من أعيان علماء الحنفية ، توفى وله
من العمر نحو خمسة وسبعين سنة أو دون ذلك ، ومات وهو منفصل عن القضاء ،
وقد (٢٩٢ ب) أقام في منصب القضاء نحو ثلاث عشرة سنة وأشهر ، ورأى في دولة
الأشرف قانصوه الغورى ما لا رآه غيره من القضاة ، وكان من أخصّاء السلطان
بحيث أنه كان يبات عند السلطان بالقلعة ثلاث ليال في الجمعة ، وصار هو المتصرّف
في أمور المملكة بحضرة السلطان ، واستمرّ على ذلك حتى تغيّر خاطر السلطان عليه
بسبب ما تقدّم ذكره من عزل القضاة الأربعة في يوم واحد ، فعُزل معهم ، واستمرّ
على عزله والسلطان متغيّظ عليه ولا يسمع بذكره قط حتى مات من شدة قهره ،
وأشيع بين الناس أن ، ثم مات رحمة الله عليه ، وقد قلت في هذه الواقعة : ١٢
طلعت لعبد البرّ أعظم ذبلة من قهر أحكام القضا لما عُزل
قد نال ذل الطرد من سلطانه وأتى إليه كل عكس متصل
- وفي شعبان كان مستهل الشهر يوم الأحد ، فجلس السلطان في الميدان ، وطلع ١٥
القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان الخليفة متوعكا في جسده لم يطلع للتهنئة
بالشهر . - وفي يوم الثلاثاء ثالثه نزل السلطان وتوجّه إلى قبة الأمير يشبك
التي بالمطرية ، فبات بها وتفرّج على الملقّة وكانت في قوّة ملوها ، فأقام هناك إلى ١٨
يوم الأربعاء آخر النهار ثم عاد إلى القلعة ، ونزل أيضا عقيب ذلك إلى القبة وبات
بها . - وفي يوم الاثنين سادس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة جانم الخالصكى
(٢٩٣ آ) الذى كان أرسله السلطان إلى ملك التتار بسبب أقارب السلطان ٢١
الذين أسرهم ملك التتار عنده ، فلما مرّ من على بلاد ابن عثمان أرسل قبض عليه

(٢ - ٣) وقد تقدّم ترجمة نسبهم في الجزء الثامن من التاريخ : انظر ابن إياس طبعة باول كاله

ومحمد مصطفى ج ٣ ص ٢٠٩ س ٤ . (٤) هبة : هبة . (١٢) وأشيع بين الناس أن : كذا في
الأصل ، ويظهر أنه قد سقطت هنا بعض الكلمات من المتن .

وأخذ ما كان معه من الهدية التي كان أرسلها السلطان إلى ملك التتار ، وحصل
لجانم من ابن عثمان غاية البهولة ، وهمّ بشنقه غير ما مرة حتى شفع فيه بعض
وزراء ابن عثمان ، فلما رجع جانم أخبر عن ابن عثمان أموراً شنيعة قالها في حق
السلطان وعسكر مصر ، وأنه جهّز عدّة مراكب كثيرة نحو أربعائة مركب
في البحر تجيء ثغر الإسكندرية ودمياط ، وفرقا من عسكره تجيء من على البلاد
الحليّة ، فلما تحقق السلطان ذلك أرسل خلف أمير كبير سودون العجمي وبقية
الأمراء ، فجلسوا في الدهيشة وضربوا مشورة بسبب ابن عثمان ، وقيل إنه حلف
الأمراء في ذلك اليوم بأن يكونوا كلمة واحدة ولا يخرجوا عن طاعته ظاهر
وباطنا ، وحلف هو أيضا لهم بمعنى ذلك ، وانفضّ المجلس بعد الحلف ، ويقال
كان سبب إثارة هذه الفتنة الحادثة بين السلطان وبين ابن عثمان أن خشقدم مملوك
السلطان الذي كان مُشدّد الشون ، وقد تقدّم القول على أنه كان قد حصل له من
السلطان حتى بسبب زوجته بنت جاني بيك دوا دار الأمير طراباي وقد تقدّم
ذكر ذلك ، فلما رأى خشقدم أن (٢٩٣ ب) السلطان يحطّ عليه بسبب جاني بيك
ففرّ على حين غفلة ونزل في مركب وتوجّه إلى عند سليم بن عثمان وكان له أخ
عند ابن عثمان ، فلما توجّه خشقدم إلى ابن عثمان أكرمه وأنعم عليه بأمرية في بلاده ،
فلما استقرّ خشقدم عند ابن عثمان شرع يحطّ على السلطان عند ابن عثمان ويخبره
بأمور من أفعال السلطان من أبواب المظالم ، وأخبره بما أحدثه على السوق من
أمر المشاهرة والمجامعة على أبواب البضائع من المال المقرّر عليهم في كل شهر ،
وأخبره بأمر الغشّ الذي في المعاملة في الذهب والفضّة ، وأخبره بأشياء كثيرة من
هذا النمط عن أحوال مصر ، حتى أخبره بجملة عساكر مصر وما يشتملون عليه ،
وأخبره عن أمر قضاة مصر قاطبة وأنهم يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية ،
وحسّن له أن يمشي على بلاد السلطان وسهّل عليه ذلك الأمر ، فعرّفه كيف
يرسل مراكب على الإسكندرية ودمياط ، فعند ذلك طمعت آمال ابن عثمان بأن

يملك مصر ، والله تعالى غالب على أمره ، فن حين توجهه خشقدم إلى ابن عثمان وهو يظهر المشى على بلاد السلطان ، ولا سيما قتل على دولات وملك بلاده وولى فيها ابن سوار وجعله نائبه وصار يكاتب السلطان في مطالعته بالفاظ يابسة ، ٣ وكل ذلك مما أوحاه إليه خشقدم عن أحوال الديار المصرية ، فلما حضر جأثم الخاصكى (٢٩٤ آ) وأخبر السلطان بما قاله ابن عثمان في حقه من هذه الأخبار المقدم ذكرها ، اضطربت أحوال السلطان وتنكد لذلك ، واستمرت الوحشة بينه وبين ابن عثمان عمالة . — وهذه الواقعة تقرب مما وقع للملك الناصر محمد بن قلاوون مع قبجق نائب الشام ، فإنه أظهر العصيان على السلطان فأرسل بالقبض عليه ، فلما تحقق ذلك فر من الشام وتوجه إلى غازان ملك التتار وقوى عزمه وحسن إليه ٩ بأن يمشى على بلاد السلطان فيملكها من غير مانع ، وكذا جرى فمشى غازان على بلاد السلطان وملك حلب والشام ، فخرج إليه الملك الناصر محمد بن قلاوون وتحارب مع غازان فكسر غازان الملك الناصر كسرة مهولة ، فرجع الملك الناصر ١٢ إلى مصر وهو مهزوم ، ثم تحايا عسكر مصر ورجع الملك الناصر وتحارب مع غازان ثانيا فكسره [كسرة] مهولة وغنم منه أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك ، وكان هذا كله من فتنة قبجق لما توجه إليه وحسن له ذلك ، ١٥ ونعوذ بالله أن يكون فتنة ابن عثمان مثل ذلك ، والأمر إلى الله تعالى . — وفي يوم الأربعاء ثامن عشره جاءت الأخبار من السويس بأن المراكب التي جهزها السلطان إلى الهند غرق منهم مركب وقد انصدمت في شعب فانكسرت وغرق ١٨ جميع ما كان فيها ، وفقد من (٢٩٤ ب) العسكر الذى كان فيها جماعة ، فلم تتفاءل الناس بذلك . — وفي يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على الأمير أينال باى دوادار سكين وعينه بأن يسافر إلى البلاد الشامية بسبب أمور تتعلق بأشغال ٢١ السلطنة ، فتوجه إليها . — وفي يوم الجمعة عشرينه فُتح سدّ بحر أبى المنجا ، وكان النيل يومئذ في ستة عشر أصبح من إحدى وعشرين ذراعا ، وكان فتحه في أول

- يوم من بابه من الشهور القبطية ، وقد تأخر فتحه عن العادة إلى ذلك اليوم ، وكان النيل في قوة عزمه من الزيادة ، فلما فتح سدّ أبي المنجا نقص النيل في ذلك اليوم ولم يزد من بعد ذلك شيئا وقد ثبت على ستة عشر أصبعا من إحدى وعشرين ذراعا ، وحصل به غاية النفع وأروى سائر البلاد التي قط ما رويت ، واستمرّ ثابتا إلى أوائل هاتور فعُدّ ذلك من النواذر ، ومن العجائب أن مع وجود علو النيل وثباته لم يسكن في الجزيرة الوسطى ولا بيت واحد ولم يفتح فيها دكان ولم يعمل بها مقصف للمتفرّجين ، ولم يُعلم ما سبب ذلك ولكن أشاعوا أنه سكن بالجزيرة عدّة مناخات جمال لابن السلطان والأمراء ، فخشى الناس أن يسكنوا الجزيرة من النفر الذي هناك ، فهذا كان السبب في منع الناس في سكنى الجزيرة . - وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نادى السلطان في الحوش للعسكر بأن يعملوا يرقهم (٢٩٥٢) وأن يكونوا على يقظة فإن السلطان ينفق ويخرج في جمعته ، وصار في كلّ جامكيّة ينادى للعسكر بذلك في الحوش ، وأشيع أن السلطان هو الذي يسافر بنفسه بسبب ابن عثمان ، واستمرت الإشاعات قائمة بسفر السلطان ثم خمدت تلك [الإشاعات] قليلا . - وفي ذلك اليوم كانت وفاة القاضي جلال الدين محمد الزفتاوى أحد نواب الشافعية ، وكان لا بأس به ، ومات وهو في عشر الثمانين سنة . - وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه نزل السلطان إلى بولاق وتوجّه إلى ضيافة القاضي كاتب السرّ محمود بن أجا بالبرابجية التي هناك فأقام عنده إلى يوم الأربعاء وهو في أرغد عيش ، فما أبقى القاضي كاتب السرّ في ضيافته ممكنا وأحضر من كلّ شيء أحسنه ، حتى قيل إنه تكلف على أسبغته وطواري حافلة وتقدمة عظيمة قدّمها للسلطان فوق آلاف دينار ، وكان ان السلطان معه وجماعة من الخاصكية ، وانشرح السلطان هناك إلى الغاية وأحدّ بن يديه مغاني وأرباب الآلات ، وأظهر القاضي كاتب السرّ أنواع العظماء الفُرش الفاخرة والأواني الصنيّ والنحاس المكفّت وغير ذلك من كل

(٢) شيئا وقد : وشيئا قد . (٥) وجود عاو : موجود عاوى . (٦) يفتح : يفتح .

ثم إن السلطان صلتى العصر يوم الأربعاء وطلع إلى القلعة وكانت ليلة جامكية ،
 فلما ركب من هناك (٢٩٥ ب) أخلع على القاضي كاتب السر كاملية حافلة من
 ملايسه مغل أحمر بصمور فاخر ، وتشكر منه لما تكلفه له من الأسمطة الحافلة ٣
 وغير ذلك من المأكّل والمشرب والتقدّم الحافلة . - وفي يوم الخميس سادس
 عشرينه نفق السلطان الجامكية ، وهى آخر الجوامك ، ثم نادى للعسكر بأن
 يعملوا يرقهم وأن يكونوا على يقظة فإن التجربة إلى حلب عمّالة ، فلما تحقّقوا ٦
 الممالك ذلك نزلوا من القلعة وأطلقوا فى الناس النار ، وأخذوا بغال القضاة
 والعلماء والتجار وهجموا عليهم الحارات والبيوت ، ونزلوا الفقهاء من على بغالهم
 فى وسط الأسواق وأخذوهم من تحتهم ، وأخذوا بغلة الشيخ برهان الدين ٩
 ابن الكركى وهو فى الحضور فى المدرسة الأشرفية فبرطل عليها بمبلغ له صورة
 حتى خلّصها ، ثم صارت الممالك تسافر إلى نحو بلييس والصالحية ويأخذون بغال
 المسافرين وأكاديشهم ، حتى ضجّ منهم جميع الناس وتزايد منهم الضرر الشامل ١٢
 فى حقّ الناس جدّاً ، وصاروا يهدلون القضاة والعلماء بالضرب ويسزلونهم من
 على بغالهم ، وفعلوا من هذا النمط أشياء كثيرة .

وفى رمضان كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فجلس السلطان فى الميدان ، ١٥
 وطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر ، ثم طلع الوزير يوسف
 البدرى والزينى بركات (٢٩٦ آ) بن موسى المحتسب ، وطلعوا بالخبز والسكر
 والدقيق وهو على رؤوس الحمّالين مزفوف ، وطلعوا بأغنام وأبقار كما جرت به ١٨
 العادة فأخلع السلطان على الوزير وناظر الدولة شرف الدين الصّغير والمحتسب ، وكان
 يوما مشهودا . - وفى يوم الأربعاء ثانى شهر رمضان قوى عزم السلطان بأن يسافر
 إلى ثغر الإسكندرية ورشيد بسبب تفقّد أحوال الأبراج التى هناك ، وأشيع أنه ٢١
 شرع فى بناء سور برشيد على شاطئ البحر الملح فأرسل عدة بنائين وحجارين

- بسبب ذلك ، وقد بلغه عن ابن عثمان أنه يقصد بطرق ثغر الإسكندرية ودمياط على حين غفلة ، فلما صلى السلطان الصبح يوم الأربعاء نزل من القلعة وتوجه ٢ إلى بولاق وعدى إلى برّ إنابة ونصب له خيمة هناك حتى يتكامل خروج العسكر ، فكان صحبته من الأمراء المقدمين الأتابكي سودون العجمي والأمير أركاس أمير مجلس والأمير سودون اللوادرى رأس نوبة النوب والأمير أنسباى حاجب الحجاب والأمير تانى بيك الخازندار أحد الأمراء المقدمين ، وجماعة من الأمراء العلبلخانات والعشرات منهم الأمير خاير بيك المعمار ، وكان صحبته من المباشرين الشهابى أحمد (٢٩٦ ب) ابن الجيعان نائب كاتب السرّ والقاضى أبو البقا ناظر الاسطبل ، وآخرون من المباشرين من أرباب الوظائف ، وعيّن معه نحو خمسين ٩ خاصكيا من أرباب الوظائف وألزمهم بأن يصحبوا معهم كل واحد فرسا وبغلا جنيا ، فقاموا فى المراكب بسبب الخيول ما لا خير فيه ، وكان النيل فى عشرين ١٢ ذراعا والطرق مقطوعة من كثرة الماء ، فحصل للأمراء والعسكر مشقة زائدة ولا سيما فى رمضان والصيام عمال كل يوم ، فأقام السلطان فى برّ إنابة إلى يوم الخميس ثالث الشهر فنزل فى مركب ورحل من إنابة هو والأمراء فى عدة مراكب ١٥ كثيرة ، وكانت هذه السفرة على حين غفلة . - وفى ليلة الجمعة رابع الشهر سقط مصقف زاوية الشيخ أبى العباس البصير رحمة الله عليه ، وهى التى عند باب الخرق المطلة على الخليج ، فقتل تحت الردم رجل وصبي صغير وهرب من كان بها من ١٨ المصلّين وقت العشاء فسلموا ، ولم يقتل غير اثنين كما تقدم . - ومن الحوادث فى غيبة السلطان أن المماليك الجلبان ربطوا كلاب حديد فى حبل وشاقود : فتعلّق فى شباك الطبقة التى على باب الزردخاناه ، وتسلقوا عليه وهم من داخل ٢١ الحوش السلطانى ، فلما وصلوا إلى الشباك وجدوا بالقرب منهم أربع طقريات بأسقاط فضة فسحبوهم وأخذوهم : (٢٩٧ آ) فلما طلع النهار حضر الأمير مغلباى الشرىنى الزردكاش الكبير ، فأعلموه بذلك ورأى الحبل معلقا فى الشباك

- فكتب بذلك محضرا ، ولم يُفد من ذلك شيء وراحت على من راح . - وفي يوم الأحد ثالث عشره أشيع بين الناس أن الوالى عاقب جاني بيلك دوا دار طراباي على بقية المال الذى تأخر عليه ، فطالبوه بأن يورد مما عليه شيئا على الجامكية فقال : ما بقى معى شيء من المال غير روحى خذوها ، فضربوه كسارات على ركبته ، وقيل عصروه فى أصداعه ، وهو يقول ما بقى معى شيء من المال ، فاستمر يعاقبه الوالى حتى أشرف على الموت ، وأشيع بين الناس موته ، ولكن ما صح ذلك ، وهذا انتقام من الله تعالى فإن جاني بيلك هذا كان من وسائط السوء مستحقا لكل الأذى . - وفي يوم الثلاثاء خامس عشر هذا الشهر حضر السلطان من ثغر الإسكندرية ، وهذه السفرة الثانية ، فكانت مدة غيبته فى هذه السفرة ثلاثة عشر يوما لا غير ، بخلاف السفرة الأولى ، وكان سبب توجهه إلى ثغر الإسكندرية فى هذه المرة فإنه لما بلغه عن سليم شاه ابن عثمان بأنه قد جهّز نحو أربع مائة مركب وهو تاصد إلى ثغر الإسكندرية ودمياط الشهير ، فتوجه السلطان إلى هناك (٢٩٧ ب) لتفقد أحوال الأبراج التى هناك وترميم بنائها ، وتوجه إلى رشيد وأيضا رسم بأن يُبنى عليها سور من جهة البحر الملح ، وأشيع أن السلطان أنعم هناك على خاير بيلك العلى الشهير بالمعمار بتقدمة ألف وجعله متحدثا فى باشية برج الأشرف قايتباى ، وأشيع أيضا أن السلطان حصل له هناك توعك فى جسده وأفطر يوما من شهر رمضان عند ما حصل [له] دوخة وأغمى عليه ، فعند ذلك بادر بسرعة المحيىء إلى مصر ، فأقى فى مركب لبر مصر عند السواقي التى أنشأها هناك فطلع من عند السواقي هو والأمراء الذين كانوا صحبته ، فأخلع عليهم هناك كوامل مخمل بصمور ، فلما طلع لاقاه من هناك الخليفة والقضاة الأربعة وبقية الأمراء الذين كانوا بمصر ، فشقّ من السبع سقايات إلى قناطر السباع ، ورسم لأمر كبير سودون العجمي بأن يتوجه إلى بيته من هناك ، فلما وصل إلى المدرسة الصرغتمشية رسم للخليفة بأن يتوجه إلى بيته من هناك ، وكان الأمير أركماس أمير مجلس حصل له رمد فى عينه فلم يركب مع السلطان ، فشقّ السلطان من الصليبية

- وطلع إلى الرملة ودخل إلى الميدان ، فطوّب إلى القضاة وانصرفوا إلى بيوتهم ، وكان (٢٩٨ آ) موكب للسلطان هيتا بخلاف مواكبه المقدّمة . وفي يوم الخميس ٣ رابع عشره فرّق السلطان الكسوة على العسكر مع الجامكية . - وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على حسام الدين محمود بن قاضي القضاة سريّ الدين عبد البرّ بن الشحنة وقرّره في قضاء الحنفية ، عوضاً عن القاضي شمس الدين السمديسى الحنفى ٦ بحكم انفصاله عن القضاء ، فكانت مدّته في القضاء سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، وكان من أخصّاء السلطان وإمامه ولكن سعى عليه الحسامى محمود بن الشحنة بثلاثة آلاف دينار حتى ولى وظيفة القضاء ، وكان الحسامى محمود شاباً قليل الرأسمال من العلم ولم يكن في طبقة علماء الحنفية ممن ولى وظيفة قضاء الحنفية ، ولكن السلطان ما عنده أعزّ من يورد له مال ويكون مهماً كان ، وقد استكثر غالب الناس على محمود وظيفة القضاء ، وفيه يقول القائل :
- ١٢ لا واخذ الرحمن سلطاننا أفعاله بالطبع رهّاجة
ولّى علينا للورى قاضيا ما كان للدهر به حاجة
- وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على محيى الدين يحيى بن قاضي القضاة برهان الدين ١٥ الدميرى وأعادته الى قضاء المالكية ، عوضاً عن جلال الدين بن قاسم بحكم انفصاله عن القضاء ، وقد سعى عليه محيى (٢٩٨ ب) الدين يحيى الدميرى بألفى دينار ، وهذه ثانى ولاية وقعت لمحيى الدين بن الدميرى بمصر ، فكان مدّة جلال الدين بن قاسم ١٨ في قضاء المالكية سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام مثل مدة السمديسى الحنفى فلأنهما وليا في يوم واحد ، وقد تولّى الحسامى محمود ومحيى الدين يحيى بن الدميرى في يوم واحد ، وشقّاً من القاهرة وعليهما التّشريف ، وكان لهما يوم مشهود . - وفي ٢١ هذا الشهر كملت عمارة مدرسة الأمير بيبرس قريب السلطان التى أنشأها بقرب خط الجودرية ، وجاءت في غاية الحسن والظرف ، فخُطّب بها في ذلك الشهر . - وفي يوم الاثنين حادى عشرينه كان أول هاتور الشهر القبطى ، ومن العجائب
- (٩) الرّسائل : الرّسائل . (١٢) واخذ : كذا في الأصل ، ويعنى آخذ .

أن النيل استمرّ في ثبات لم ينهبط حتى دخل هاتور ، وكان يومئذ في تسعة عشر ذراعا ونصف ذراع ، حتى عُدّ ذلك من النواذر ، ولكن حصل بذلك الضرر الشامل على المزارعين بمكث الماء على الأراضي ، ومن العجائب مع وجود ثبات النيل هذه المدة لم تسكن الجزيرة الوسطى في هذه السنة ولا كُرى فيها بيت ولا دكان . - وفي ذلك اليوم توفى الأمير أقبردى الحسنى أحد الأمراء العشرات من طبقة الزمامية ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباي . - وفي (٢٩٩) يوم الأحد سابع عشرينه كان ختم صحيح البخارى بالقلعة ، وأخلع السلطان على القضاة الأربعة وأعيان العلماء ومن له عادة ، وفرقت الصرر على جارى العادة ، وكان ختما حافلا . - وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه عرض ناظر الخاص خلع العيد على السلطان ، وألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور ، ونزل من القلعة في موكب حافل ، وكانت الخلع في هذه السنة في غاية الوحاشة من انشحات ناظر الخاص بخلاف كل سنة .

وفي شوال كان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، وهو يوم عيد الفطر ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد ، ثم دخل إلى الحوش الكبير وجلس على الدكة وأخلع على القضاة الأربعة ثم على أمير كبير وبقية الأمراء المقدمين . - وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على الأمير خاير بيك المعمار وألبسه مئزر وأطلسين لكونه بقى مقدّم ألف ، ثم أخلع على المباشرين ومن له عادة ، وكان موكب العيد حافلا ، وكان الأمير طوماى باى الدوادار مسافرا في جبل نابلس ، وكانت الخلع في هذا العيد في غاية الوحاشة ، وأبطل ناظر الخاص الطرز النخ الذى كان يعمل في الخلع ، وكانت الخلع من القماش القطنى الذى مثل القش ، ثم نزل (٢٩٩ ب) ابن السلطان إلى باب السلسلة وعليه فوقانى بطرز يلبغاوى عريض ، ونزل في موكب حافل وقدّامه الشعراء والشبابة السلطانية ، فدّ باب السلسلة مدّة حافلة وأخلع على غلمانهم أرباب الوظائف ، ثم أخلع فوقانى الذى كان عليه على الأمير أقبای الطويل

أمير آخور ثاني أحد المقدّمين ، فلما انقضى أمر المدّة بباب السلسلة نزل المقر
 الناصري ولد السلطان من باب السلسلة وعليه تحفيّة صغيرة وسلارى بعلبكي
 ٣ أبيض ، وقداّمه القاضي محيى الدين عبد القادر القصري ناظر الجيش والقاضي
 أبو البقا ناظر الاسطبل وبعض جماعة من الخاصكية ، وقداّمه ثلاث طوائل خيل
 بغواشى حرير أصفر ، فلما شقّ من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء ،
 ٦ وأوقدوا له أحمال وتنانير بالنهار من الوراقين إلى آخر البندقانيين ، وزيّنوا له عند
 بيته زينة حافلة بالخيام والسحائب ، وصنعوا له ردك على بابه وفيه أشجار وأحواض
 جلد بفواوير ماء عمّالة ، واصطفّت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ودُقّت
 ٩ له الكوسات على بابه ، وزفّته المعاني بالطارات على الدكاكين ، ولاقته طائفة
 اليهود بالشموع موقودة قدّامه ، فاستمرّ في هذا الموكب حتى دخل إلى بيته الذى
 في خط البندقانيين ، ومدّه له هناك (٣٠٠ آ) مدّة ثانية ، واستمرّ هناك في
 ١٢ بيته إلى أواخر النهار ، ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . - وفي يوم الخميس
 ثانيه تغيّر خاطر السلطان على عبد العظيم الصيرفي وأودعه في الحديد ، وأرسله
 إلى بيت الأمير الدوادار حتى عمل حساب الشعير الذى هو متحدّث عليه ، فاستمرّ
 ١٥ في الترسيم حتى يكون من أمره ما يكون . - وفي يوم الثلاثاء سابعه عرض
 السلطان جماعة من المماليك القرانصة ، وعيّن منهم جماعة إلى العقبة وجماعة إلى
 الأزمن وجماعة إلى الإسكندرية وإلى رشيد وجماعة إلى دمياط يقيمون بها ، فغالب
 ١٨ المماليك اختار دمياط ورشيد دون تلك المواضع ، وشرعوا يتشكون من ذلك فقال
 لهم السلطان : أنا ما أشرطتُ عليكم كل من أخذ منكم الخمسين دينار النفقة
 يسافر إلى العقبة والأزمن وغير ذلك من الأماكن وقتلوا نعم ناسفر إلى أى مكان
 ٢١ أرسلنا فيه السلطان ، فحصل في ذلك اليوم بين السلطان وبين المماليك بعض
 تشاجر ، وانفضّ المجلس مانعا ، وحقن السلطان من المماليك القرانصة في ذلك اليوم
 إلى الغاية . - وفي يوم الخميس تاسعه أخلع السلطان على الأمير قانصوه العادل

- كاشف الشرقية على عادته . - وفي يوم الجمعة عاشره ، الموافق لتاسع عشر هاتور القبطى ، فيه لبس السلطان الصوف وقلع البياض ، (٣٠٠ ب) وقد أختَر لبس الصوف عن عادته أياما . - وفي يوم السبت حادى عشره قبض السلطان ٢ على المعلم خضر معامل اللحم وشكّه فى الحديد وقيده وسجنه بالعرقانة حتى يغلق ما عليه من اللحوم المكسورة للعسكر ، وفى ذلك اليوم أورد عبد العظيم الصيرفى مما قرّر عليه بسبب الشعر المنكسر ألقى دينار ، واستمرّ فى الرسم حتى يغلق ما بقى ٦ عليه وهو فى الحديد . - وفى يوم السبت المذكور توفى الأمير نوروز أخو الأمير يشبك الدوادار أحد الأمراء المقدّمين الألوف ، وكان له مدّة وهو منقطع فى بيته عليل حتى مات فى ذلك اليوم . - وفى يوم الخميس سادس عشره نفق السلطان ٩ الجامكية على العسكر ، ووقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن السلطان كان عيّن من المالك القرائضة خمسين مملوكا يتوجهون إلى مكة صحبة باش المجاورين على جارى العادة ، وكان قد عيّنهم فى ربيع الأول وأخذوا فى أسباب ١٢ عمل يرقهم ، فلما كان يوم الخميس المقدّم ذكره بدا للسلطان فى ذلك اليوم بأن يُبطل هؤلاء الخمسين مملوكا الذين كان عيّنهم صحبة باش المجاورين وعيّن غيرهم فى ذلك اليوم وأبطل الذين كان عيّنهم قبل ذلك ، وكان قد بقى لخروج الحمل ١٥ (٣٠١ آ) يومين ، فحصل الضرر الشامل إلى المالك الذين بطلوا بعد أن باعوا خيولهم وقاشهم وأكروا لنسائهم على أنهم يقيمون فى مكة سنة ، فتنكّدوا إلى الغاية بسبب ذلك ، وحصل غاية الضرر للممالك الذين تعيّنوا إلى مكة فى ذلك اليوم ، ١٨ وقد بقى لخروج الحجّاج يومين فخرجوا على وجوههم ، وفيهم من سافر فى شتّدف ، وما حصل عليهم خير ، فما شكر السلطان أحد على ذلك وأعابوا عليه هذه الفعلة ، فعُدّ ذلك من النوارد الغريبة . - وفى ذلك اليوم عرض السلطان كسوة الكعبة ٢١ الشريفة ومقام إبراهيم عليه السلام ، وعرض الحمل الشريف ، وكان السلطان فى الحوش جالسا به ، وكان ذلك اليوم مشهودا . - وفى يوم السبت ثامن عشره

خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمّل زائد ، وكان له يوم مشهود ، وكان
 أمير ركب المحمل الأمير علان الدوادار الثاني أحد الأمراء المقدّمين ، وأمير الركب
 الأول المقرّ العلّاي على بن الملك المؤيّد أحمد بن الملك الأشرف أيتال ، وكان باش
 المجاورين في تلك السنة الأمير ببيردى من كسبای أحد الأمراء العشرات ، ومحتسب
 مكة الأمير قراكر الجكمي رأس نوبة عصاة ، فارنجت لم القاهرة (٣٠١ ب)
 في ذلك اليوم . - وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره وقعت فيه فادرة غريبه وهو أن
 السلطان نزل إلى الميدان وجلس به وأحضر بين يديه شخصا يهوديا يقال له يوسف
 شنشوا ، وكان أصله تاجرا من تجّار الفرنج ، وكان يعرف باللغة التركية ، ثم بقي
 معلما في دار الضرب ، فقيل إنه تأخّر عليه مال من بقايا المصادرات وحساب
 قديم وهو مبلغ اثنا عشر ألف دينار فتكاسل عن وزن ذلك ، فأرسله السلطان إلى
 المقشّرة فأقام بها أياما ولم يرد شيئا مما عليه من المال ، فأحضره السلطان بين يديه
 ١٢ وأحضر له المعاصير وعصره في أكعابه في وسط الميدان بين يديه ، فلما تزايد به
 أمر الوجع من عصر أكعابه أسلم وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
 رسول الله برأت عن كل دين بخلاف دين الإسلام ، فكبّر الحاضرون من العسكر
 ١٥ والناس أجمعين ، فلم يلتفت السلطان إلى إسلامه وأبقاه بالعمامة الصفراء ورسم
 ليحيى بن نكار دوادار الوالى بأن يتسلّمه ويعاقبه ويستخلص منه المال جميعه ،
 وقال : المسلمون كثير والإسلام ما له حاجة بهذا ، فشكّه ابن نكار في الحديد
 ١٨ ونزل به ليعاقبه ويستخلص منه المال ، فكان كما يقال : (٣٠٢ ت) إذا تسلّط
 على اليهودى يسلم . - وفي هذا الشهر أشيع بين الناس أن العجمي الشنقجي الذي
 كان نديم السلطان يضحك عليه ، وقد تقدّم القول على أن السلطان كان أرسله في
 ٢١ أواخر شهر رمضان إلى نائب الشام وإلى نائب حلب ، وعلى يده فيلبن تقدمة من
 عند السلطان أحدهما إلى نائب الشام والآخر إلى نائب حلب ، فأشيع بين الناس أن
 الشنقجي العجمي قد مات على غير وجه مرضى ، وقد اختلف القول في سبب

- موته وإلى الآن لم يثبت عنه خبر صحيح في كيفية موته والأقوال في ذلك كثيرة ، وكان هذا العجمي مشعوثا مضحكا يلعب بالصحن النحاس على جريدة في الحلق ، فلما قرّبه السلطان وأحسن إليه صار من جملة أعيان المملكة ويركب وقدّامه الساعى ٣ ويشقّ من القاهرة وتعظمه الأمراء وتقوم إليه إذا دخل عليها ، وكذلك أرباب الدولة من المباشرين وغيرها ، وقيل إنه لما دخل إلى الشام كان في موكب حافل وزينت له مدينة دمشق لما شقّ فيها بالأفيال الذي أرسلهما السلطان ، ويقال إن نائب الشام أنعم عليه بنحو ألف دينار وكذلك نائب حلب ، وكسب من السلطان أموالا جزيلة وسلاريات صمور ووشق وغير ذلك أشياء كثيرة ، ومن الأمراء وأعيان الناس ، وكان الناس يسألونه في قضاء حوائجهم عند السلطان ، ورأى من العزّ والعظمة بالديار المصرية (٣٠٢ ب) ما لا رآه أحد قبله من المقربين عند الملوك ، وكانت رئاسة هذا العجمي من غلطات الزمان كما قيل : ما طاب فرع أصله بحيث ولا زكى من مجده حديث ، ولم يصحّ موته . - وفي يوم الأربعاء ١٢ سادس عشرينه حضر مبشر الحاج وقد أبطأ عن ميعاده أياما ، وسبب ذلك أن العربان خرجوا عليه وعروّه وأخلوا جميع ما معه حتى الراحلة التي تحته وجميع كتب الحجاج ، فلم يصل لأحد من الناس من حجاجه كتاب في هذه السنة ، وقيل إن المبشر مشى على أقدامه يومين وهو لا بس بشت ، فلما سمع السلطان ذلك تنكّد والناس قاطبة لهذه الأخبار المهولة ، فلما حضر المبشر أشيع بين الناس وفاة القاضي زين الدين النابلسي أخى الشرفي يونس النابلسي الذي كان أستاذارا ، وكان ١٨ القاضي زين الدين مجاورا بمكة فأت هناك : - وفي هذا الشهر أشيع سفر السلطان إلى جهة القيوم ليكشف عن الجسر الذي انهدم من الماء وشرق غالب بلاد القيوم ، فلما تسامعت الممالك الجلبان بسفر السلطان إلى القيوم تنكّدوا لذلك وقالوا : ٢١ كيف يسافر السلطان في قوّة الشتاء وخبولنا في الربيع ، فشقّ عليهم ذلك وربما أشاحوا وقوع فتنة كبيرة . - وفي يوم الخميس سابع عشرينه حضر إلى الأبواب

- الشريفة ابن علي دولات الكبير وقد اجتمع أولاد علي دولات وأخيه عبد الرزاق (٣٠٣) الكل بمصر ، ولما حضر ابن علي دولات حضر صحبته حاجب ثاني بحلب وهو شخص يقال له قانصوه من نفيس ، وكان نائب حلب أرسله إلى ابن عثمان قاصدا بسبب القلاع التي أخذها من بلاد علي دولات ، فلما حضر قانصوه هذا من عند سليم شاه بن عثمان فأخبر عنه بأخبار غير صالحة بأنه قال : أنا ما أخذت هذه القلاع إلا بالسيف وما أردتهم إلا بالسيف ، وأنه ما هو راجع عن التوجه إلى حلب والشام وحدثه نفسه بأخذ مصر ، وهو في عمل يرق عظيم وجهز مراكب في البحر ليجيء على إسكندرية ودمياط ، فلما سمع السلطان ذلك تنكد واجتمع هو والأمراء في ضرب مشورة بسبب ذلك ، وأخبر هذا القاصد أنه أراد أن يعوقه عنده أو يقتله فما مكنوه أمراؤه من ذلك ، وقالوا : القاصد ما يُقتل . -
- وفي ذلك اليوم كان آخر تفرقة الجامكية فأشيع في ذلك اليوم بإقامة فتنة كبيرة من المماليك الجلبان ، فلما كان ليلة الجمعة أثاروا المماليك فتنة بالقلعة ورجعوا من الطباقي ، فلما طلع النهار يوم الجمعة نزل السلطان إلى الميدان وجلس به وترددت الرسل بينه وبين المماليك وقد أرسل لهم جماعة من الأمراء والخاصكية فقالوا لهم : نحن ما [نطلب] منه نفقة وإنما نطلب أن يبطل الجامعة والمشاهرة التي قررها على السوق (٣٠٣ ب) في الدكاكين وعلى سائر البضائع حتى ما فلتقى شيء نأكله ويصرف هذه اللحوم المنكسرة للعسكر ففهم من له عشرة أشهر مكسورة وفيهم من له ستة أشهر وأربعة أشهر مكسورة وأن يبطل هذا الظلم الزائد والمصادرات للناس وأن يمشى على طريقة الملوك السالفة وأن يعزل ابن موسى من الحسبة ويعزل الوزير يوسف البلدى من الوزارة ويعزل كرتباى الوالى فإنه قتل من خُشداشينا مملوكا وما بقى لنا حرمة بين العوام ، وذكروا أشياء كثيرة من هذا النمط ، وفي رواية أخرى أن المماليك قالوا : ويسلمنا علم الدين الحلبي

- وجمال الدين بواب الدهيشة ، فإن جمال الدين كان متحدثا في الخزائن الشريفة من بعد موت الأمير خاير بيك الخازندار ، فصار جمال الدين يعارض المماليك فيما رسم لهم به السلطان من إنعام لهم ، فلما طال المجلس على السلطان وأعيت ٣ الرسل المترددة بالرسائل بين السلطان وبين المماليك قام السلطان من الميدان وقد أحرسته صلاة الجمعة ، فلما طلع أغلقت المماليك في وجهه باب السبع حشرات ثم رجموه من الطباقي ولم يمكنوه من الدخول إلى الحوش ، وقيل جاءته رجعة في تخفيفته ٦ وسبّوه من الطباقي سبّا فاحشا بعبارة قبيحة ، فلما عاين السلطان (٣٠٤) ذلك خاف على نفسه من البهدة فرجع إلى الميدان وخرج من باب الميدان الذي عند حوش العرب وخرج من بين الكيمان وتوجه إلى الروضة وعدّى إلى المقياس ٩ وأقام به ذلك اليوم ، ثم نادى لأصحاب المراكب أن لا يعدّى أحد من النواتية بأمر ولا مملوك إلا بمشورة السلطان ، فلما قرب وقت صلاة الجمعة طلع جماعة من الأمراء المقدّمين إلى صلاة الجمعة فلما بلغهم توجه السلطان إلى المقياس صلوا ١٢ الجمعة بالقلعة ، ثم نزل ستة عشر أميرا مقدّم ألف وتوجهوا إلى عند السلطان في المقياس لكي يرضوا خاطره على مماليكه مما وقع من المماليك في حقّه ، فلما اجتمعوا بالسلطان قال لهم : أنا ما بقيت أعمل سلطانا ولتوا عليكم من تختاروه ١٥ غيري ، فبات تلك الليلة بالمقياس وباتت عنده الأمراء المقدّمون ، فلما كان وقت المغرب نزل من القلعة الجهم الغفير من المماليك الجلبان وقصدوا أن ينهبوا بيوت الأمراء ، فمنعوا بعضهم بعضا من ذلك ، فنهبوا بعض دكاكين من الصليبية مثل الشمع ١٨ والحلوى والخبز وغير ذلك ، واستمرّ الحال على ذلك بطول الليل وهم يشوشون على الناس ويخطفون العمامم والشدود ، وحصل منهم في تلك الليلة الضرر الشامل من اذى (٣٠٤ ب) المماليك ، وكان السلطان لما توجه إلى المقياس أخذ ولده ٢١ معه خوفا عليه من المماليك أن لا ينكدوا عليه . — فلما كان يوم السبت تاسع عشرينه توجهت الأمراء المقدّمون قاطبة إلى عند السلطان ، وكذلك الأمراء

الطبلخانات والعشرات من أرباب الوظائف ، فوقف الأتابكي سودون المعجمي
وبقية الأمراء المتقدمين وباسوا الأرض للسلطان على أنه يقوم ويطلع إلى القلعة
ويرضى عن ممالكه ، فشق السلطان ملوطته وبكى حتى أغشى عليه ورشوا على
وجهه الماء وهو يقول : ما بقى لى حاجة بسلطنة فارس لوى أى مكان تختارونه وولّوا
أمير كبير ، فخاف أمير كبير وصار يرعب من كلام السلطان وحصل له وهم . —
وقد وقع عروض ذلك للملك الأشرف قايتباى لما طلبوا منه الممالك نفقة عند
حضورهم من تجريدة ابن عثمان ، فجمع الأمراء قاطبة والخليفة والقضاة الأربعة
وأحضر القبة والطير وفرس التوبة وقال : سلطنوا أمير كبير أزيك ، وفكك
أززار ملوطته على أنه يدخل إلى البحرة ، وقال للقضاة : اشهدوا على أنى قد
خلعت نفسى من السلطنة ، وقد تقدم ذلك فى أول التاريخ من أخباره ، فلما خلع
نفسه من السلطنة أعاده الخليفة إلى السلطنة ثانيا ، وكان سبب ذلك الممالك أيضا . —
ثم إن السلطان أرسل خلف أغوات الطباق وهو فى المقياس ، فلما حضروا بين
يديه صاروا (٣٠٥ آ) يشكون له أن إقطاعاتهم لم يصل لهم منها شيء ، وأن الحماية
يأخذونها من المقطعين معجلا قبل أوان النيل بمدّة ، وأن لحوم العسكر مكسورة
بالأشهر ، وأن جميع البضائع غالية بسبب المشاهرة والمجاعة التى قرّرت على
السوق ، وأن كل شيء غالى حتى الخام والبلعكي والتبن ما يوجد ، وصارت
الجامكية ما فيها بركة كونها من مال المصادرات وأغلظوا عليه فى القول ، وقالوا
له : ليش ما تمشى على طريقة الملوك السالفة وتقلّ من هذا الظلم ، ثم قرّروا معه
بأن يصرف للعسكر اللحوم المكسورة وأن يبطل المشاهرة والمجاعة ، ويعزل
المحتسب ويولى غيره ، ويعزل الوزير والوالى ويولى غيرهما ، فقال السلطان : نعم
أفعل لكم ذلك جميعه ، وصاروا بشرطون عليه شروطا كثيرة من هذا النمط ، وهو
يقول : نعم ، وكان ألماس دوا دار سكين هو الذى يتردّد بالرسائل بين السلطان وبين
الممالك ، فلما طلب خاطر الممالك على ذلك أحضر لهم السلطان مصحفا شريفا وحلف

عليه أغوات الطباقي من الخاصكية ، وكل واحد منهم على انفراده ، بأن يرجعوا بقية الممالك ويخمدوا هذه الفتنة ويكونوا تحت طاعة أستاذهم ، فحلفوا على ذلك ودخلوا على السلطان وبأسوا له الأرض ، وحمدت تلك الفتنة على خير ، ولولا لطف الله تعالى في إخماد هذه الفتنة عن قريب ، وإلا كان قصد الممالك الجلبان أن ينهبوا المدينة وأسواق القماش وبيوت الأمراء وأعيان (٣٠٥ ب) الناس ويقتلوا من الأمراء من أرادوا قتله ، ولو فعلوا ذلك لطلع من يدهم ، وكل مفعول جائز في هذه الأيام ، ولكن الله سلم والله الحمد على ذلك . أقول :

٩ عَوَّلَ على كتب التاريخ وأغْنَى بها فكم تُهْزَ لها الأعطاف من طرب ولا تُعَوَّلَ على من قال من سفه السيف أصدق أنباء من الكتب وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء وتحريره ، على يد كاتبه ومؤلفه فقير رحمة ربه محمد بن أحمد بن إياس الحنفي عامله الله تعالى بلطفه الخفي ، في يوم الاثنين ١٢ مستهل المحرم افتتاح عام سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة المبارك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ١٥

ذكر أرجوزة لطيفة تتضمن أسماء السلاطين هم وأولادهم على الترتيب ، ومن ولى منهم من مبتدأ دولة الأتراك وإلى يومنا هذا ، فكان أول ملوك الترك بالديار المصرية الملك المعز أيك التركماني ، تولى الملك سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فهو ١٨ أول ملوك الترك بالديار المصرية .

وهذه الأرجوزة الموعود بذكرها :

٢١ فأول الترك أتى المعز ثم ابنه ووافقته الغز

- فهو على لا على في القدر
 ثم أنا الملك المظفر
 ثم حوى الأمر الملك الظاهر
 ثم أنا الملك السعيد
 ثم أقيم بعده سلامش
 مدته قصيرة يسيرة
 ثم أنا الملك المنصور
 ثم تولّاها الملك الأشرف
 ثم تولّاها الملك الناصر
 ثم أنا كتيّباء العادل
 وبعده لاجين هو المنصور
 ثم أعيد الناصر الكبير
 فصار أمر الملك للبرجينة
 فضاق ذرعا بالذى قد حازوا
 ثم حوى الأمر بها المظفر
 فصار ملك مصر للمظفر
 ثم أقي السلطان أعنى الناصرا
 ثم له بهذه ثلاثة
 أقام فيها مدة طويلة
 ثم أبو بكر سليل الناصر
 ولُقّب المنصور مثل جدّه
- أيامه مغدوقة بالشر
 وحظّه من نصره موفر
 لازال (٢٣٠٦) للأعداء وهو قاهر
 وكل يوم في ذراه عيد
 أخ له طفل صغير طائش
 ولى قلاوون بها تدبيره
 فهو قلاوون أبو الذكور
 ومن غدا بكل جود يُعرف
 وما له في نصره موازر
 وما جرى أيامه فساتلوا
 وروكّه بلادنا مشهور
 نجل قلاوون هو المنصور
 في مدة نالوا بها الأمانة
 وامتاز غيظا وهم ما مازوا
 ليقتضى أمر ربنا المقدّر
 ولم يقم في الملك غير أشهر
 إلى سرير ملكه مبادرا
 وسنّه إذ ذاك في الحداثة
 وسار فيها سيرة جميلة
 تلا أباه في الزمان الحاضر
 وليس جدّه كمثل جدّه

- وبعده طفلٌ صغيرٌ هو كجك
لا بارك الرحمن في من قتله
قوصون (٣٠٦ ب) ساس الملك في ذى المدة
ثم أتى الناصر بن الناصر
والناصر المذكور عاد راجعا
أقام فينا الصالح الجليلا
وبعده شعبان وهو الكامل
وبعد الناصر أعنى عن حسن
وعا للملك إلينا حسننا
ثم أقيم بعده شعبان
ولقبوه أشرفا مثل كجك
ثم أقيم بعده المنصور
وبعده حاجى أخوه الصالح
- خمس سنين ما مضت حتى هلك
لقد أتى خيزيا بما قد فعله
وكان فيها فى أذى وشدة
وبعده الصالح ذو المآثر
لحصنه والملك صار ضائعا
طائره أضحى به جميلا
وبعده المظفر الماطل
وبعده الصالح فى البرج سجن
وبعده المنصور ثار الفتنة
فابتهجت بملكه الأكوان
والده الحسين قط ما ملك
وهو على بنخله الكبير
ييعته السعد عليها لائح

وبه انتهت دولة بنى قلاوون وابتدأت دولة الجراكسة ، فكان أول ملوك
الجراكسة الملك الظاهر برقوق ، فابتدأت دولة الجراكسة من سنة أربع وثمانين
وسبعمائة ، وذلك فى شهر رمضان المعظم قدره :

- ثم ولى الملك المليك الظاهر
وبايعوا حاجى أيضا بعده
ثم ولى برقوق ثانى مرة
ثم ابنه بعده الناصر فرج
- برقوق سهم للأعادى قاهر
ولقب المنصور مثل جدّه
للملك واستقام أمره
فقال من سلطانه أعلا الدرج

- ٣ (٢٣٠٧) ثم أقاموا الملك المنصورا
ثم أعيد الملك ثانى مرة
وبعد هذا ببيع الخليفة
المستعين الأعظم العباس
ثم أتانا الملك المؤيد
ثم أقاموا ابنه الرضيعا
وبعده قد فاز بالملك ططر
ثم أقاموا نجله محمدا
ثم ولى من بالرعايا بروف
كُنَى أبو النصير وذاك قال
قد خصه الله بفتح قبرسى
ثم ابنه وهو العزيز يوسف
ثم أتى الظاهر أعنى جقمقا
ونال من موله فخرا كاملا
ثم أقاموا نجله عثمانا
ملقبًا بالملك المنصور
فاستقام أمره زمانا
ثم أقاموا بعده أبنالا
ولم يزل فى ملك مصر يرتع
فاستخلفوا ابن الكبير أحمدًا
- عبد العزيز فاعتلا السريرا
لفرج الناصر بعد حسرة
ذو الرتبة العالية المنيفة
فاستوثق الأمر وسرّ الناس
شيخ أبو النصر الشجاع الأجد
أحمد المظفر الرفيعا
ولقب الظاهر أياما ومر
ولقبوه الصالح المجدا
وهو برسبى المليك الأشرف
لجيشه بالرعب حيث مالوا
وكان أمر الفتح شيئا قد نسى
وأمره فى ملكه مستضعف
من بعده وكان بالجلود أرتقا
ببره الأيتام والأراملا
بالعهد فى حياته سلطانا
ورافلا فى البشر والسرور
بل زال ما كأنه قد كانا
ولقبوه أشرفا فنالا
حتى أتاه حادث لا يدفع
ولقبوه الملك المؤيدا

- فلم تطل مدته من بعده
ثم ولى خشفقدم الهمام
ولقّب الظاهر فألا فظهر
ثم ولى الظاهر يلبى بعده
فلم يقم إلا قليلا وخُلِعَ
(٣٠٧ ب) ثم أتى من بعده تمرىفا
ملقباً يدعونه بالظاهر
فلم يقم إلا كمثل الأول
ثم لقابتيه آل الملك
ملقباً من بعده بالأشرف
أقام فى الملك ثلاثين سوى
وبعده قد سلطنوا محمداً
ولقبوه بالمليك الناصرى
وخمسةائة قد تولى بعده
ثلاث أيام سوى دولته
ثم أعيد الناصر الصبور
- ولم يجد مساعدا من جُنده
من بعده على العدا حسام
ثم إلى ضدوا حقيقا قد قهر
وبايعوه أجمعين جنده
وملّك مصر من يديه قد قُلِعَ
فكان سيفاً قاطعاً لمن بغى
أيضا بتقدير الإله القاهر
وزال عنه ملكه بالعجل
قول صحيح ليس فيه شك
عامله الله بلطفه الخفى
سبع شهور وحوى ما قد حوى
نجل له حقاً على رغم العدا
فلم يكن بين الورى بشاكرى
أيامه كالحلم يبدى فقده
وانقطعت منها بها حجته
وجاءه نصر له سرور
- ٢
٦
٩
١٢
١٥

(٢) كتب الناس ما يأتى على الهامش : فخشقدم هذا هو أول ملوك الروم بمصر ، وتمرىفا هو ثاني ملوك الروم بمصر ، وسليم شاه بن عثمان ثالث ملوك الروم بمصر ، وابنه سليمان رابع ملوك الروم ، والباشاه أحمد خامس ملوك الروم بمصر .

- فعاجلوه بعد ذا بالباتر وقد أتى لرمسه مبادر
 فلسطينوا خال له من بعده وليس يدرى عيّه من رشده
 ٢ فلقّبوه بالمليك الظاهر وساعدته نصرة من قادر
 فجاء في الملك على الوجه الرضى وكل إنسان بفعلوا قد رضى
 ثم أتى الدهر بجان بلاط فأظهرت أيامه الإفراط
 ٦ ثم نهى العادل فينا وأمر دولته كانت كلمح بالبصر
 وبعده قد جاءنا ذا الغورى فسلطنوه سرعة بالفور
 أقام في الملك سنين عدة والناس في ضنك وقاسوا شدة
 ٩ فعدهم لسلطنة ذا الغورى سبعة وأربعون جدّ السبرى
 فعدة الأتراك ممن قد وُلّى سبعة وأربعون فاسمع يا خلتى
 فهم وأولادهم في العدة تذكرة لمن يحى من بعدى
 ١٢ فإن عدّ الأشرف قانصوه خمسمائة من جملة السلاطين فيكونوا به ثمانية وأربعون
 سلطانا ، هم وأولادهم ، والله أعلم بمن يحى من بعد ذلك .
- وجاء طومان باى يسعى الملك من بعده وليس فيه شك
 ١٥ يقرب في أنسابه للغورى لافى المظالم وارنكاب الجور
 ثم سليم شاه ولى من بعده وضك في أيامه عن رشده
 وباهنا جاء سليمان ابنه تملك الملك حقيقا ذريته
 ١٨ ثم ولى الباشا المسمى أحمدًا فثار نارا في الورى ما أخدا
- تمت الكلام في شهر رجب سنة ١١٢٧ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤/١٨٩٤

ISBN ٩٧٧ - ١ - ٠٢٩٢ - x

I N H A L T

	Seite
Vorwort..	VII
Das Jahr 906	2
Das Jahr 907	14
Das Jahr 908	30
Das Jahr 909	55
Das Jahr 910	65
Das Jahr 911	80
Das Jahr 912	94
Das Jahr 913	111
Das Jahr 914	130
Das Jahr 915	150
Das Jahr 916	176
Das Jahr 917	208
Das Jahr 918	253
Das Jahr 919	295
Das Jahr 920	357
Das Jahr 921	434

auch noch erwähnen, dass das Ministerium für Kultur und Nationale Information und das Ministerium für Erziehung in der Südlichen Region der Vereinigten Arabischen Republik und ebenfalls die Ägyptische Gesellschaft für Historische Studien in Kairo sich bereit erklärten, sich an allen Bänden dieses Werkes zu beteiligen. Damit ist auch die Gewähr für die Herausgabe der vollständigen Chronik gegeben.

Kairo, den 15. Februar 1960.

Mohamed Mostafa.

1955 in Hamburg brachte er diesen Vorschlag zur Sprache, der auch von allen anwesenden Mitgliedern genehmigt wurde.

Daher hat die Deutsche Morgenländische Gesellschaft mich beauftragt, den Text für die Neuausgabe dieser drei Bände zu bearbeiten und dafür die Indices und die Einleitung zu schreiben. Auch ist die Gesellschaft auf meine Anregung eingegangen, dass die Neuausgabe die gesamten fünf Bände der Chronik des Ibn Ijäs umfassen soll. Es hat sich nämlich herausgestellt, dass dem Text in manchen Teilen der Bulaqer Ausgabe eine Handschrift zugrundeliegt, deren Text soweit gekürzt ist, dass er sich grundlegend von dem Originaltext unterscheidet, den Ibn Ijäs selbst geschrieben hat.

Ich habe mit der Herausgabe des vierten Bandes den Anfang der Neuausgabe gemacht. Er enthält die Geschichte der Zeit von 1501 bis 1516; das ist derjenige Zeitabschnitt, der der osmanischen Eroberung Ägyptens vorausgeht. Ich tat das aus dem Grunde, weil diese Epoche in der Bulaqer Ausgabe gänzlich fehlt.

Danach werde ich den fünften Band der Chronik folgen lassen und später auf die drei ersten Bände zurückgehen. Dem ersten Band werde ich eine umfassende Einleitung zu dem Werk und über seinen Verfasser beigeben. Zum Schluss werde ich die Indices für alle fünf Bände in einem besonderen sechsten Band zusammenstellen. Dabei wird einer der Indices die in diesem Werk vorkommenden Fachausdrücke und Spezialwörter bringen. Bei den Indices werde ich denselben Richtlinien folgen, die ich für die *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas* anwendete.

Mein aufrichtiger Dank gilt vor allem meinem verehrten Lehrer, Herrn Professor Dr. Paul Kahle, der mir in grosszügiger Weise eine Photographie der Handschrift zur Verfügung gestellt hat. Seinem unermüdlichen Einsatz ist es in erster Linie zu verdanken, dass dieses Buch erscheinen kann. Mein Dank gilt ferner Herrn Professor Dr. Hans Roemer, dem Bevollmächtigten der DMG in Kairo, dessen wertvolle Hilfe uns bei allen Druckfragen des Bandes sehr willkommen war.

Es ist eine besondere Ehre für mich, bei dieser Gelegenheit auch den Institutionen der verschiedenen Länder zu danken, die der Aufforderung der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft Folge leisteten und sich grosszügig an der Herausgabe dieses Bandes beteiligten. So ist es eine internationale wissenschaftliche Zusammenarbeit, die diesem Werk zur Entstehung verhalf. Hier möchte ich

Meinem hochverehrten Lehrer,
Herrn Professor Dr. Paul Kahle,
in Dankbarkeit gewidmet

at-Tibr al-masbūk fī dail as-sulūk bis zu Abū l-Maḥāsins *an-Nuḡūm az-zāhira* und endlich zu der Chronik des Ibn Ijās *Badā'i' az-zuhūr fī waqā'i' ad-duhūr*.

Demnach haben wir die ersten 98 Blatt der Handschrift Fatih 4198 nicht veröffentlicht. Sie enthalten die Geschichte der Zeit vom Monat Rabi' I des Jahres 857 (1453) bis zum Monat Raḡab 872 (1468), das heisst die Berichte über die Regierungszeiten der Sultane Aināl, Aḥmad ibn Aināl, Ḥuṣqadam und Timur Boḡā.

Bei einem Vergleich der Nachrichten, die Ibn Ijās in diesem Teil seiner Chronik bringt, mit dem, was Abū l-Maḥāsīn über dieselbe Zeit in seinen beiden Büchern *an-Nuḡūm az-zāhira* und *Ḥawādiṯ ad-duhūr* berichtet, ist mir jedoch klar geworden, dass die Ereignisse einiger Monate in diesen beiden letztgenannten Werken fehlen. Auch berichtet Abū l-Maḥāsīn nicht über alle Geschehnisse, die Ibn Ijās erwähnt. Das hat mich bewogen, diesen Teil im Jahre 1951 in den Veröffentlichungen der Ägyptischen Gesellschaft für Historische Studien herauszugeben unter dem Titel *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas*.

Hinzu kommt, dass nach meinen Feststellungen Ibn Ijās Vorkommnisse erwähnt, an die er sich aus seiner Kindheit zurückerinnert, und dass er erzählt, was er selber in seiner Jugend sah. So berichtet er z. B. ⁽¹⁾, dass er sich noch erinnern könne (*adraka*), wie der Atabek Aḥmad, der Sohn des Sultan Aināl, zur Pilgerfahrt auszog und wie er von der Pilgerfahrt zurückkehrte. Dabei vergleicht er zwischen dem Festzug bei dessen Rückkehr und dem bei der Rückkehr von Sultan Ġūris Sohn aus dem Ḥiḡāz. Wir wissen, dass Aḥmad ibn Aināl im Jahre 862 ⁽²⁾ von der Pilgerfahrt zurückkehrte. Damals war Ibn Ijās ungefähr neun Jahre alt.

Während des zweiten Weltkrieges sind alle am Lager der DMG in Leipzig vorhandenen Exemplare aller drei Bände der Chronik des Ibn Ijās verbrannt. Da dieses Werk zu den wichtigsten und grundlegenden Quellen zählt und für alle, die sich mit dem Studium der ägyptischen Geschichte beschäftigen, unentbehrlich ist, hat sich Herr Professor Dr. Paul Kahle für eine Neuherausgabe dieser drei Bände eingesetzt. Auf dem Deutschen Orientalistentag im Jahre

⁽¹⁾ Vgl. im vorliegenden Band S. 440, Z. 8.

⁽²⁾ Vgl. *Unpublished Pages*. S. 50, Z. 8 ff. und Anm. 4.

VORWORT

Im Jahre 1928, als ich Lektor am Orientalischen Seminar der Universität Bonn war, forderte mich mein Lehrer, Herr Professor Dr. Paul Kahle, auf, mit ihm zusammen die Chronik des Ibn Ijās herauszugeben. Wir publizierten gemeinsam die Bände 3, 4 und 5 dieses Werkes in der *Bibliotheca Islamica* der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. Der vierte Band erschien im Jahre 1931, der fünfte wurde 1932 und der dritte im Jahre 1936 veröffentlicht.

Diese drei Bände behandeln den Zeitabschnitt der ägyptischen Geschichte von 1468 bis 1522. Sie erwähnen auch die wichtigsten Ereignisse, die zu dieser Zeit in andern arabischen Ländern und der übrigen bekannten Welt vorkommen. Dabei fällt noch ins Gewicht, dass Ibn Ijās fast der einzige zeitgenössische Historiker dieser für die Geschichte des Landes so entscheidenden Epoche und Augenzeuge aller Geschehnisse war. Im Jahre 1468 war er etwa zwanzig Jahre alt, denn er gibt selber an ⁽¹⁾, dass er am 6. Rabi' II 852 (8. Juni 1448) geboren ist.

Wir haben den dritten Band mit Folio 99a der Handschrift Fatih Nr. 4198 begonnen, nämlich da, wo der Bericht von der Übernahme der Regierung durch Sultan al-Ašraf Qaitbāj im Monat Rağab 872 (1468) beginnt. Bei diesem Datum endet bekanntlich das Buch *an-Nuğūm az-zāhira fī mulūk Miṣr wal-Qāhira* des Abū l-Maḥāsin Yūsuf ibn Tağri Birdi. So haben wir eine ununterbrochene Folge der ägyptischen Geschichte, angefangen mit Maqrizīs *Sulūk*, zu Saḥāwīs

⁽¹⁾ Seite 16 des Vorworts zu *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas*.

DIE CHRONIK DES IBN IJĀS

Dritte Auflage

Bearbeitet und mit Einleitung
und Indices versehen von

MOHAMED MOSTAFA

Vierter Teil

A.H. 906-921 / A.D. 1501-1515



GENERAL ÄGYPTISCHE BUCHORGANISATION
1984

DIE CHRONIK DES IBN IJĀS

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى

حَقَّقَهَا وَكَتَبَ لَهَا الْمَقْدِّمَةَ وَالْفَهَارِسَ

محمد مصطفى

الجزء الرابع

من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١ هـ
(١٥٠١ إلى ١٥١٥ م)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

١٩٨٤ - ١٤٠٤

طبعة ثالثة
مصورة عن الطبعة الثانية

بدائع الزهور في وقائع الدهور

الجزء الرابع

الى اُستاذى اَجَلِيْل

الدكتور بَول كَالَه

تَحِيَّه شُكْر وَتَقْدِيْر

تصدير

فى سنة ١٩٢٨ ، عندما كنت أعمل مدرسا بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة
بون ، دعانى أستاذى الدكتور باول كاله إلى الاشتراك معه فى نشر كتاب بدائع الزهور
فى وقائع الدهور لابن إياس . وقد نشرنا معا الأجزاء الثالث والرابع والخامس
من هذا الكتاب ، فى سلسلة « النشرات الإسلامية » التى تصدرها جمعية المستشرقين
الألمانية ، فظهر الجزء الرابع فى سنة ١٩٣١ ، والجزء الخامس فى سنة ١٩٣٢ ،
والثالث فى سنة ١٩٣٦ .

وتتناول هذه الأجزاء الثلاثة تاريخ مصر ، كما تسرد لنا الحوادث الهامة
التي وقعت فى البلاد العربية الأخرى ، أو فى غيرها من البلاد ، وذلك من سنة ٨٧٢ هـ
(١٤٦٨) إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥٢٢) ، على اعتبار أن ابن إياس كان المؤرخ
الوحيد تقريبا الذى عاصر تلك الفترة الحاسمة من تاريخ هذه البلاد ، وكان شاهد
عيان لما وقع فيها من أحداث ، فإن عمره كان فى سنة ٨٧٢ حوالى عشرين عاما ،
على ما نعرفه مما كتبه هو عن نفسه^(١) من أنه ولد فى ٦ من ربيع الآخر سنة ٨٥٢
(٨ من يونيه سنة ١٤٤٨) .

وقد بدأنا الجزء الثالث من صفحة ٩٩ آ من مخطوط فاتح رقم ٤١٩٨ ،
حيث يبدأ ابن إياس ذكر تولى السلطان الأشرف قايتباى الحكم فى شهر رجب
سنة ٨٧٢ (١٤٦٨) ، وهو التاريخ الذى ينتهى عنده كتاب النجوم الزاهرة
فى ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى . وبذلك تتوالى حلقات

(١) انظر ص ١٦ من مقدمة « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

تاريخ مصر في عصر الماليك من كتاب السلوك للمقرئى ، إلى التبر المسبوك
في ذيل السلوك للسخاوى ، فالنجوم الزاهرة لأبى المحاسن ، وأخيرا بدائع الزهور
في وقائع الدهور لابن إياس .

وكان نتيجة لذلك أننا لم ننشر الثمان والتسعين ورقة الأولى من مخطوط فاتح
رقم ٤١٩٨ ، التى تسبق بداية المتن فى الجزء الثالث ، وهى تشمل تاريخ الفترة
من شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ (١٤٥٣) إلى شهر رجب سنة ٨٧٢ (١٤٦٨) ،
أى أخبار عصور السلاطين أئبال وأحمد بن أئبال وخشقدم وتبرغا .

غير أنه تبين لى من مقارنة ما كتبه ابن إياس فى هذا القسم من تاريخه ،
بما أورده أبو المحاسن من أخبار عن نفس هذه الفترة فى كتابيه النجوم الزاهرة
وحوادث الدهور ، أن أبناء بعض الشهور ناقصة فى هذين الكتابين الأخيرين ،
وأن أبا المحاسن لم يكتب عن كل الحوادث التى ذكرها ابن إياس . وقد دفعنى
ذلك إلى أن أنشر هذا القسم فى سنة ١٩٥١ بين مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية بعنوان « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

هذا إلى جانب أننى لاحظت أن ابن إياس يذكر ما انطبع فى ذاكرته من
عهد طفولته ، وأنه يروى ما رآه بنفسه فى صباه ، فيقول مثلاً^(١) إنه « أدرك »
أتابك العساكر أحمد بن الملك الأشرف أئبال لما خرج إلى الحج ، ثم لما حضر
من الحج ، ويقارن بين موكب عودته ، وموكب عودة ابن السلطان الغورى من
الحجاز . والمعروف أن أحمد بن أئبال رجع من الحج^(٢) فى شهر المحرم سنة ٨٦٢
(١٤٥٧) ، أى أن ابن إياس كان حينئذ فى نحو التاسعة من عمره .

(١) راجع ما يلى هنا ص ٤٤٠ س ٨ .

(٢) انظر « صفحات لم تنشر » ص ٥٠ س ٨ وما بعده و ح ٤ .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية احترق كل ما كان يوجد من نسخ الأجزاء الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب في مخازن جمعية المستشرقين الألمانية بمدينة لبيزج . ونظرا إلى أن تاريخ ابن إياس يعتبر من المراجع الأساسية الهامة ، التي لا يمكن أن يستغنى عنها المشتغلون بدراسة تاريخ مصر ، فقد سعى الدكتور بول كاله لإعادة طبع هذه الأجزاء ، واقترح ذلك في مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في هامبورج سنة ١٩٥٥ ، ووافق المجتمعون على هذا الاقتراح ؛

وقد كلفتني جمعية المستشرقين الألمانية أن أعيد تحقيق هذه الأجزاء الثلاثة وأن أراجعها على مخطوطات الأصل لابن إياس ، وأن أكتب لها المقدمة والحواشي والفهارس . ثم وافقت الجمعية على ما طلبته من أن يشمل النشر طبع الأجزاء الخمسة كلها لكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اعتبارا لما ثبت من أن المتن في بعض أقسام الجزئين الأول والثاني من طبعة بولاق ، قد اعتمد في طبعه على نسخة اختصر فيها المتن إلى حد أنه صار بعيدا كل البعد عن متن الأصل الذي كتبه ابن إياس بخطه^(١) .

وقد بدأت بنشر الجزء الرابع ، ويشمل تاريخ الفترة من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١هـ (١٥٠١ - ١٥١٦) ، وهي الفترة التي تسبق الفتح العثماني لمصر ، نظرا إلى أنها تنقص تماما في طبعة بولاق ، فلم يرد فيها ذكر شيء عن هذه الفترة الهامة من التاريخ .

وسوف أنشر بعد ذلك الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس ، ثم أعود بعده إلى نشر الأجزاء الثلاثة الأولى منه . وسوف أضيف إلى الجزء الأول مقدمة شاملة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه . كما أنني سوف أنشر الفهارس في جزء سادس خاص بها ، وسأخصص أحدها للمصطلحات اللغوية التي وردت في كتاب

(١) انظر ص ١٠ من مقدمة « صفحات لم تنشر » .

ابن لياس ، وسيكون ذلك على نمط ما اتبعته في فهارس كتاب « صفحات
لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور » .

وإننى أقدم أخلص الشكر لأستاذى الدكتور باول كاله الذى تفضل متطوعا ووضع
تحت تصرفى نسخة من الصور الفوتوغرافية المأخوذة عن نسخة الأصل ، وكان
لمساعيه أكبر الفضل فى نشر هذا الكتاب ، وأشكر السيد الدكتور هانس رويمر ،
مندوب الجمعية فى القاهرة ، لمعاونته الصادقة فى شئون طبع هذا الجزء من الكتاب .

ولأنه ليشرفى فى هذه المناسبة أن أشكر الهيئات المختلفة فى شتى الأقطار ،
التي لبث نداء جمعية المستشرقين الألمانية ، فأسهمت فى إخراج هذا الجزء من
الكتاب ، مما يبرزه فى مظهر تعاونى علمى ، له الصفة الدولية . ولا يفوتنى
أن أنوه بأن وزارة الثقافة والإرشاد القومى ووزارة التربية والتعليم بالإقليم الجنوبى
من الجمهورية العربية المتحدة ، وكذلك الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
بالقاهرة ، قد قبلت كلها الاشتراك فى جميع ما يصدر من أجزاء هذا الكتاب ،
فأكدت بذلك أمر صدوره .

محمد مصطفى

القاهرة فى ١٥ من فبراير سنة ١٩٦٠

المحتويات

صفحة

(٧)	تصدير
٢	سنة ٩٠٦
١٤	سنة ٩٠٧
٣٠	سنة ٩٠٨
٥٥	سنة ٩٠٩
٦٥	سنة ٩١٠
٨٠	سنة ٩١١
٩٤	سنة ٩١٢
١١١	سنة ٩١٣
١٣٠	سنة ٩١٤
١٥٠	سنة ٩١٥
١٧٦	سنة ٩١٦
٢٠٨	سنة ٩١٧
٢٥٣	سنة ٩١٨
٢٩٥	سنة ٩١٩
٣٥٧	سنة ٩٢٠
٤٣٤	سنة ٩٢١

